

# إلهي نامه

الكتاب الإلهي

فريد الدين العطار

النيسابوري

- ♦ المؤلف: فريد الدين العطار
- ♦ العنوان: إلهي ناميه (الكتاب الإلهي)
- ♦ ترجمة: ملكة علي التركي
- ♦ طبعة آفاق: الأولى 2018
- ♦ تصميم الغلاف: عمرو الكفراوي
- ♦ مستشار النشر: سوسن بشير
- ♦ المدير العام: مصطفى الشيخ



رقم الإيداع:

٢٠١٧ / ١٥٩٥١

الترقيم الدولي: ISBN

978 - 977 - 765 - 118 - 9

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أى جزء منه. أو تخزينه فى نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأى شكل من الأشكال دون إذن مسبق من الناشر.

All rights are reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form, or by any means without prior permission in writing from the publisher.

## **Afaq Bookshop & Publishing House**

1 Kareem El Dawla st. - From Mahmoud Basiuny st. Talaat Harb  
CAIRO – EGYPT - Tel: 00202 25778743 - 00202 25779803 Mobile: +202-01111602787  
E-mail: afaqbooks@yahoo.com – www.afaqbooks.com

١ شارع كريم الدولة- من شارع محمود بسيوني - ميدان طلعت حرب- القاهرة - جمهورية مصر العربية  
ت: ٢٥٧٧٨٧٤٣ ٠٠٢٠٢ - ٢٥٧٧٩٨٠٣ ٠٠٢٠٢ - موبايل: ٢٧٨٧ ٠١١١١٦٠

# إلهي نامہ (الكتاب الإلهي)

تأليف

فريد الدين العطار

دراسة وترجمة وتعليق

د. ملكة علي التركي

آفاق للنشر والتوزيع

**بطاقة الفهرسة**  
**إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية**  
**إدارة الشؤون الفنية**

العطار، فريد الدين

إلهي نامہ - أ. د. ملكة علي التركي

ط1 القاهرة - آفاق للنشر والتوزيع - 2018

512 ص، 24 سم.

رقم الإيداع 15951 / 2017

الترقيم الدولي 9 - 118 - 765 - 977 - 978

1 - التصوف

أ - العنوان

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

[الرعد: ٢٨]

صدق الله العظيم



## المحتويات

|    |                                                |
|----|------------------------------------------------|
| ١٣ | مقدمة                                          |
|    | القسم الأول                                    |
|    | مدخل إلى الأدب الصوفي الفارسي                  |
| ١٩ | ظهور التصوف الإسلامي وتطوره                    |
| ١٩ | أهمية دراسة الأدب الصوفي الفارسي               |
| ١٩ | المعنى اللغوي لكلمة تصوف                       |
| ٢١ | تعريف التصوف                                   |
| ٢٦ | أصل التصوف ونشأته                              |
| ٢٨ | التصوف حتى القرن السابع الهجري                 |
| ٢٨ | الزهد وتطوره في القرنين الأول والثاني الهجريين |
| ٣٠ | التصوف في القرنين الثالث والرابع الهجريين      |
| ٣٠ | ظهور الطرق الصوفية                             |
| ٣٤ | التدوين                                        |

|    |                                           |
|----|-------------------------------------------|
| ٣٥ | تفرع التصوف إلى تيارين                    |
| ٣٨ | التصوف في القرن الخامس الهجري             |
| ٤١ | شعراء الرباعيات                           |
| ٥١ | التصوف في القرنين السادس والسابع الهجريين |
| ٦٥ | نشاط الطرق الصوفية                        |
| ٦٦ | ازدهار التصوف الفلسفي                     |
| ٦٧ | وحدة الوجود                               |
| ٦٨ | وحدة الأديان                              |
| ٦٨ | الإنسان الكامل                            |
| ٧٠ | الطريقة                                   |
| ٧٠ | تعريف المقامات والأحوال                   |
| ٧٢ | المقامات                                  |
| ٧٢ | الأحوال                                   |
| ٧٢ | التوبة                                    |
| ٧٦ | الورع                                     |
| ٧٨ | الزهد                                     |
| ٨٠ | الفقر                                     |
| ٨٦ | الصبر                                     |
| ٨٩ | التوكل                                    |
| ٩٢ | المحبة                                    |



|    |                   |
|----|-------------------|
| ٩٥ | الخوف             |
| ٩٧ | الرجاء            |
| ٩٩ | هوامش القسم الأول |

## القسم الثاني

### قراءة في منظومة الهي نامه

|     |                                                                    |
|-----|--------------------------------------------------------------------|
| ١٢٥ | - أولاً: موضوع المنظومة                                            |
| ١٢٥ | الولد الأول (أو المرحلة الأولى: عدم التعلق بالماديات)              |
| ١٣٠ | الولد الثاني (أو المرحلة الثانية: تخلص الروح من النوازع الشيطانية) |
| ١٣٥ | الولد الثالث: المرحلة الثالثة: تهذيب العقل                         |
| ١٤١ | الولد الرابع (أو المرحلة الرابعة: طلب العلم الحقيقي)               |
| ١٤٥ | الولد الخامس: (المرحلة الخامسة: طريق الفقر الصوفي)                 |
| ١٥٠ | الولد السادس: (المرحلة السادسة: مرحلة التوحيد)                     |
| ١٥٧ | ثانياً: الملامح العامة للقصص الواردة في الهي نامه                  |
| ١٧٣ | ثالثاً: آراء العطار في الهي نامه                                   |
| ١٩٧ | هوامش القسم الثاني                                                 |

### القسم الثالث

#### ترجمة منظومة الهي نامه من الفارسية إلى العربية

|     |                                |
|-----|--------------------------------|
| ٢٠٧ | في مدح الله - عز وجل -         |
| ٢١١ | في نعت الرسول                  |
| ٢٢٣ | في مناقب أمير المؤمنين أبي بكر |
| ٢٢٤ | في مناقب أمير المؤمنين عمر     |
| ٢٢٦ | في مناقب أمير المؤمنين عثمان   |
| ٢٢٧ | في مناقب أمير المؤمنين علي     |
| ٢٢٨ | خطاب إلى الروح                 |
| ٢٣١ | بداية القصة والمقالة الأولى    |
| ٢٤٣ | المقالة الثانية                |
| ٢٥٢ | المقالة الثالثة                |
| ٢٦١ | المقالة الرابعة                |
| ١٦٧ | المقالة الخامسة                |
| ٢٧٨ | المقالة السادسة                |
| ٢٨٣ | المقالة السابعة                |
| ٢٩٣ | المقالة الثامنة                |
| ٣٠١ | المقالة التاسعة                |
| ٣١١ | المقالة العاشرة                |
| ٣٢٤ | المقالة الحادية عشرة           |

|     |                          |
|-----|--------------------------|
| ٣٣٦ | المقالة الثانية عشرة     |
| ٣٤٦ | المقالة الثالثة عشرة     |
| ٣٦٠ | المقالة الرابعة عشرة     |
| ٣٧٦ | المقالة الخامسة عشرة     |
| ٣٨٦ | المقالة السادسة عشرة     |
| ٣٩٥ | المقالة السابعة عشر      |
| ٤٠٧ | المقالة الثامنة عشرة     |
| ٤١٧ | المقالة التاسعة عشرة     |
| ٤٢٨ | المقالة العشرون          |
| ٤٣٨ | المقالة الحادية والعشرون |
| ٤٥٦ | المقالة الثانية والعشرون |
| ٤٦٦ | خاتمة الكتاب             |
| ٤٨٥ | هوامش الترجمة            |



## مقدمة

حاز الأدب الصوفي الفارسي، شهرة طبقت الآفاق، وأضحى يمثل أبرز سمات الأدب الفارسي، كمحور أساسي من محاوره وركناً ركيناً فيه.

ويضم الأدب الصوفي الفارسي أسماء عديدة لشعراء عظماء، خلفوا تراثاً ضخماً وحافلاً ورحباً بكل المقاييس، ربما يماثل في رحابته وتعدد معالمه واختلافها عالم التصوف ذاته.

ودراسة الأدب الصوفي الفارسي على هذا النحو أمر شاق؛ لأنه ربما ينقضي عمر المرء في دراسة أديب واحد من أدباء التصوف عند الفرس دون الإحاطة بآثاره كلها إحاطة كاملة.

ولا شك أن دراسة الأدب الصوفي الفارسي تتطلب التعرف على نشأة التصوف الإسلامي وتطوره ومدى تغلغله في المجتمع الإسلامي، وتأثيره على الفكر والثقافة، وانعكاس كل ذلك على الأدب، فكما سيطر التصوف على الثقافة الإسلامية، اتجه الإبداع الأدبي، وخاصة النظم، إلى التصوف، فكان الأدب مرآة للمجتمع حيث جاء مصوراً للمعاني الصوفية وموضحاً لتطورها، يضم كل ما مر به التصوف من مراحل ويعبر عن كل معاني الصوفية سواء أكانت إيجابية أم سلبية، فكان الأدب الصوفي صورة ناطقة لما يموج به مجتمع الصوفية من أفكار تتوافق أحياناً وتتصارع أحياناً أخرى مع الفقهاء.

وقراءة الأدب الصوفي تتيح الولوج إلى عالم يموج بالصفاء والنقاء والمثاليات الأخلاقية وتربية النفس وتهذيبها، والطواف في رحاب محبة الله وذكره بين أشواق الصوفية ومواجيدهم ورموزهم ومعانيهم الواضحة والمتفقة مع القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، أو معانيهم المبهمة والتي كانت مثار خلاف، وجعلت الكثيرين يرفضون التصوف تمامًا وكل ما يتصل به. والأدب الصوفي في الواقع يحتوي على تراث أدبي زاخر، لا يمكن غض الطرف عنه، خاصة ذلك التراث الذي لا يتعارض مع صحيح الدين أو الذي يتسم بتأكيد القيم الإسلامية الأصيلة، وإثارة الجوانب الإيجابية في النفس الإنسانية، فإن قراءة مثل ذلك الأدب ولا شك تصل بنا إلى تنقية النفس وتهذيب الروح وتربية الوجدان، وما أحوج العالم الآن إلى ذلك.

إن الأدب الصوفي في شقه الإنساني الأخلاقي الوجداني يحمل كل عوامل البناء للفرد وبالتالي للمجتمع. وعلى الجانب الآخر كان الشق الفلسفي يحمل بذور الخلاف والانقسام، وقد ألقى بظلاله السلبية على الأدب الصوفي. ولا شك أن هناك أمرين قد أثرا أيما تأثير على مسيرة التصوف، وبالتالي على الأدب الصوفي وهما: أولاً: تسرب الفلسفة إلى التصوف. وهو الأمر الذي أدى إلى إفراز أدب يتسم بالغموض الشديد والصعوبة، وبالنطلاق إلى ما وراء الخطوط الحمراء للعقل البشري. والأمر الآخر هو: اختلاط القصص بالتصوف، وقد أدى إلى شيوع قصص كان لها مردودها الإيجابي، كما كان لها مردودها السلبي أيضاً. وإذا أضفنا إلى السببين السابقين ممارسات بعض الفرق الصوفية في الموالد والاحتفالات، نجد أن نشر التراث الصوفي، وحصر الثروة الأدبية الكبيرة من الأدب الصوفي ودراسته أمر مهم ومطلوب.

وهذا الكتاب محاولة للاقتراب من عالم الأدب الصوفي عند الفرس، والذي يحتاج - كما ذكرت - إلى مجلدات ومجلدات. والقسم الأول من الكتاب يحتوي على: الحديث عن التصوف الإسلامي ونشأته وتطوره ومعالم طريقه، وظهور الأدب

الصوفي الفارسي وتطوره. وقد حرصت على تضمين حديثي نماذج شعرية لكبار أدباء التصوف الفارسي، وراعت أن تكون هذه النماذج متعددة، بحيث توضح التطور الذي طرأ على شكل الأدب الصوفي الفارسي ومضمونه، كما إنها تحتوي على كثير من المعاني والمضامين التي طرقها أدباء التصوف الفارسي.

أما القسم الثاني من الكتاب فيشتمل على: دراسة وترجمة كاملة لمنظومة الهي نامه للشاعر فريد الدين العطار، كنموذج للأدب الصوفي الفارسي القصصي.

وما يسطره المرء لا يأتي من فراغ أبداً، بل إنه نابع من جهود سابقة، لذلك لا يفوتني أن أشكر أستاذي أ. د. فؤاد عبد المعطي الصياد جزيل الشكر، على ما أفادني به في مرحلتَي الماجستير والدكتوراه، وعلى مواصلة رعايته الأبوية لي، متَّعه الله بالصحة والعافية، وأمدَّ في عمره.

كما أتذكر بكل الخير أستاذي المرحوم أ. د. عبد النعيم حسنين، والذي كان دائم المؤازرة لي خاصة في الأوقات العصيبة.

وأستاذتي المرحومة أ. د. إسعاد عبد الهادي قنديل، والتي تعلمت منها الكثير أثناء عملي معها في رسالة الدكتوراه.

وأحمد الله حمداً كثيراً على أن مكنتني في النهاية من نشر منظومة الهي نامه، بعد أن حالت الظروف بيني وذلك عدة مرات.

والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً





## القسم الأول

### مدخل إلى الأدب الصوفي الفارسي

- ظهور التصوف الإسلامي وتطوره حتى القرن السابع الهجري.

- معالم الطريق الصوفي.



## ظهور التصوف الإسلامي وتطوره

### أهمية دراسة الأدب الصوفي الفارسي :

إن دراسة الأدب الصوفي الفارسي أمر لا مناص منه لدارسي الفارسية، حيث يمثل الشعر الصوفي نسبة كبيرة من الأدب الفارسي، تقدر بأكثر من ثلثي الشعر الفارسي<sup>(١)</sup>، هذا بالإضافة إلى أن التصوف قد تغلغل في الأدب إلى حد كبير يمكن معه القول إنه لا يوجد شعر فارسي يخلو من المعاني الصوفية.

ودراسة الأدب الصوفي تتطلب ذوقاً خاصاً وولوجاً إلى عالم التصوف، والتعرف على رموزه ومعانيه. والإبحار في عالم الأدب الصوفي إبحار عميق وطويل، قد يكلف المرء عمره كله دون الوصول إلى مرفأ أو شاطئ.

ونبدأ الحديث بقراءة سريعة في تاريخ التصوف الإسلامي، ولا شك أن الحديث عن التصوف حديث ممتد، وأن كل موضوع فيه يصلح أن يكون بحثاً مستقلاً بذاته. لذلك كان لابد من تناوله بصورة موجزة، ومن الإلمام بالصورة الكلية العامة والتي تساعد على فهم أدق لمعاني كبار أدباء التصوف.

### المعنى اللغوي لكلمة تصوف:

اختلفت الآراء حول أصل كلمة تصوف، ويتراوح أهمها بين عدة أمور قيل إن كلمة تصوف قد اشتقت منها، ألا وهي: أهل الصفة - قبيلة بني صوفة - الصفاء - الكلمة اليونانية تيوصوفيا.

وقد رجحت أغلب الآراء اشتقاق كلمة صوفي من الصوف؛ حيث يتعذر لغويًا اشتقاقها من الأسماء الأخرى، بينما يصح ويمكن اشتقاقها من الصوف. وإن كان القشيري لم يطمئن أيضًا إلى هذا الرأي، حيث يقول:

«يقال تصوف إذا لبس الصوف، فذلك وجه، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف»<sup>(٢)</sup>.

ومما يؤيد أن النسبة إلى الصوف لا تعني جوهر التصوف، ولا تتطرق إلى مراميه ما يقوله ابن تيمية:

«ليس طريقهم مقيدًا بلباس الصوف، ولا هم أوجبوا ذلك، ولا علقوا الأمر به، لكن أضيفوا إليه؛ لكونه ظاهر الحال»<sup>(٣)</sup>.

والواقع أن أغلب الصوفية يملكون في تعريفاتهم للتصوف إلى تعريفه بما يتفق مع جوهره ومعناه.

أما أين ومتى ظهر أول شخص أطلق عليه لفظ صوفي في الإسلام؟ فهذا الأمر لا يُعرف أيضًا على وجه الدقة، وتتعدد حوله الآراء، ومنها ما ذكره الطوسي<sup>(٤)</sup>: «أما قول القائل: إنه اسم محدث أحدثه البغداديون فمحال؛ لأن في وقت الحسن البصري كان يُعرف هذا الاسم».

كذلك يذكر الطوسي وجود بعض الكتابات التي تدل على وجود الاسم قبل الإسلام، وكان يُنسب إليه أهل الفضل والصلاح.

ويبدو أن التصوف قد ظهر متزامنًا أو متقاربًا في أكثر من جهة؛ ربما بسبب الترحال الذي كان السمة الغالبة على حياة العلماء والفقهاء آنذاك.

فابن تيمية<sup>(٥)</sup> يؤكد بدء ظهور التصوف في البصرة حيث يقول: «التصوف وهو المعروف أنه نسبة إلى لبس الصوف، فإنه أول ما ظهرت الصوفية من البصرة، وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد. وعبد الواحد من أصحاب

الحسن. وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر أهل الأمصار؛ ولهذا كان يقال فقه كوفي وعبادة بصرية».

بينما هناك من يرى أن ظهور التصوف بدأ في الكوفة على يد أبي هاشم الكوفي<sup>(٦)</sup> أو جابر بن حيان - وهو صاحب كيمياء شيعي من أهل الكوفة - أو عبدك الصوفي الذي توفي في حدود سنة ٢١٠ هـ، وكان من القائلين بأن الإمامة بالتعيين، وكان لا يأكل اللحم.

وعندما انقضى خمسون عامًا، أصبح اسم الصوفية يُطلق على جميع صوفية العراق مقابل الملامتية (صوفية خراسان)، وبعد ذلك بقرنين أخذ يُطلق على جميع أهل الباطن من المسلمين<sup>(٧)</sup>.

### تعريف التصوف:

إن تعريف التصوف أمر غير وارد، فكل الموضوعات الخاصة بالتصوف قد تختلف من صوفي إلى آخر ومن فرقة إلى أخرى، فالتصوف تجربة وجدانية ذاتية نابعة من القلب. وإذا أردنا أن نعرف التصوف، فلن نجد تعريفًا جامعًا مانعًا متفقًا عليه، فقد عرّفه كل صوفي بطريقة خاصة تعبر عن إحساسه ووجدانه، وتترجم تجربته الخاصة، هذا بالإضافة إلى أن الغموض الذي يحيط بعالم التصوف قد ألقى بظلاله أيضًا على تعبيراتهم، ودفعهم إلى استخدام الرموز، كما إنهم كانوا في بداية أمرهم يرفضون التأليف والتدوين، وكانوا يعدون العلم حجابًا وعائقًا.

وكانت التعاليم العرفانية تنتقل من صدر إلى صدر، فيقوم المرشد بتعليم المريدين أو السالكين أصول العرفان النظرية بالرموز. وقد وردت أقوال الصوفية في ذم العلم والحكمة والعقل، كما هاجموا العلماء والفلاسفة.

كما توجد روايات متعددة عن شيوع دفنهم للكتب، وإحراقها، ورميها في الماء. ولا شك أن هذا الأمر كان من بين الأمور التي أثارت جدلاً وخلافًا بين الصوفية والفقهاء.

وقد تكون مهاجمة الفقهاء لهم هي التي أدت بهم إلى تسجيل مذهبهم؛ خوفاً عليه من الاندثار. فبدأوا منذ أوائل القرن الثالث الهجري في التأليف، وتركوا لنا آثاراً نثرية وشعرية غزيرة.

وحتى نصل إلى معني التصوف؛ يجب أن نقرأ بعض التعريفات المختلفة للتصوف لدى الصوفية أنفسهم.

وقد وردت تعريفات التصوف في الكتب التي تناولت التصوف وسير الصوفية وقد صيغت هذه التعريفات باللغة العربية أو باللغة الفارسية أو باللغتين معاً، وجمع منها نيكلسون<sup>(٨)</sup> ثمانية وسبعين تعريفاً، منها:

#### ١- معروف الكرخي (المتوفى سنة ٢٠٠ هـ) :

التصوف الأخذ بالحقائق، واليأس مما في أيدي الخلائق.

#### ٢- أبو سليمان الداراني (المتوفى سنة ٢١٥ هـ) :

تصوف أنست كه بروي افعال مي رود كه جز خدای نداند، وپیوسته باخدای بود چنانك جز خدای نداند. أي: التصوف هو أن تتنازع الصوفي أحوال لا يعلمها إلا الله، وأن يكون دائماً مع الله بحيث لا يعرف سواه.

#### ٣- بشر الحافي (المتوفى سنة ٢٧٧ هـ) :

صوفي آنست كه دل صافي دارد باخدای. أي: الصوفي هو من يصفو قلبه بالله.

#### ٤- ذو النون المصري (المتوفى سنة ٢٤٥ هـ) :

سئل ذو النون عن الصوفية، فقال: هم قوم أثروا الله -عز وجل- على كل شيء فآثرهم الله -عز وجل- على كل شيء.

۵- أبو تراب النخشي (المتوفى ۲۴۵ هـ) :

الصوفي لا يكدره شيء، ويصفو به كل شيء.

۶- أبو حفص الحداد (المتوفى ۲۶۵ هـ) :

تصوف همه ادب است. أي التصوف كله آداب.

۷- سهل بن عبد الله التستري (المتوفى ۲۸۳ هـ) :

صوفي آن بود که صافي شود از کدر، وپرشود از فکر، ودر قرب خدای منقطع شود از بشر، ویکسان شود در چشم او خاک وزر. ونصه العربي كما جاء في عوارف المعارف: الصوفي من صفا من الكدر، وامتلاً من الفكر، وانقطع إلى الله، واستوى عنده الذهب والمدر. وأيضاً، تصوف اندك خوردن است وبا خدای آرام گرفتن، وازحلق گریختن. أي التصوف قلة الطعام، والسكينة مع الله، والفرار من الخلق.

۸- سمنون المحب (المتوفى ۲۹۷ هـ) :

سئل سمنون عن التصوف، فقال: ألا تملك شيئاً، ولا يملكك شيء.

۹- أبو الحسين النوري (المتوفى ۲۹۵ هـ) :

صوفي آن بود که هیچ چیز در بند او نبود. و او در بند هیچ چیز نشود. أي الصوفي هو من لا يتقيد به شيء، ولا يتقيد هو بشيء.

وأيضاً: تصوف دشمني دنیا است، ودوستي مولی. أي التصوف عدااء الدنيا، وحب المولى.

۱۰- الجنيد البغدادي (المتوفى ۲۹۷ هـ) :

التصوف هو أن يملك الحق عنك ويحييك به.

١١- أبو محمد الجريري (المتوفى ٣١١ هـ) :

التصوف هو الدخول في كل خلق سني، والخروج من كل خلف دني.

١٢- أبو الكتاني (المتوفى ٢٢٢ هـ) :

التصوف خلق، فمن زاد عليك في الخلق، فقد زاد عليك في الصفاء.

وأيضاً: تصوف صفوه است ومشاهده. أي التصوف هو الصفاء والمشاهدة.

١٣- أبو عبد الله بن خفيف (المتوفى ٣٣١ هـ) :

تصوف صبر ست در تحت مجاري اقدار، وفرا گرفتن از دست جبار، وقطع کردن بیابان و کوهسار. أي: التصوف هو الصبر تحت مجاري الأقدار، والرضا بما تعطيه يد الجبار، وقطع الفياقي والصحراء.

١٤- أبو الحسن الحصري (المتوفى ٣٧١ هـ) :

صوفي آنست که وجد او وجود اوست، وصفات او حجاب. اوست يعني من عرف نفسه فقد عرف ربه.

أي الصوفي هو من يكون وجده وجوده، وصفاته حجابه. أي من عرف نفسه فقد عرف ربه. وأيضاً: تصوف صفاء دلست از کدورت مخالفات.  
أي التصوف هو صفاء القلب من كدورة المخالفات.

١٥- أبو عثمان المغربي (المتوفى ٣٧٣ هـ) :

تصوف قطع علايق است، ورفض خلايق، واتصال حقايق. التصوف هو قطع العلائق ورفض الخلائق واتصال الحقائق.

١٦- أبو سعيد بن أبي الخير (المتوفى ٤٤٠ هـ) :

شيخ را پرسید ند که تصوف چیست؟ گفت: آنچه درسر داري، بنهي، وآنچه



در كف دارى، بدهى، وأنجه برتو آيد، نجهى. آي:

سئل الشيخ: ما التصوف؟ فقال: أن تدع ما يجول برأسك، وأن تجود بما في يدك وألا تفزع مما يصيبك.

وكما نرى فكل تعريف يشير إلى ناحية من التصوف، وتوضح هذه التعريفات في مجملها أهمية تصفية الباطن، والتخلص من شرور النفس وآفاتهما، ونبذ الأخلاق السيئة، والتحلي بالأخلاق والخصال الحميدة، بحيث يصير القلب خالصاً لله تعالى وتجلو مرآته من الشوائب والأدران؛ فتعكس عليها النفحات الربانية. ويصبح القلب جديراً بالمعرفة الحقيقية، ألا وهي معرفة الله تعالى، ويصير زاهداً في أعراض الدنيا الزائلة الزائفة، ويصير صاحب هذا القلب صاحب أحوال، يهبها الله له، ولا يعلم بها إلا سبحانه. فيستوي الذهب والتراب أمام ناظره، ولا يفزع من شيء، ولا يهتم بشيء سوى الله.

أما التعريف الذي يوضح أساس التصوف، وموقف الصوفية من الحياة فهو: التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الصفاء.

ويقول ابن القيم في كتابه مدارج السالكين: واجتمعت كلمة الناطقين في هذا العلم على أن التصوف هو الخلق.

والتصوف بهذا المفهوم يهتم بجوهر الدين، وبروح الإسلام؛ فأحكام الإسلام كلها مردودة إلى أساس خلقي؛ لأن أخلاق الإسلام هي أساس الشريعة، بحيث إذا افتقرت أحكام الشريعة - سواء في ذلك الأحكام الاعتقادية أو الأحكام الفقهية - إلى الأساس الخلقي، كانت صورة لا روح فيها، أو هيكلًا فارغًا من المضمون. فالدين في جوهره أخلاق بين العبد وربّه وبينه وبين نفسه وبينه وبين الآخرين.

والصوفية يضعون نصب أعينهم دائماً قول الحق تعالى للرسول ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

## وأحاديث الرسول ﷺ :

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »:

« أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ».

« خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق »<sup>(٩)</sup>.

## أصل التصوف ونشأته :

إن الخلاف الأساسي بين الصوفية ومعارضيهما يتمثل في أمر مهم ألا وهو: القول بأن التصوف بدعة دخيلة على الإسلام، بدليل عدم وجوده في عصر الرسول ﷺ، وأنه قد وفد إلى الإسلام بطرق شتى، وفي هذا الصدد توجد عدة آراء متباينة:

١ - هناك من يرى أن التو صف جاء للمسلمين من الفرس، أو من الهند عن طريق الفرس، وكان بمثابة رد فعل أمام الفتح العربي. بل توجد دراسات ذهب فيها أصحابها إلى أن كل الموضوعات الخاصة بالتصوف - حتى فكرة الشيخ والمريد - تابعة للفكر الشيعي ومستمدة منه.

٢ - هناك رأي يرى أن التصوف استمد أصوله من الرهينة المسيحية نتيجة للاختلاط بين المسلمين والنصارى العرب في الحيرة والكوفة ودمشق ونجران، ويستشهدون بالتشابه في بعض المظاهر مثل: استعمال الخرقة في مقابل ما يستعمله الرهبان من ثوب على الكتفين، واستعمال المسبحة منذ ابتداء بها الجنيد، واستعمال الصوف، وكان أول من لبسه زهاد الكوفة.

٣ - وفريق آخر تحدث عن التأثير اليوناني، وقال: إن التصوف الإسلامي نشأ عن الأفكار الفلسفية خاصة الأفلاطونية الحديثة، ودلوا على ذلك بشيوع الفلسفة اليونانية غرب آسيا قبل الإسلام وبعده<sup>(١٠)</sup>.

أما الصوفية فيرفضون هذه الآراء تماماً، ويرون أن التصوف نزعة إنسانية عالمية

توجد في كل الديانات والمذاهب، وأن التشابه بين التصوف الإسلامي وما عداه، لا يتصل أبداً بجوهر التصوف الإسلامي الذي استند إلى الآيات القرآنية، وإلى سيرة الرسول ﷺ، وإنما هي مؤثرات وفدت إلى التصوف بسبب اتساع رقعة العالم الإسلامي، والاتصال بشعوب البلاد المفتوحة. ويبقى التساؤل الخاص بعدم ظهور التصوف في عصر الرسول ﷺ حيث كان الرسول ﷺ يفسر القرآن بنفسه، ويقوم بالتصحيح في حالة سوء الفهم.

وكانت الإجابة المنطقية عن هذا التساؤل عند البعض هي أن التصوف ما هو إلا رد فعل إزاء الأحداث السياسية الدامية التي عرفت بالفتنة الكبرى، وانتهت بمقتل عثمان بن عفان، والتي صار المسلمون بعدها فرقاً وأشياء من أتباع لعلي بن أبي طالب، وخوارج ومرجئة وجبرية وقدرية، ونتج عن ذلك أن كل فرقة من هذه الفرق أخذت تتوسل بالآيات القرآنية، وتفسرها بما يفيد سلامة مذهبها. مما حدا بعلي بن أبي طالب أن يقول: «القرآن حمال ذو وجوه»<sup>(١١)</sup>.

وكان من الطبيعي أن يلوذ البعض بالدين، ويزهد في الحياة. ثم تتبلور معالم هذه الظاهرة رويداً رويداً وتسفر عن الصوفية.



## التصوف حتى القرن السابع الهجري

### الزهد وتطوره في القرنين الأول والثاني الهجريين

ذكرت لنا المصادر أسماء نيف وأربعين من كبار الزهاد الذين عاشوا في القرنين الأولى والثاني الهجريين، وقد عاشوا في مختلف أنحاء العالم الإسلامي: في الكوفة والبصرة والشام وخراسان ومصر.

والإسلام دين وسط معتدل، يدعو إلى الاستمتاع بالحياة وإعمارها، كما يدعو إلى العمل من أجل الآخرة.

حيث يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (١٢).

وكذلك من الأحاديث التي تُروى عن الرسول: «إذا قامت القيامة، وفي يد أحدكم فسيلة، فليزرعها».

وعلى الرغم من الزهد الذي كان يغلب على الحياة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ وفي سير الصحابة، إلا أن هذا الزهد بالإضافة إلى أنه كان زهداً طبيعياً فرضته ظروف الحياة آنذاك، فإنه لم يكن يعني أبداً الانقطاع عن الحياة، بل إن الرسول ﷺ قد نهى عن الإفراط في الزهد، كما لم يمنع الزهد عمر بن الخطاب من أن يكون حاكماً لدولة كانت تعدّ آنذاك من أغنى الدول في العالم أجمع.

وعلى هذا لم يعرف لفظ الزاهد بين الصحابة أو التابعين أو تابعي التابعين، ومع اختلاف الأحوال قيل لخواص الناس ممن لهم تعمق شديد في الدين الزهاد أو العباد. وهؤلاء الزهاد بالغوا في الزهد، واكتسبت حياتهم مظهراً غريباً خاصاً، واعتزل أغلبهم الحياة. وقد شاعت المبالغات في القصص التي رويت عنهم ومنهم (١٣):

إبراهيم بن أدهم (المتوفى ١٦٢ هـ) والذي ظهر في خراسان، ويقال: إنه كان ابن ملك في بلخ، فترك ملكه، وأخذ يجوب الفيافي والصحراء.

ومنهم بشر الحافي (المتوفى ٢٢٧ هـ) وقد لقب بالحافي لأنه ذهب ذات يوم إلى إسكافي، وطلب منه مسمارًا لنعله. ولكن الإسكافي أغلظ له القول؛ فقذف بشر بنعله، ولم يتعل شيئًا بعد ذلك طوال حياته؛ كي لا يحتاج إلى الخلق.

ومنهم معروف الكرخي (المتوفى ٢٠٠ هـ) ونراه يوصي عند مرضه بأن يعطوا ثوبه -الذي لا يملك غيره- إلى فقير؛ حتى يخرج من الدنيا على الصورة التي أتى بها إليها. ومنهم الحسن البصري (المتوفى ١١٠ هـ) وهو من أبرز زهاد البصرة، حيث كان الطابع الفارسي أكثر وضوحًا منه في الكوفة؛ نظرًا لأنها ميناء يحتشد بمختلف الثقافات الوافدة مع شعوب البلاد المفتوحة.

أما رابعة العدوية (توفيت ١٨٥ هـ) فقد تجاوزت معنى الزهد لدى الحسن البصري وغيره، والقائم على الخوف من النار، والشوق إلى الجنة، إلى زهد يعني: ترك كل ما يشغل العبد عن الله تعالى، واستعارت في التعبير عن ذلك من معجم الحب الإنساني كلمة الحب، وكانت أول من استخدمها في مجال التصوف.

فكانت أبياتها المعروفة:

|                       |                       |
|-----------------------|-----------------------|
| أحبك حبين حب الهوى    | وحبا لأنك أهل لذاكا   |
| فأما الذي هو حب الهوى | فشغلي بذكرك عمن سواكا |
| وأما الذي أنت أهل له  | فكشفك للحجب حتى أراكا |

وقد اتخذ الزهد أبعادًا مختلفة باختلاف الحالة السياسية والدينية، وعلى الرغم من ذلك كانت السمة العامة هي التقيد بما جاء في الكتاب والسنة ومراعاة أحكام الشرع.

## التصوف في القرنين الثالث والرابع الهجريين

أخذ التصوف يتبلور بدءًا من القرن الثالث الهجري، وبدأت معالمه تتشكل وتتضح من الناحيتين النظرية والعملية.

ويمكننا إجمال أهم مميزات التصوف في هذه الفترة فيما يلي:

### ١- ظهور الطرق الصوفية:

حيث أصبحت كل طريقة تنسب إلى شيخها الذي يلتف حوله المريدون. ويحدثنا الهجويري<sup>(١٤)</sup> في الباب الرابع عشر من كتابه «كشف المحجوب» عن اثنتي عشرة فرقة: اثنتان منها مردودتان وعشر مقبولة، ويناقش الهجويري أفكار كل طريقة، وما تشتهر به. وبالطبع قد ذكر الهجويري كل الفرق التي ظهرت حتى عهده أي القرن الخامس الهجري. وكان لكل طريقة طرق متنوعة ومختلفة في السير والسلوك، وقد تفرقت هذه الطرق في الأمصار والبلدان، حيث كان الشيوخ يهاجرون من قطر إلى قطر.

ونظرًا لاختلاف الظروف السياسية والاجتماعية والدينية، واختلاف العادات والتقاليد من مدينة إلى أخرى، ومن مكان إلى مكان؛ فقد امتازت كل طريقة بطابع خاص، بل وربما اختلف كل صوفي عن الآخر. طبقًا للقول الشائع لديهم: «الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق».

وأهم الطرق التي ظهرت في هذا العصر كما ذكرها الهجويري هي:

### أ - المحاسبية:

وتنتهي إلى أبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي المتوفى ٢٤٣ هـ. ويقال إن المحاسبي قد سُمِّيَ بهذا الاسم؛ لمحاسبته لنفسه، ويعتبر مؤسس مدرسة بغداد الصوفية. ويقول عنه الهجويري: إنه كان باتفاق جميع أهل زمانه مقبول النفس والقول، وعالمًا بأصول الحقائق وفروعها.

#### ب - الملامتية (القصارية) ٢٧٠ - ٣٧٠ هـ:

يتمون إلي أبي صالح حمدون بن أحمد بن عمارة القصار، وكانوا معاصرين للحلاج، ونشأوا في نيسابور بخراسان. والمقصود باللوم في اسمهم هو لوم الملامتي نفسه، وحرصه أيضًا على جعل صلته بالله سرًّا لا يكشفه ظاهره، بل وتعمد فعل ما يوجب سخط الخلق عليه. وقد تجاوز المذهب نيسابور إلى مكة وبغداد.

ومن أقوال أبي صالح حمدون التي أوردها الهجويري: ينبغي أن يكون علم الحق بك أطيب من علم الخلق، أي أن تكون معاملتك مع الحق في الخلا أحسن من معاملتك مع الخلق في الملا، لأن الحجاب الأعظم هو انشغال قلبك بالخلق. وبالطبع فقد واجهوا مهاجمة الفقهاء لهم.

#### ج - الطيفورية:

ينتمي الطيفوريون إلى أبي يزيد طيفور بن عيسى البسطامي، وكان من مشايخ الصوفية الكبار، وطريقته الغلبة والسكر.

#### د - الجنيدية:

ينتمي الجنيديون إلى أبي القاسم الجنيد بن محمد المتوفى ٢٩٨ هـ، وكان يُسمَّى «طاووس العلماء»، وكان سيد هذه الطائفة وإمام أئمتهم. وطريقته مبنية على الصحو على عكس الطيفوريين.

#### هـ - النورية:

ينتسب النوريون إلى أبي الحسين النوري المتوفى ٢٩٥ هـ، وكان أحد صدور علماء المتصوفة. ويقول الهجويري عن مذهبه: كان له في التصوف مذهب مرضي وقاعدة مختارة، وقانون مذهبه هو تفضيل التصوف على الفقر، ومعاملاته تتفق مع الجنيـد. ومن نواذر طريقته أنه يؤثر حق الصاحب على حقه، ويرى الصـحبة بلا إيثـار حراماً، ويقول: الصـحبة للدراويش فريضة، والعزلة غير حميدة.

#### ر - السهلية:

ينتمي السهليون إلى سهل عبد الله التستري المتوفى ٢٧٣ أو ٢٨٣ هـ. ويقول عنه الهجويري: إنه كان من محتشمي أهل التصوف وكبارهم، وكان سلطان الوقت في وقته، ومن أهل الحل والعقد في هذه الطريقة. وطريقه الاجتهاد، ومجاهدة النفس والرياضة، وكان يوصل المريدين بالمجاهدة إلى درجات الكمال.

#### ز - الحكيمية:

ينتمي الحكيميون إلى أبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي. ويصفه الهجويري بأنه كان واحداً من أئمة وقته في جميع علوم الظاهر والباطن، وله تصانيف كثيرة، وكانت قاعدة كلامه وطريقه على الولاية، وكان يعبر عن حقيقتها، وعن درجات الأولياء ومراعاة ترتيبها.

#### ك - الخرازية:

ينتمي الخرازيون إلى أبي سعيد الخراز المتوفى ٢٧٧ هـ، وله في هذه الطريقة تصانيف زاهرة، وكان أول من عبّر عن حال الفناء والبقاء، وأضمر طريقته كلها في هاتين العبارتين.

#### ل - الخفيفة:



ينتمي الخفيفيون إلى أبي عبد الله محمد بن خفيف، وكان من كبراء سادات هذه الطائفة، وكان عالمًا بعلوم الظاهر والباطن، وله تصانيف معروفة في فنون علوم الطريقة. ويقال: إنه كان من أبناء الملوك، وعندما تاب، كان أهل شيراز يتقربون إليه كثيرًا، وطراز مذهب في التصوف هو الغيبة والحضور، أي غيبة القلب عما دون الحق إلى حد أن يغيب عن نفسه، حتى إنه بغيبته عن نفسه لا يرى نفسه، والغيبة عن النفس حضور بالحق، والحضور بالحق غيبة عن النفس.

### ن - السيارية:

ينتمي السياريون إلى أبي العباس السيار. وكان إمام مرو في كل العلوم. وهناك رسائل كتبها أهل مرو ونسا عن طريقه، وبناء عباراتهم على الجمع والتفرقة. والجمع والتفرقة كما يعرفهما الهجويري:

جمع الله تعالى الخلق في الدعوة في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس: ٢٥]. ثم فرّقهم في حق الهداية في قوله تعالى: ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥].

فدعا الجميع من وجه الدعوة، وطرد جماعة بحكم إظهار المشيئة، جمع وأمر الجميع وفرق فطرد جماعة بالخذلان، وقبل جماعة بالتوفيق، منح جماعة العصمة، وجماعة الميل إلى الآفة، فالجمع هو الحقيقة والسر والمعلوم ومراد الحق، والتفرقة إظهار أمره ونهيه.

### و - الحلولية:

ويعتبرهم الهجويري من الملاحدة، ويذكرهم مقرونين باللعة، ويقول: فهم من الطائفتين المطرودتين اللتين تنتميان إلى هذه الطائفة، وطائفة منهما تنتمي إلى أبي حلمان الدمشقي، وأصله من فارس، وأظهر بدعته في دمشق.

والطائفة الأخرى ينسبون أقوالهم إلى فارس، وهو يدّعي أن هذا هو مذهب

الحسين بن منصور.

ومذهبهم يقوم على الحلول والامتزاج وتناسخ الأرواح. ويقول الهجويري: إنه لا يعرف من هو فارس، ويرفض الأقوال التي صدرت منهم.

## ٢- التدوين:

مع ظهور الفرق الصوفية بدأت تتحدد أسس التصوف ومفاهيمه، وبدأ يظهر كعلم مستقل. ويقول ابن خلدون<sup>(١٥)</sup>: «وصار علم الشريعة على صنفين، صنف مخصوص بالفقهاء وأهل الفتيا، وهي الأحكام العامة في العبادات والعادات والمعاملات، وصنف مخصوص بالقوم في القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النفس عليها في الأذواق والمواجيد العارضة في طريقها، وكيفية الترقى فيها من ذوق إلى ذوق، وشرح الاصطلاحات التي تدور بينهم في ذلك».

وقد أطلق الصوفية -منذ هذا العصر وما بعده- تسميات خاصة على علمهم، منها علم الباطن أو علم الحقيقة أو الوراثة أو الدراية، في مقابل علم الظاهر أو الشريعة أو الدراسة أو الرواية<sup>(١٦)</sup>.

ومنذ القرن الثالث الهجري، ومع ذبوع مسمى الصوفية، بدأ التدوين في التصوف، ومن أقدم من صنف فيه:

أ - المحاسبي المتوفى ٢٤٣هـ ومن رسائله كتاب «الرعاية لحقوق الإنسان» والذي يصفه ماسينون بأنه أجمل كتاب عن حياة الباطن أخرج الإسلام. ويقال: إن الغزالي قد استفاد من هذا الكتاب في كتابه الإحياء<sup>(١٧)</sup>.

ب - كذلك ألف أبو سعيد الخراز المتوفى ٢٧٩هـ كتاب «الطريق إلى الله» أو «كتاب الصدق»، تحدث فيه عن المقامات والأحوال، واعتبر المعرفة تأتي إلى القلب من وجهين: «من عين الجود ومن بذل المجهود» أي أنها فيض من الله، كما إنها اكتساب وجه<sup>(١٨)</sup>.

ج - كتاب «اللمع» تأليف أبي نصر عبد الله علي السراج الطوسي المتوفى سنة ٣٧٨ هـ، وهو واحد من أقدم وأهم كتب مؤلفي الصوفية القدماء.

د - من الكتب المهمة أيضًا لهذه الفترة كتاب «التعرف لمذهب أهل التصوف» تأليف أبي بكر محمد بن إبراهيم البخاري الكلّابادي المتوفى عام ٣٠٩ هـ.

و - كتاب «قوت القلوب في معاملة المحبوب» تأليف أبي طالب محمد بن علي الحارثي المكي المتوفى عام ٣٨٦ هـ. وهو من الكتب المهمة أيضًا.

### ٣- تفرع التصوف إلى تيارين:

في هذا العصر ظهر تيار صوفي آخر، بجانب التيار القائم، والذي كان يتمسك بالسُّنة إلى حد كبير.

وقد تجاوز أصحاب التيار الجديد أحكام الشريعة، ونطقوا بعبارات غريبة عرفت بالشطحيات، وكانوا ينطقون بها أثناء حالة الفناء. وقد التمس لهم البعض الأعذار؛ لأنهم ينطقون وقد فنوا عن أنفسهم. أما الفقهاء فقد ثاروا عليهم، واتهموهم باختلاق البدع أحيانًا، وبالكفر والإلحاد أحيانًا أخرى.

وكان من نتيجة ذلك أن توسل أكابر الصوفية بالاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية أكثر من ذي قبل. ومن أهم رموز تيار الشطحيات:

#### أ - ذو النون المصري:

المتوفى عام ٢٤٥ هـ. وقد اشتهر بالاشتغال بمسائل السحر والكيمياء، واستخدام الأدعية، واستعمال البخور، كما تحدث عن المعرفة والولاية، ويقال: إنه كان أول من تكلم في مراتب الأولياء، ودرجات الأبدال، والأحوال والمقامات، وأول من استعمل الرموز في التصوف. ويقال: إنه لما تكلم بعلوم لدنية لا علم لأهل مصر بها، وشوا به إلى خليفة بغداد، فحُمِلَ إليه مغلولًا مقيدًا، فُقِدَّ للقتل، فكلم الخليفة، فأعجبه، فأطلقه ورفقته، وقال: إن كان هؤلاء زنادقة، فما على وجه الأرض مسلم. وقد اعتبره

البعض أكبر شخصية شكلت المذهب الصوفي، وطبعته بطابعه الدائم<sup>(١٩)</sup>.

#### ب - أبو يزيد البسطامي ٢٦١ هـ:

ولد أبو يزيد طيفور بن عيسى بن آدم بن سروشان في بسطام، إحدى مدن إقليم قومس في الجنوب الشرقي لبحر الخزر، وكان جده زرادشتيًا. ويقول نيكلسون<sup>(٢٠)</sup>: إنه من العسير أن نتحقق من صحة كل ما نسب إليه، فهو يرى أن أبا يزيد قد أصبح البطل الأسطوري في التصوف الفارسي؛ لأنه منحدر من أصل فارسي قديم، وكانت تتمثل فيه نزعات أهل وطنه الدينية، فهو الذي أدخل في التصوف الإسلامي فكرة وحدة الوجود التي كانت ذائعة ذيوعًا عظيمًا في أنحاء فارس حتى زمن الساسانيين. وقد أخذ البسطامي نفسه بشتى أنواع الرياضات والمجاهدات للوصول إلى الفناء المطلق، وأعلن في جرأة عجيبة قوله أنا هو وهو أنا وهو هو - كما قال سبحاني ما أعظم شأنني، وقال: ليس في جبتي سوى الله.

ويرى الدكتور التفتازاني<sup>(٢١)</sup> أن نيكلسون قد أخطأ في نسبة وحدة الوجود إلى البسطامي؛ لأن وحدة الوجود لم تعرف في التصوف الإسلامي قبل ابن عربي المتوفى عام ٦٣٨ هـ، وأن البسطامي في الحقيقة هو صاحب مذهب اتحادي قائم على أساس من الفناء أو الشعور النفسي، وأنه هناك فرق بين عبارات تصدر عن صوفي كالـبسطامي فنى عن كل شيء؛ فلم يعد يستشعر وجودًا سوى وجود الله ومذهب صوفي فلسفي متكامل في طبيعة الوجود كمذهب ابن عربي، لا يرى إلا حقيقة وجودية واحدة، يطلق عليها اسم الله تارة، واسم العالم تارة أخرى، حيث يقول أصحاب هذا المذهب «ما ثم غير»، ويرون الوجود واحدًا لا تعدد فيه بوجه من الوجوه. وهذا لا يمنع من أن كثيرًا من الباحثين قد اعتبروا كلام البسطامي والحلاج يحمل قسمات من وحدة الوجود.

#### ج - الحسين بن منصور الحلاج (٢٤٤: ٣٠٩ هـ):

من الشخصيات المحيرة التي نطقت بالشطحيات. وتتأرجح الآراء حولها بين أقصى درجات التفكير أو بين أعمق درجات الفهم، كانت حياته صورة لاضطراب عصره، فقد قبض عليه بتهمة القرمطة في عام ٣٠١ هـ، وسجن ثماني سنوات، ثم قتل بصورة بشعة في عام ٣٠٩ هجريًا. من أقواله التي حوكم عليها «أنا الحق» «وما في الجبة إلا الله». بعد وفاته قامت طائفة صوفية في منتصف القرن الخامس الهجري دانت بفكرة الحلول، ونسبتها إليه، ولا شك أن الحلاج قد ترك بصمة واضحة في الأدب الصوفي حيث صار قديسًا وشهيدًا في الوجدان الصوفي.

ويتميز هذا العصر أيضًا بظهور الشعر الصوفي، فبجانب المؤلفات النثرية الصوفية بدأت إرهاصات الشعر الصوفي تظهر في صورة رباعيات، أخذت تنشأ داخل الخانقاهات منذ أواسط القرن الرابع الهجري. وكان أول صوفي فارسي اختار الشعر لتعليماته هو أبو سعيد بن أبي الخير (٣٧٥ - ٤٤٠)، وكانت أشعاره في صورة رباعيات، وقد جعلها وسيلة صالحة لأداء الأفكار الدينية والصوفية والفلسفية، وأضفى على الرموز والتعبيرات الصوفية هذا الجمال الذي عرف به الشعر الصوفي منذ ذلك الزمان. وقد وجد إنشاد الرباعيات قبولاً تاماً في مجالس الوجد والحال عند الصوفية (٢٢).



## التصوف في القرن الخامس الهجري

شهد هذا القرن مدًا دينيًا شيعيًا وسنيًا علي حد سواء، حيث وصل النفوذ الشيعي إلى عاصمة الخلافة في بغداد على يد البويهيين، ووصل النفوذ الفاطمي إلى أعالي الشام حين استولت قوات الدولة الفاطمية علي حلب ٤٤١ هـ. كما نشط الإسماعيلية لنشر مذهبهم بالقوة، وبسفك الدماء. ومن ناحية أخرى شهد هذا القرن أيضًا ظهور قوة السلاجقة المتنامية، وكانوا من السنة المتعصبين، وقد استطاعوا أن يحرموا الخلافة من الخطر الشيعي آنذاك، وحققوا انتصارات رائعة على البيزنطيين. ويقال: إن السلاجقة كانوا يتميزون بالتعصب، وإنهم كانوا أشدة غيرة على الدين، وأكثرهم تمسكًا به، ربما من أبناء الدين أنفسهم. وقد قام وزيرهم نظام الملك بإنشاء المدارس النظامية في المدن المختلفة، كان يُدرّس بها المواد الدينية، وقد أنشأ هذه المدارس لمواجهة الفكر الشيعي.

وقد نجحت هذه المدارس في إذكاء الروح الدينية، وراجت سوق الفقهاء والمحدثين والوعاظ والقصاص، وتراجعت الفلسفة، وكثر النزاع بين الفرق الإسلامية المختلفة، ووصل إلى حد سفك الدماء. وقد أدى ذلك كله إلى رواج التصوف، وأصبح الصوفية موضع احترام العامة والأمراء والسلاطين على حد سواء؛ حيث ألف الناس لديهم السلام الروحي والنفسي، كما كانوا موضع احترام الأمراء والسلاطين؛ لبعدهم عن قصور الحكام والتزلف إليهم. ومن أشهر القصص التي توضح لنا مكانة الصوفية لدى الحكام القصة التالية:

عندما قدم السلطان طغرل بك إلى مدينة همدان، كان بها ثلاثة من شيوخ الصوفية هم بابا طاهر وبابا جعفر والشيخ حمشا، وكانوا يقفون عند مقدمه على جبل يسمى جبل الخضر بالقرب من باب همدان. فلما وقعت عليهم عين السلطان، أمر رجاله

بالوقوف، وترجل عن جواده، وتقدم إليهم، وقبّل أيديهم. وكان بابا طاهر مجذوباً، فقال له: أيها التركي! ماذا نويت فعله بعباد الله؟ فأجابه السلطان: سأفعل ما تأمرني به. عند ذلك قال له بابا طاهر: بل افعل ما يأمرك به الله، والله يأمر بالعدل والإحسان. عند ذلك بكى السلطان، وقال: سأفعل ذلك إن شاء الله. فأخذ بابا طاهر بيده، وقال له: هل تقبل مني هذه الهدية؟ وأخرج من إصبعه رقبة إبريق مكسور، كان يستعمله في الوضوء مدة طويلة، ثم وضعها في إصبع السلطان وهو يقول: إني أضع في يدك ملك العالم كما أضع هذا الخاتم في إصبعك؛ فكن عادلاً. فظل السلطان بعد ذلك يحتفظ بها، فإذا خرج لموقعة من المواقع، وضعها في إصبعه (٢٣).

وقد واكب انتصار القوى السنية السياسية، وما تلاه من إنشاء المدارس النظامية، وتدريس المذهب الأشعري السني، وسيادة الدين، وتراجع الفلسفة، بروز شخصيات كان لها أكبر الأثر في التأثير على مسار التصوف في ذلك القرن، ونتج عن ذلك ظهور مؤلفات عديدة أهمها:

١ - طبقات الصوفية تأليف أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي النيسابوري المتوفى عام ٤١٢ هـ.

٢ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء تأليف أبي نعيم أحمد بن عبد الله الإصفهاني المتوفى عام ٤٣٠ هـ، ويعتبر أكبر كتاب ألف عن تراجم أحوال الصوفية حتى الآن.

٣ - أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري (٣٧٦ - ٤٦٥ هـ) ويعتبر من أشهر صوفية هذا القرن، وهو مؤلف الرسالة القشيرية التي تعتبر من المصادر الأساسية في دراسة التصوف.

والقشيري عربي الأصل، نشأ في نيسابور، وتوفي بها. وقد برز القشيري بين صوفية عصره بحيث وُصف بأنه: الإمام، الفقيه، المتكلم، الأصولي، المفسر، الأديب، النحوي، الكاتب، الشاعر، لسان عصره وسيد وقته.

وللقشيري مؤلفات عديدة تبلغ نحو خمسة عشر كتاباً أشهرها «الرسالة القشيرية» التي كتبها عام ٤٣٧ هـ إلى جماعة الصوفية ببلدان الإسلام، تصحيحاً لأوضاع كثيرة انحرفت، وبياناً لما ينبغي أن يكون عليه المرید الصادق.

وتشتمل الرسالة على سيرة رجال التصوف حتى عهده، وعلى بعض أقوالهم، كما تشتمل أيضاً على مبادئ السلوك ومناهجه<sup>(٢٤)</sup>.

#### ٤- أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي:

ولد بهرة من أعمال خراسان عام ٣٩٦ هـ، وتوفي ٤٨١ هـ، وكان يعتبر من أبرز فقهاء الحنابلة، وله مؤلفات في التصوف، وقد اعتبر من أصحاب الاتجاه الاصلاحى للتصوف، ومن المنكرين على أصحاب الشطحيات.

من أهم مؤلفاته في التصوف: كتاب «منازل السائرین إلى رب العالمين» وكما يتضح من اسم الكتاب فهو يتناول مقامات الطريق الصوفى.

وقد كتبت شروح كثيرة على منازل السائرین، من أهمها: شرح لابن القيم المتوفى ٧٥١ هـ باسم مدارك السالكين.

ومن مؤلفاته كتاب «طبقات الصوفية»، وهو مأخوذ عن كتاب السلمى النيسابورى، كتبه الأنصارى بلهجة هروية قديمة. وقد نقله الجامى إلى الفارسية المعروفة، وأضاف إليه تراجم أحوال الصوفية حتى عصره، وقدمه باسم نفحات الأنس<sup>(٢٥)</sup>.

والجدير بالذكر أن الأنصارى كان أيضاً من شعراء الرباعيات في هذا القرن.

#### ٥- حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي:

الذي ولد بطوس في خراسان عام ٤٥٠ هـ، وتوفي عام ٥٠٥ هـ.

وقد كتب الغزالي في علوم الكلام والفقه والفلسفة، وانتهى إلى التصوف، وإلى أن العقائد لا يمكن الاستدلال عليها بأساليب الفلاسفة والمتكلمين، بل بالدوق



الصوفي عن طريق النور الإلهي الذي يقذفه الله في قلب السالك. كما أكد الغزالي أنه بمقدار ما يتحقق في النفس الإنسانية من صفات الكمال الإلهية، يكون استعدادها وقربها من معرفة الله، وأن العبد عبد، والرب رب، ولن يكون أو يصير أحدهما الآخر ألبتة. وبهذا ابتعد عن فكرة وحدة الوجود، وحاول أن يوفق بين الشريعة والطريقة. وقد أسهم الغزالي بكتابه إسهاماً كبيراً في إعادة التصوف إلى حظيرة الدين مرة أخرى، خاصة بعد الحوادث المفجعة التي صاحبت تقديم كثير من المتصوفة إلى المحاكمة، ومشاهد قتل الحلاج بصورة وحشية عام ٣٠٩ هـ<sup>(٢٦)</sup>.

كما استطاع أن يعمق روحانية الإسلام في العبادات والمعاملات، وأن يبعده عن الجمود والجموح على حد سواء. ومن أشهر مؤلفاته: كتاب «إحياء علوم الدين» الذي لا يزال يُطبع على فترات متقاربة حتى يومنا هذا.

#### ٦- أبو الحسن علي بن عثمان بن أبي علي الجلابي الهجويري الغزنوي (توفي ٤٦٥ هـ):

وقد تلقى علومه الأولى في موطنه غزنة، ثم سلك مسلك علماء عصره في السفر والتجوال، وطاف بأرجاء العالم الإسلامي، وقابل كثيراً من شيوخ الصوفية المعروفين ولازم بعضهم لفترات، كما تردد على لاهور بالهند، حيث استقر به المقام حتى وفاته.

وقد بقي من مؤلفاته كتاب «كشف المحجوب» الذي يعد من المصادر الأساسية في دراسة التصوف؛ لأنه سجل فيه جميع التيارات الدينية التي كانت سائدة في العالم الإسلامي في القرن الخامس الهجري. كما يضم الكتاب كثيراً من الأصول النظرية والعملية للتصوف، إضافة إلى أنه أقدم كتاب مؤلف في التصوف باللغة الفارسية<sup>(٢٧)</sup>.

#### ٧- شعراء الرباعيات:

كان الصوفية قد بدأوا يطرقون الشعر مع نهايات القرن الرابع الهجري. ووجد

إنشاد الرباعيات قبولاً تاماً في مجالس الوجد والحال عند الصوفية، حيث انتشر إنشاد الشعر، وزاد إلى درجة أنه وجدت في كل مدينة أربطة وخانقاهات كان يجلس بها الصوفية حيث راج الشعر الصوفي بينهم:

وأشهر شعراء الرباعيات الصوفية في هذا القرن هم:

- أبو سعيد بن أبي الخير ٣٥٧ هـ - ٤٤١ هـ.

- بابا طاهر الهمداني الملقب بالعريان، والمرجح أنه بقي حياً حتى ٤٤٧ هـ.

- عبد الله الأنصاري ٣٩٦ هـ - ٤٨١ هـ.

وقد تضمنت رباعياتهم العديد من المعاني الصوفية المتنوعة، كما يتضح من النماذج التالية:

#### أ - عبد الله الأنصاري

من مناجاته: إلهي إنك واحد أحد، وقيوم، وقادر، وبصير بكل شيء، ومحيط بكل الأحوال، بعيد عن العيوب، مبرراً من الشريك، أصل كل دواء، بلسم للقلوب، ملك الملوك، نافذ الأمر، يليق بك الملك الإلهي.

إلهي إنك لست محتاجاً للزمان، ولست محتاجاً للمكان، لا يشبهك أحد، ولا تشبه أحداً. من الواضح أنك قائم في الروح، بل إن ما تحيا به الروح هو أنت.

إلهي كل من عرفك، ورفع علم حبك، ترك كل شيء سواك.

- ذلك الشخص الذي عرفك ماذا يفعل بوجوده؟

وماذا يفعل بالأبناء والعيال والأسرة؟

- تفتنه بالعالمين اللذين منحتهما له.

والمفتون بك ماذا يفعل بالعالمين؟

## ومن مواظبه :

يا عزيزي أصل الإيمان أربعة أشياء: الأول: الخوف، والثاني: الرجاء، والثالث: الحب، والرابع: اليقين. إن لم يكن الخوف، كان عدم الخشوع لله، وعدم الخشوع لله تعالى كفر. وإن لم يكن الرجاء، كان اليأس، واليأس من رحمة الله كفر. وإن لم يكن الحب كان البغض، وبغض الله كفر. وإن لم يكن اليقين كان الشك، والشك في الله كفر. وكل من تخلص من ثلاثة أشياء نجا من كل البلاء: من غم الحسد ومن عذاب الحرص ومن الخوف من الفقر. لا تفعل أربعة أشياء لأنها علامات التعاسة: عدم الشكر في السراء، وعدم الرضا بالقسمة، والتكاسل في العبادة، وعدم الحرمة في الصحبة.

## ومن ربا عياته :

- يا رب ائمني بشراب العشق، وأمتني وأحيني بعشقتك.
- أفرغني من كل شيء سوى عشقتك، وقيد قدمي مرة واحدة بقيد عشقتك.

\*\*\*

- أيها المطلع على سرائر الخلق جميعاً، ومغيث الجميع عند العجز!
- اغفر لي كل ذنوبي، واقبل توبتي، يا مانح التوب، وغافر الذنب للبشر أجمعين!

\*\*\*

- ذلك الشخص الذي يسلم بعبوديته، أي شأن له بخير البشر وشرهم.
- إن كنت عبداً فاختر العبودية، لذلك العظيم الذي يملك الاختيار.

\*\*\*

- أتعلم بماذا يأمرك العشق؟! إنه يجدر بك التخلص من وجودك وأهواء نفسك.
- لا تعلق بأهواء النفس الأمّارة، حتى تنطلق في رحاب صفاء الدين.

- اذهب أيها الدرويش، وقم بحق العبادة، اد شكر نعمته كل ساعة.

- يا من تتمتع بالغنى والثروة، أد شكر نعمته بالطاعة.

\* \* \*

- يعلم حسناتي وسيئاتي جيداً، وأنت سواء أعلنتها أم أخفيتها سيعلمها.

- أنت عبد محتاج. وهو الرحيم بعباده، يعلم وإن حاسب أو غفر.

\* \* \*

- يأتنس خاطري الحزين بذكرك، وبدون ذكرك لا يقر لي قرار أبداً.

- ومع ذكرك تتعالى صيحاتي إليك ليل نهار، وشمع حبك فوق وسادتي.

\* \* \*

- ليس في رؤوسنا طيف لأحد سواك، وفي عشقك ليس لنا اهتمام بآخر عداك.

- لم يستقر في القلب أحد سواك، فقد صار القلب مقرّك وليس لأحد سواك.

\* \* \*

- أتذكر الآخرة كل يوم، وأستغيث من عذاب الذنوب آلاف المرات.

- وأحزن مجدداً خوفاً من ذنوبي، ثم أطمئن خاطري برحمته.

\* \* \*

- لا تخالط الخلق؛ لأنه سيملكك الغرور، وتنشغل بهم، وتبتعد عنه.

- ولا تبج بسر قلبك لأهل العالم؛ لأنك ستتألم، ولن يستطيعوا لك علاجاً.

\* \* \*

- كل نملة تحمل سرّاً من صنعك، وكل ملتان يحمل سرّاً من الشوق إليك.

- أيها الخالق ذو الجلال، لا ترد من يلجأ لأعتاب حضرتك.

- ترددت طويلاً بين الخير والشر، فلم يتأت من عمري سوى التطلعات.
- طالما يبقى يا إلهي نفس من عمري، أدركني لأنه ليس هناك مغيث سواك.

\* \* \*

- معاناة الناس من ثلاثة أشياء: يطلبون قبل الأوان، ويريدون أكثر مما قسم لهم، ويطلبون ما لدى الآخرين.

\* \* \*

- إن كنت راضياً بعطاء الحق، فمتى تنازع مثل ذلك الولي.
- فارض واسعد، فما هو إلا أسبوع، ويأتي المستقبل وتكون ماضياً.

\* \* \*

- طالما لا تتجرد في طريق عشقه، فلن تنفى عن وجودك أبداً.
- الدنيا كلها قيد لك أمام أعتابه، فتعلق بقيد الإقبال حتى لا تتردى<sup>(٢٨)</sup>.

\* \* \*

### ب - بابا طاهر:

- تعال نكف أيدينا عن هذا العالم، تعال ننزع أقدامنا من الطين.
- تعال نحترف الصبر، تعال نزرع بذور الخير.

\* \* \*

- أيها القلب الغافل عن الله، ماذا جنيت؟ يا من أطعت النفس الشيطانية، ماذا كسبت؟

- إن مكانتك تفوق الملائكة، إنك لا تعرف قدر نفسك، فماذا حصدت؟

- من دونك الروضة تشبه السجن أمام ناظري، والبستان كمعبد النار في عيني .  
- من دونك السكينة والعمر والحياة، كله يتراءى لي أضغاث أحلام.

\* \* \*

- بعيداً عنك لا يقر لقلبي قرار، ولا عمل له سوى إيلامي .  
- يلطم الرأس بيديه كطفل سيئ الطباع، وبسبب هجره لا ليل له ولا نهار.

\* \* \*

- تعال أيها الحبيب، وانظر إلى قلبي الملتاع، وشاهد دمعي الدامي، ولوني الشاحب،  
- وأحزاني المكبوتة، وآلامي الصامدة، تعال لترى روعي الوالهة الملتاعة.

\* \* \*

- بعيداً عن وجهك أيها القمر المبهج، لا أعرف النهار من الليل ولا الليل من  
النهار.

- إن تيسر لي وصالك، يصير كل يوم مثل عيد النيروز.

\* \* \*

- لا يستقر رأسي فوق وسادة ولا جسدي على سرير، ولا يوجد في رأسي سوى  
النزوع إلى محبتك.

- يا إلهي كل شخص يضع رأسه فوق وسادة بعيداً عنك لا رفع رأسه عنها.

\* \* \*

- يا إلهي الغوث من هذا القلب! الغوث من هذا القلب! فلم أسعد لحظة واحدة  
به.

- وغداً عندما يطالب المظلومون بالقصاص، سوف أقول الغوث من هذا القلب  
مئات آلاف المرات.

- متى يسمع الفلك آهاتي وصيحاتي، وهو يشعل النيران في روحي مع كل حركة له.

- أقضي العمر في الآلام والأحزان، ولا تحقق لي السماء رغبة القلب.

\* \* \*

- ألا تعلم أيها الفلك أنني مسكين، فلا تعصف بي لأنني ملتان.

- ألا ترى أنك في حركة واحدة لك، تقيدني بمتاعك مثل الحبل.

\* \* \*

- أنا الثمل من خمر الكرم، لماذا أكون بعيداً عن محبوبي؟

- ولماذا أكون غافلاً عن المحنة بعيداً؟ وأنا الذي تتجدد أحزاني بعشقتك.

\* \* \*

- حزني لا حد له، وألمي دون حصر، الغوث لأن هذا لا وسيلة له ولا علاج.

- يا إلهي! إن ناصحي لا يعلم، أن استغاثة قلبي بلا اختيار.

\* \* \*

- أيها القلب! ألا تخف أصلاً من الطريق البعيد، أيها القلب ألا تخف أصلاً من

دخول القبر.

- أيها القلب! ألا تخف أصلاً ذات يوم، سوف تصير مقرّاً للحيات، وتصبح بيتاً

للنمل.

\* \* \*

- تعال، تعال؛ لأن محبوبي هو أنت، تعال، تعال؛ لأن سلطاني هو أنت.

- أنت نفسك تعلم أنني لا أعرف سواك، تعال، تعال؛ فإيماني هو أنت.

- مِنْ دُونَكَ يَحْرَمُ عَلَيَّ الْوَرْدَ وَالشَّقَائِقَ، مِنْ دُونَكَ يَحْرَمُ عَلَيَّ تَغْرِيدَ الْبَلَابِلِ.
- مِنْ دُونَكَ يَحْرَمُ عَلَيَّ الْجُلُوسَ بَعِيدًا، أَتَأْوِلُ أَقْدَاحَ الْخَمْرِ دَاخِلَ الرُّوْضَةِ.

\* \* \*

- أَيُّهَا الْقَلْبُ! أَيُّهَا الْقَلْبُ! لِمَاذَا اضْطَرَّابُكَ؟ أَيُّهَا الْقَلْبُ! أَيُّهَا الْقَلْبُ! لِمَاذَا تَتَمَلَّكَ الْأَوْهَامُ دَائِمًا؟

- اذْهَبْ، وَاعْتَزِلْ، وَاشْكُرِ اللَّهَ، فَرُبَّمَا تَحَقِّقُ مَرَادَكَ أَيُّهَا الْقَلْبُ! أَيُّهَا الْقَلْبُ!

\* \* \*

- إِنْ كُنْتَ أَسَدًا أَوْ فَهْدًا أَوْ حَمَارًا وَحْشِيًّا، فَنَهَايَتُكَ هِيَ غِيَاظُ الْقَبْرِ.
- حَيْثُ يَصِيرُ جَسَدُكَ دَاخِلَ الْقَبْرِ سَفْرَةً مُمْتَدَّةً، يَتَنَاقَبُ عَلَيْهَا الْفُتْرَانُ وَالْحَيَاتُ وَالْعَقَارِبُ وَالنَّمْلُ.

\* \* \*

- أَحْزَانُ عَشْقِكَ أَفْضَلُ مِنَ الْكَنْزِ الْمَبَاحِ، وَوَصَالُكَ أَفْضَلُ مِنَ الْعُمْرِ الْأَبَدِيِّ.
- وَفِي الْحَقِيقَةِ إِنْ حَفَنَةً مِنْ تَرَابِ حَيِّكَ، يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهَا أَفْضَلُ مِنَ الْكُونِ وَالْمَكَانِ.

\* \* \*

- تَعَالِ، تَعَالِ؛ لِأَشَاهِدَ طَلْعَتَكَ، وَأَقْطِفَ وَرُودَ وَصَالِكَ وَسَنَابِلِهِ.
- فَمِنْذُ شُهُورٍ وَسَنِينَ وَأَنَا مُشْتَاقٌ، أَنْ أَجَالِسَكَ لِحِظَةِ ذَاتِ يَوْمٍ.

\* \* \*

- يَا إِلَهِي أَشْعَلْ رُوحِي بَنِيرَانَ الْعَشْقِ، وَمُدَّ شَرَرًا مِنْ لَهْيِي إِلَى عِظَامِي.
- أَشْعَلْنِي بَنِيرَانَ الْعَشْقِ مِثْلَ الشَّمْعَةِ، وَاجْعَلْ قَلْبِي يَحُومُ حَوْلَ هَذِهِ النِّيرَانِ كَالْفَرَّاشَةِ.



- لا تفعل أمراً يصيبك بالأدبار، فتضييق الدنيا عليك على اتساعها.
- غداً عندما تعرض الصحائف، يلحق بك العار من قراءة صحيفتك.

\* \* \*

- لي قلب يشبه طائر مكسور القدم، أو سفينة راسية أمام شاطئ البحر.
- الجميع يقولون: يا طاهر اعزف التار<sup>(\*)</sup>، وكيف للتار المحطم أن يصدر صوتاً.

\* \* \*

- تغلغلت جذور شجرة الأحزان في روحي، وأنا دائم التضرع للحضرة الإلهية.
- أيها الأعزاء اعرفوا قدر بعضكم البعض، فالأجل حجر، والمرء مثل الزجاج.

\* \* \*

- الليل مدلهم، والمكان موحش، وأنا ثمل، سقط القدح من يدي، ولم ينكسر.
- فقد حفظه الحافظ جيداً، وإلا لتحطم مائة قدح لم يسقط.

\* \* \*

- قسمًا بوجهك القمري يا بدر التمام، وبقدك السروي أيها المتبخر.
- لا يشاغل قلبي أي خيال سوى عشقك، ولا شأن لي بشيء في الديار سواك.

\* \* \*

- ليس في رأسي طيف سواك، ولا أمنية لقلبي عداك.
- الله يعلم أنه في سوق عشقك، لا بضاعة لي سوى الروح.

\* \* \*

- تعال، يا من وجهك حديقتي وربيعي، وطيفك مؤنس ليالي المظلمة!
- الله يعلم أنه في الدنيا الفانية، لا شاغل لي سوى عشقك.

- عندما أنظر إلى الصحراء أراك أنت، وعندما أشاهد البحر أراك أنت.
- وحيثما تطلعت إلى الجبال والفيافي والوديان، أرى دلائل قامتك الهيفاء.

\* \* \*

- القلب بلا عشق، أجدر به التوقف، ومن لم يخبر الآلام، يستحق الموت.
- الجسد غير الثابت في طريق العشق، أجدر به الاحتراق بالنيران ذرة ذرة.

\* \* \*

- من لا يعرف المعاناة أجدر به الموت، والقلب بلا ألم، وبدون عشق جدير بالتوقف.
- البلب يغرد وقت السحر في الروضة قائلاً: من لا يعرف العشق، أجدر به الموت.

\* \* \*

- لم يقدر لأحد ما يعتمل في قلبي من الآلام، إنها كثيرة، أحزاني التي لا طائل تحتها.

- أيعلم أحد أحزاني وآلامي؟ ومن ذا الذي يعاني ما أعانيه؟

\* \* \*

- مرة يرتضي الداء ومرة الدواء، ومرة الوصل ومرة الهجر.
- وأنا بين الدواء والداء، والوصل والهجر، راض بكل ما يرتضيه الحبيب<sup>(٢٩)</sup>.

\* \* \*

## التصوف في القرنين السادس والسابع الهجريين

ساد التصوف ووصل إلى أوج انتشاره وذيوعه في القرنين السادس والسابع الهجريين.

ويمكننا أن نلخص أهم مميزات ذلك العصر في النقاط التالية:

### ١ - تحول القالب الفني للمؤلفات الصوفية من النثر إلى النظم:

لم يكن التحول مفاجئاً، فقد سبق ذلك ظهور الرباعيات التي بدأها أبو سعيد بن أبي الخير في القرن الخامس الهجري. ولكن كانت هناك أسباب ساعدت على تغيير سير التأليف الصوفي من النثر إلى النظم ومنها:

أ - كان من نتيجة الأحداث التي أصابت المجتمع الإسلامي تعطش الناس إلى حياة صوفية تبعدهم عن أهوال الحياة الدنيا، كما أرهفت مشاعر الشعراء، فكان الشاعر أمام هذا المجتمع بمثابة الطبيب يعالج الأمراض التي أصابت ذلك المجتمع، أو بمثابة المصلح الاجتماعي يرشد هذا المجتمع.

ب - يناسب الشعر حاجة الصوفية؛ لبيان إحساساتهم، ومواجيدهم الداخلية، واصطلاحاتهم المتزايدة التي كانت قد توسعت جداً في ذلك العهد من: وحدة وجود إلى عشق إلهي أو فناء، مما يعجز النثر عن توضيحه.

ج - يناسب الشعر أيضاً السماع الصوفي، وكانت أبيات الشعر تنشد في الخانقاهات والأربطة. وفي أخبار الصوفية حكايات كثيرة لا تُعد ولا تُحصى، تقص علينا كيف كانت تعترى الواحد منهم حالة الجذب عند سماع بضعة أبيات من الشعر. وقد أدى التصوف خدمة جليلة للشعر الفارسي؛ فقد استطاع أن يبعد الشعر منذ

القرن الخامس حتى القرن التاسع الهجري عن بلاط السلاطين والأمراء إلى الخانقاه وإلى الناس، فتغيرت بالتالي أغراضه من المدح إلى تهذيب النفس والروح. واستغنى الشعراء عن عطاء الأمراء<sup>(٣٠)</sup>.

وقد أخضع الصوفية كل أغراض الشعر لمذهبهم، فأصبح الوصف هو وصف أحوالهم ومواجيدهم. كذلك استخدموا الشعر القصصي بطريقتهم الخاصة، بحيث استخلصوا من كل قصة المبادئ الأساسية للتصوف، كما أوجد التصوف نوعاً من الغزل هو الغزل الصوفي، واستخدموا فيه رموز المحبين.

فالله عندهم هو الحبيب وهو المعشوق وهو المحبوب، والوجد الحاصل من التفكير فيه هو الخمر وهو الخمار، والظاهر والباطن منه عبارة عن طلعه المنيرة أو طرته السوداء.

كذلك تدور الأشعار حول العشق ومظاهره، والجمال ومظاهره مثل الوردة والبلبل والشمع والفراشة، كما استخدموا قصص العشق المشهورة مثل ليلي والمجنون، وواق وعذرا، وخسرو وشيرين، كما كثرت في الشعر الصوفي ألفاظ الدير والحنانات<sup>(٣٣)</sup>، وقد أسهم شعراء الصوفية من الفرس إسهاماً كبيراً في مجال الأدب الصوفي سواء من حيث الكم أو الكيف، فظهر نوع من الأدب تميز به الأدب الفارسي، واعتبر من أسرار عظمتة<sup>(٣٤)</sup>.

## ٢ - ظهور الشعراء الكبار والمنظومات القصصية الطويلة:

ظهرت المنظومات القصصية الطويلة منذ القرن السادس الهجري. وقد تميز القرنين السادس والسابع الهجريين بظهور أهم ثلاثة شعراء في مجال الأدب الصوفي، وهم سنائي والطار ومولوي، ونبدأ بالحديث عن سنائي، الذي كان له فضل الريادة في هذا المجال.

أ - سنائي الغزنوي: هو أبو المجد مجدود بن آدم، عرف بالحكيم سنائي (٤٧٣

- ٤٣٧ هـ، ٥٣٥ هـ) وتعتبر منظومته «حديقة الحقيقة» أول منظومة صوفية بحيث يمكن القول إنه الرائد في هذا المجال، فقد نظم مجموع التراث الصوفي الذي كان موجوداً قبله، وأدخله إلى ميدان الشعر، فمنح الشعر الصوفي الفارسي بذلك دماً جديداً، ومكانة مرموقة مميزة في الأدب الفارسي، وقد ألف الحديقة في أحد عشر ألف بيت، وقسمها إلى عشرة فصول، وأهداها إلى السلطان بهرامشاه سلطان غزنة آنذاك. وقد اعتبر براون منظومة «حديقة الحقيقة» من أسقم الكتب الفارسية المملة، وقال: إنها مليئة بالبديهيات الساذجة والحكايات السخيفة، إلا أن الدراسات الأكاديمية الموضوعية المتأنية قد استطاعت أن تنصف سنائي ومنظومته (٣٥).

### ومن قصائد سنائي:

- لا تستقر في الجسم والروح، فالجسد وضيع والروح سامية.

ابتعد عن كليهما، ولا تكن هنا ولا هناك.

- ودعك من كل كلام يبعدك عن الطريق سواء أكان كفرًا أم إيمانًا.

ومن كل نقش يبعدك عن الحبيب سوء أكان جميلًا أم قبيحًا.

- علامة السالك أن تجده باردًا في الجحيم.

وعلامة العاشق أن تراه جافًا في البحر.

- ليس من العجيب أن نصيبك من القرآن ليس سوى نقوش!

لأن عين الضير لا تدرك من الشمس سوى الحرارة.

- أيها الصديق إن أردت الحياة، فمت قبل أن تموت.

فبمثل هذا الموت عرف سبيله إلى الجنة قبلنا.

- إن راودتك الآمال في الفوز من صفقة الحياة.

فما أجمل الفوز الذي ستدركه غدًا من مثل هذه الصفقة!

- ضع رأسك في طريق الملك حيث تكون كل ساعة  
مثل كرة منطلقة والطريق مثل ساحة لا حدود لها.
- إن كنت ترهب النار؛ فلا تغتر بما يكتنزه الآخرون.  
فصورته هنا أموال، وشكله هناك ثعابين.
- إن أخدمت اليوم نار الشهوة، تفز بلا شك.  
وإلا أحالتك حرارة هذه النار إلى حطب غداً.
- أيها القلب إلام تنخدع في هذا السجن بهذا وذاك.  
غادر هذا الجب المظلم مرة، حتى ترى عالمًا.
- كل قلب تجده فيه، تجده ملكًا.  
وكل روح تراها فيه، تراها مسرورة.
- وإن خطت ثوبًا هناك، تفز بالطريق من فضله.  
ولو شيدت منزلًا، ترى أعتابه من عدله.
- ولا تجد هناك في أوج قضائه عقابًا يصطاد القلوب.  
ولا ترى في قاع بحره تمساحًا يقبض الأرواح.
- وإن لم يغادرك إمامك من الكبر والحرص والبخل والحقد،  
فكل علمك في الجحيم، وإن رأيتَه بستانًا.

### ومن غزلياته :

- أيها الحبيب ليس لي رغبة في شيء سوى عشقك.
- وأقسم أنه ليس لديّ أحد في مكانتك.
- اليوم أنا عاشق بلا مؤنس ولا حبيب.

- أستغيث ولا مغيث لي.
- في العشق لا أعرف دواء لقلبي.
- أود أن أصبر، لكن الصبر ليس في متناول يدي.
- أريد أن أشاركك أنفاسي بسعادة.
- ولكن من ضيق صدري أيها الحبيب لا قدرة لي على التنفس.
- كل ليلة أجيء متخفيًا إلى حيّك،
- ولا أخاف العسس في وجود زعامة عشقك.
- تقول إنك تبحث عن حبيب آخر فكفى كفى.
- نعم أيها المعشوق! ألا يكفيني محنة عشقك؟! (٣٦).



## ب - فريد الدين العطار ٥٤٠ - ٦١٨ هـ

ويُعد العطار واحدًا من أكبر شعراء التصوف عند الفرس وله إنتاج غزير، وقد بالغ كُتّاب التراجم في عدد مؤلفاته حتى أوصلوها إلى مائة وأربعة عشر بعدد سور القرآن الكريم، إلا أن ما استقرت عليه الأبحاث الحديثة فيما يتعلق بعدد مؤلفات العطار يُعدّ أيضًا بكل المقاييس إنتاجًا غزيرًا ومنها: اسرار نامه - الهى نامه - منطق الطير - بند نامه - خسرو نامه - مصيبت نامه - الديوان (٤٥٤٥٠) خمسة وأربعون ألف وأربعمائة وخمسون بيتًا، بالإضافة إلى كتابه النثري الوحيد تذكرة الأولياء<sup>(٣٧)</sup>.

ويبلغ عدد القصص في مؤلفات العطار، كما أحصاها الأستاذ فروزانفر<sup>(٣٨)</sup> ألف وثمانمائة وسبع وتسعين قصة، ويعلق الأستاذ فروزانفر على ذلك بقوله: إنه ربما لا يمكن العثور على مثل هذا العدد من القصص في آثار أي واحد من شعراء الفرس، وربما لهذا السبب أيضًا قيل عن العطار إنه خلق من أجل نظم الحكايات<sup>(٣٩)</sup>.

والواقع أن اهتمام العطار بإيراد القصص في مؤلفاته، كان نابغًا من الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية التي أحاطت بعصره وبيئته.

فمع عوامل الضعف والتفكك والصراع الذي ساد أقاليم إيران إبان الغزو المغولي. ومع رواج التصوف وازدهاره. وزيادة عدد الخانقاهات والأربطة في سائر المدن الإسلامية، والتفاف العامة حول الصوفية، الذين ألفوا لديهم السلام الروحي من عناء المجادلات المذهبية لدى الفرق الإسلامية المتنازعة. وبعيدًا عن غموض الفلسفة وإغلاق مضامينها بالنسبة إليهم، ومع رواج الشعر الصوفي كان من الطبيعي أن يتخذ هذا الشعر أسلوبًا مشوقًا يناسب العامة.



كما كان استخدام هذه القصص يتيح لهم الحديث عن بعض موضوعات التصوف، التي قد تكون أكثر تأثيرًا إذا ما رويت في صورة قصة، مثل بعض الموضوعات التي رويت على ألسنة المجاذيب. وربما كان الخوف من إظهار عقائدهم أمام المخالفين لهم، أحد الأسباب التي حدت بهم إلى استخدام القصص<sup>(٤٠)</sup>.

ولم تظهر هذه القصص من فراغ؛ فقد كانت البيئة الإسلامية تزخر بقصص رويت على ألسنة القصاص، والذين كان قد ازداد عددهم في عصر العطار خاصة في شرق العالم الإسلامي، وأصبحوا موضع ذم وهجوم؛ لأن كثيرًا منهم أساءوا استعمال القصص، وخرجوا به عن غايته، ولم يكن هدفهم سوى تسلية العامة؛ لكسب الأموال منهم، فلم يتورعوا عن اختراع الأحاديث، وتشويه القصص الدينية، وكانوا لا يتحرجون من اتخاذ أي وسيلة لجذب العامة، وكانوا يستمدون قوتهم من تأييد العامة لهم. وقد ذكر لنا ابن الجوزي المتوفى في نهاية القرن السادس الهجري ٥٩٧ هـ - والذي كان معاصرًا للعطار - الحيل التي كان القُصَّاص يلجأون إليها في عهده، مثل من يضع على وجهه الزيت والكمون ليصفر وجهه، أو من يمسك معه ما إذا شمه سال دمه، أو من يخرق أثوابه، ويرمي بنفسه من على المنبر تواجدًا. والجدير بالذكر أن القُصَّاص كانوا من العرب ومن غير العرب على حد سواء<sup>(٤١)</sup>.

وقد اشتملت أحاديث القُصَّاص - إضافة إلى القصص الدينية - على القصص الشعبية، وقصص البطولة، أو قصص الحب الشائعة. ويقول ابن الجوزي<sup>(٤٢)</sup>: إن من القُصَّاص من يمضي أكثر مجلسه في الشوق والمحبة وإنشاد الغزل الذي يحتوي على وصف المعشوق وجماله، وشكوى ألم الفراق، ومن القُصَّاص من يخرج الكلام في المحبة إلى فن آخر، فيحمل صفة الحق - عز وجل - على حديث سعدى ولبنى.

كذلك اشتملت قصص القُصَّاص على قصص الأمم التي اتصل بها المسلمون، فظهرت الحكايات الموروثة من المواريث الدينية السابقة على الإسلام، وكذلك الحكايات الأسطورية، والقصص التي تتعلق بالمعجزات وغرائب الأمور، كما

استمدت مادتها من القرآن الكريم، وما يتصل به من الأحاديث والروايات، وكذلك تناولت أخبار العرب وأساطيرهم وأشعارهم، وسيرة الرسول ﷺ والخلفاء وغزواتهم وفتوحاتهم. كذلك كان من مصادر هذه القصص ما يأخذه القصاص عن أهل الكتاب من أخبار الأنبياء والأخبار والرهبان، كما استقوا مادتهم من أخبار الفرس وأساطيرهم، وأخبار الهند وأساطيرها<sup>(٤٣)</sup>.

وقد تميزت هذه القصص بكل عوامل الإثارة والمبالغة التي تستهوي العامة، وبتداخلها شيئاً فشيئاً مع التصوف؛ أصبح التراث الصوفي القصصي يحوي الكثير من ملامح هذه القصص بإيجابياتها وسلبياتها، فكما كانت القصص وسيلة محببة للأديب الصوفي يدعو من خلالها إلى ضرورة معرفة الله سبحانه وتعالى معرفة حقيقية، وإلى سلوك طريق العشق، والاستجابة إلى نداء الله المتواتر للإنسان، والاعتماد على القلب، وعدم التكالب على الدنيا، وذمها، وتصفية النفس. كانت كذلك سبباً لظهور المبالغة والشطط في كثير من القصص، خاصة تلك التي تتعلق بكرامات الصوفية، أو بذم الدنيا أو بتصوير الآخرة، مما جعل التصوف يرتبط في ذهن الكثيرين بالابتعاد عن الدنيا. وقد أشار العطار في كتابه تذكرة الأولياء إلى ما أصاب التصوف في عصره من ظهور الأدعياء والمتكسبين من التصوف، وأوضح أن هدفه من جمع القصص والحكايات والسير المتعلقة بالأولياء، هو إبراز التصوف في صورته الصحيحة<sup>(٤٤)</sup>.

وقد استفاد العطار ولا شك من هذه القصص ومن هذا التراث الغزير في نظم منظوماته، فكانت بمثابة المادة الخام التي أقام عليها بناءه الفني لكل منظومة من منظوماته.

ويتضمن القسم الثاني من هذا الكتاب ترجمة لإحدى منظومات العطار ودراسة لقصصها.

## ج - جلال الدين الرومي ٦٠٤ - ٦٧٢ هـ

درج المشتغلون بالدراسات الأدبية الفارسية عند الحديث عن أدباء الفرس بصفة عامة على اعتبار جلال الدين الرومي واحدًا من أهم أدباء الفرس، أما عند الحديث عن الأدب الصوفي بصفة خاصة، فهناك ثمة اتفاق على اعتباره قمة الهرم الكبير الذي يمثله شعراء التصوف في ذلك الأدب.

وذكر المولوي وتراثه الأدبي يتردد ويتواتر عبر صفحات كتب تاريخ الأدب، ويتركز غالبًا على منظومته المثنوي المعنوي، والتي تذكر في كتب الأدب بإجلال تام، وتقع في ستة وعشرين ألف بيت تقريبًا، وقد منحها الإيرانيون مكانة سامية إلى درجة أنهم أطلقوا عليها (قرآن پهلوي) أي قرآن الفارسية.

كذلك حاز جلال الدين مكانة رفيعة أيضًا في أفغانستان بحكم ميلاده ونشأته الأولى في بلخ، ويتمثل هذا الاهتمام في عقد المؤتمرات والندوات العلمية حول مؤلفاته، كما تخصص سهرات بلخ لقراءة المثنوي بلهجة خاصة، يتبعها العزف بالناي<sup>(٤٥)</sup>. كما نال اهتمامًا خاصًا في تركيا حيث استقر في آسيا الصغرى (الأناضول)، وعاش ردحًا طويلًا من الزمن، وظهر إنتاجه الأدبي هناك، وكان له تأثير كبير على الشعراء العثمانيين.

كذلك قدر لأفكار جلال الدين أن تبعث من جديد في العصر الحديث، وأن توضع تحت دائرة الضوء من خلال فيلسوف باكستان ومفكرها وأديبها الذائع الصيت محمد إقبال. ولم يقتصر الاهتمام بجلال الدين وأدبه على البلدان الإسلامية، بل امتد إلى الغرب أيضًا حيث تعددت الدراسات حول أدبه.

وقد شب جلال الدين عن الطوق، وأدرك الحياة في فترة تموج بالاضطراب وعدم الاستقرار والتنقل، فيقال: إنه أمضى عدة سنوات متنقلاً مع أبيه بين عدد من البلدان الإسلامية إلى أن استقر به المقام في قونية بآسيا الصغرى لدى سلاجقة الروم<sup>(٤٦)</sup>. وهناك رواية مشهورة عن مقابلة جلال الدين ووالده بهاء ولد لفريد الدين العطار في نيسابور عام ٦١٨ هـ، ويقال: إن العطار أهدى نسخة من منظومته اسرار نامه للصغير جلال الدين، وتنبأ له بشأن عظيم في عالم التصوف<sup>(٤٧)</sup>.

وفي قونية قدر لجلال الدين أن ييزغ نجمه، ويذيع أمره، ويصبح من الشخصيات المرموقة كواعظ ثم صوفي وأديب وشاعر، وكانت كل الظروف المحيطة به مهيأة؛ لأن التصوف كان قد راج تماماً آنذاك، وجذب العامة والخاصة، فكان السلاطين والأمراء يذهبون إلى مجالس الصوفية، بل ويبعثون بهم أحياناً في مهام، أو يرسلونهم لطلب عقد صلح.

وقد أسس سلطان ولد بعد وفاة أبيه الطريقة المولوية، وكان دراويش هذه الطريقة يرتدون زياً خاصاً ويضعون تيجاناً فوق رؤوسهم، ويربط مشايخهم عمامة فوق تلك التيجان. وقد تميزت هذه الطريقة بالسماع والرقص. وقد ظلت ذكرى جلال الدين قائمة في أغلب بلدان العالم الإسلامي بواسطة الطريقة المولوية التي انتشرت في آسيا الصغرى وإيران والعراق والشام ومصر<sup>(٤٨)</sup>.

ولم يفتر الاهتمام بالمولوية بمرور الزمن؛ فظلت مشيخة الطريقة قائمة في قونية حتى عهد أتاتورك.

### من أشعار جلال الدين الرومي:

- أصحاب القلوب الطاهرة الذين تحرروا من العلائق الدنيوية، تنزل عليهم النفحات متواترة دون توقف.

- تركوا زخارف العلوم وقشورها، ورفعوا راية عين اليقين.

- غادرهم الفكر وغمرتهم الأنوار، وأدركوا برّ المعرفة وبحرها.
- والموت الذي يفزع منه الجميع، يستهين به هؤلاء القوم.
- لا سبيل لأحد لقهر قلوبهم، لأنهم صاروا مثل الصدف المملوء بالجواهر.
- على الرغم من أنهم تجاوزوا النحو والفقه، إلا أنهم فازوا بالمحو والفقر.
- من هو طبيب الداء الذي لا دواء له؟ ومن هو رفيق الدرب الذي لا نهاية له؟

\* \* \*

- ومن هو السراج المنير لعالم الخلد، البعيد عن الكفر والإيمان؟
- ومن هو بحر المطلق الغاص بالدرر، والذي يتبع منه جوهر الإنسان.

\* \* \*

- أيها المسلمون إنني لا أعرف نفسي فما هو الحل؟
- فأنا لست مسيحيًا ولا يهوديًا ولا مجوسيًا ولا مسلمًا.
- ولست من الشرق ولا من الغرب ولا من البر ولا من البحر.
- لست جزءًا من الطبيعة، ولست من الأفلاك.
- ولست من التراب، ولست من الرياح، ولست من الماء، ولست من النار.
- ولست من العرش، ولست من الفرش، ولست من الكون، ولست من معادن الأرض.
- ولست من الدنيا، ولست من العقبي، ولست من الجنة، ولست من النار.
- ولست من آدم، ولست من حواء، ولست من فردوس الرضوان.
- مكاني حيث المطلق، وأثري حيث لا أثر.
- ووجودي ليس جسمًا ولا روحًا، بل إنه نفحة من روح الحبيب.

- نزعنا الاثنين عن وجودي، فرأيت كلا العالمين هو.
- وهو من أبحث عنه، ومن أترنم بذكره، ومن أعرفه، ومن أناديه.
- هو الأول، هو الآخر، هو الظاهر، هو الباطن.
- لا أعرف شيئاً آخر سواه، ولا أقول إلا يا من هو.
- إن كنت تنفست لحظة واحدة طوال عمري بعيداً عنه،
- فأنا نادم على ذلك الوقت وتلك اللحظة من عمري.

\* \* \*

- جاء في الحديث أن الله تعالى، جبل الخلق على ثلاثة أنواع:
- مجموعة كلها عقل وعلم وجود، وهي الملائكة التي لا تعرف إلا السجود.
- لم تجبل على الحرص والهوى، فهي نور مطلق تحيا بعشق الله.
- وطائفة أخرى عديمة المعرفة، ومنها الحيوان الذي يسمن بالعلف،
- ولا يرى إلا الإسطبل والعلف، غافلاً عن التردي والشرف.
- والنوع الثالث البشر وابن آدم، ونصفه من الملائكة ونصفه الآخر من الحمار.
- ونصفه البهيمي يميل إلى الحضيض، ونصفه الآخر يهفو إلى السمو.

\* \* \*

- صدق الله في قوله، إن الدنيا لعب ولهو، وإنكم أطفال.
- إن حروب الخلق تشبه الصراع بين الأطفال، كلها بال معنى ولا قيمة ولا هدف.

### ومن رباعياته :

- أحاطني ذلك الحبيب بنعمائه وعطفه، وأخاط لي المرقع من عروقي وجلدي.
- فالجسد خرقة، وهو الصوفي القابع داخل قلبي، والعالم كله خانقاه، وهو شيعي.

- لا أنيس لي سوى العشق، ولا أعرف له بداية من نهاية.  
- تهتف بي الروح من داخلي، أيها المتمهل في طريق العشق! افتح لي الباب.

\* \* \*

- توجد صحراء بعيداً عن الكفر والإسلام، يهفو وجودنا إلى رحابها.  
- إذا ما وصل العارف إليها أسلم رأسه، فلا سبيل هناك للكفر ولا للإسلام.

\* \* \*

- في مطبخ العشق لا يُضْحَى إلا بالتقي، ولا يُضْحَى بضعاف النفوس سييء  
الطباع.

- إن كنت عاشقاً صادقاً، فلا تهرب من القتل، لأن الجيفة هو من لا يُضْحَى به.

\* \* \*

- أسرار الحقيقة لا تنكشف بالسؤال، ولا أيضاً بفقدان الحشمة والمال.  
- ما لم تدم العين والقلب خمسين عاماً، لا يتيسر لأحد السبيل من القال إلى  
الحال.

\* \* \*

- لن أتخلى بسهولة عن أشجاني، ولن أنزع قلبي عن الحبيب حتى أسلم الروح.  
- أعيش آلامي من الحبيب كالذكرى، ولا أتخلى عنها بمائة ألف دواء.

\* \* \*

- بذكر الله ينطلق المرء إلى المطلق، فانظر أي رونق يتأتى بنور الحق.  
- باطن الرجال هذا بحر للعجائب، عندما تتلاطم أمواجه، يصدر منه «أنا الحق».

\* \* \*

- يا أهل الصفاء: يا من تطوفون بالعالم، لماذا أنتم حائرون على هذا النحو من أجل صنم؟

- إن ما تبحثون عنه في هذا العالم، عندما تبحثون عنه داخلكم ستجدون أنه أنتم.

\* \* \*

- طالما لا يفنى العبد عن وجوده فناء مطلقاً، لن يتحقق لديه التوحيد.

- والتوحيد ليس حلولاً، إنه فناؤك، وإلا لن يصير الباطل حقاً جزافاً.

\* \* \*

- ليس لي وجود يجعلني أقترن بالحبيب، ولا عقل أتخلص به من العشق.

- ولا يد أطاول بها القضاء، ولا قدم أهرب بها من كل ذلك.

\* \* \*

- أيها القلب إنك لم تطع السجان لحظة واحدة، ولم تندم على أفعالك السيئة أبداً.

- إنك صرت متعدد الجوانب، صوفيّاً وفقهياً وزاهداً وعالمّاً، إلا أنك لم تصر مسلماً.

\* \* \*

- أيها القلب أتعشق، وتفكر في وجودك، وتمارس السرقة وتهتم بالحارس.

- تدعي المحبة أيها التافه، ثم تفكر في كلام هذا وذاك.

\* \* \*

- هو من يشغل قلبي من الداخل والخارج، الروح والعروق والدماء داخل جسدي كلها هو.

- فكيف يتسع هذا المكان للكفر والإيمان، وكيف يتأتى وجودي، ووجودي كله هو.



- قيل إن الجهات الست كلها نور الله، فتعالت صيحات الخلق: أين ذلك النور؟
- وتطلع الغريب إلى كل صوب يمينًا ويسارًا، ف قيل له انظر لحظة بعيدًا عن اليمين واليسار.

\*\*\*

- لنا لغة أخرى غير هذه اللغة، ولنا مكان آخر غير الجنة والنار.
- أصحاب القلوب الحرة يحيون بروح مختلفة، فجوهرهم الطاهر من منجم آخر<sup>(٤٩)</sup>.

\*\*\*

### ٣ - نشاط الطرق الصوفية:

ومع رواج التصوف وذيوعه في الحياة الثقافية الإسلامية، حفلت مجالس الصوفية بالغناء والرقص والذكر، وسادت رسومهم، وخفت أمامهم أصوات المعارضين ممن أقلقهم ذبوع بدع باسم الإسلام. وقد نشطت الطرق الصوفية أيضًا في هذا العصر، وكانت تعد امتدادًا لتصوف الغزالي، ومن أبرزها:

**الطريقة القادرية:** نسبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، الذي ولد بجيلان عام ٤٧٠ هـ. وقد نشر تلاميذه طريقته في بلدان إسلامية عديدة، ولا تزال طريقته موجودة بمصر.

**الطريقة الرفاعية:** نسبة إلى الشيخ أحمد الرفاعي المتوفى عام ٥٧٨ هـ، والمنسوب إلى بني رفاع، وهي قبيلة من العرب. وقد وصلت طريقته إلى مصر عن طريق تلاميذه أيضًا.

**الطريقة السهروردية:** نسبة إلى أبي نجيب السهروردي، وابن أخيه شهاب الدين

أبي حفص عمر السهروردي البغدادي ٥٣٩ - ٦٣٢ هـ مؤلف كتاب «عوارف المعارف» الذي يتضمن آداب هذه الطريقة، وقد تأثر بالسهروردي وبطريقته سعدي الشيرازي.

وفي القرن السابع الهجري ظهرت الطريقة الشاذلية، وانتقلت إلى مصر وغيرها، وهي المنسوبة إلى أبي الحسن الشاذلي، وأصله من شاذلية بتونس، واستوطن بالإسكندرية ٦٤٢ هـ، ومن تلاميذه الذين وفدوا معه الشيخ أبو العباس المرسى، والذي خلفه في قيادة الطريقة، ثم مات، فخلفه ابن عطاء السكندري.

وفي القرن السابع تأسست الطريقة الأحمدية التي أسسها أحمد البدوي ٥٩٦ - ٦٧٥ هـ الذي ارتحل من المغرب إلى مكة ثم إلى مصر.

الطريقة البرهامية أسسها الشيخ إبراهيم الدسوقي في مصر، وتوفي عام ٦٧٦ هـ، وانتشرت في مصر وخارجها<sup>(٥٠)</sup>.

#### ٤ - ازدهار التصوف الفلسفي:

ازدهر في ذلك العصر ما يُسمّى بالتصوف الفلسفي، وهو تصوف ممتزج بالفلسفة، تسربت إليه فلسفات متعددة يونانية وفارسية وهندية ومسيحية. ويصف الدكتور التفتازاني<sup>(٥١)</sup>، التصوف الفلسفي على النحو التالي: «ثمة طابع عام يطبع هذا التصوف الفلسفي، وهو أنه تصوف غامض، ذو لغة اصطلاحية خاصة، ويحتاج فهم مسأله إلى جهد غير عادي، ولا يمكن اعتباره فلسفة حيث إنه قائم على الذوق، كما لا يمكن اعتباره تصوفًا خالصًا؛ لأنه يختلف عن التصوف الخالص في أنه معبر عنه بلغة فلسفية، وينحو إلى وضع مذاهب في الوجود أساسًا، فهو إذن بين بين». وقد تعرض هذا النوع من التصوف لهجوم الفقهاء؛ لما أعلنوه من نظريات مثل: وحدة الوجود والقطبية ووحدة الأديان، وقد أعلنوها كنظريات متكاملة وليست مجرد عبارات.

ومن أبرز متفلسفة الصوفية في هذا العصر:

أ - السهروردي المقتول بأمر صلاح الدين الأيوبي ٥٨٧ هـ:

وعرفت حكمة السهروردي بالحكمة الإشرافية نسبة إلى الإشراف وهو الكشف، أو نسبة إلى المشاركة وهم أهل فارس. وحكمتهم ذوقية تعتمد على الإشراف وهو ظهور الأنوار العقلية، وفيضانها في النفس عند تجردها. وعند تقسيم السهروردي لمراتب الحكماء قال عن المرتبة الرابعة منها:

أما الحكيم الإلهي المتوغل في البحث والتأله كالسهروردي فله الرئاسة في وقته وهو الذي يسمى بالقطب، وهو أيضاً خليفة الله وقد يكون خفيًا، ولا يخلو منه العالم. وكان قوله هذا سببًا لهجوم فقهاء عصره عليه وقتله<sup>(٥٢)</sup>.

ب - ابن عربي: ٥٦٠ - ٦٢٨ هـ:

هو أبو بكر محمد بن علي المعروف باسم ابن عربي وبألقاب محي الدين والشيخ الأكبر وابن أفلاطون. ولد في إحدى مدن إسبانيا في سنة ٥٦٠ هـ، وهو من أسرة نبيلة غنية وافرة التقوى، قضى سني طفولته في وسط عامر بالزهد والتصوف، كما تلقى تربية أدبية دينية كاملة، ثم اتجه إلى التصوف وهو في الحادية والعشرين من عمره.

عاش حياة حافلة بالأسفار والسياسة، تنقل خلالها في جميع البلاد الإسلامية في المغرب والمشرق متعلمًا ومناقشًا<sup>(٥٣)</sup>. أما مذهب وحدة الوجود فهناك إجماع على أنه ظهر في صورته الكاملة على يديه.

وأهم النظريات التي أتى بها ابن عربي:

أ - وحدة الوجود:

يقول ابن عربي إن ذات الله منزهة عن المعرفة، وإن الحق يعرف عن طريق صفاته وهي الدنيا، وإن الله يتخلل العالم بأكمله فيضًا عن فيض، وهو الفاعل الحقيقي لكل

شيء، ويقول: فسبحان من أظهر الأشياء وهو عينها:

فما نظرت عيني إلى غير وجهه ولا سمعت أذني خلاف كلمه  
ووجود العالم كوجود الظلال بالنسبة لأشخاصها، والعالم في نفسه ليس إلا  
خيالاً وحلمًا يجب تأويله لفهم الحقيقة، والوجود الحقيقي هو وجود الله<sup>(٥٤)</sup>.

#### ب - وحدة الأديان:

ترتب على قول ابن عربي بوحدة الوجود، قوله بوحدة الأديان، فإذا كان الإله  
الواحد متجلّ في صورة جميع المعبودات، فمن الخطأ أن يقصر الإنسان ربه على  
مجلّى واحد دون غيره، واستنتج من ذلك صحة الإيمان بكل المعتقدات، فقال:  
لقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان  
وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح تورا ومصحف قرآن<sup>(٥٥)</sup>

#### ج - الإنسان الكامل:

وملخص هذه النظرية هي أن الإنسان هو الكون الجامع لجميع حقائق الوجود،  
وهو العالم الأصغر الذي انعكست في مرآة وجوده كل كمالات العالم الأكبر؛ لهذا  
استحق الخلافة، ولا يصدق ذلك إلا على أعلى مراتب الإنسان، وهي رتبة الأنبياء  
والأولياء وأكملهم محمد ﷺ، والمقصود به الحقيقة المحمدية الأزلية الأبدية أو  
الروح المحمدي أو النور المحمدي الذي ظهر في صورة آدم ثم في صورة كل نبي  
بعده حتى ظهر أخيراً في صورة الرسول ﷺ. وقد أضاف الشيعة أنه ظهر بعد ذلك في  
صورة علي وآل بيته، كما قال الصوفية إنه امتد إلى صورة القطب عندهم.

والإنسان الكامل هو حلقة الوصل بين الله والعالم، يستمد منه كل علم إلهي،  
وكل وحي أو إلهام<sup>(٥٦)</sup>.

ومما لا شك فيه أن ابن عربي أثر تأثيراً كبيراً في التصوف الإسلامي، والأدب

الصوفي على حد سواء. ويقول المستشرق الإسباني أسين بلاثيوس<sup>(٥٧)</sup>: «لعل كاتبًا لا يؤثر في شعراء إيران تأثيرًا خصبًا أعظم من ابن عربي اللهم إلا جلال الدين الرومي».

وإذا طرحنا المبالغة في هذا الرأي جانبًا، نجد أن هناك تشابهًا بين جلال الدين وابن عربي، فكما جمع جلال الدين كل التراث الصوفي السابق عليه في كتابه «المثنوي» بحيث صار هناك شبه إجماع على اعتبار المثنوي أفضل وأكمل منظومة صوفية، كذلك تحتوي مؤلفات ابن عربي على كل الأفكار الصوفية السابقة، هذا إضافة إلى ما تتسم به مؤلفاته من ضخامة وصعوبة لا تزال تحتاج إلى دراسة حتى الآن. وقد ترك كل منهما أثرًا عميقًا في التراث الصوفي.



## الطريقة

يُسَمَّى من يخطو في الطريق الصوفي بالسالك أو المريد أو رجل الطريق أو المسافر إلى الله، وفي أثناء سيره للوصول إلى هدفه -أي إدراك معرفة الحق تعالى- يمر السالك بمراحل مختلفة.

والمراحل الخاصة بسلوك الطريق متنوعة ومختلفة. وقد قسم الصوفية هذه المنازل والمراحل إلى مقامات وأحوال. ويجب على السالك أن يجتاز هذه المقامات بالتدرج والترتيب حتى يصل إلى الحقيقة.

وقد اختلف الصوفية في عدد المقامات والأحوال، حيث تقوم الطريقة الصوفية على مجموعة من القواعد والرسوم التي يفرضها الشيوخ على مريديهم؛ ولهذا لم يكن للطريقة صفات ثابتة محدودة، لأن تعاليم كل طريقة ترجع إلى شيخها أو مرشدها.

### تعريف المقامات والأحوال:

تعددت التعريفات الخاصة بالمقامات، وتدل كلها على أن المقصود بالمقامات هو: ما ينشأ للمريد في مجاهداته وعباداته البدنية والنفسية من حالات روحية ونفسية، ولا ينتقل المريد من مقام إلى المقام الذي يليه حتى يصل إلى درجة الكمال فيه، وقد سُمِّيَ المقام مقاماً لثبوته واستقراره، يتحقق به العبد آناء الليل وأطراف النهار. أما الحال فهو معنى يرد على القلب من غير تعمد ولا اجتلاب، وقد سُمِّيَ الحال حالاً لتحوله، فهو يأتي وينصرف، وليس بدائم. فالأحوال مواهب، والمقامات مكاسب بمواهب.

وقالوا: الأحوال تأتي من غير الوجود، والمقامات تحصل ببذل المجهود.

وقد اختلفوا في عدد المقامات وترتيبها، كما اختلفوا في البعض مقام أم حال، وفي الفرق بين المقام والحال.

ويوضح ابن القيم في كتابه مدارج السالكين الصلة بين المقامات والأحوال، فيقول:

والصحيح أن هذه الواردات والمنازل لها أسماء باعتبار أحوالها فتكون لوامع وبوارق ولوائح عند ظهورها وبدوها، كما يلمع البارق، ويلوح على بعد، فإذا نازلتها وباشرها فهي أحوال، فإذا تمكنت منه، وثبتت له من غير انتقال فهي مقامات، وهي لوامع ولوائح في أولها، وأحوال في أوسطها، ومقامات في نهايتها، فالذي كان بارقاً هو بعينه الحال، والذي كان حالاً هو بعينه المقام، وهذه الأسماء له باعتبار تعلقه بالقلب، وظهوره له، وثباته فيه<sup>(٥٨)</sup>.

أما الهجويري<sup>(٥٩)</sup> فيقول:

«اعلم أن كل ما هو من المقام يعتبر من الأعمال، وكل ما هو من الحال يعد من الأفضال، وأن المقام من جملة المكاسب، والحال من جملة المواهب، فصاحب المقام إنما هو قائم بمجاهدته، وصاحب الحال إنما هو فان عن نفسه».

ويختلف المشايخ في دوام الحال أو عدم دوامها، فهناك طائفة يمثلها الحارث المحاسبي تقول: بجواز دوام الحال. حيث إن المحبة والشوق مثلاً أحوال، وإذا لم يكن جائزاً دوامها، فلن يكون المحب حينئذ محباً ولا المشتاق مشتاقاً، وإذا لم تكن هذه الحال صفة للعبد، فلا يمكن أن يتسمى بها.

وهناك طائفة أخرى يمثلها الجنيد، تقول بعدم دوام الحال؛ لأن الأحوال كالبروق فإن بقيت فحديث النفس. ومعنى ذلك أنها كالبروق تلوح ولا تدوم، وما بقي منها فليس هو الحال، بل هو حديث النفس وهوى الطبع<sup>(٦٠)</sup>.

ولكل مقام بدء ونهاية وبينهم أحوال متفاوتة.

وأقدم من تحدث عن المقامات والأحوال هو الطوسي<sup>(٦١)</sup> في كتابه «اللمع» حيث ذكر سبعة مقامات وعشر أحوال.

### المقامات:

التوبة، الورع، الزهد، الفقر، الصبر، التوكل، الرضا.

### الأحوال:

المراقبة، القرب، المحبة، الخوف، الرجاء، الشوق، الأنس، الطمأنينة، المشاهدة، اليقين.

\* \* \*

## التوبة

التوبة في اللغة معناها: الاعتراف والندم والإقلاع والعزم على ألا يعاود الإنسان ما اقترفه. ويتفق الصوفية على أن التوبة هي أول مقام في المقامات الصوفية. والمقصود بالتوبة الشعور الذي يطرأ على المرء بفداحة ما ارتكبه من آثام، عندما ضل طريقه، وابتعد عن خالقه.

### كيف تحدث التوبة:

تزخر الكتب الخاصة بتراجم أحوال الصوفية بقصص تتحدث عن حوادث ظهرت لهم في المنام أو في عالم اليقظة، جعلتهم يسلكون الطريق.

ومن أشهر هذه القصص قصة عن إبراهيم بن أدهم، فيروى، أنه بينما كان مستلقياً على سريره ذات ليلة، سمع ضجة على سطح قصره، فسأل عن السبب، فقالوا له: إنا فقدنا بعيراً نبحت عنه على سطح القمر. فقال متعجباً: كيف تبحثون عن البعير الضال



فوق سطح قصري؟ فأجابه قائلين: وأنت كيف تبحث عن طريق الوصول إلى الله على سرير الملك؟

وكانت هذه الكلمات هي السبب في تركه الملك، وسيره في الطريق<sup>(٦٢)</sup>. ويُروى أيضاً عن الفضيل بن عياض -أحد أعلام الصوفية في عصر هارون الرشيد- أنه كان في شبابه لصاً يقطع الطريق على قوافل المسافرين، وكان يحب جارية، فيتسلل إليها ليلاً، وذات ليلة بينما كان يتسلق إليها الجدار، سمع هاتفاً من السماء يقول: ﴿يَا لَلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦]، فتوقف اللص عن الصعود، وتاب، وسار في طريق الله<sup>(٦٣)</sup>.

والتوبة هي نتيجة لفضل الله ورحمته دون سبب أو واسطة. وقد عبرت عن هذا المعنى رابعة العدوية عندما سألتها رجل عاصٍ قائلاً: لقد أكثرت من الذنوب والمعاصي فلو تبت، هل يتوب الله عليّ؟ فكانت إجابتها: لا بل لو تاب عليك لتبت<sup>(٦٤)</sup>.

ومقام التوبة - مثل كافة المقامات والأحوال الصوفية يستند إلى الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة:

### ومن الآيات:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾<sup>(٦٥)</sup>.

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾<sup>(٦٦)</sup>.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾<sup>(٦٧)</sup>.

### ومن الأحاديث:

- ما من شيء أحب إلى الله من شاب تائب.

- التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

- توبوا إلى الله، فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة.

### ومن شروط التوبة:

١ - الندم على ما عمل من المخالفات.

٢ - العزم على عدم تكرار المعصية.

٣ - تطهير النفس، وترك الزلة في الحال<sup>(٦٨)</sup>.

### التائب ونسيان الذنب:

يرى بعض الصوفية وجوب نسيان التائب لذنوبه، بينما يرى آخرون العكس. فوجوب عدم نسيان المرء لذنوبه، حتى لا يكون معجباً بحسناته، أما وجوب النسيان فلأن التوبة تتحقق بنسيان الذنوب، ولأنه يجب على التائب ألا يذكر نفسه بعد التوبة، وبالتالي لا يذكر ذنوبهم.

### مقامات التوبة<sup>(٦٩)</sup>:

١- التوبة: وهي الخوف من العقاب وهو مقام عام للمؤمنين، وتتمثل في الرجوع من الكبائر إلى الطاعة، ومن الخطأ إلى الصواب، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يَتَّأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾<sup>(٧٠)</sup>.

الإنبابة: وهي مقام الأولياء والمقربين، وتتمثل في طلب الثواب، والرجوع من الصغائر إلى المحبة، ومن الصواب إلى الأصوب. مصداقاً لقوله تعالى: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾<sup>(٧١)</sup>.

الأوبة: وهي مقام الأنبياء والمرسلين، وهي مراعاة الأمر، والطمع في رضا الله وجهه، والرجوع من النفس إلى الله، ومن الصواب إلى الحق. مصداقاً لقوله تعالى: ﴿نَعَمْ أَعَبَّدُ إِنَّهُ ۖ وَأُوْابُ﴾<sup>(٧٢)</sup>.

## تعريفات التوبة:

توجد تعريفات كثيرة للتوبة، فقد عرفها كل صوفي بطريقته، ومنها:

سهل بن عبد الله: التوبة ألا تنسى ذنبك.

الجنيد: التوبة هي نسيان ذنبك.

ذو النون المصري: توبة العوام من الذنوب، وتوبة الخواص من الغفلة.

أبو الحسن النوري: التوبة أن تتوب من كل شيء سوى الله تعالى<sup>(٧٣)</sup>.

## من أشعار التوبة:

- سمع ذلك التقي وهو فوق سريره ليلاً، جلبة وضجة صادرة من السقف.

- وخطوات متسارعة فوق سطح القصر. فقال في سريرته: من يجروء على فعل

ذلك!؟

- ونادى من نافذة القصر قائلاً: من؟ إن هذا ليس بشراً مثلنا، إنه من الجان.

- فأطل قوم برؤوسهم -ويا للعجب- قائلين: نحن نتجول ليلاً، ونبحث عن بغيتنا.

- فقال لهم: ويحكم! عمّا تبحثون؟ قالوا: بغير. قال: ومن ذا الذي يبحث عن

بغير فوق سطح!؟

- قالوا له: وأنت كيف تبحث عن لقاء الله وأنت فوق سرير الملك والجاه؟

- اسلك طريق الطلب على أي حال تكون عليها، وابحث عن الماء دائماً أيها

العَطَش.

- إن شفتيك الظمآنيتين تشيران إلى أنهما ستتجهان في النهاية إلى أصل المنبع.

- الشفة العطشى رسالة من الماء، تقول: إن هذه المعاناة سوف تحضرك إلينا يقيناً.

- إن هذا الطلب جهاد مبارك، فهو يزيل العقبات في الطريق إلى الحق.

- هذا الطلب مفتاح آمالك، وهو جيش نصرك وراياتك.

\* \* \*

- للتوبة باب من ناحية الغرب، مفتوح أمامك حتى يوم القيامة.

- ويظل مفتوحاً حتى تشرق الشمس من الغرب، فلا تحد عنه.

- وللجنة ثمانية أبواب للرحمة، باب التوبة واحد منها يا بني.

- والأبواب الثمانية تفتح أحياناً، وتغلق أحياناً أخرى، إلا باب التوبة لا يكون إلا مفتوحاً.

- فاعتنم الفرصة، وسارع، فالباب مفتوح، واحمل متاعك إليه ؛ ولتكف عين الحسود<sup>(٧٤)</sup>.

\* \* \*

## الورع

المقصود بالورع الابتعاد عن الشبهات. وقد استندوا إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية للتدليل على أهمية هذا المقام ومنها:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾<sup>(٧٥)</sup>.

ومن أقوال الرسول ﷺ:

- «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات، لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات، استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام».

- دع ما يريبك إلى ما لا يريبك.

- ملاك دينكم الورع.

- الإثم ما حاك في صدرك.

- استفت قلبك، وإن أفتاك المفتون.

وروي عن الحارث المحاسبي<sup>(٧٦)</sup> أنه كان لا يمد يده إلى طعام فيه شبهة، وأنه كان على طرف إصبعه الوسطى عرق، إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة، ضرب عليه ذلك العرق.

وحكي عن بشر الحافي<sup>(٧٧)</sup> أنه حمل إلى دعوة، فوضع بين يديه طعام، فجهد أن يمد يده إليه، فلم تمتد، ثم جهد، فلم تمتد ثلاث مرات. فقال رجل ممن كان يعرفه: إن يده لا تمتد إلى طعام حرام أو فيه شبهة، ما كان أغنى صاحب هذه الدعوى أن يدعو هذا الرجل إلى بيته. وأمثال هذه القصص كثيرة في كتب التصوف.

**درجات الورع:** وقد قسم صاحب كتاب اللمع<sup>(٧٨)</sup>، أهل الورع إلى ثلاث طبقات:

١ - التورع عن الشبهات وهي الأشياء التي تقع بين الحرام البيّن والحلال البيّن، ومجرد أن يشعر الإنسان الورع بشبهة أو شك في شيء، يتركه فوراً. وهو ورع العموم.

٢ - ورع أهل القلب أي ورع شخص يترك شيئاً بمجرد شعوره بعدم رغبة قلبه في ذلك الأمر. وهو ورع الخصوص.

٣ - ورع العارف الواصل وهو كما قال أبو سليمان الداراني: كل ما شغلك عن الله فهو مشؤوم عليك.

وكما قال سهل بن عبد الله حين سئل عن الحلال الصافي، فقال: الحلال الذي لا يعصي الله فيه، والحلال الصافي الذي لا ينسى الله فيه.

وقال الشبلي عن الورع:

أن تتورع ألا يتشتت قلبك عن الله - عز وجل - طرفة عين.

والورع بهذه المعاني هو ورع خصوص الخصوص.

## من أشعار الورع عند العطار:

- يا بني! كن ثابت القدم في الورع، إن أردت أن يعلو شأنك.
- منزل الدين يعمر بالورع، لكنه يخرب بالطمع.
- كل من يبرز في علم الورع، يجب أن يتعد عن كل ما سوى الله.
- كل من أخذ نفسه بالورع، تكون حركاته وسكناته من أجل الله.
- كل من يطمع في حب الله، اعتبره كاذبًا، إن لم يتحل بالورع.
- يتأتى الزهد من الورع، ومن لا يتصف بالورع، يفتضح أمره.
- ما التقوى؟ إنها الابتعاد عن المحرمات: من اللباس والشراب والطعام،
- وكل زائد - وإن كان حلالاً - وبال عند أهل الورع.
- عندما يقترن الورع بالعلم والعمل، يجب ألا يشوب إخلاصك خلل<sup>(٧٩)</sup>.

\* \* \*

## الزهد

يذكر صاحب اللمع<sup>(٨٠)</sup>، أن من لم يحكم أساسه في الزهد لم يصبح له شيء مما بعده؛ لأن حب الدنيا رأس خطيئة، والزهد في الدنيا رأس كل خير وطاعة.

وكما سبق فقد اعتصم الصوفية الأوائل بما يتضمنه الدين الإسلامي من معان تفيد معنى الزهد، فكان الزُّهاد هم رواد التصوف الإسلامي.

ومن الآيات البينات التي استشهدوا بها في هذا الصدد:

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧].

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

وقوله سبحانه: ﴿لَيْكُنْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣].

ومن أقوال الرسول ﷺ: «إذا رأيتم الرجل قد أوتي زهداً في الدنيا ومنطقاً، فاقربوا منه فإنه يلحن الحكمة».

## والزهاد على ثلاث طبقات:

١ - المبتدئون: وهم الذين خلت أيديهم من الأملاك، وخلت قلوبهم مما خلت منه أيديهم.

وكما قال الجنيد: تُخلى الأيدي من الأملاك، وتُخلى القلوب من الطمع.

٢ - ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا، وهذا زهد المتحققين.

٣ - وهم الذين زهدوا في زهدهم، وتابوا عن زهدهم. وقد عبّر الشبلي عن هذا المعنى بقوله: الزهد غفلة لأن الدنيا لا شيء والزهد في لا شيء غفلة.

**تعريفات الزهد:** وقد تعددت تعريفات الزهد بتعدد الصوفية ومنها:

قال مالك بن دينار: سألت الحسن: ما عقوبة العالم؟ قال: موت القلب. قلت: ما موت القلب؟ قال: حب الدنيا.

الفضيل بن عياض: زهد العبد في الدنيا على قدر رغبته في الآخرة.

ذو النون المصري: الزُّهاد ملوك الآخرة.

سفيان الثوري: الزاهد هو الذي يحقق الزهد بفعله في الدنيا، والمتزهد من كان زهده بلسانه. وقال: ليس الزهد في الدنيا ارتداء الخرقة، وأكل خبز الشعير، ولكنه عدم تعلق القلب بالدنيا، وتقصير الأمل.

وربما يكون في تعبير علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- ما يشير إلى جوهر الزهد، كما يتفق مع روح الإسلام، حيث قال: إن الزهد ليس في عدم تملك الأشياء،

وإنما هو ألا تتملكك الأشياء.

### من أشعار الزهد عند العطار:

- الدنيا تشبه الحية التي تنفث سمًّا، وإن بدا لك ظاهرها جميلاً مزركشاً.
- تبدو جميلة بهية للعيون، لكن سمها مهلك للأرواح.
- سم هذه الحية المزينة قاتل، والعاقل من يعرض عنها.
- لا تنشغل بالأحمر والأصفر مثل الأطفال، ولا تغتر باللون والرائحة مثل النساء.
- تعلق القلب بهذه الدنيا الوضيعة خطأ، الأجدر بك أن تعرض عنها.
- عمر الحياة خمسة أيام لا أكثر، وغافل من يأمل في المزيد، فلا خلود.
- يجب ترك لذات الحياة، واقتفاء أثر العارفين.
- لا تتبع أهواء النفس، ولا تتعلق بالعالم الفاني.
- أليس محصلة الحياة هي اقتناصك.
- والعاقبة الحتمية هي موتك<sup>(٨١)</sup>.

\* \* \*

### الفقر

تمتلئ كتب التصوف بعبارات كثيرة في مدح الفقر وفائدته، وقد استشهدوا فيما ذهبوا إليه بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

#### أمثلة:

- ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٨٢)</sup>.
- ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ



وَرِضُونَا ﴿ (٨٣).

﴿ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ﴾ (٨٤).

### أَحَادِيثُ:

«إن لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال».

«يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام».

«ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس».

كذلك تأسى الصوفية بحياة الرسول ﷺ وسيرته، واعتبروا الفقر المحمدي نبراساً لهم.

**الفقر والزهد:** كل فاقد للمال يُسمى فقيراً، وانزواء الدنيا عن العبد تُسمى فقراً، والفقر عند الصوفية مقام يلي مقام الزهد.

أما الغزالي<sup>(٨٥)</sup>، فقد اعتبر الزهد درجة من درجات الفقر، فالزاهد لو أتاه المال، كرهه وتأذى به. ويحدد الفرق بين الفقر والزهد كما يلي:

«لا مطمع في النجاة إلا بالانقطاع عن الدنيا، والبعد عنها، لكن مقاطعتها إما أن تكون بانزوائها عن العبد، ويُسمى ذلك فقراً، وإما بانزواء العبد عنها، ويُسمى ذلك زهداً، ولكل منهما درجة في نيل السعادات».

### وقد حدد الغزالي خمس درجات للفقر هي:

١ - الزاهد الراضي وهو الذي لا يفرح بالمال ولا يكرهه.

٢ - القانع وهو الذي إن أتاه المال عفواً أخذه، وفرح به.

٣ - الحريص وهو من يطلب المال.

٤ - المضطر مثل الجائع.

٥ - المستغني وهو أعلى درجة منهم جميعاً وهو الفقير الحقيقي.

ولم يشترط البعض الفقر في الزهد، فقالوا: إن الزهد لا يعني قلة المال، وإنه من الممكن أن يوجد فقر بغير زهد، كما يمكن أن يوجد زهد من دون فقر، وأهمية الزهد تنحصر في ترك الأسباب، والتوجه إلى مسبب الأسباب<sup>(٨٦)</sup>. أما الطوسي<sup>(٨٧)</sup> فقد رأى وجوب ارتباط الزهد بالفقر، فيقول: إن الزهد يقتضي معانقة الفقر واختياره.

**فضيلة الفقر:** أجمع أغلب شيوخ الصوفية على تفضيل الفقر على الغنى، واستندوا في ذلك إلى الآيات والأحاديث وسيرة الرسول ﷺ، والفقر لديهم يهذب النفس، ويعود المرء على خشونة الحياة. ولم يكن الصوفية كارهين للمال؛ لأنهم ليسوا أغنياء، بل إن منهم من ترك ماله، وأصبح فقيراً كإبراهيم بن أدهم مثلاً.

فالمال يورث الأنس بهذا العالم، ويجعل المرء يستوحش من الآخرة<sup>(٨٨)</sup>. واعتبروا الفقراء صفوة الله عز وجل من عباده، ومواضع أسرارهِ بين خلقه، بهم يصون الحق الخلق، وبركاتهم ييسط عليهم الرزق، والفقراء الصابرين جلساء الله تعالى يوم القيامة<sup>(٨٩)</sup>.

ومقام الفقر مهم في طي مراحل الطريق الصوفي. يقول القشيري<sup>(٩٠)</sup> ضمن رسالة ترتيب السلوك: ويشترط الأستاذ على المريد أن يختار الفقر على الغنى والذل على العز.....» ويقول الغزالي<sup>(٩١)</sup>: الفقر هو الأشرف والأفضل والأصلح لكافة الخلق إلا في موضعين:

١ - غنى مثل غنى عائشة - رضي الله عنها - إذ أتاها مائة ألف درهم من العطاء، فأخذتها وفرقتها من يومها. والمرء في هذه الحالة يُسمَّى «المستغني»، يرى الأموال في خزانة الله تعالى، إن وجده لم يفرح به، ويكون الوجود مزيداً له، إذ يستفيد به أدعية الفقراء والمساكين.

وفي هذا المعنى يقول الجنيد: إذا صح الافتقار إلى الله عز وجل، فقد صح

الاستغناء بالله تعالى، وإذا صح الاستغناء بالله تعالى، كمل الغنى به.

٢ - الفقر إلى حد لا يستطيع الفقير معه التغلب على الكفر والمعاصي، فإن ذلك يكاد يكون كفرًا.

**فضيلة الغنى:** اتفق بعض شيوخ الصوفية على أن الغنى أفضل من الفقر.

يقول ابن عطاء: الغني الشاكر القائم بحقه أفضل من الفقير الصابر، ويقول: إن الغني أفضل؛ لأنه وصف الحق.

ويرى أصحاب هذا الرأي: أن الغني خلقه الله تعالى سعيداً في الدارين، ومنّ عليه بالغنى، كما إن الله أمر بالشكر على الغنى، والصبر في الفقر، فالصبر يكون في البلاء، والشكر في النعماء، والنعماء أفضل من البلاء.

وقد رفض من قالوا بفضيلة الفقر هذه الآراء، وقالوا: إن صفات الربوبية لا ينبغي على الإنسان أن ينازع فيها، والفقر اسم لائق بالخلق، ولا يجوز على الحق، وغنانا يكون بوجود الأسباب، وهو مسبب الأسباب، وليس لغناه سبب.

أما الغزالي فقد وافق على اتصاف الخلق بالغنى، ولكن بشرط وهو: أن يكون العبد غنيًا عن وجود المال وعدمه (المستغني)، كما أجاز اتصاف العبد بصفات الحق، وحبته في ذلك:

١ - أن العلم من صفات الله عز وجل، وهو أفضل شيء للعبد.

٢ - سمع من بعض المشايخ أن سالك الطرق قبل أن يقطع الطريق تصير الأسماء التسعة والتسعون أوصافاً له أي يكون له من كل اسم نصيب.

٣ - بالنسبة للتكبر وعدم لياقته بالعبد. يرى أن التكبر كصفة لله تعالى ليس الصلف والزهو، بل هو القدرة والتفوق، كتكبر المؤمن على الكافر مثلاً، كذلك ذكر الهجويري أن الصبر أفضل من الشكر، فصبر الفقير يزيده تقرباً من الله تعالى مصداقاً لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٩٢).

## آداب الفقر:

قسم الصوفية آداب الفقر إلى: آداب الباطن، وآداب الظاهر، وآداب الأعمال، وآداب السؤال.

## آداب الباطن:

- ١ - الدرجة الرفيعة هي أن يكون الفقير طالبًا للفقر وفرحًا به؛ لعلمه بغوائل الغنى ويكون متوكلًا في باطنه على الله. مثل إبراهيم بن أدهم.
- ٢ - ألا يكون الفقير كارهاً للفقر بل راضيًا به وصابرًا عليه.
- ٣ - ألا يكون كارهاً فعل الله من حيث إنه فعله، وإن كان كارهاً للفقر.

## أما آداب الظاهر:

فهي أن يظهر الفقير التعفف والتجمل، ولا يظهر الشكوى والفقر، بل يستر فقره.

## آداب الأعمال:

عدم التواضع لغني لأجل غناه، بل التكبر عليه، والدرجة الأقل هي: عدم مخالطة الأغنياء؛ لأن ذلك من مبادئ الطمع. كذلك الالتزام بالعبادات، وبذلك القليل الذي يفيض عن حاجته. أما إذا أراد أن يدخر بعض المال؛ فقد وضعوا قواعد لذلك وهي:

- (أ) ألا يدخر إلا ليومه وليلته، وهي درجة الصديقين.
- (ب) أن يدخر لمدة أربعين يومًا، فإن ما زاد عليه داخل في طول الأمل، وهي درجة المتقين.
- (ج) أن يدخر لستته، وهو غاية الغنى، وهي رتبة الصالح الضعيف. ومن زاد في الادخار، خرج من زمرة الخصوص.

## آداب السؤال:

حرم الصوفية السؤال لأنه يعبر عن الشكوى من الله، كما إن فيه إذلالاً للسائل. إلا أنهم أباحوه لضرورة، ووضعوا لذلك شروطاً أيضاً<sup>(٩٣)</sup>.

## من أشعار الفقير عند المولوي:

- للدرأويش بعيداً عن الملك والمال، رزق واسع من ذي الجلال.
- الحق تعالى عادل، ومتى يظلم العادل رجال الطريق؟
- حاشا لله أن أسيء الظن بالفقراء، تعظيماً للملوك.
- هؤلاء الفقراء الأطهار الأتقياء، الذين نزلت عبس تعظيماً لهم.
- ليس العدم هو نصيب الفقير، بل هو لا يسعى لشيء سوى الحق.

\* \* \*

- دعك من ذلك الفقير الذي يقتفي أثر الطعام، ما يلزمنا فقير حقيقي مثل أبي يزيد.

\* \* \*

- ليس للعشاق شأن بالوجود، نفع العشاق في عدم الإملاك.
- الفقير الذي أدرك هذا المعنى، كف يده واكتفى بنسج السلال.

\* \* \*

ويقول العطار:

- ما أعجب ما يتأتى من الفقر، فقد طبق صيته الآفاق ووصل حتى العرش والعرش!
- وأي خوف من الفقر؟ فالفقر فخر، إنه خال الوجه في الدارين<sup>(٩٤)</sup>.

\* \* \*

## الصبر

لمقام الصبر فضيلة كبرى عند الصوفية. وقد ذكره الله جل شأنه في نيف وسبعين موضعاً في القرآن الكريم، أضاف فيها أكثر الخيرات والدرجات إلى الصبر، وجعلها ثمرة له، كما جمع للصابرين بين أمور لم يجمعها لغيرهم<sup>(٩٥)</sup>.

يقول تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٩٦)</sup>.

ويقول عز من قائل: ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(٩٧)</sup>.

ويقول جل وعلا: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾<sup>(٩٨)</sup>.

والحق تعالى أمر جميع أنبيائه بالصبر، وخص الرسول ﷺ بأعلى درجاته، فقال له: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾<sup>(٩٩)</sup>. ولا بد للصوفي من مقام الصبر؛ لأنه من مقامات النبوة، فما من نبي إلا ووصف بهذه الصفة. والسير في مقامات السلوك يقتضي الصبر. فكما قال بعض الصوفية: الصبر نصف الإيمان بل الإيمان كله، فإداء كل فريضة، وترك كل معصية، لا يتم إلا بالصبر<sup>(١٠٠)</sup>.

ويشرح الغزالي<sup>(١٠١)</sup> أنواع الصبر، فيقول: اعلم أن الصبر ضربان: أحدهما ضرب بدني كتحمل المشاق سواء بالأعمال الشاقة من العبادات أو غيرها، أو بالاحتمال مثل المرض الشديد، وذلك قد يكون محموداً، إذا وافق الشرع، ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر، وهو الصبر النفسي عن مشتريات الطبع، ومقتضيات الهوى، والصبر على مقتضيات الهوى يشتمل على أخلاقيات كثيرة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾<sup>(١٠٢)</sup> فالصابر هنا صابر في صبره، ولا ينتظر الفرج.

وللصبر أهمية كبرى ليس فقط في الضراء، ولكن في السراء أيضاً، فما أحوج العبد إلى الصبر مع وجود الصحة والسلامة والمال والجاه. ويقال: إنه لما فُتحت أبواب الدنيا على الصحابة، قالوا: ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا، وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر، لذلك حذر الله عباده من فتنة المال والزوج والولد.

لذلك على الإنسان ألا يركن إلى النعماء، وأن يعلم أن كل ذلك مستودع عنده، ولا ينهمك في التمتع، وأن يراعى حقوق الله في ماله بالإنفاق، وفي بدنه ببذل المعونة للخلق، وفي لسانه ببذل الصدق، وكذلك في سائر ما أنعم الله تعالى به عليه، فلا يتم الصبر وقت السراء إلا بالشكر<sup>(١٠٣)</sup>، وطاعة الله وأوامره كلها تحتاج إلى الصبر، فالطاعات تنقسم إلى: فرض ونفل، وقد جمعها الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾<sup>(١٠٤)</sup> فالعدل هو الفرض، والإحسان هو النفل، وإيتاء ذي القربى هو المروءة وصلة الرحم، وكل ذلك يحتاج إلى صبر<sup>(١٠٥)</sup>.

كذلك يحتاج الصابر المطيع لله إلى الصبر عن إفشاء عمله، والتظاهر به للسمعة والرياء، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَتَكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾<sup>(١٠٦)</sup> فمن لم يصبر بعد الصدقة عن المن والأذى، فقد أبطل عمله.

والصبر واجب على كل ما نهى الله عنه من معاص سواء معاصي اللسان أو بقية الجوارح، والصبر واجب كذلك على المصائب مثل موت الأحبة وهلاك الأموال وغيرها.

ومن الأحاديث التي وردت في هذا الصدد: إن الصبر عند الصدمة الأولى. وقد قسم الطوسي<sup>(١٠٧)</sup> الصبر على ثلاثة أوجه متصبر وصابر وصَبَّار.

فالمتصبر: من صبر في الله تعالى، فمرة يصبر على المكاره، ومرة يعجز.

والصابر: من يصبر في الله ولله، ولا يجزع ولا يتمكن منه الجزع. كما حُكي عن ذي النون المصري: دخلت على مريض أعوده، فبينما كان يكلمني أن أنه، فقلت له:

ليس بصادق في حبه من لم يصبر على ضربه. فقال: بل ليس بصادق في حبه من لم يتلذذ بضره.

أما الصَّبَّار: فذاك الذي صبره في الله ولله وبالله، فهذا لو وقع عليه جميع البلايا، لا يعجز ولا يتغير. وتزخر الكتب بتعريفات كثيرة للصبر، يحمل كل تعريف منها بُعدًا معينًا من أبعاد الصبر، أو يوضح أهميته، ومن هذه التعريفات:

علي بن أبي طالب: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد.

أبو علي الدقاق: فاز الصابرون بعز الدارين؛ لأنهم نالوا من الله تعالى معيته، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (١٠٨). ومن أقوالهم أيضًا ما قيل عن المصابرة إنها هي الصبر، على الصبر حتى يستغرق الصبر في الصبر، فيعجز الصبر عن الصبر (١٠٩).

### من أشعار الصبر عند المولوي:

- إن التآني يقينًا يكون من الرحمن، أما تسرعك فهو من الشيطان اللعين.
- وهذا التآني نفحات من الرحمن، وتلك العجلة من وساوس الشيطان.
- لأن من يخيفه الشيطان بالفقر، يسقط دعائم صبره إلى القاع.
- العجلة والسرعة من مكر الشيطان، والصبر والاحتساب من لطف الرحمن.

\* \* \*

- بالتآني ظهر الوجود بقدرة الله، فتكونت الأرض والأفلاك في ستة أيام.
- وإلا فإنه كان قادرًا بكن فيكون، أن يخلق مائة أرض وفلك.
- وذلك القادر يخلق الإنسان متدرجًا، حتى يجعله رجلًا كاملاً في الأربعين.
- مع أنه يستطيع في لحظة واحدة، أن يخلق خمسين شخصًا من العدم.

\* \* \*

- خلق الحق مئات الآلاف من الأكسيرات، ولم ير أحد كيمياء مثل الصبر.



- اجعل الصبر قريناً للحق يا فلان، ثم اقرأ آخر سورة ﴿وَالْعَصْرِ﴾.

\*\*\*

- الصبر يحقق الآمال وليست العجلة، فاصبر والله أعلم بالصواب.

- قال الرسول ﷺ: لم ينعم الله بالإيمان، على من لا يتحلى بالصبر<sup>(١١٠)</sup>.

\*\*\*

## التوكل

التوكل مقام رفيع عند الصوفية، لا يدركه سوى الخواص من العارفين؛ لأنه كلما ازداد الإنسان معرفة بربه، ازداد اعتماده عليه، فيرى كل شيء صادراً منه، ولا فاعل سواه، وقد أمر الله تعالى بالتوكل، وجعله مقروناً بالإيمان.

يقول تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١١١)</sup>.

ويقول عز وجل: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾<sup>(١١٢)</sup>.

ويقول جل وعلا: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١١٣)</sup>.

ويقول عز من قائل: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾<sup>(١١٤)</sup>.

وغيرها من الآيات البينات.

## والتوكل عند الصوفية درجات:

١ - الدرجة الأولى منها: أن يكون حال المتوكل من الثقة بالله كحاله في الثقة بالوكيل، وهو ما اعتبروه توكل المؤمنين. وقد عبر عنه أبو تراب النخشي، حين سُئل عن التوكل بقوله: إنه طرح البدن في العبودية، وتعلق القلب بالربوبية، والطمأنينة إلى الكفاية، فإن أُعطي شكر، وإن مُنع صبر راضياً، موافقاً للقدر.

٢ - الدرجة الثانية: وهي أقوى، أن يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل مع

أمه، لا يفزع إلى أحد سواها، وهو توكل أهل الخصوص. وقد عبروا عنه بأن من توكل على الله لغير الله، لم يتوكل على الله في توكله، حتى يتوكل على الله بالله لله، ويكون متوكلاً على الله في توكله لا لسبب آخر.

٣ - والدرجة الثالثة: وهي أعلاها، أن يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكناته مثل الميت بين يدي الغاسل، لا يفارقه إلا في أنه يرى نفسه ميتاً تحركه القدر الأزلية. وهو توكل خصوص الخصوص. وقد عبر عنه الشبلي بقوله: أن تكون لله كما لم تكن، ويكون الله تعالى لك كما لم يزل. وفي قول آخر. هو الإيواء لله وحده في جميع الأحوال<sup>(١١٥)</sup>.

وتزخر كتب التصوف بقصص وحكايات لا حصر لها عن التوكل، بالغوا في أغلبها أيما مبالغة، وربما كان التوكل ومبالغات الصوفية فيه والفهم الخاطئ له من قبل البعض، هو ما أضفى على التصوف سلبيات مثل وجود عدد كبير من الزهاد أقوياء الأجسام اتخذوا من التوكل ذريعة للعيش عن طريق الصدقات. إلا أن المعتدلين من الصوفية قالوا: إن التوكل لا يعني ترك الكسب بالبدن، وترك التدبير بالقلب، والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة، فإن ذلك حرام في الشرع، فالشرط في التوكل هو الاعتماد على فضل الله تعالى لا على الأسباب<sup>(١١٦)</sup>. وفي هذا الصدد يذكرون حديث الرسول ﷺ: (جاء رجل على ناقة له فقال: يا رسول الله أدعها وأتوكل؟ فقال: «اعقلها وتوكل»)<sup>(١١٧)</sup>.

وسعي الإنسان لا يتنافى مع توكله، وفي هذا يقول القشيري: التوكل محله القلب، والحركة بالظاهر لا تنافي التوكل بالقلب، بعدما تحقق العبد أن التقدير من قبل الله تعالى، فإن تعسر شيء فبتقديره، وإن اتفق شيء فبتيسيره.

وتتعدد وتنوع تعريفات التوكل حيث يعبر كل تعريف عن تجربة خاصة أو عن رؤية عامة: أبو علي الدقاق: للمتوكل ثلاث درجات: التوكل ثم التسليم ثم التفويض، فالمتوكل يسكن إلى وعده (أي بلا تعلق بغيره)، وصاحب التسليم يكتفي بعمله،

وصاحب التعويض يرضى بحكمه. والتوكل بداية، والتسليم واسطة، والتفويض نهاية. والتوكل صفة المؤمنين والعوام، والتسليم صفة الأولياء والخواص، والتفويض صفة الموحدين وخواص الخواص<sup>(١١٨)</sup>.

أبو بكر الدقاق: التوكل رد العيش إلى يوم واحد، وإسقاط هم غد.  
رويم: التوكل الثقة بالوعد.

ذو النون: التوكل ترك تدبير النفس، والانخلاع من الحلول والقوة.  
الجنيد: التوكل اعتماد القلب على الله تعالى<sup>(١١٩)</sup>.

### من أشعار المولوي عن التوكل :

- قال الجميع: أيها الحكيم المطلع، دع الحذر فليس يغني عن قدر.
- المبالغة في الحذر أمر سيئ وشر، فاذهب وتوكل، فالتوكل أفضل.
- لا تصارع القضاء أيها المتسرع المحتد؛ حتى لا يعاندك القضاء أيضًا.
- يجب أن تستسلم تمامًا لأمر الحق؛ حتى لا يلحق بك غضبه.
- قال: نعم إن كان التوكل مرشدًا، فالأخذ بالأسباب من سنة الرسول أيضًا.
- فقد قال الرسول بصوت مرتفع: اعقلها وتوكل.
- فاصغ إلى ما ساقه الكاسب حبيب الله من رمز، ولا تتوان عن الكسب بسبب التوكل.
- اذهب وتوكل مع الأخذ بالأسباب يا عماه، وجاهد واسع في الكسب لحظة بلحظة.
- جاهد وابذل السعي؛ لتتحرر، وإذا تقاعست عن السعي، فأنت أبله.
- لا يوجد كسب أفضل من التوكل وأي شيء أحب من التسليم.

- ذلك الذي ينزل المطر من السماء، يمكنه برحمته منح الخبز أيضًا.
- إن توكلت، فاقرن التوكل بالعمل، واسع في الكسب، ثم توكل على الجبار.
- هذه الدنيا سجن لنا، ونحن المساجين، فاحفر السجن، وحرر نفسك.
- ما الدنيا؟ إنها الغفلة عن الله، أليست هي الأقمشة والفضة والابن والزوج؟
- فإن اهتممت بالمال من أجل الدين فنعم المال الصالح كما قال الرسول (١٢٠)!

\* \* \*

## المحبة

من أكثر الألفاظ التي تتردد في الشعر الصوفي، المحبة والعشق.  
والمحبة حال يهبها الرحمن لعباده المخلصين، وقد ذكر الله تعالى المحبة في  
عدة آيات:

- يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (١٢١).
  - ويقول عز وجل: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (١٢٢).
  - ويقول عز من قائل: ﴿يُحِبُّهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (١٢٣).
- فذكر في الآية الأولى محبته قبل محبتهم، وفي الآية الثانية ذكر محبتهم له ومحبته  
لهم، وفي الآية الثالثة ذكر محبتهم له.

وقد قسم الطوسي (١٢٤) أهل المحبة إلى:

- ١ - محبة العامة: ويتولد ذلك من إحسان الله تعالى إليهم، وعطفه عليهم.
- وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «جُبِلَتِ القلوب على حب من أحسن إليها،  
وبغض من أساء إليها».

٢ - حب الصادقين والمتحققين: وهو يتولد من نظر القلب إلى غناء الله وجلاله وعظمته وعلمه وقدرته.

وقد عبر عن هذا المعنى أبو الحسين النوري في تعريفه للمحبة فقال: المحبة هي هتك الأستار وكشف الأسرار.

٣ - محبة الصديقين والعارفين: تولدت من نظرهم ومعرفتهم بقديم حب الله تعالى بلا علة، فكذاك أحبوه بلا علة.

وعن هذا المعنى يقول ذو النون المصري عندما سُئل: ما المحبة الصافية التي لا كدورة فيها؟ قال: حب الله الصافي الذي لا كدورة فيه. وسقوط المحبة عن القلب والجوارح، حتى لا يكون فيها المحبة، وتكون الأشياء بالله ولله فذلك المحب لله. وعندما يصل العبد إلى الدرجة الثالثة، يصبغه الحب بصفات محبوبه، والتي يجوز للعبد التخلق بها كالرحمة والحلم والصبر... وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى:

«ما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه.. فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها.. وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته».

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: إذا أحب الله -عز وجل- العبد، قال لجبريل: يا جبريل! إنني أحب فلاناً، فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في أهل السماء: إن الله تعالى قد أحب فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء، ثم يضع له القبول في الأرض<sup>(١٢٥)</sup>.

ويرى الغزالي<sup>(١٢٦)</sup> أن أسعد الخلق حالاً في الآخرة أقواهم حباً لله.

أما العشق فهو فرط الحب والمحبة، وللمشايع فيه كلام كثير.

وقد رفضه البعض بالنسبة لله سبحانه وتعالى، وللعبد على السواء. وينقل القشيري<sup>(١٢٧)</sup> عن أبي علي الدقاق قوله:

العشق مجاوزة الحد في المحبة، والحق سبحانه لا يوصف بأنه يجاوز الحد، فلا يوصف بالعشق، فلا يوصف الحق سبحانه بأنه يعشق، ولا العبد بأنه يعشق، ولا سبيل إلى ذلك لا من الحق للعبد، ولا من العبد للحق سبحانه».

وفريق من هذه الطائفة رأوا أنه يجوز على الحق تعالى، ولا يجوز منه تعالى؛ لأن العشق صفة المنع عن المحبوب، والعبد ممنوع عن الحق، والحق تعالى ليس ممنوعاً، فعشق العبد له جائز، ولا يجوز منه للعبد<sup>(١٢٨)</sup>.

وكانت رابعة العدوية - كما مر - أول من تكلم عن الحب والمحبة بالمعنى الصوفي، ثم بدأ استعمال كلمة العشق، وترددت كثيراً مع ظهور المنظومات الصوفية الفارسية الطويلة.

وقد استخدم الصوفية قصص الحب الإنساني، وأسماء المحبين، والمشاعر الإنسانية، وأخضوعها لمعانيهم ورموزهم، واستخدموا نفس اللغة العادية في الحب الإنساني. وقد أحدث هذا نوعاً من الاختلاف في تفسير هذه الأشعار من الناحية الصوفية، كما اعتبر البعض أنها تعكس ميلاً مكبوتاً للنفس التي تريد أن تتخطى الحواجز تحت شعار من التسامي.

### ومن أشعار المولوي عن المحبة:

- بالمحبة يصير المر حلواً، بالمحبة يصبح النحاس ذهباً.
- بالمحبة تصفو الثمالة، بالمحبة تشفى الآلام.
- بالمحبة تصير الأشواك وروداً، بالمحبة يضحى الخل خمراً.

- بالمحبة تصبح المنشقة عرشاً، بالمحبة تصير التعاسة سعداً.
- بالمحبة يصير السجن روضة، وبدون المحبة تصير الروضة جحيماً.
- بالمحبة تصير النار نوراً، بالمحبة يصبح الشيطان حوراً.
- بالمحبة يلين الحجر، وبلا محبة يصير الشمع حديداً.
- بالمحبة يصبح الحزن سروراً، بالمحبة يصير الغول مرشداً.
- بالمحبة يصير السم شهداً، بالمحبة يصبح الأسد فأراً.
- بالمحبة يصبح السقم صحة، بالمحبة يصير القهر رحمة.
- بالمحبة يصير الميت حياً، بالمحبة يصبح الملك عبداً.
- وهذه المحبة تتولد عن العلم أيضاً، فمتى ثم اعتلاء مثل هذا العرش جزافاً.
- وكيف تأتى من العلم عشق غير متكمل، إنه يتأتى ولكن للجماد.
- وعندما شاهد طيف الحبيب على الجماد، سمع من أنينه نداءه للمحبيب (١٣٠).

\* \* \*

## الخوف

الخوف عند الصوفية حال يمر به السالك، له أهمية قصوى في تجلية مرآة قلبه، وفيه تحترق الشهوات، وتتأذب الجوارح، ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة، ويفارقه الكبر والحقد والحسد، ويكون ظاهره وباطنه مشغولاً بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره (١٣١).

وقد استند الصوفية إلى الآيات القرآنية؛ لإثبات فضيلة الخوف. وقد ذكر الله تعالى الخوف، وقرنه بالإيمان في قوله:

﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُواْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (١٣٢).

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ (١٣٣).

﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (١٣٤).

وقد اعتبر الطوسي<sup>(١٣٥)</sup> الآية الأولى: تعبر عن خوف الأجلة، والثانية: تعبر عن خوف الأوساط، وخوفهم من القطيعة واعتراض الكدورة في صفاء المعرفة، أما الآية الثالثة: فتصور خوف العامة، واضطراب قلوبهم مما علموا من سطوة معبودهم.

ومن الأحاديث النبوية التي تحدثت عن الخوف:

«رأس الحكمة مخافة الله».

### والخوف نوعان:

- أن يخاف الإنسان لنفسه.

أن يخاف إجلالاً لله ومقامه.

والنوع الثاني كخوف الملائكة فلا جنة لهم ولا نار ومع ذلك يقول تعالى:

﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ (١٣٧).

وكلما ازداد السالك معرفة بالله، ازداد خوفه منه؛ لأن حال الخوف متولدة من المعرفة. إلا أن الخوف إذا تجاوز حدًا معينًا، يقود إلى القنوط واليأس. والخوف المعتدل ينهي عن المعاصي، ويحضر على الطاعة. لذلك فالخوف يلزمه الرجاء كما قال الرسول ﷺ: لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا.

وقال بعض الصوفية: الخوف والرجاء جناحا العمل لا يطير إلا بهما.

وقال أبو بكر الوراق: الرجاء ترويح من الله تعالى لقلوب الخائفين، ولولا ذلك

لتلفت نفوسهم، وذهلت عقولهم<sup>(١٣٨)</sup>.



## الرجاء

يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ

وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ (١٣٩).

وفي آية أخرى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ (١٤٠).

ويقول عز من قائل: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ

أَحَدًا﴾ (١٤١).

يقول أبو نصر السراج في كتابه اللمع (١٤٢):

الرجاء على ثلاثة أقسام:

رجاء في الله، ورجاء في سعة رحمه الله، ورجاء في ثواب الله.

فالرجاء في ثواب الله وفي سعة رحمته لعبد مريد قد سمع من الله ذكر المنن؛  
فرجاه، وعلم أن الكرم والفضل والجود من صفات الله؛ فارتاح قلبه إلى المرجو من  
كرمه وفضله.

وأما الرجاء في سعة رحمة الله، فيمثله دعاء ذي النون المصري:

اللهم إن سعة رحمتك أرجأ لنا من أعمالنا عندنا، واعتمادنا على عفوك أرجأ  
عندنا من عقابك لنا.

والراجي في الله تعالى: هو عبد تحقق في الرجاء، فلا يرجو من الله شيئاً سوى الله.

وقال ذو النون: بينما أنا أسير في بعض البوادي، إذ لقيتني امرأة، فقالت لي: من  
أنت؟ قلت: رجل غريب. فقالت: وهل يوجد مع الله تعالى أحزان الغربة؟

والرجاء في الله هو رجاء العارف الواصل. وكما يقال إن خلاف الطريقة أن يتمنى  
الأولياء من الله شيئاً سوى الله.

والرجاء تعلق القلب بمحسوب سيحصل في المستقبل. والفرق بين الرجاء والتمني أن التمني يورث صاحبه الكسل، فلا يسلك طريق الجهد والجِد، وبعكسه صاحب الرجاء، فالرجاء محمود والتمن معلول<sup>(١٤٣)</sup>.

### بعض تعريفات الخوف والرجاء:

شقيق البلخي: أصل الطاعة هو الخوف والرجاء والمحبة.  
لقمان لابنه: اخش الله خشية لا تقنط معها من رحمته، وارج الله رجاء لا تكون معه آمناً من مكره.

سهل التستري: الخوف ذكر، والرجاء أنثى، ووليدهما الإيمان.  
سهل التستري: الخوف هو الابتعاد عن المنهيات، والرجاء الإسراع بأداء الأوامر<sup>(١٤٤)</sup>.

### من أشعار الخوف والرجاء عند المولوي:

- إن الزاهد دائم الفكر في النهاية، وعلى أي نحو يكون حاله يوم الحساب.
- والعارفون يدركون البداية، لكن لا شأن لهم بأحوال الآخرة وأهوالها.
- وتردد العارف بين الخوف والرجاء، يزول بسابق معرفته.
- فالعارف هو من تجاوز الخوف والرجاء، وشطر فزعه بسيف الحق.
- كان يتردد بين الخوف من الله والرجاء فيه، فزال الخوف، وثبت الرجاء.
- تجاوز الخوف، وصار كله رجاء، غمرته الأنوار، وصار تابعاً للشمس.
- قال الأنبياء: إن اليأس أمر سيئ، ففضل الله ورحمته بدون حصر.
- لا يليق بكم اليأس من مثل هذا المحسن، فتعلقوا بأهداب رحمته.
- ما أكثر الأمور التي تعقدت في البداية، ثم تيسرت بعد ذلك.
- بعد اليأس تتواتر الآمال، وخلف الظلام توجد شمس كثيرة<sup>(١٤٥)</sup>.

## هوامش القسم الأول

- ١ - د. إبراهيم شتا الدسوقي: التصوف عند الفرس، القاهرة، ١٩٧٨. ص ٤.
- ٢ - أبو القاسم عبد الكريم القشيري: الرسالة القشيرية، القاهرة ١٩٧٢م، ج ٢، ص ٥٥٠.
- ٣ - الصوفية والفقراء، القاهرة ١٤٠٤ هـ، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠م، ص ٢٥.
- ٤ - أبو نصر السراج الطوسي: اللمع، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠م، ص ٤٢، ٤٣.
- ٥ - الصوفية والفقراء، ص ٧.
- ٦ - جامي: نفحات الأنس من حضرات القدس به تصحيح ومقدمه ويوست مهدي توحيدي بور، تهران ١٣٣٧ هـ، ص ٣١.
- ٧ - لويس ماسينيون ومصطفى عبد الرازق: الإسلام والتصوف، الجنة الترجمة دائرة المعارف الإسلامية، القاهرة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م، ص ١٥.
- ٨ - رينولد نيكسون: في التصوف الإسلامي، ترجمة أبي العلا عفيفي، القاهرة ١٣٨٨ هـ. ص ٢٨، ٤١.
- ٩ - أبو الوفا الغنيمي التفتازاني: مدخل إلى التصوف الإسلامي: القاهرة ١٩٩١م، ص ١١، ١٣، ١٢.
- ١٠ - انظر: د. عبد الرحمن بدوي: تاريخ التصوف الإسلامي منذ البداية حتى نهاية القرن الثاني، الكويت، ١٧٦٤، ص ٣١: ٤٣. قاسم غني: تاريخ تصوف دراسلام: تهران چاپ دوم، ١٣٤٠ ص ٣، ٤ - د. أبو الوفا الغنيمي التفتازاني: مدخل إلى التصوف الإسلامي، ص ٢٥: ٣٧.
- ١١ - د. قاسم غني: تاريخ تصوف دراسلام، تهران چاپ دوم، ١٣٤٠، ص ١٤.
- ١٢ - سورة القصص آية ٧٧.
- ١٣ - د. قاسم غني: تاريخ تصوف دراسلام، ص ٤٥: ٥٧.
- ١٤ - كشف المحجوب: ترجمة د. إسعاد عبد الهادي، ج ١ ص ٢٥٩: ٢٢٦، ج ٢، ص ٤٠٣: ٥٠٧.
- ١٥ - العلامة عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ج ٣، القاهرة الطبعة الأولى ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠م، ص ١٠٦٥، ١٠٦٦.

- ١٦ - الطوسي: اللمع: ص ٢٢، ٢٧، ٤٣، ٤٤.
- ١٧ - د. تفتازاني: مدخل إلى التصوف الإسلامي، ص ١٠.
- ١٨ - حقه وقدم له وعلق عليه د. عبد الحليم محمود، ص ٦.
- ١٩ - د. عبد الحليم محمود: ذو النون المصري، القاهرة ١٣٩٣ - ١٩٧٣، ص ١٢، ٢٣.
- نيلسون: في التصوف الإسلامي - الترجمة العربية ص ١٢.
- ٢٠ - في التصوف الإسلامي، ص ٢٣.
- ٢١ - مدخل إلى التصوف الإسلامي، ص ١٢٠.
- ٢٢ - عبد الحسين زرين كوب: پيرنشابور، مجلة سخن دورة هشتم شماره ٨٥٠، ص ٧٥١.
- ٢٣ - لمزيد من المعلومات انظر: ادوارد جرانتيل براون: تاريخ الأدب في إيران من الفردوس إلى السعدي، القاهرة ١٣٧٣ هـ، ١٩٥٤ م، ص ٣٢٤.
- عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران و العراق، القاهرة الطبعة الثانية ١٣٨٠ هـ - ١٩٧٠ م ص ٣٨: ٤٤ - د. عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، الطبعة الرابعة القاهرة ١٩٧٨ م ص ١٦١ - د. حسن أحمد محمود و د. أحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي، الطبعة الخامسة، القاهرة، ٥٥٦: ٥٦٧.
- ٢٤ - مقدمة د. عبد الحليم محمود والدكتور محمد بن الشريف على الرسالة القشيرية القاهرة ١٩٧٢، ج ١. ص ١٤ - ١٨.
- ٢٥ - د. التفتازاني: مدخل إلى التصوف الإسلامي، ص ١٤٩، ١٥٠.
- ٢٦ - نيلسون: في التصوف الإسلامي، الترجمة العربية، ص ٨٤، د. عبد القادر محمود: الفلسفة الصوفية في الإسلامي، القاهرة، ص ٢٠٠، ٢٨٢.
- ٢٧ - د. إسعاد عبد الهادي قنديل: مقدمة كشف المحجوب، ج ١ ص ٧: ٩.
- ٢٨ - إلهي يكتاي بهيمتاي وقيوم وتوانايي، وبرهمه چيز بينايي، ودر همه حال دانايي، واز عيب مصفايي، واز شريك مبرايي. اصل هر دو ايي، داروي دلهايي، شاهنشاه فرمان روايي بتو زيبد ملك خدائي.
- الهي نه محتاج زماني، ونه آرزومند مكاني، نه كس بتوماند، ونه توبكس ماني، پيدااست كله درميان جاني، بلکه جان زنده بچيزيست كه تو آني.
- الهي هر كه تراشناخت وعلم مهرتوا فرخت هر چه غير توبود بينداخت.

- آنکس که ترا شناخت جان را چه کند.

فرزند و عیال و خاندان را چه کند.

- دیوانه کنی هر دو جهانش بخشی.

دیوانه نوهرد و جهانرا چه کند.

- ای عزیز اصل ایمان چهار چیز است: اول خوف، دوم رجا، سیم حب.

- چهارم یقین. اگر خوف نبودی، امن بودی، و ایمن بدون از خدای تعالی کفر.

است. اگر رجا نبودی، نومیدی بودی، و نا امید بودن از رحمت خدا کفر است. اگر حب نبودی، بغض بودی، و خدا را دشمن کفر است. اگر یقین نبودی، شک بودی، در خدا شک کردن کفر است. هر که از سه چیز رسته است از همه بلاها جسته است، از غم حسد و از عذاب حرص و از بیم درویشی. چهار چیز مکن که نشان بدبختی است ناشکری در نعمت، و بی رضایی در قسمت، و کاهلی در خدمت بیحرمتی در صحبت.

|                              |                              |
|------------------------------|------------------------------|
| یارب ز شراب عشق سرمستم کن    | در عشق خودت نیست کن وهستم کن |
| از هر چه عشق خود تهی دستم کن | یکباره به بند عشق پابستم کن  |

\*\*\*

|                               |                              |
|-------------------------------|------------------------------|
| ای واقف اسرار ضمیر همه کس     | در جالت عجز دستگیر همه کس    |
| از هر گنهم توبه ده و عذر پذیر | ای توبه ده و عذر پذیر همه کس |

\*\*\*

|                            |                              |
|----------------------------|------------------------------|
| آن کس که ببندگی قرارش باشد | بانیک و بدخلق چه کارش باشد   |
| گر بنده اختیار در بانی کن  | آن خواجه بود که اختیارش باشد |

\*\*\*

|                             |                             |
|-----------------------------|-----------------------------|
| دانی که ترا عشق چه میفرماید | گر نفس و هوارا بکشی میشاید  |
| در بند هوای نفس اماره مباش  | تا بر تو در صفای دین بگشاید |

\*\*\*

|                             |                             |
|-----------------------------|-----------------------------|
| دانی که ترا عشق چه میفرماید | گر نفس و هوارا بکشی میشاید  |
| در بند هوای نفس اماره مباش  | تا بر تو در صفای دین بگشاید |

\*\*\*

درویش بروحق عبادت بگذار  
آی آنکه توانگری و نعمت داری

شکر کرشم در همه ساعت بگذار  
شکرانه نعمتش بطاعت بگذار

\*\*\*

اونيك و بد مرا نكو ميداند  
توينده بانياز او بنده نواز

تو خواه مگو خواه بگو ميداند  
گرمي كشدومي كشد او ميداند

\*\*\*

ياد تو انيس خاطر غمگينم  
بر ياد تو فرياد تو در ام شب و روز

بي ياد تو من هيچ گهي ننشيم  
شمع غم تست بر سر بالينم

\*\*\*

ماراسر و سوداي كس ديگر نيست  
جز تو دگري جاي نگیرد در دل

در عشق تو پرواي كس ديگر نيست  
دل جاي توشد جاي كس ديگر نيست

\*\*\*

هر روز من از روز پسين ياد كم  
از ترس گناه خود شوم غمگين باز

بر درد گنه هزار فرياد كنم  
از رحمت او خاطر خود شاد كنم

\*\*\*

با خلق ميآمیز که مغرور شوي  
با خلق جهان مگو تو راز دل خویش

در خلق بماني و از آن دور شوي  
در مان نتواند و تو رنجور شوي

\*\*\*

باصنع توهر مورچه رازي دارد  
اي خالق ذو الجلال نو ميده مكن

باشوق توهر سوخته رازي دارد  
آنرا كه بدر گهت نيازي دارد

\*\*\*

گشتم بهوس گرد بدونيك بسي  
تاميماند ز عمر يارب نفسي

حاصل نشداز عمر مرا جز هوسي  
درياب كه نيست جز تو فرياد رسي

\*\*\*

|                        |                                   |
|------------------------|-----------------------------------|
| رنج مردم از سه چیز است | از وقت بیش می خواهند              |
| واز قسمت بیش می خواهند | وازان دیگران از آن خویش می خواهند |

\* \* \*

|                                  |                             |
|----------------------------------|-----------------------------|
| باده حق اگر توراضی باشی          | از همچه ولی کی متقاضی باشی  |
| راضی شو و خوش باش که یک هفته دور | مستقبلی آید که تو ماضی باشی |

\* \* \*

|                             |                             |
|-----------------------------|-----------------------------|
| تادر ره عشق او مجرد نشوی    | هرگز ز خودی خویش بیخود نشوی |
| دنیا همه بندتست بر درگاه او | در بند قبول باش تارد نشوی   |

مناجات خواجه عبد الله نصاری: بله تمام جواد شریفی ص ۱۰: ۶۱

|                                  |                            |
|----------------------------------|----------------------------|
| ۲۹ - بیا تا دست ازین عالم بداریم | بیا تا پای دل از گل بداریم |
| بیا تا برد باری پیشه سازیم       | بیاتا تخم نیکوئی بکاریم    |

\* \* \*

|                            |                            |
|----------------------------|----------------------------|
| دلا غافل ز سبحانی، چه حاصل | مطیع نفس شیطانی، چه حاصل   |
| بود قدر تو افزون از ملائک  | توقدر خود نمیدانی، چه حاصل |

\* \* \*

|                             |                        |
|-----------------------------|------------------------|
| بی ته گلشن چو ز ندانه بچشمم | گلستان آذرستانه بچشمم  |
| بی ته آرام و عمر و زند گانی | همه خواب پریشانه بچشمم |

\* \* \*

|                          |                         |
|--------------------------|-------------------------|
| دل مویی تو دایم بی قراره | بعجز آزار مو کاری نداره |
| دردش بر سرزنه چون بدخو   | زهجر روزشو اینش نداره   |

\* \* \*

|                          |                             |
|--------------------------|-----------------------------|
| بیا جانا دل بردرد من بین | سرشک سرخ و رنگ زرد من بین   |
| غم مخوری و درد صبوری     | بیا بر جان غم پر درد من بین |

\* \* \*

جدا از رویت ای ماه دل افروز  
وصالت گر مرا گردد میسر

نه روز از شب شناسم نه شب از روز  
بود هر روز من چون عید نوروز

\*\*\*

سرم بالین تنم بستر نداره  
نهد دور از تو هر کس سر بالین

بجز شور غمت در سر نداره  
الهی سرز بالین بر نداره

\*\*\*

خدایا داد از ایندل داد از این دل  
چو فردا داد خواهان داد خواهند

که یکدم مونگشتم شاد از این دل  
بگیرم صد هزاران داد از این دل

\*\*\*

فلک کی بشنود آه و فغانم  
یک عمری بگذرانم باغم و درد

بهر گردش زند آتش بجانم  
بکام دل نگرده آسمانم

\*\*\*

ندونی آئی فلک که مستمندم  
بیک گردش که میگردی بینی

وامو بر بدمکه که درسندم  
چورشته مو بسامانت ببندم

\*\*\*

موکه مست از می انگور باشم  
موکه از آتش گرمی نوینم

چرا از نازنینم دور باشم  
چرا از دور محنت کور باشم

\*\*\*

غمم بی حد و دردم بی شماره  
خدواندا ندونه ناصح مو

فغان کاین چاره وردمون نداره  
که فریاد دلم بی اختیاره

\*\*\*

دلا اصلا ترسی از ره دور  
دلا اصلا نمی ترسی که روزی

دلا اصلا ترسی از ته گور  
شوی بنگاه مار و لانه مور

\*\*\*



بوره بوره که جانانم تویی تو  
تو خود ذونی که غیر از تو ندونم

\*\*\*

حرامم بی تو بو آلاله و گل  
حرامم بی اگر بی تو نشینم

\*\*\*

چرا آزاده حالی ایدل ایدل  
مدام اندر خیالی ایدل ایدل

\*\*\*

اگر شیري اگر بيري اکر گور  
سرانجامت بود جا در ته گور

\*\*\*

غم عشقت ز گنج رایگان به  
کفی از خاک کویت در حقیقت

\*\*\*

بوره بوره که دیدار ته وینم  
گل و سنبیل ز دیدار ته چینم

\*\*\*

الهي آتش عشقم بجان زن  
شرر زان شعله ام براستجوان زن

\*\*\*

مکن کاری که در یا سنگت آیو  
چو فردا نامه خواهون نامه خواهند ترا از نامه خواندن تنگت آیو

\*\*\*

دلي ديرم چو مرغ پاشکسته  
همه گویند که طاهر تار بنواز  
تار: آله وترية فارسية

\*\*\*

درخت غم بجانم کرده ریشه  
عزیزون قدر یکدیگر بدانید  
بدرگاه خدا نالم همیشه  
اجل سنگ است و آدم مثل شیشه

\*\*\*

شب تاریک و سنگستان و مومست  
نگهدارنده اش نیکو نگهداشت  
قدح ازدست موافتا و شکست  
و گرنه صد قدح نفتاده بشکست

\*\*\*

بروی ماهت ای ماه ده و چهار  
بجز عشقت خیالی در دلم نی  
به سرو قدت ای زبینه رفتار  
به دیاری نبودجز تو سروکار

\*\*\*

به سر غیر تو سودائی ندارم  
خدا دونه که در بازار عشقت  
بدل چر تو تمنائی ندارم  
بجز خون، هیچ کالائی ندارم

\*\*\*

بوره ای روی ته باغ و بهارم  
خدا دونه که در دنیا ی فانی  
خیالت مونس شبهای تارم  
به غیر عشق ته کاری ندارم

\*\*\*

به صبحرا بنگرم صحرا ته وینم  
بهرجا بنگرم کوه و در و دشت  
بدریا بنگرم دریا ته وینم  
نشان از قامت رعنا ته وینم

\*\*\*

هر که دردی نداره مرده اولی  
سحر بلبل زنه آوا به گلبن  
دل بی درد و عشق افسرده اولی  
که هر که عشق نداره مرده اولی

نصیب کس بنو درد دل مو      که بسیاره غم بی حاصل مو  
کسی بوازغم ودردم خبر دار      که داره مشکلی چون مشکل مو

\*\*\*

یکی درد و یکی درمون پسند      یکی وصل و یکی هجرون پسند  
مواز درمون و درد ووصل و هجرون      پسندم آنچه راجانون پسندد  
سوته دل سخن می گوید: تألیف محمد مهررئوفی، ص ۶۰، ۱۵۵.

۳۰ - انظر: د. محمد موسی هنداوي، سعدي الشيرازي شاعر الإنسانية، بيروت ۱۹۶۷ م، ص ۲۹۳ - ۲۹۸ - مقدمة مهدي توحيدى پور علي نفحات الأنس لجامي ص ۱۳۵ - نيكولسون: في التصوف الإسلامي وتاريخه، ترجمة أبي العلا عفيفي، ص ۹۰، أسد الله خاوري: نفوذ تصوف در ادب فارسي: سه گفتار در زمینه ادب و تاريخ ايران، انتشارات دانشگاه تهران، ص ۷۳.

۳۳ - انظر براون: تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي: ترجمة د. إبراهيم الشواربي، القاهرة، ص ۳۳۴.

نفيسي: سرچشمه تصوف در ايران، تهران، ص ۴۶.

محمد معين مزديسنا وتأثير آن در ابيات پارسي، ص ۴۹۹.

۳۴ - نيكولسون: في التصوف الإسلامي وتاريخه، ترجمة أبي العلاء عفيفي، ص ۹۱، ۹۲.

۳۵ - لعل أبرضا رسالة الدكتوراه للدكتور إبراهيم شتا عن حديقة الحقيقة وشرعية الطريقة لسنائي الغزنوي.

انظر: براون: تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، ترجمة د. إبراهيم الشواربي، القاهرة ۱۳۷۳ هـ - ۱۹۵۴ م، ص ۳۹۸ - د. رجاء عبد المنعم جبر: الحكاية والتمثيل في حديقة سنائي، الكويت ۱۹۸۲ م، ص ۲۹.

۳۶ - مکن درجسم وجان منزل که این دون است وآن والا

قدم زين هردو بيرون نه نه اينجباباش ونه آنجا

بهرچ ازراه دورا فتي چه كفر قرآن حرف وچه ايمان

بهرچ ازدوست واماني چه زشت آن نقش وچه زبیا

گواه رهرو آن باشد که سردش يابي ازدوزخ

نشان عاشق آن باشد که خشکش بيني ازدريا

عجب نبود گراز قرآن نصیبت نیست جز نقشی  
که از خورشید جز گرمی نیابد چشم نابینا  
بمیر ایدوست پیش از مرگ اگر می زندگی خواهی  
که ادیس از چنین مردن بشهتی گشت پیش از ما  
\* \* \*

گرت سودای آن باشد کرین سودا برون آئی  
زهی سودا که خواهی بافت فردا از چنین سودا  
سر اندر راه ملکی نه که هر ساعت همی باشی  
توهم چون کوی سر گردان وره چون پهنه بی پهنه  
گراز آتش همی ترسی بمال کس مشوغره  
که اینجا صورتش مالست و آنجا شکش از درها  
گرا مروز آتش شهوت بکشتی بیگمان رستی  
و گر نه نف این آتش ترا هیزم کند فردا  
\* \* \*

دل تاجی درین زندان فریب این و آن بینی  
یکی زین چاه ظلمانی برون شوتاجهان بینی  
جهانی کاندرو هر دل که یابی پادشا یابی  
جهانی کاندرو هر جان که بینی شادمان بینی  
دور گرجامه دوزی ز فضلش آستین یابی  
درو گر خانه سازی ز عدلش آستان بینی  
نه بر اوج هوا اورا عقابی دل شکر یابی  
نه اندر قعر بحر او را نهنگی جان ستان بینی  
امامت گرز کبر و حرص و بخل و کین برون ناید  
بدوزخ دانش از معنی گرش در گلستان بینی  
\* \* \*

جانا بجزاز عشق تو دیگر هوسم نیست

سو گند خورم من که به جای تو کسم نیست

امروز منم عاشق بی مونس و بی بار

فریاد همی خواهم و فریاد رسم نیست

در عشق نمی دانم درمان دل خویش

خواهم که کنم صبر ولی دسترسم نیست

خواهم که به شادی نفسی باتو برآرم

از تنگد جانای جای نفسم نیست

هر شب به سرکوی تو آیم متواری

بابدرقه عشق تو بیم عسسم نیست

گویی که طلبکار دگر یاری رورو

آری صنما محنت عشق تو بسم نیست

نمونه غزل فارسی باهتتام د. زهرا خانلری، چاپ چهارم تهران ۱۳۵۳ ص ۵ - د. قاسم غنی  
بحث در آثار و افکار و احوال حافظ، چاپ دوم، تهران ۱۳۴۰، ص ۵۸۶، ۵۸۷، ۵۹۸.

۳۷ - انظر سعید نفیسی: جستجو در احوال و آثار تاریخی فرید الدین عطار نیشابوری، تهران  
۱۳۲۰، ص ۱۳۴، ۱۳۵.

۳۸ - انظر: شرح احوال و نقد و تحلیل آثار شیخ فرید الدین محمد عطار نیشابوری، چاپ دوم  
تهران ۱۳۵۳، ص ۵۱.

۳۹ - ریپکا: تاریخ ادبیات در ایران، ترجمه عیسی شهابی، تهران ۱۳۵۴، ص ۳۶۹.

۴۰ - بدیع الزمان فروزانفر: شرح احوال و نقد و تحلیل آثار فرید الدین محمد عطار نیشابوری،  
ص ۵۲.

۴۱ - انظر: آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام،  
ترجمة محمد عبد الهادي أو ريده ج ۲، ص ۱۰۹ وما يليها، ابن الجوزي القصاص والمذكرين،  
تحقيق أبو هاجر محمد السعيد الطبعة الأولى بيروت ۱۴۰۶ هـ، ص ۱۱ وما يليها - ۱۹۸۶ م، د.  
وديع طه النجم: القصص والقصاص في الأدب الإسلامي، الكويت ۱۹۷۲ م، ص ۳۹ وما يليها.

۴۲ - القصاص والمذكرين، ص ۹۴، ۹۵.

۴۳ - د. خوان أویان: القصة في الأدب العربي، مقالة بمجلة المتمدني، السنة الأولى، العدد الثاني، القاهرة ۱۹۷۸، ص ۱۲۷، ۱۲۸.

۴۴ - تذكرة الأولياء: بسعی واهتمام رنولد آلن نیکلسون، لیدن ۱۳۲۲ هـ، ۱۹۰۵ م، ص ۳ ج ۱.

۴۵ - انظر: د. عنایة الله إبلاغ الأفغاني: جلال الدين الرومي بين الصوفية وعلماء الكلام، ص ۱۲۳ القاهرة ۱۴۰۷ هـ، ۱۹۷۸ م

۴۶ - بديع الزمان فروزانفر: رسالة در تحقیق أحوال زندگاني في مولانا جلال الدين محمد مشهور بمولوي، چاپ سوم تهران، ۱۳۵۴، ص ۱۵.

۴۷ - د. عبد الحسين زرین کوب: جستجو در تصوف ایران، تهران ۱۳۶۳، ص ۲۷۳.

۴۸ - انظر: د. عبد الحسين زرین کوب: جستجو در تصوف ایران، ص ۲۹۲ - د. ذبیح الله صفا: تاریخ ادبیات در ایران، جلد سوم، بخش اول، ص ۴۵۶.

|                                     |                            |
|-------------------------------------|----------------------------|
| ۴۹ - اهل صیقل رسته اند از بوي و رنگ | هردمي بینند خوبي بي درنگ   |
| نقش و قشر علم را بگذاشتند           | رایت عین الیقین افراشتند   |
| رفت فکر و روشنائی یافتند            | برو بحر آشنائی یافتند      |
| مرگ کروزې جمله اندرو حشتمند         | میکنند آن قوم بروي ریشخند  |
| کس نیابد دل ایشان ظفر               | چون صدف گشتمند ایشان برگهر |
| گرچه نحو وفقه رایگذاشتند            | لیک بحر و فقر وابر داشتند  |

\*\*\*

|                                            |                                              |
|--------------------------------------------|----------------------------------------------|
| طیب درد بن درمان کرامست                    | رفیق راه بي پابان کدامست                     |
| چراغ عالم افروز مخلد                       | که نه کفر است و نه ایمان کدامست              |
| پراز در است بحر لا مکانی                   | درویش گوهر انسان کرامست                      |
| جه تد بیراي مسلمانان که من خود را نمیدانم  | نه ترساو یهودیم نه گبرم نه مسلما نم          |
| مه شرقیم نه غربیم نه بریم نه بحریم         | نه از کان طبیعیم نه از افلاک گردانم          |
| نه از خاکم نه از بادم نه از آیم نه از آتش  | نه از عر شم نه از فرشم نه از کونم نه از کانم |
| نه از دنیی نه از عقبی نه از جنت نه از دوزخ | نه از آدم نه از حوا نه از فردوس رضوانم       |

|                                           |                                            |
|-------------------------------------------|--------------------------------------------|
| مکانم لا مکان باشد نشانم بی نشان باشد     | نه تن باشد نه جان باشد که من از جان جانانم |
| دوئی از خود برون کردم یکی دیدم دو عالم را | یکی جویم یکی گویم یکی دانم یکی خوانم       |
| هو الأول هو الآخر هو الظاهر هو الباطن     | بغیر از هو ویا من هو دگر چیزی نمیدانم      |
| اگر در عمر خود روزی دمی بی او بر آوردم    | از آن وقت واز آن ساعت ز عمر خود پشیمانم    |

\* \* \*

|                              |                              |
|------------------------------|------------------------------|
| در حدیث آمد که یزدان مجید    | خلق عالم راسه گونه آفرید     |
| یک گره راجمله عقل و علم وجود | آن فرشته است و نداند جز سجود |
| نیست اندر عنصرش حرص و هوا    | نور مطلق زنده از عشق خدا     |
| یک گروه دیگر از دانش تهی     | همچو حیوان از علف در فر بهی  |
| او نبیند جز که اصطبل و علف   | از شقاوت غافل است و از شرف   |
| زان سیم هست آدمیزاد و بشر    | از فرشته نیمه و نیمش زخر     |
| نیم خرو خود مایل سفلی        | نیم دیگر مایل علوی شود       |

\* \* \*

|                             |                             |
|-----------------------------|-----------------------------|
| گفت دنیا لعب ولوا است و شما | کودکید و راست فرماید خدا    |
| جنگ خلقن همچو جنگ کودکان    | جمله بیمعنی و بی مغز و مهان |

\* \* \*

|                              |                                |
|------------------------------|--------------------------------|
| پرورد بنار و نعمت آندوست مرا | بردوخت مرقع از رگ و پوست مرا   |
| تن خرقه و اندروا دل ما صوفی  | عالم همه خانقاه و شیخ راست مرا |

\* \* \*

|                             |                             |
|-----------------------------|-----------------------------|
| جز عشق نیود هیچ دمساز مرا   | نی اول و نی آخر و آغاز مرا  |
| جان میدهد از درونه آواز مرا | کای کاهل راه عشق در باز مرا |

\* \* \*

|                                  |                                      |
|----------------------------------|--------------------------------------|
| از کفر و ز اسلام برون صحرائی است | مارا بمیان آن فضا سودائی است         |
| عارف چو بدان رسید سر را بنهد     | نه کفر و نه اسلام و نه آنجا جائی است |

\* \* \*

در مطبخ عشق جز نکورا نکشند  
گر عاشق صادقی زکشتن مگریز

لا غر صفتان زشت خورا نکشند  
مردار بودهر آنکه اورانکشند

\*\*\*

اسرار حقیقت نشود حل بسؤال  
تادیده ودل خون نشو دینچه سال

نی نیزبدر باختن حشمت و مال  
ازقال کسی رانبود راه بحال

\*\*\*

من دردتر ازدست آسان ندهم  
ازدوست بیادگار دردی دارم

دل برنکنم ز دوست تاجان تدهم  
کان درد بصدد هزار درمان ندهم

\*\*\*

ازیاد خدای مرد مطلق خیزد  
ابن باطن مردان که عجایب بحری است

بنگر که زنور حق چه رونق خیزد  
چون موج زند ازآن انا الحق خیزد

\*\*\*

ای اهل صفا که درجهان گردانید  
آتراکه شما دراین جهان جویانید

ازبهر بتی چرا چنین حیرانید  
درخود چو بجوید شما خود آنید

\*\*\*

تابنده زخود فانی مطلق نشود  
توحید حلول نیست نابودن تواست

توحید به نزد او محقق نشود  
ورنه بگزاف باطلی حق نشود

\*\*\*

طبعی نه که بادوست در آمیزم من  
دستی نه که باقضا در آویزم من

عقلی نه که ازعشق بپرهیزم من  
پائی نه که ازمیانه بگریزم من

\*\*\*

ایدل تودمی مطیع سبحان نشدی  
صوفی وفقه وزاهد ودانشمند

وزکار بدت هیچ پشیمان نشدی  
این جمله شدی ولی مسلمان نشدی

\*\*\*



عاشق شودی ای دل وزجان اندیشی      دزدی کنی وز باسبان اندیشی  
دعوت محبت کنی ای بی معنی      وانکه ز زبان این و آن اندیشی

\*\*\*

اندر دل من درون و بیرون همه اوست      اندر تن من جان و رگ و خون همه اوست  
اینجای چگونه وایمان کنجد      بیچون باشد وجود من چون همه اوست

\*\*\*

گفتند که شش جهت همه نور خداست      فریاد ز خلق خاست کان نور کجاست  
بیگانه نظر کرد بهر سو چپ و راست      گفتند دمی نظر بکن بی چپ و راست

\*\*\*

مارابجز این زبان زبانی دگراست      جز دوزخ و فردوس مکانی دگراست  
آزاده دلان زنده بجان دگر اند      آن گوهر پاکشان زکانی دگراست

\*\*\*

انظر: خلاصهٔ مثنوی باهتمام آفای بدیع الزمان فروزانفر تهران ۱۳۲۱ ص ۶۳، ۶۴ - د. قاسم غنی: تاریخ تصوف در اسلام ص ۱۸۲، ۶۲۸، ۴۱۱، ۶۰۷، ۶۱۰، ۶۰۸، ۶۰۹، ۶۱۱.  
۵۰ - انظر عامر النجار: الطرق الصوفية، القاهرة ۱۹۷۸ - د. التفتازاني: مدخل إلى التصوف الإسلامي، ص ۲۴۳.

۵۱ - مدخل إلى التصوف الإسلامي، ص ۱۸۷.

۵۲ - د. عبد القادر محمود: الفلسفة الصوفية في الإسلام، القاهرة، ص ۴۵۹.

۵۳ - آسین بلائیوس: ابن عربی، ترجمة د. عبد الرحمن بدوی، الكويت، بیروت ۱۹۷۹، ص ۵، ۹، ۲۹.

۵۴ - مقدمة أبي العلا على فصوص الحکم، ص ۸ وما بعدها.

۵۵ - د. عبد القادر محمود: الفلسفة الصوفية في الإسلام، ص ۵۱۹، ۵۲۰.

۵۶ - د. عبد القادر محمود: الفلسفة الصوفية في الإسلام، ص ۵۷۷، وما يليها، عبد الكريم الجيلي، الإنسان الكامل، ص ۹۷.

۵۷ - ابن عربی: ترجمة د. عبد الرحمن بدوي، ص ۹۷.

۵۸ - لويس ماسينون ومصطفى عبد الرزاق: الإسلام والتصوف، القاهرة ۱۳۹۹ هـ - ۱۹۷۹ م، ص ۴۲.

۵۹ - كشف المحجوب ج ۲ ص ۴۰۹.

۶۰ - السابق، ج ۲ ص ۴۰۹، ۴۱۰.

۶۱ - اللمع: ص ۶۵، ۶۶.

۶۲ - محمد إبراهيم خليل: شرح حال ابن ادهم عارف كردون قباب، كابل ۱۳۸۶ هـ. ق، ص ۱۵.

۶۳ - گزیده تذکره الأولیاء ص ۷۱.

۶۴ - د. قاسم غنی: تاریخ تصوف در اسلام، ص ۲۶۶.

۶۵ - سورة التحريم: آية ۸.

۶۶ - سورة النور: آية ۳۱.

۶۷ - سورة آل عمران: آية ۲۲۲.

۶۸ - القشيري: الرسالة القشيرية، ج ۱ ص ۲۷۶.

۶۹ - القشيري: الرسالة القشيرية، ج ۱ ص ۲۸۱.

۷۰ - سورة النور: آية ۳۱.

۷۱ - سورة ق: آية ۳۳.

۷۲ - سورة ص: آية ۳۰، ۴۴.

۷۳ - الطوسي: اللمع، ص ۶۸.

۷۴ - برسر تختی شنید آن نیکنام طقطقی وهای وهوی شب زبام

کام های تند بر بام سرا گفت باخود ابن چنین زهره کرا

بانگ زد بر روزن قصر او که کیست ابن نباشید آدمی مانا پری است

سرفر و کوند قومی بو العجب ما همی کردیم شب بهر طلب

هین چه میجوید گفتداشتران گفت اشتر بام بر که جست هان

بس بگفتندش که تو بر تخت و جاه چون همی جویی ملاقات اله

\*\*\*

|                              |                                |
|------------------------------|--------------------------------|
| توبه‌ر حالی که باشی می‌طلب   | آب می‌جو دائماً ای خشک لب      |
| کن لب خشکت گواهی می‌دهد      | کوب‌آخر بر سر منبع رود         |
| خشگی لب هست پیغامی ز آب      | که بمات آزد یقین این اضطراب    |
| کاین طلبکاری مبارک جنبشی است | این طلب در راه حق مانع کشی است |
| این طلب مفتاح مطلوبات تست    | این سپاه نصرت و رایات تست      |

\* \* \*

|                             |                               |
|-----------------------------|-------------------------------|
| توبه را از جانب مغرب دری    | باز باشد تاقیامت بر روی       |
| تاز مغرب بر زندسر آفتاب     | باز باشد آن دراز وی سر متاب   |
| همست جنت را ز رحمت هشت در   | یک در توبه است زان هشت ای پسر |
| این همه که باز باشد که فراز | و آن در توبه نباشد جز که باز  |
| هین غنیمت دار در بازاست زود | رخت آنجا کش بکوری حسود        |

د. قاسم غنی: تاریخ تصوف در اسلام، ص ۲۱۸، ۲۱۹، ۲۲۱، ۲۲۲.

۷۵ - سورة البقرة: آية ۱۷۲.

۷۶ - القشیری: الرسالة القشيرية، ج ۱، ص ۳۱۸.

۷۷ - الطوسي: اللمع، ص ۷۱.

۷۸ - ص: ۷۰، ۷۱.

|                                 |                             |
|---------------------------------|-----------------------------|
| ۷۹ - در ورع ثابت قدم باش ای پسر | کر همه خواهی که کردی معتبر  |
| خانه دین گردد آباد از ورع       | لیک می گیرد خرابی از طمع    |
| هر که از علم ورع گیرد سبق       | دور باید بودنش از غیر حق    |
| باورع هر کس که خود را کرد راست  | جنبش و آرامش از بهر خداست   |
| آنکه از حق دوستی دارد طمع       | در محبت کاذبش دان بی ورع    |
| ترسکاری از ورع پیدا شود         | هر که باشد بی ورع رسوا شود  |
| چیست تقوی ترك شهوت حرام         | از لباس و از شراب و از طعام |
| هر چه افزونست اگر باشد حلال     | نزد ارباب ورع باشد وبال     |

حسن اخلاصت ببايد بي خلل

چون ورع شد يار با علم وعمل

پند نامه: ۸۶، ۸۷.

۸۰ - ص ۷۲.

گر چه بيني ظاهرش نقش ونگار

۸۱ - زهر دارد در درون دنيا چومار

ليك از زهرش بود جارا و اخطر

من نمايد خوب و زيبا در نظر

باشد ازوي دور هر كو عاقلست

زهر اين مار منقش قاتلت

چون زنان مغرور رنگ و بو مگرد

همچو طفلان منگر اندر سرخ وزرد

دامن ازوي گرتو در چيني رواست

دل درين دنياي دون بستن خطاست

غافلت آنكس كه پيش انديش نيست

عمر دنيا پنج روزي بيش نيست

دامن صاحب دلان بايد گرفت

ترك لذات جهان بايد گرفت

دوست دار عالم فاني مباحش

در بي لذات نفساني مباحش

عاقبت چون مي ببايد مردنت

نيست حاصل رنج دنيا بردنت

پند نامه، ۲۱، ۲۲، ۲۳، ۲۵.

۸۲ - سورة الأنفال: آية ۲۸.

۸۳ - سورة الحشر: آية ۸.

۸۴ - سورة محمد: آية ۳۸.

۸۵ - إحياء علوم الدين، ج ۴، ۱۸۵، ۱۸۸.

۸۶ - جامي: نفحات الأنس، ص ۱۱۷.

۸۷ - اللمع، ص ۷۳.

۸۸ - الغزالي: إحياء علوم الدين، ج ۴، ص ۱۹۸.

۸۹ - القشيري: الرسالة القشيرية، ج ۲، ص ۵۳۷.

۹۰ - السابق، ص ۶۵.

۹۱ - إحياء علوم الدين، ج ۴، ص ۱۸۶، ۱۹۸، ۲۰۰.

۹۲ - الهجويري: كشف المحجوب ج ۱، ص ۲۱۸، ۲۱۹، الغزالي: إحياء علوم الدين

ج ۴، ص ۱۹۷.

۹۳ - الغزالي: إحياء علوم الدين ج ۴، ص ۲۰۱ - الهجویری: كشف المحجوب ج ۱، ص ۲۲۰، الطوسي: اللمع ص ۵۲۲.

۹۴ - بلکه درویشان و رای ملک و مال روزنی ژرف از ذو الجلال  
حق تعالی عادل است و عادلان کی کنندا استمگری بایبدلان

د. قاسم غنی: تاریخ تصوف الإسلام ص ۲۷۷.

حاش لله بل ز تعظیم شهان که نمودم برفقیران بد گمان  
آن فقیران لطیف خوش نفس کز بی تعظیمشان آمد عبس  
آن فقیری بهره بیچایبچ نیست بل بی آن که بجز حق هیچ نیست

احمد زرازوند: منتخبی از مثنوی معنوی، ص ۸۴.

بگریزاز آن فقیری کو بندلوت باشد ما فقیر معنی چون بایزید باید

علی اصغر حلبی: شناخت عرفان ایرانی، ص ۸۹.

عاشقا نراکار نبود باوجود عاشقا نراهست بی سرمایه سود  
آن فقیری کوز معنی بوی یافت دست ببریده همی زنبیل یافت

مثنوی معنوی، تحقیق نیکلسون، ج ۳، ص ۱۷۱، ۱۷۲.

فقیری وز فقیری این شکفت است که عرش و فرش صیت او گرفتست  
چه باکست از فقیری فقر فخرست که خال الوجه فی الدارین فقرست

العطار: اسرار نامه، بتصحیح د. سید صادق گوهرین، ص ۲۱.

۹۵ - الغزالي: إحياء علوم الدين، ج ۴، ص ۶۰.

۹۶ - سورة النحل: آية ۹۶.

۹۷ - سورة الطور: آية ۴.

۹۸ - سورة البقرة: آية ۱۵۷.

۹۹ - سورة النحل: آية ۱۲۷.

۱۰۰ - د. قاسم غنی، تاریخ تصوف در اسلام، ص ۳۹۷.

۱۰۱ - الغزالي: إحياء علوم الدين ج ۴، ص ۶۸.

۱۰۲ - البقرة: آية ۱۷۷.

۱۰۳ - الغزالي: إحياء علوم الدين، ج ۴، ص ۶۸.

۱۰۴ - سورة النحل: آية ۹۰.

۱۰۵ - الغزالي: إحياء علوم الدين، ج ۴، ص ۶۹.

۱۰۶ - سورة البقرة/ آية ۲۶۴.

۱۰۷ - اللمع: ص ۷۷.

۱۰۸ - سورة الطور: آية ۴.

۱۰۹ - القشيري: الرسالة القشيرية، ج ۱، ص ۴۵۴، ۴۵۸.

|                           |                              |
|---------------------------|------------------------------|
| هست تعجیلت ز شیطان لعین   | ۱۱۰ - تأنی هست ازدیزدان یقین |
| وآن شتاب ازهره شیطان بود  | این تأنی پیرتو رحمان بود     |
| بارگیر صیررا بکشد بقعر    | زاتکه شیطانش بترساندز فقر    |
| لطف رحمان است صبر واحتساب | مکر شیطان است تعجیل وشتاب    |

\*\*\*

|                              |                           |
|------------------------------|---------------------------|
| تابشش روزاین زمین وابن چرخها | با تأنی گشت موجود ازخدا   |
| صد زمین وچرخ آوردی برون      | ورنه قادر بودکز کن فیکون  |
| تاچهل سالش کند مرد تمام      | آدمی را ندك اندك آن همام  |
| از عدم پران کند پنجاه کس     | گرچه قادر بود کاندريك نفس |

\*\*\*

|                           |                            |
|---------------------------|----------------------------|
| کیمیائی همچو صبر آدم ندید | صد هزاران کیمیا حق آفرید   |
| آخر والعصر را آنگه بخوان  | صبررا باحق قرین کن ای فلان |

\*\*\*

|                          |                             |
|--------------------------|-----------------------------|
| صبرکن والله اعلم بالصواب | صبر آرد آرزو را نی شتاب     |
| هرکه رانبود صبوری درنهاد | گفت پیغمبر خداهش ایمان نداد |

د. قاسم غنی: تاریخ تصوف در اسلام، ص ۲۸۴.

۱۱۱ - سورة المائدة: آية ۱۱.

۱۱۲ - سورة الطلاق: آية ۳.

۱۱۳ - سورة المائدة: آية ۳۲.

۱۱۴ - سورة إبراهيم: آية ۱۲.

۱۱۵ - الغزالي: إحياء علوم الدين ج ۴، ص ۲۵۵ الطوسي: اللمع ص ۷۸، ۷۹.

۱۱۶ - الغزالي، إحياء علوم الدين ج ۴ ص ۲۵۹.

۱۱۷ - الرسالة القشيرية: ج ۱، ص ۴۱۷.

۱۱۸ - الرسالة القشيرية: ج ۱، ص ۴۲۲، ۲۲۴.

۱۱۹ - الطوسي: اللمع، ص ۷۸، ۷۹.

۱۲۰ - جمله گفتند ای حکیم باخبر

الحذر دع ليس يغني عن قدر

در حذر شوریدن شور و شراست

رو تو کل کن توکل بهتراست

باقضا پنجه مزن ای تند و تیز

تا نگیرد هم قضا باتوستیز

مرده باید بودیش حکم حق

تانیابد زحمت از رب الفلق

گفت آری گرتوکل رهبراست

این سبب هم سنت پیغمبراست

گفت پیغمبر باآواز بلند

باتوکل زانوی اشتربیند

رمز الکاسب حیب الله شنو

از توکل در سبب کاهل مشو

رو توکل کن باکسب ای عمو

جهد میکن کسب میکن موبمو

جهد کن جدي نما تا وارهي

ورتواز جهدش بمانی ابلهی

نیست کسی از توکل خویر

چیست از تسلیم خود محبوب تر

آنکه اواز آسمان باران دهد

هم تواند کو بر حمت نان دهد

گر تو کل میکنی در کار کن

کسب کن بس تکیه بر جبار کن

این جهان زندان مازندانیان

حفره کن زندان و خود را وارهان

چیست دنیا از خدا غافل شدن

نی قماش و نقره و فرزند وزن

مال را واگر بهردین باشی حمول

نعم مال صالح گفت آن رسول

د. قاسم غنی، تاریخ تصوف در اسلام، ص ۳۱۰، ۳۱۱.

۱۲۱ - المائدة: ۵۴.

۱۲۲ - آل عمران: ۲۱.

۱۲۳ - البقرة: ۱۶۵.

۱۲۴ - اللمع: ص ۸۷: ۸۸.

۱۲۵ - القشيري: الرسالة القشيرية، ج ۱، ص: ۶۱۰، ۶۱۱.

۱۲۶ - إحياء علوم الدين، ج ۴، ص ۳۰۷، ۳۰۸.

۱۲۷ - الرسالة القشيرية، ج ۱، ص ۶۱۵.

۱۲۸ - الهجویری: كشف المحجوب، ج ۲، ص ۵۵۳.

۱۲۹ - إحياء علوم الدين ج ۴، ص ۲۶۶ - ۲۶۷.

|                            |                             |
|----------------------------|-----------------------------|
| از محبت مس هازرين شود      | ۱۳۰ - محبت تلخ ها شیرین شود |
| واز محبت دردها صافی شود    | از محبت دردها صافی شود      |
| واز محبت سرکه هامی می شود  | از محبت خارها گل می شود     |
| واز محبت بار بختی می شود   | از محبت دار تختی می شود     |
| بي محبت روضه گلخن می شود   | از محبت سجن گلشن می شود     |
| از محبت دیو حوری می شود    | از محبت نار نوری می شود     |
| بی محبت موم آهن می شود     | از محبت سنگ روغن می شود     |
| واز محبت غول هادی می شود   | از محبت حزن شادی می شود     |
| واز محبت شیر موشی می شود   | از محبت نیش نوشی می شود     |
| واز محبت قهر رحمت می شود   | از محبت سقم صحت می شود      |
| واز محبت شاه بنده می شود   | از محبت مرده زنده می شود    |
| کی گزافه بر چنین تختی نشست | این محبت هم نتیجه دانش است  |
| عشق زاید ناقص اما بر جماد  | دانش ناقص کجا این عشق زاد   |
| از صغیری بانگ محبوبی شنید  | بر جمادی رنگ مطلوبی چودید   |

د. قاسم غنی: تاریخ تصوف در اسلام، ص ۳۳۳.



- ۱۳۱ - الغزالي: إحياء علوم الدين، ج ۴، ص ۱۵۳.
- ۱۳۲ - آل عمران: آية ۱۷۵.
- ۱۳۳ - الرحمن: آية ۱۴۶.
- ۱۳۴ - النور: آية ۳۷.
- ۱۳۵ - اللمع: ص ۸۹.
- ۱۳۶ - الرعد: آية ۱۳.
- ۱۳۷ - ياسين رشدي: التصوف ماله وما عليه، ص ۱۶۵.
- ۱۳۸ - الطوسي: اللمع، ص ۹۱.
- ۱۳۹ - الأحزاب: آية ۲۱.
- ۱۴۰ - الإسراء: آية ۵۷.
- ۱۴۱ - الكهف: آية ۱۱۰.
- ۱۴۲ - ص ۹۱، ۹۲.
- ۱۴۳ - القشيري: الرسالة القشيرية، ج ۱، ص ۳۵۶.
- ۱۴۴ - د. قاسم غني: تاريخ تصوف در اسلام، ص ۳۰۶.
- ۱۴۵ - هست زاهد را غم پایان کار      تاجه باشد حال او روزشمار  
عارفان ز آغاز گشته هو شمند      ازغم واحوال آخر فارغند  
بود عارف را زغم خوف ورجا      سابقه دانش خورد آن هردورا  
عارف است اوبازرست ازخوف و بیم      های وهو را کرد تیغ حق دونیم  
بودا ورایم و امید از خدا      خوف فانی شد عیان شد آن رجا  
خوف طی شد جملگی امید شد      نور گشت و تابع خورشید شد  
انیا گفتند نومیدی بد است      فضل ورحمتها ی باری بی حداست  
ازچنین محسن نشاید نا امید      دست در فترک این رحمت زنید  
ای بساکارا که اول صعب گشت      بعد از آن بگشاده شد سختی گذشت  
بعد نومیدی بسی امیدها است      ازپس ظلمت بی خورشیدها است
- د. قاسم غنی: تاریخ تصوف در اسلام، ص ۳۴۷، ۳۴۸.



## القسم الثاني

### قراءة في منظومة الهي نامه (\*)

- أولاً: موضوع المنظومة.
- ثانياً: الملامح العامة للقصص الواردة في المنظومة.
- ثالثاً: آراء العطار في المنظومة.



## قراءه في منظومه الهي نامه

### أولاً : موضوع المنظومة

تبدأ منظومة الهي نامه بحديث يوجهه العطار إلى روح الإنسان الكامل، ويرى العطار أن هذه الروح هي نائبة دار الخلافة، وصاحبة الأمر الرباني، والعالم كله منوط بها، ومع ذلك يصعب إدراك كنهها: «إنك لست في السماء ولا في الأرض فأين أنت؟ إنك عند رب العالمين».

ويحدد العطار للروح الخليفة ستة أولاد على النحو التالي:

«واحد نفس مكانه الماديات، وواحد شيطان ينحو رأيه إلى الخرافات، وواحد عقل يناقش المعقولات، وواحد علم يبحث عن المعلومات، وواحد فقر يطلب الأشياء الوهمية، وواحد توحيد يبحث عن الذات الواحدة. وبعد أن ينتهي العطار من حديثه إلى الروح، تأخذ الروح في رقيها إلى الله - عز وجل - وذلك في صورة قصة رمزية تتمثل في أحد الخلفاء وله ستة أبناء، وهم يقابلون الروح بمراتبها الست. وتبدأ المنظومة بأن يجمع الأب أولاده الستة، ويطلب منهم أن يفضوا إليه بمكنون قلوبهم وما يجيش في صدورهم من رغبات وأمان، ليحققها لهم على الفور.

### الولد الأول (أو المرحلة الأولى : عدم التعلق بالماديات) :

يبدأ الابن الأول الحديث، ويطلب من أبيه الزواج من ابنة ملك الجان، ويلح عليه في ذلك، إلا أن الأب رفض طلب ابنه، لأنه يرى أن الشهوة هي المحرك الأول وراء هذه الرغبة فيقول: «كل شخص يتمتع بالرجولة والشهامة، عليه أن يتعد عن هذه الشهوة كلية».

وبعد أن يُقَبَّح لابنه الشهوة، يقص عليه قصة المرأة العفيفة كمثال على مقاومة النفس الإنسانية للشهوات، فهذه المرأة بعد أن سافر زوجها إلى الحج، تعرضت لمحن كثيرة من رجم بالحجارة، إلى بيع لتجار، إلى اتهام بالقتل، وعلى الرغم من ذلك صمدت حتى قابلت زوجها في نهاية الأمر، وجعلت كل من أساء إليها يتوب إلى الله تعالى توبة نصوح، ووضعت بذلك أساسًا مفعماً بالسعادة، وانشغلت بعد ذلك بالعبادة.

وبعد انتهاء الأب من قصته. يمسك الولد بأطراف الحديث، ويثير نقطة جديدة ألا وهي أهمية الزواج من أجل دوام العالم، ويجيبه الأب بأنه لا يرفض ذلك على وجه التحديد، لكنه يريد من ابنه أن يتطلع إلى عوالم الأسرار الأخرى، وأن تهفو نفسه إلى السير في طريق الله.

ويوضح الأب لابنه أن الشهوة مرحلة تصل بالإنسان إلى غايات أسمى وأهداف رفيعة، فيقول: «ولكن عندما تصل الشهوة إلى ذروتها، يتولد منها عشق لا حد له، وعندما يتزايد العشق تظهر المحبة، وعندما تصل المحبة إلى نهايتها تفنى وروحك في المحبوب».

ثم يبدأ الأب في سرد القصص المختلفة؛ ليدعم بها آراءه. فنرى مثلاً تلك المرأة التي عشقت أحد الأمراء، وتدلهت في عشقه، وكانت تلاحقه أينما ذهب، وتحمل كل ألوان العذاب والهوان في سبيل ذلك، نراها تطلب من الملك -عندما أمر بقتلها وهي مقيدة في ساق مهرة- أن يأمر بتقييدها في ساق جواد الأمير، لتكون حية دائماً في هذا الطريق. وهذا هو العشق الحقيقي، فيقول العطار: «تعال أيها الرجل إن كنت رفيقنا، وتعلم العشق الحقيقي من امرأة».

والمقياس الحقيقي للعشق الصادق هو الثبات والاحتمال، مثل المخنث الذي لم يقبل بالسجود للصنم في بلاد الروم، بينما قبل العلوي اعتماداً على الشفاعة، والعالم اعتماداً على علمه الديني.

والعشق يمنح قوة هائلة، تجعل كل الصعاب تهون أمام تحقيق الهدف المنشود، كما عبرت عن ذلك نملة في حديث لها مع سليمان، فهي تحمل التراب من تل كبير على الرغم من ضعفها، وتقول لسليمان: «لا تنظر إلى أساسي وبنيتي، ولكن انظر إلى كمال نيتي».

وبعد أن ينتهي الأب من حكاياته، يطرح الولد قضية أخرى وهي: أهمية الأولاد في الحياة، وبخاصة الولد الصالح، ويحييه الأب ويوضح له أن الأمر ليس بهذه البساطة التي يتصورها، فقبل أن يفكر الإنسان في أن يصبح أبًا، يجب عليه في البداية أن يتخلص من نقائصه: «إن أردت اتباع دين إبراهيم يجب أن تسلم ولدك قربانًا».

ويورد الأب عدة حكايات، ليدلل لابنه على صحة آرائه، فالأب يرى أن البنوة عائق في حياة الدرويش المبتدئ «إن كانت زاهدًا مخلصًا، عندما ترزق بابن، فأنت عريد كامل».

وللابن مطالب واحتياجات جمّة، وكثيرًا ما يحدث في تلبيتها خروج عن مبادئ الطريق. مثل القطعة التي سرقت اللحم من إحدى الخانقاهات من أجل صغارها الثلاثة، على الرغم من حرصها على الأمانة طوال حياتها.

وهكذا فالبنوة أكبر وأثقل قيد في الحياة، أو كما يقول العطار: «لو تقيدت بمائة عالم لن يكون كقيد ولد واحد»، «فمن الصعب على الأب تحمل موت ولده».

والبنوة قيد دنيوي ثقیل، فالابن وإن كان لائقًا كيوسف يبتلى بالسجن والأسر، وإن كان جميلًا مثله، يدمى قلب أبيه عليه كييعقوب.

وعلاقة الأبوة والبنوة تكتنفها صعوبات جمّة «إن تكن ولدًا روحك تحترق في الاهتمام بأبيك، وإن تكن أبًا فأفكارك وآمالك متعلقة بولدك».

والجدير بالإنسان هو العمل في طريق الله، حتى يهبه الله معرفته، ويدخله حجاب الأسرار، ويخفيه عن أعين الناس أجمعين: «ويصله بمقر أسرارهِ وإلى خلوة مشاهدته».

وهذه المرتبة العظيمة لا تتأتى إلا عن طريق القلب المفعم بالخوف والوجل من الله - عز وجل - : «يجب أن يكون القلب باكيًا محترقًا من الحق، وأن يكون اللسان سائلًا عن طريقه خائفًا».

والقلب الوجل هو الذي يستطيع أن ينعم بعناية الله ويتمتع بقربه. وعندئذ يبدأ عمره الحقيقي، مثل المجنون الذي اعتبر اللحظة التي رأى فيها ليلى، تساوي ألف عام، واعتبرها هي عمره الحقيقي.

وبعد أن يتوقف الأب عن سرد حكاياته، يبدأ الولد في الحديث، ويسأل أباه عن ماهية ابنة ملك الجان، وعن سبب حيرته وشوقه إليها.

يبدأ الأب على الفور في تفسير رمزية ابنة ملك الجان، فيقص على ابنه قصة الغلام الذي شغف قلبه بعلم التنجيم، لأن فيه وصفًا لابنة ملك الجان، وقد استطاع هذا الولد بعد أن ادعى الصمم والبكم أن يجد سبيله إلى منزل حكيم مشهور في التنجيم والطب، لم يستطع أحد الوصول إليه أو الوقوف على علمه ومعرفته من قبل، واستطاع الغلام أن يحفظ كتب الحكيم كلها في عشر سنوات، وصار أستاذًا في كل علم. وحدث أن خرج الحكيم لمعالجة أمير المدينة، إلا أنه فشل في نزع ما أصاب رأس الأمير، وفجأة اكتشف أن الغلام يراقبه، وأنه قد نهل علمه كله، فمات على الفور، وبعد أن عالج الولد الأمير، وتقلد منصب الحكيم، استطاع فتح صندوق كان الحكيم حريصًا على إخفائه، ورسم خطأً وجلس في منتصفه، وقرأ العزيمة، وبعد أربعين يومًا ظهرت معشوقته الفاتنة، ثم اتخذت مكانها داخل صدره، فسألها الولد: كيف وجدت السبيل داخلي؟ أجابته الشبيهة بالقمر الحسناء: لقد كنت معك منذ اليوم الأول، أنا نفسك وأنت تبحث عن نفسك، فلماذا لا تنير عقلك؟.

قال لها الولد: إن للنفس شرورًا، فتلك الشؤم حية وكلب وخنزير، وأنت جمال الأرض والسما لا تشبهين بهذا الحسن نفس أي شخص.

والنفس الإنسانية تنقسم إلى صورتين، كما تقول ابنة ملك الجان: إن كنت أماراة



بالسوء، أكن أسوأ من الخنزير والكلب مائة مرة، ولكن عندما أصير مطمئنة، فليس لأحد أن يظن بي تلك الظنون.

ويوضح الأب لابنه أن إسلام شيطان النفس، لا يكون إلا بمجاهدة النفس وكف رعوناتها: «ما أكثر الآلات التي يراها من يريد معرفة سر الروح من الحبيب في هذا السبيل».

والله قريب من عباده أجمعين، ولكن معرفته تتطلب لياقة خاصة، كما يقول العطار على لسان الصوفي الذي عميت عيناه الاثنان من كثرة بكائه بسبب عشقه لابن الوزير: فما يلزمني عينان لا معشوق، فأمام الأعمى يستوي الخالق والمخلوق، كل العالم جمال في جمال، ولكني الأعمى يقول: محال.

والسالك تتعدد أمامه الحجب والستر، حتى يستطيع الوصول إلى معرفة الله:

لا تخطئ الطريق، واعلم يقيناً مثل الرجال، أن للملك دائماً أثواباً متغيرة.

ثم يوضح الأب لابنه أن الله يريد من عبده أن يصل إلى معرفته، مثل السلطان محمود الذي أعطى الشيخ حامل الحطب كيساً به مائة دينار من الذهب، وطلب منه أن يذهب إلى المدينة حيث يوجد ميزان، ويأخذ ثمن الحطب الذي اشتراه منه، ثم يعيد الباقي إلى حاجب السلطان، وفي اليوم التالي عندما ذهب الشيخ إلى البلاط، منحه محمود الذهب كله، فلما سأله الشيخ لماذا لم يهبه له بالأمس؟ قال: «لأنك ناديتني أميراً، ولم تعلم أنني السلطان أيها الشيخ، فود قلبي أن تعرف أنني ملك العالم».

وعندما يصل العبد إلى معرفة ربه، يبدأ عمره الحقيقي، وتصبح اللحظة آنذاك تساوي آلاف القرون، لذلك يقول الأب:

ولأنه يجوز ترك تلك اللحظة، لذلك فآلاف القرون لا توازي شعرة واحدة منها. إن مت منهاكاً هنا عن زمانك تفز بالذوق والعمر الخالد.

## الولد الثاني (أو المرحلة الثانية: تخلص الروح من النوازع الشيطانية):

يبدأ الولد الثاني بأخذ دوره في المناظرة، ويطلب من أبيه تعلم السحر؛ حتى يستطيع أن يفعل كل ما يخطر له، وأن ينفذ كل ما يتمناه قلبه، وهو يعتبر تعلم السحر أسمى هدف يتمناه الإنسان.

ويدرك الأب على الفور أن ابنه واقع تحت تأثير الشيطان، فيقول له: «غلبك الشيطان فرغب قلبك السحر، ولو لم يحدث لك هذا، لما ظهرت هذه الرغبة في قلبك».

فيتحدث الأب عن أهمية البحث عن جوهر الحياة، لا عن المظهر والقدرة على التخفي والظهور بصور متعددة كما يتمنى الولد، وجوهر الحياة هو طريق الدين، ثم الإخلاص في ذلك الطريق إلى أقصى درجة ممكنة، وإلا فإن عبادته تذهب هباء، مثل الخباز الذي هام بشبلي حبًا، رغم أنه لم يره قط، وذات يوم مر شبلي وأخذ رغيفًا، فسحبه الخباز منه، وعندما علم بشخصيته لحق به، إلا أن الشبلي اشترط عليه كي يقبل اعتذاره أن يستضيفه مع جمع من الناس، ونفذ الخباز ذلك وأنفق مائة دينار. وعندما تحلق الجميع الخوان، سأل شخص شبلي عن ماهية النار والجنة، فأجاب شبلي ذلك الرفيق: «إن أردت أن تشاهد الجحيم، انظر إلى صاحب ضيافتنا الذي دعانا من أجل الشهرة، لم يهب رغيفًا من أجل الله، ولكنه أنفق علينا مائة دينار».

وهذه الرغبة في التظاهر توجد في العبادات أيضًا مثل ذلك المصلي الذي ظل ليلة كاملة يؤدي الصلاة في المسجد، وهو يعتقد أن هناك شخصًا يرقب صلاته، وفي الصباح، وجده كلبًا نائمًا.

وهذا التظاهر والرياء والدجل تمارسه الدنيا أيضًا، فهي عجوز شمطاء، ترتدي حجابًا، حتى لا يبتعد الناس عنها، وتلبس ثوبًا متعدد الألوان حتى تأسر الناس بحبها، ويدها ملوثة بالدماء من كثرة الأزواج الذين قتلتهم على مر العصور، ويدها الأخرى

مخضبة بالألوان حتى تخدع الأزواج، وهي تريق الدماء كذلك، ولا شفقة عندها. ويوجد داخل النفس البشرية كلب مسعور، يجب على الإنسان القضاء عليه، ولا يتم ذلك إلا بالسير في الطريق، ولا يتأتى ذلك إلا باتباع شيخ مرشد. وكل من يرهه شيخ، يتحول كل تقصيره إلى كمال وتوقير.

ثم يتوقف الأب عن الكلام، ويبدأ الولد بإثارة نقطة جديدة في مناظرته مع أبيه، وهي فكرة انتهاز الفرص في الحياة الدنيا، وتحقيق جميع الرغبات، ثم التوبة في نهاية العمر.

يرفض الأب هذه الفكرة كلية، لأن دوام الحياة للغد أمر غير مؤكد فيقول له: «أيها المغرور البعيد عن أسرار الحقيقة، لا تضع الحياة اليوم فأنت تعلم أنك لن تبقى غداً».

ويستطرد الأب في حديثه عن السحر، وعدم جدواه، ويوضح لابنه أنه عبث لا طائل تحته، ويمثل له بقصة هاروت وماروت، ويثبت له أن السحر لا يمكنه إبطال قضاء الله وقدره، مثل الشاب الذي طلب من سليمان أن يأمر الريح بحمله إلى بلاد الهند، خوفاً من عزرائيل، ولم يفده ذلك لأن عزرائيل كان لديه أمر بقبض روح ذلك الشاب في بلاد الهند.

وكما شخّص الأب الداء، فهو يصف الدواء، والدواء هو الصبر فيقول لابنه إنه مع شروق الشمس تظهر سبعون سحابة في السبع السيارات: «وكل قلب يمتلئ بالوجل من الحق، تمطر عليه تسع وستون من هذه السحب الآلام والمحن، ولكن كل قلب يمتلئ بالصبر من الحق، تنزل عليه كل السعادة من سحابة واحدة».

وهذه الآلام يجب أن يمر بها السالك، ويجب أن يمتلئ قلبه بالوجد: «كل واحد في الطريق يموت من حب المعشوق فجأة فلا عجب، بل الغريب هو أن ذلك الوجد يترك العاشق حيًا يومًا واحدًا».

والعاشق الحقيقي هو الذي يتحمل الآلام الفعلية في الطريق، كما تحمّل فخر الدين الجرجاني الآلام المبرحة، بعد احتراق غلامه، وكان يجوب الصحراء ليل نهار ويتحدث إلى نفسه.

ويفيض الأب في وصف العشاق الحق، ويمثل لابنه بالحلاج الذي مسح بالدم وجهه وساعديه، عندما قطعوا يده فوق المشنقة، وقال: «من عرف سر العشاق يجب أن يتوضأ لصلاته بالدماء، وإن لم تتوضأ بالدم فصلاتك باطلة».

وهدف العشاق الحقيقي هو الفناء في الله تمامًا، مثل الشخص الذي دخل معبد الأصنام، وسُئل عن هويته، فقال: أنا صديق للإله، فأجلسوه فوق كرسي ذهبي، وصبوا فوق مفرقه زيتًا مغليًا، ثم أحرقوه، ويقول الأب لابنه: «التراب الذي تبقى من رماده دواء لكل داء».

وبعد أن يتوقف الأب عن سرد حكاياته، يجذب الولد أطراف الحديث، ويبدو من كلامه أنه اقتنع بأهمية العشاق، ولكنه يرى أن طريقه وعمر وشاق والوصول إليه وإدراكه غير مؤكد، والمؤكد هو تعلم السحر، فلما لا يتعلمه؟ يرفض الأب هذه المرة أيضًا، لأن ما يطلبه الإنسان يجب أن يتفق مع قدراته، لذلك لا يجب أن يتطلع الإنسان إلى شيء، إلا بعد اكتساب لياقة تناسب هذا الشيء، وإلا فلن يسبب له هذا الأمر سوى الضياع والهلاك، مثل الشخص الذي طلب من عيسى تعلم الاسم الأعظم، ثم دعا الله به ليحيي له بعض العظام الملقاة في الفلاة، فظهر أسد ضخم التهم الرجل على الفور.

ويقول الأب لابنه: «لا يمكن طلب كل شيء طيب من الحق، لا يمكن طلب شيء إلا على قدر الطالب».

ويشرح الأب أن الله جعل فيض عطائه لا حد له، وهو مستغن عن عباده ولكنه -تعالى- يمنح كل فرد على قدر استعدادده وليس على قدر دعائه، مثل النمروذ الذي عرض على الخليل أخذ كنوزه مقابل أن يدعو الله له ليخرج البعوضة من أنفه، فجاء

الهاتف من الحضرة إلى إبراهيم قائلاً: «الإيمان بنا لا يقوم بأي ثمن، وإنما جوهر الإيمان هو العطاء والبذل».

والله هو صاحب القرار، ومُجري الأقدار ومسير الأعمال، ونهاية الإنسان في علمه وحده. كما قال أبو يزيد، وهو يبكي: «لو يعقد هذا الزنار على وسطي، فماذا أفعل، وكيف أتصرف؟ لذلك أبكي».

ومهما فعل الإنسان فلن يغير إرادة الله ولن يبدلها، وذلك من منطلق استغناء الله تعالى، مثل ذلك المجدوب الذي ظل ليلته أمام الكعبة يهدد بتحطيم رأسه إن لم يفتح له الباب، فجاءه الهاتف: «كانت هذه الكعبة ممثلة بالأصنام، فتحطمت كلها داخل الكعبة، فلتحطم أنت صنماً خارجها».

والإنسان كمن أُلقي داخل بحر، ومطلوب منه عدم الابتلال، وهذا الصراع هو سبب الآلام المضنية التي يقاسيها السالك في مجاهدته لذلك البحر الهادر، وهذه المجاهدة واجبة حتى يعرف الإنسان حقيقة نفسه. فيقول الأب لابنه: «وأنت أيضاً لا تعرف نفسك حتى هذه اللحظة، ولكن عندما تُقبض روحك، سوف يتضح لك بكل نفس فيك أنك كنت ميتاً في الحياة».

وبداية المجاهدة تكون بتصفية الباطن من جميع العلائق الدنيوية، بما في ذلك الشغف بتناول الطعام وأكل اللحم، فيكفي تناول ثمرة واحدة في اليوم: «إن تناول كل يوم ثمرة واحدة تسلم من ديدان التابوت».

وحرمة الباطن لها الأولوية في تناول الطعام والسفر والحديث وما إلى ذلك.

وبعد ذلك يجب على الإنسان أن يثق في الله، ولا يفكر في أمسه أو غده، ويعيش مستغرقاً في ذكر الله تعالى: «إن انتهيت من ذكر نفسك، جاز لك أن تذكره، ولكن طالما بقي وجودك أمامك، وذكرته، فأنت تذكر نفسك».

ووجود العاشق مهم للمعشوق: «إذا لم يكن للمعشوق عاشق لما كان جديراً

بالعشق». ونهاية العشق هي اتحاد العاشق والمعشوق.

وبهذا ينتهي الأب من حديثه، ويبدأ الولد بالكلام، فيبدو من حديثه أنه اقتنع بآراء أبيه، ومع هذا فما زال متشوقاً إلى معرفة أمر السحر.

وهنا يفسر الأب السحر على النحو التالي: بعد هبوط آدم وحواء من الفردوس، أودع إبليس ابنه الخناس إلى حواء مرتين، وفي كل مرة يقتله آدم، ويأتي إبليس، وينادي عليه فيجتمع شتاته. وفي المرة الثالثة صنع آدم كلية من الخناس، وأكلها هو وحواء. وعندما جاء إبليس ونادى على الخناس، أجابه الخناس من داخل صدر حواء، فقال إبليس: «كان هدفي دائماً أن أستقر في دخيلة آدم؛ ولأنني نجحت في هذا فسوف يصير ابن آدم محتاجاً إليّ، فأثير حيناً في صدور الناس مئات النزوات بوسواس الخناس، وأجري حيناً في عروقه كالدم، مثيراً في باطنه ألواناً من الشهوات، وفي بعض الأوقات أوجهه إلى الطاعة، ولكن بالرياء لا بالإخلاص، وأزين آلاف الأنواع من السحر حتى أحميد بالناس عن جادة الطريق».

وإبليس بتسلطه على النفس البشرية يؤدي مهمة نبيلة للباري تعالى، وتتمثل حكمة الله في عصيانه: «يقف إبليس على باب الحضرة بصفة دائمة ممسكاً في يده حربة من القهر، وطالما لا تعود منه في البداية لا يمكن الخطو في الطريق الإلهي، وهو على هذا المنوال ليل نهار ليضرب على أيدي المذنبين».

وإبليس مثال للعاشق الصادق، فهو سعيد باللعنة التي اختص بها، لأنها من عند الله.

وينهي الأب حديثه بأن السحر الحقيقي هو إسلام شيطان النفس، ويقول لابنه: «أوضحت لك الآن السحر الحلال، ومنه يتحقق الخلود الكامل لك، ولإمكان الوصول إلى مثل هذا السحر، يجب الارتقاء على هذا النحو، لا الإدبار بتلك الطريقة».

وهكذا ينتهي دور الولد الثاني في المنظومة.

### الولد الثالث : المرحلة الثالثة : تهذيب العقل :

يتقدم الولد الثالث، ويشرح لأبيه الرغبة التي تجتاحه في الحصول على كأس جمشيد؛ ليظهر له العالم عياناً في تلك الكأس، ويستطيع أن يصل إلى المعرفة التي يتوق إليها.

يرفض الأب على الفور فكرة ابنه، لأنه أدرك أن رغبته هذه قائمة على حب الجاه، فيقول له: «لقد تغلب عليك حب الجاه فرغب قلبك في تلك الكأس، حتى إذا ما علمت جميع الأسرار صرت مهيمناً على العالم بأسره».

والجاه يجعل الإنسان يضل الطريق، ويسقط داخل الجب، كما سقط محمود الغزنوي، داخله في المنام، عندما انطلق في طريقه دون أن يلتفت إلى العجوز صاحبة المظلمة.

لذلك فالتعلق بالجاه والمال خطأ كبير: «لماذا تأسر نفسك بالجاه والمال، وتجعلهما رفيقين لك إلى آخر لحظة، إنهما لن يحققا لك شيئاً، فلماذا تخفيهما داخل نفسك كالكفن».

ولماذا يتعلق الإنسان بالجاه، وهو لن يأخذ شيئاً معه، وكل شيء ملك لله وحده، والرغبات الدنيوية البحتة لا بد أن تصل بصاحبها إلى الهلاك. مثل ذلك الملك المنجم الذي علم أنه سيصاب ببلاء في وقت ما، فأقام منزلاً محكماً سد جميع منافذه، فكانت النتيجة أن لفظ أنفاسه مختنقا في ذات الوقت.

ولابد للإنسان أن يسلم أمره للخالق، وأن يتخلص من اعوجاجه، ليستطيع أن يصل إلى هدفه، فالطريق الصوفي يقوم على الاستقامة: «كما تستقيم الألف في الخط الكوفي، هكذا يجب أن يبدو للعين الصوفي» ويعتبر ترك الأسباب كذلك من الأمور المهمة، فجب أن يتكل الإنسان على الله تماماً، مثل شقيق البلخي الذي سافر إلى

البادية وفي جيبه درهم واحد.

وعلى الإنسان أن يتجرد من العلائق الدنيوية حتى يشملها الله بعطفه ورعايته، فالله هو المقدر لكل شيء، وكل ما يجري على الإنسان من خير وشر إنما هو من عند الله: «كل شيء هنا نابع من هناك، الحسن والقبح والإقبال والإدبار من عنده، وقلوبنا أيضًا تنبض من هناك، ليست القلوب فقط بل كل شيء».

والقدرة على معرفة الله لا تتأتى إلا بقلب عارف وجل، يستطيع أن يحترق بنار العشق في الدنيا حتى ينجو في الآخرة: «وإن أضأت أنت أيضًا من هذا العشق، واحترقت هنا، لن يحترق هناك».

فالعاشق الصادق سوف يشملها الحق تعالى بحسن رعايته وواسع رحمته يوم القيامة: «يأتي الهاتف: إنني لا أسجل سيئات عشاقى وحسناتهم في الصحائف، لقد محا الجبار سيئاتك وحسناتك، فلا تفكر كثيرًا في الجنة والنار».

وبين الله وعشاقه سر لا يعلم به أحد سواه.

وبعد أن يتوقف الأب عن الكلام. يبدأ الولد في جذب أطراف الحديث، ويبدو أنه لم يقتنع بآراء أبيه، فهو يرى حب الجاه من الأمور الحتمية في الحياة، فيقول: من ذا الذي غصّ طرفه عن المنصب وعن الجاه؟ ومن رأيته وقد أشاح بوجهه للجاه؟ ألم تر يوسف وقد اعتلى عرش السلطنة، وتمتع بالجاه بعد الحب...!!

يرفض الأب وجهة نظر ابنه، لأن الجاه يحيد بالإنسان عن جادة الصواب، والعظمة لا تتحقق إلا بطاعة الله، فيقول لابنه: «في هذا السجن المضطرب يمكن أن يصير الإنسان بين العظماء بطاعة الله، وإن أردت رفعة تعلو القمر، تدركها بالطاعة وليس بحب الجاه».

ويوضح الأب لابنه أن حب الجاه شيء طبيعي، ولكن من يريد أن يكون من خواص الخواص في طريق الحق، يجب عليه التخلص من الجاه، لأن الجاه له سطوة



عظيمة في الحياة الدنيا، كما قالت عباسية الطوسية عندما جلست مع السلطان سنجر: «رأيت عالماً مليئاً بالأغصان الحادة، وشاهدت في يدي منجلاً لقطعها، ولم أستطع اقتلاعها بذلك المنجل، فلم أر وسيلة سوى الصمت».

ولذلك فنعيم الدنيا يحرم الإنسان من نعيم الآخرة، ولن يستطيع الإنسان التوبة في الآخرة: «لن تفوز بسعادة أيها الدرويش هناك إلا بما تحمله معك من الدنيا».

وطريق السالك وعر شائك متعدد الدروب، ولكي يجتازه السالك بنجاح عليه أن يجعل الله صوب عينيه دائماً، ولا يخطئ هدفه، مثل الرجل الذي وهب حياته لعشق الله، ورآه موسى يضع رأسه على نصف آجر، ويرتدي خرقة، ويتحلقه آلاف من النمل والنحل والذباب، وعندما سأله موسى إن كان يريد شيئاً، طلب الرجل منه شربة ماء، وعندما عاد إليه موسى بالماء، وجده قد لفظ أنفاسه. فذهب موسى ليعد له قبره، وعند عودته كان أسد قد مزقه وأكل قلبه، فدمى قلب موسى، وسأل الله عن السر فيما حدث. فجاء الهاتف: بأنه كان من الأفضل أن يشرب الماء منا هذه المرة مثل كل مرة.

ويقول الأب لابنه: يا عزيزي «ليس الأمر سهلاً معه، إذ لا يكون الكلام معه إلا بالقلب والروح».

ولن تدرك كل روح هذا الجاه أيضاً: «ليس لكل روح سبيل إلى السر، ولا يدرك كل شخص ذلك الجاه يا بني، فآلاف الأرواح تأتي إلى العالم، ولكن لن تطلع على ذلك السر إلا روح واحدة».

والأرواح القريبة من الحق تعالى، اختارت ذلك قبل خلق الأجساد، فقد جرت تسع أرواح من كل عشر صوب الدنيا، ثم اختارت الجنة تسع أرواح من كل عشر، وبعد ذلك فرت من الجحيم تسع أرواح من كل عشر، واختار العدد الضئيل الباقي الحق تعالى، فجاءهم الهاتف: «إن أردتمونا فأنتم تطلبون أنواعاً من البلاء، كثيرة كثرة شعر المخلوقات جميعها، متلاحقة كتراب الصحراء غزيرة كقطرات الوابل، وفيرة

كورق الشجر» ولكن هذه الأرواح سعدت بذلك وتمنت أن تكون فداء لذلك البلاء.  
والحق له سر مع كل روح من هذه الأرواح، وكل روح تعتقد أنها المتفردة بسر  
الحضرة: «على هذا النحو توقن الأرواح، ولكن قربه مختص بروح واحدة».

ويمثل الأب لقرب الروح المحمدي من الله، بقرب السيدة عائشة من الرسول ﷺ. وعلى السالك إن أراد أن يكون له شأن داخل حجاب الأسرار، أن يدع عن قلبه حب الدنيا، لأن حب الدنيا والآخرة لا يجتمعان، مثل رابعة التي لظمت الصلاة والصوم أسبوعاً كاملاً، وعندما أقعدها الجوع عن الحركة، وهمت بتناول طعامها، قلب القط وعاء الطعام، وخبا نور المصباح، ووقع كوز الماء، وجاءها الهاتف: «إن أردت وهبنا لك الآن العالم بأسره على أن تخرج من قلبك معاناة السنوات العديدة».  
وعلى السالك أن يتحمل المشاق في سبيل هدفه، والله قادر على حفظه من الشرور مثل بهلول الذي اتهم بالقتل، وتحدث إلى الله وهو فوق المشتقة: «لقد أعددت أنت كل هذا، وإن كانوا يقتلونني الآن بذلة، فسوف أطلب منك الدية، ولن أطلبها منهم إذ كيف أتعقب مجموعة من البائسين؟».

وفي الحال رأى القاتل الحقيقي حيات تخرج من أفواهها النيران، تطلب منه قول الحقيقة، فاعترف على نفسه في الحال.

ويجب على السالك أن يرى الخير والشر من عند الله. كما قال الشيخ بوشنجي عندما اعتذر له التركي عن صفعه إياه: «إن رأيت هذا الفعل صادرًا عنك، فهذه سقطة مني، ولكنني أراها صادرة من هناك حيث لا يوجد خطأ».

وعلى الرغم من مسؤولية الله عن الأفعال، لا يجب أن يترك الإنسان العبادة: «اعلم أن كل شيء مقدر منذ الأزل، ولكن لا تتوقف عن العبادة لحظة واحدة».

والتمسك بالعبادة قد يغير من مصير الإنسان. مثل العابد الذي أمضى عمره في عبادة الله وعندما علم من موسى أن اسمه مكتوب مع الأتقياء، لم يضعف من عبادته،

بل ضاعف منها، فمحا الله اسمه من بين الأشقياء، وأدخله في زمرة المؤمنين.

ولذلك لا يمكن الحكم على الإنسان في الحياة الدنيا، كما قال رجل لأحد شيوخ بخاري: يا شيخ بخارى لم تظهر أعمالى من أعمالك بعد، فلا تغتر بأعمالك اليوم فغداً ستتضح الأعمال.

والسبيل الوحيد أمام الإنسان هو الإخلاص، وكل شيء بعد ذلك في يد الله، مثل الحياة والموت كما قال كوشهدي للغزالي عندما قبع في منزله لا يبرحه، خوفاً من أحد الكفار الذي ينوي قتله.

وعندما يخلص الإنسان يفيض الله عليه بالسعادة الإلهية ويبدأ عمر السالك الحقيقي.

وعند هذا الحد يتوقف الأب عن الحديث، ويبدو أن الولد بدأ يسلم قليلاً أمام حجج أبيه، لذلك فهو يفكر في البحث عن الجاه باعتدال فيقول: «لو ضوّلت رغبتى في الجاه فلن يجرفنى غروره كالسيل».

يرفض الأب طلب ابنه للمرة الثالثة، لأنه يرى أن الرغبة في الجاه وإن كانت ضئيلة تفضي بابنه إلى الهلاك، ويتنافى مع سلوك الطريق، مثل ذلك الرجل الذي هام على وجهه في الصحراء ولا يحمل شيئاً معه سوى قطعة من الخبز ليكفر عن غفلته وغروره.

وقطع كل العلائق مهم للغاية خاصة وأنه على الإنسان أن يوقن بحتمية الموت، مهما بلغت قدرته، كما قال مجذوب عندما رأى نعشاً لمصارع شاب: «الشاب وإن كان قوياً في المصارعة، إلا أن المسكين لم يكن يعلم مع من يدخل حلبة المصارعة اليوم».

والحياة الحقيقية هي الآخرة، والعمل من أجلها يكون بتصفية الروح، لا بتغيير الملابس، مارس رياضيتك مرتدياً الحرير لا النمد، فذلك عمل الحمار، وليس من

العقل في شيء وليس من الجائز أن تبدل ثيابك، فأمر الله ليس بالعمامة والقباء. وعندما يدرأ الانسان الصداً عن روحه، يمنحه الله كرامات. مثل حبيب العجمي الذي عبر جيحون في لحظة واحدة. والعارف الحقيقي هو الذي لا يتوقف عند حال أو يتقيد بمقام: يجب رؤية الحسن والقبح، وإدراك مقامات الصحو والسكر على حد سواء، ولكن إن رأيتها كلها متصلة، فأنت ترى القبح والحسن كله في ترابط، وإن رأيت سوءاً فهو حسن لأنه من الله.

وعندما يدرك الإنسان هذه المرحلة، لا يعنى بأي شيء آخر سوى محبوبه، ولا حتى بايذاء الخلق له، مثل المحتال الذي أقاموا عليه الحد، وكان يضحك وهم يضربونه والدماء تنزف منه، وعندما سأله أبو يزيد عن سر ضحكته قال: كان المعشوق واقفاً من أجلي، فكيف لا أثبت أنا؟ وقلب العارف يخجل مما اقترفه من ذنوب. مثل الحبشي الذي تاب أمام الرسول ﷺ وعندما علم أن الله عالم بما اقترفه من ذنوب، لفظ أنفاسه على الفور، وطريق الله هو الطريق السليم، ولكن على الإنسان إن امتلأت نفسه بالشكوك أن يخطو في الطريق، ويصير مريداً لأحد الشيوخ: عندما يتحقق لك شيخ مرشد، كن مريداً فأصل الرجل هو الشيخ، وإذا ما انمحق الشيخ في الحق محوًا مطلقًا، أصبح أمره هو أمر الحق بعينه.

والمرشد يصل بالمريد إلى بر الأمان، كما فعل الحسن البصري مع جاره اليهودي وجعله يسلم في آخر لحظة، وراه في المنام متنعمًا بجنت الخلد. وعند هذا الحد ينتهي الأب من حديثه. ويبدأ الولد يطلب من أبيه شرح كنه تلك الكأس التي عشقها إلى ذلك الحد. يقص الأب على ابنه قصة كيخسرو عندما وضع الكأس أمام الشمس، وشاهد فيها الأقاليم السبعة، وحاول أن يشاهد الكأس، لكنه لم يوفق، وفي النهاية ظهر رسم قال له: متى تستطيع أن ترانا داخلنا. لأننا فنينا عن أنفسنا الطاهرة فمن يرى صورتنا في عالم الأرض.

وماهية الإنسان لا تتحقق إلا بالفناء، وهو كمال الحياة، وعندما يغرق الإنسان في

بحر الفناء، لا يعلم من يجلس على الشاطئ شيئاً عنه، وتنمحي ذاته، وتفتنى أوصافه وأساس الفناء هو تصفية الباطن والزهد في الدنيا: ما الطريقة؟ إنها تصفية الباطن، لأنه لا يمكن المجازفة بالنفس في الخطأ. وبعد المجاهدة والرياضة ينعم السالك بقرب الله: الزم هذا الباب، فربما يخصصك الملك بقربه في التو والحال. وبعد أن يتحدث الأب عن أهمية الفناء، يعود ليشرح لولده كأس جمشيد الحقيقية التي يجب عليه أن يسعى للحصول عليها فيقول له: (إن أردت الجاه لتصل إلى المعرفة، افن عن نفسك في الحياة)، ثم يوضح له أن كأس جمشيد هي عقله: اعلم أيها الصديق، أن كأس جمشيد هي العقل إنها اللب والإدراك الدائم، كل ذرة في العالمين واضحة في كأس عقلك حيث الآلاف من الصنائع والأسرار والمعارف وآلاف الأوامر والنواهي والأحكام والتكاليف، كلها نتيجة لعقلك، فأني كأس تكون أوضح لك من تلك الكأس. وبعد أن يقتنع الأب ابنه الثالث بأن بحثه عن الكأس، يجب أن يتجه نحو الفناء، يبدأ الولد الرابع في الظهور.

#### الولد الرابع (أو المرحلة الرابعة: طلب العلم الحقيقي) :

يطلب الولد الرابع من أبيه الحصول على ماء الحياة حتى ينجو. ويرفض الأب قائلاً: إن الأمل قد تغلب عليك، لذا طلب قلبك العمر الأبدي. ويبدأ الأب في سرد حكاياته لعل ابنه يتراجع عن طلبه. ويبدأ بالإسكندر الرومي الذي ذهب إلى مكان ما لطلب المعرفة، فقال له حكيم هناك: إن بحثك عن ماء الحياة هو الأمل، وجمعك لمئات الجيوش هو الحرص، والأمل والحرص عبدان لي. ويعظ الأب ابنه قائلاً: لقد بحث الإسكندر عن ماء الحياة خوفاً من الموت، فمات في شبابه. والموت أمر محقق، والآخرة لا ريب فيها، لذلك يجب أن تعتبر الحياة وسيلة للفوز بالآخرة.

وعلى الإنسان أن يغتنم الوجود في الحياة، ليعمل عملاً حقيقياً مجرداً من الوهم والخيال. فقد رأى الرسول ﷺ في ليلة المعراج أعداداً غفيرة من الملائكة تبكي، ولما سأله عن سبب بكائهم، قالوا: إننا نبكي على قوم من أمتك يعتقدون أنهم

يعملون وهم لا يعملون. ولا يستطيع أحد أن يشتري لحظة واحدة من العمر. مثل الرجل الحريص الذي ادخر مبلغًا كبيرًا من المال، وعندما جاءه عزرائيل ليقبض روحه، أخذ يساوم عزرائيل حتى يمهلته مقابل أمواله، وفي النهاية أمهلته عزرائيل لحظة واحدة كتب فيها: انتبهوا أيها الناس! فقد كنت أريد شراء عمري وحياتي لمدة ساعة واحدة بثلاثمائة ألف، ولم أوفق من جدالي. وعلى الإنسان أن يغتنم كل لحظة في ذكر الله، ولا يمضيها في شيء آخر حتى وإن كان ذلك في القصاص من قاتل ابنه، مثل الحكيم مرزبان الذي رفض القصاص من قاتل ابنه. ويجب أن يسرع الإنسان في اتخاذ القرار بالسير في الطريق، ولا يعتمد على التوبة وحدها. فربما لم يتمكن الإنسان من التوبة في نهاية الأمر. والآخرة هي موطن الإنسان الحقيقي، والعارف بالله يدرك طريقه فتهفو إليه نفسه، وينجذب إليه، وتطير روحه إليه، مثل قصة الطائر الذي كان يضع بيضه خلال أربعين يومًا ويختفي، ثم يجئ طائر غريب يرقد على البيض حتى يفقس، إلا أن الصغار تتجه إلى الأم الحقيقية فوق الجبل بمجرد سماع صوتها.

والإنسان ما هو إلا حفنة تراب، ويجب أن يعتبر بذلك في تصرفاته: لا تتعال أيها التراب مثل النار، لأنك حفنة تراب، فلا تحترق مثل النار. وكيف يتأتى الغرور من حفنة تراب، كما قال بهلول عندما رأى أحد العظماء يمتطي جواده في بغداد في خيلاء، ويحيط به الحراس من كل جانب، وتصم أصواتهم الآذان، وهم يطالبون بإخلاء الطريق، والابتعاد عن موكب العظيم، فرفع بهلول حفنة من التراب، وقال: لا يجوز كل هذا الكبر من حفنة تراب، فهو وإن صار فرعون أليس عبد الله؟ ويقول الأب لابنه: خذ العبرة من أهل السوق، فقد ألقوا جميعًا بشباكهم من أجل جيفة، وعندما يكون هدف الإنسان ميتة فأنى له أن يتصل بسر القدس!

والغرور يؤدي إلى الغفلة عن حقيقة الحياة، فيقول الأب لابنه إذا ما استولى الغرور على أعضائك السبعة، افتضحت الدنيا منك، والأشخاص الذين يتخلصون

من هذه الصفة، يفوزون بالآخرة. ثم يتوقف الأب عن الحديث، ويبدو أن الولد الرابع أسرع تسليماً من إخوته، وأقلهم قدرة على الجدل؛ فقد اقتنع تماماً بآراء أبيه، وسأله عن كنه ماء الحياة. يبدأ الأب في شرح ماء الحياة الحقيقي، من خلال قصة الإسكندر وموته وهي: عندما قرأ الإسكندر في كتاب أن من يشرب من ماء الحياة يخلد كالشمس، وأنه موجود هو وطبل ومكحلة، وأن المريض بالقولون إذا دق على الطبل بيده زال مرضه، وإن تكحل شخص من الكحل، انكشفت له المسافة من القمر حتى العرش، جاب الإسكندر العالم ليحصل على هذه الأشياء، وعندما وصل إلى جبل، شقه عند العلامة التي قرأ عنها، وبعد عشرة أيام وجد منزلاً، ففتح بابه، ووجد الطبل والمكحلة، فتكحل بالكحل، وفي الحال ظهر أمامه العرش، ودق أمير بجانبه على الطبل، فصدر عنه صوت كالريح، ومن خجل الأمير مزق الطبل. وبعد أن وصل الإسكندر إلى أرض بابل مرض (بالقولون)، وأدرك حتمية موته، فاستولى عليه البكاء، وكان لذي القرنين نديم حكيم من تلامذة أفلاطون، قال للإسكندر: إن ملكه لم يكن سوى قبضة ريح، وأن ماء الحياة الذي أقتفى أثره هو العلم الدائم.

وبعد هذه القصة يقول الأب لابنه: لا تحزن كثيراً أنت أيضاً يا بني فماء العلم وكشف الأسرار موجود، وكلما سطع ضياؤه عليك ينكشف العالمان لقلبك. والله حكيم، وحكمته بعيدة عن نطاق فهمنا، ولا تعرف حكمته مع عبادته، وكما فعل مع النمروذ، الذي وضعته أمه بعد أن غرقت السفينة، وقذفت به الأمواج إلى الشاطئ، وبعد أن شب عن الطوق، وجد ياقوتة ومكحلة، وظهر له العرش والكرسي والأفلاك عياناً، كما شاهد كنوز العالم.

وعندما سأل الملائكة الله تعالى عن العبد الجدير بكل هذا الإدراك، جاءهم الهاتف: إنه النمروذ الذي سيدعي الألوهية ويحاربنا. ثم يقول الأب لابنه: إن العلم الحقيقي هو معرفة الله، أما العلماء الذين يبحثون عن العناصر ودوران الليل والنهار فهم غافلون. وبدلاً من البحث في مظاهر الحياة، يجدر بنا أن ندرك عبث الحياة

بنا، وأن يعتبر الإنسان الفناء هو الهدف الأساس من هذه الحياة، فلا يشعر بوجوده، وإن منح صدقة لفقير، فلا يراها صادرة عنه، ولا يعتبر نفسه أفضل من اليهودي دافع الجزية، وإلا فهو كالشيخ الذي طرده العجوز من أمام المحراب، وقالت له: إنك هالك لا محالة، تأتي الفواحش وتدعي الطهر. والمعرفة الحقيقية لله تعالى تتطلب الاحتراق بنار العشق. احرق نفسك بنار العشق أيها العزيز، وإلا فأنت زاهد مبتدئ. والعاشق يرضى ويسعد بكل ما يفعله به معشوقه، ونور العشق يشع ويسطع في قلوب أولياء الله وعباده. ويوضح الأب لابنه أهمية القلب الذي ينعكس عليه النور الإلهي، فيورد له قصة الثعلب الذي وقع في شباك جماعة من الصيادين، فادعى الموت خشية أن يحمله الصيادون، وينزعون جلده، فجاء صياد وقطع أذنه، ثم أقبل آخر واجتث لسانه، وجاء ثالث وخلع أسنانه، ولكن عندما جاء صياد رابع وهم بنزع قلبه، قفز من الشباك كما يقفز السهم من القوس. والقلب له أهمية كبرى، لذلك عندما سأل محمود إيازا ذات يوم عن أحد يكون أعظم من محمود ملكًا، قال إياز: إنني أكثر منك ملكًا.

فلو أن الملك قد تحقق لك إلا أن ملكك هو قلبك، وقلبك أسير في يد الغلام، وكفاني هذا من ملك. ولأهمية القلب، يجب العمل على جلو الصدا عن مرآته، فالسيادة الحقيقية هي كف النفس عن نوازعها الشيطانية، فعندما لا تستطيع التحكم في نفسك فكيف يمكن التحكم في آخر. والسبيل الوحيد للخلاص يبدأ بالتمسك بالشرعة، فيقول الأب لابنه: قيد أعضائك بقيد الدين، وافعل ما يمليه عليك، إن أردت أن تكون على النحو المطلوب، لا تنظر ولا تسمع ولا تقل، إلا بما يقتضيه الدين حتى لا تموت كافرًا أيها المسلم. ويجب ألا يغفل الإنسان لحظة عن ذكر الله، فهو وإن كان لا يرى الله، إلا أن الله يراه دائمًا، كما قالت المرأة التي كانت تطوف بالكعبة، للرجل الذي اختلس النظر إلى وجهها. ومن يتعد عن طريق الله، تكن نهايته الندم والأسى، والخجل من مواجهة الحق تعالى.



ثم يقول الأب لابنه: «إن الله يراك دائماً، فكن مثل الشمعة تحترق دائماً في عشقه، ولا تخرج نفساً من قلبك دون شكره، ولا تصدر نفساً وأنت غافل عن ذكره».

والإنسان عندما ينبض قلبه بذكر الله، يرى الأشياء جميعها من فيض الله لذلك يشكر الله على كل ما ينعم به عليه، كما فعل محمود عندما أحصى له ابنه عدد أفياله ثم يقول الأب لابنه: «إن فاضت عليك نعمة الحق، فلا تغفل لحظة عن شكر المنعم، وعندما تدوم نعمة الله عليك، فقمض لحظة دون شكر الحق جرم وأي جرم!!».

ومن لا يعتبر بالآخرة ويعمل من أجلها، فهو هالك لا محالة، مهما أحاط نفسه بقلع وأسوار عالية، كما قال مجذوب لقائد شيد قلعة عالية لإحكام الأمن وتشديد الحراسة: عندما يحل البلاء من السماء، وتحتمي في القلعة، تجد نفسك تواجه البلاء أيضاً.

والبلاء الحقيقي هو وجود الإنسان، فعليه أن يتخلص منه، ويتجشم متاعب الطريق: «إن كنت من سالكي الطريق فمن المحتم أن يحدث لك كثير من هذه الأمور دون إرادتك». كما وصف المجنون حاله لأحد الأشخاص، فقال: إنني مثل حمار مسن يمتلىء بدنه بالجراح من أثر الأحمال الثقيلة، وإن ركنت إلى الراحة بعض الوقت، هاجمني الذباب المؤذي لينهش جراحي.

وبعد هذه الآلام المضنية يستطيع السالك أن يحصل على الدر من بحر العشق، كما حصل عليه الشاب بائع الملح الذي بز السلطان محمود في مناظرة حول العشق. وبهذا ينتهي دور الولد الرابع، ليبدأ الولد الخامس دوره.

### الولد الخامس: (المرحلة الخامسة: طريق الفقر الصوفي):

يبدأ الولد الخامس في التعبير عن الرغبة التي تملك عليه جوارحه، فقال لأبيه: «أريد مخلصاً ذلك الخاتم الذي اختص به سليمان، فخضع له الجان والشیطان، وسير له بساط الملك».

ويرفض الأب على الفور طلب ابنه الخامس، لأن رغبته في الحصول على خاتم سليمان، إنما هي في حقيقة الأمر رغبة في التحكم والمُلك، والمُلك شيء فان، كذلك فللمُلك مساوئ عديدة.

ثم يبدأ الأب في ذكر الحكايات المختلفة حتى ينزع تلك الأمنية من قلب ولده، فيروي له كيف رفضت العجوز أن تمنح محمود الغزنوي مُلكها المتمثل في إناء فوق النار، وقالت له: إنني لا أشتري مُلكك أبدًا، فُملكي أفضل من مُلكك كثيرًا، إن مُلكك يقبع وراءه عالم من العداء، أما مُلكي فلا تكتفه أي أحزان، فكفاني هذا من مُلك.

ومسئولية الحاكم كبيرة، لأن كل شيء سوف يخضع لحساب عسير يوم القيامة: وكيف يتعلق الولد بالملك، وأساس الطريقة هو البعد كلية عن الحكم والملك، فيقول الأب: ما هي الطريقة: «إنها إدراك مخاطر الطريق، والسير بخفة لتجنب المشقة، والشبع باليسير، وغض الطرف عن الملك والحشم».

وكل الأنام إلى زوال بما فيهم الملك والحاكم. وكما قال أحد الشيوخ الواصلين لطائر العنقاء: «لا يدوم ظلك لأحد فشيمتك الزوال، وإن كنت تحقق الخلود للحياة، لما كنت تخطر على العقل، وتلوح للروح».

والمُلك مثل السراب، وكما قال الغزالي لسنجر: إن حالك لا يخرج عن أمرين: «إن كنت يقطًا فأنت لا ترى شيئًا مما أمامك، حتى تغمض عينيك، وإن كنت نائمًا، فأنت لن ترى شيئًا من هذا المُلك حتى تفتح عينيك».

والمُلك قيد على حرية الإنسان الشخصية: لن يمكنك المضي في الطريق وحيدًا، ولا يستقيم لك أمر دون جند، ولا تتجرع الماء دون التذوق، ولا تنام ملء جفونك دون حراسة».

ولماذا يتكالب الناس على المُلك؟ وهو نوع من التسول. فقد قال ركن الدين اكاف للسلطان سنجر: «تطلب جزية عن وعول المراعي واحدًا واحدًا، لذلك فالفقر

أفضل كثيرًا من هذا المُلْك».

والسبيل الوحيد للنجاة هو سلوك طريق الفقر، كما قالت العجوز لمحمود: «لا تسرع اليوم أيها الملك لأننا سوف نكون معًا غدًا في الطريق».

ويتوقف الأب عن الحديث، إلا أن الولد يظهر عدم اقتناعه بكلام أبيه، فهو يرى أن الرغبة في المُلْك تراود كل إنسان على وجه الأرض.

يرفض الأب وجهة نظر ابنه، ويرى أن اتجاه فكره ينبع أساسًا من عدم معرفته بالملْك الذي ينتظر المؤمن، وكم من إنسان ضحى بالدنيا في سبيل الآخرة. مثل ابن هارون الرشيد الذي أبعدته والدته زبيدة عن العالم، حتى رغب قلبه في طلب المعرفة، فأرسلته إلى الصحراء للفرجة والمشاهدة، وفي الطريق شاهد تابوتًا يحمله بعض الناس، وعندما علم أن الموت حق على الجميع، قال: «لأن الحجر سوف يذوب بالموت، يجب الذهاب والعمل من أجل هذا الأمر الحق».

وبعد أن عاد الولد إلى القصر، هرب في الصباح، وظل يجوب الفلاة والبيادي، وعمل أجيرًا، وذات يوم رآه رجل تقي وهو ملقى في ضعف وعجز شديدين، فأخذه إلى منزله، وهناك أوصاه الولد بثلاثة أشياء: أن يربط حبلًا في عنقه ويسحبه على وجهه بعد وفاته، ويقول: هذا هو جزاء من عصى الجبار، والشيء الثاني هو: أن يكفنه بكليم قديم طاهر، والثالث هو: أن يسلم المصحف الذي يحمله معه إلى هارون ويقول له: «إن من سلمنى هذا المصحف يقرؤك السلام ويقول لك: اصغ، لا تمت وأنت غافل مثل الجيفة».

ويكفي الإنسان عبرة زيارة القبور: «إن أردت الحصول على صفاء الآخرة، اجلس في القبور متى استطعت».

ثم يقول الأب لابنه: «ماذا أقول عنك وعني، وأسفاه على مجيئنا وذهابنا! وأسفاه!

وعند هذا الحد يتوقف الأب عن الحديث، ولكن الولد لم يقتنع بعد، فهو لا يزال يرى أن الملك هو الهدف الأسمى، سواء أكان محمودًا أم مذمومًا، ويرى العظماء كذلك يجتمعون في بلاط الملوك، ويعيشون على عطاياهم.

يرفض الأب هذه الفكرة كذلك، فمسئولية الإنسان في الحياة صعبة للغاية، فيقول لابنه: «إنك لن تستطيع أن تحمل حملك فحسب، فكيف تسرع بتحمل أحمال أهل العالم؟».

والدنيا عجوز شمطاء، تربي الإنسان لتلثمهم، كما يربي الإنسان الطيور المنزلية ليذبحها. وكما قال أحد الطيور المنزلية عن وفاء الناس له: «إن اعتبرت هذا وفاء فالجفاء أفضل منه، وكثير من الكراهية أفضل من هذا الحب وذلك الوفاء».

والمعرفة الحقيقية لا تتحقق إلا بمعرفة الله تعالى. لذلك يقص الأب على ابنه ما قاله أحد العرافين عندما مر على قبر عمر الخيام، فقد قال: «عندما توجه إلى تلك الحضرة كان يدعي العلم، والآن وقد صار جهله عيانًا، فإنه يتصبب عرقًا من خجل روحه».

ويجب على الإنسان أن يعمل لآخرته، وبخاصة أن حسن العاقبة غير مؤكد. كما قال أستاذ سفيان الثوري له، وهو يلفظ أنفاسه: «أدميت قلبي مدة خمسين عامًا، والآن وقد سُلط عليَّ سيف الموت، جاء الهاتف: إنك مرفوض لدينا، فابتعد عن هذا الباب لأنك غير جدير بنا».

ولا سبيل أمام الإنسان سوى سلوك الطريق وزاده العشق. مثل اليهودي الذي جاء من بلاد الشام لرؤية الرسول ﷺ، وكان الرسول ﷺ قد ترك له ثوبه قبل وفاته، فارتداه الرجل وأسلم، وذهب إلى قبر الرسول ﷺ، وهناك أسلم الروح، ووجهه فوق تراب قبر الرسول. وينهي الأب حكاياته فيقول لابنه: «إن كنت عاشقًا فاسلك على هذا النحو في المذهب، ومت هكذا مثل الشمع شوقًا إلى المعشوق».

ثم يتحدث الولد وقد بدا أنه مقتنع بما ساقه له أبوه من حجج، ولكنه يريد فقط معرفة سر الاهتمام بخاتم سليمان.

يقص الأب عليه قصة بلقيا وعفان، عندما ذهبا للحصول على خاتم سليمان، وعندما هم بلقيا بنزع الخاتم من يد الشاب النائم أمام الغار، تحول الخاتم إلى ثعبان أسود. وجاء الهاتف إلى عفان يخبره بأن ملك سليمان هو القناعة «اقنع فذلك هو الملك الخالد الذي يحويه قرص الشمس تحت ظلاله».

وسليمان كان يحفظ ملكه بقوة القناعة، وعندما جال الملك لحظة واحدة في خاطره وهو فوق البساط، اهتزت ناحية من البساط بشدة، وقالت له الريح: «لديّ أمر من الحضرة يقول: عندما يحفظ سليمان قلبه، احفظي بساطه، وإذا لم يحفظ لا تطيعي أمره».

ثم ينصح الأب ابنه قائلاً: «الفقر أساس القناعة، فأنت إن افتخرت بفقرك وإن أردت ملك العالم أيضاً، فلا تتكبر، واقنع في الحياة».

والله لم يخلق الإنسان عبثاً وإنما خلقه ليعبده، والحياة ابتلاء للإنسان ربما اجتازها العبد بنجاح، وربما أخفق مثل غلام المأمون، وكان ذلك عندما أراد المأمون أن يختبر مكنون قلبه، فجعل جماعة تعرض عليه إمارة البصرة، فقبل، وكان جزاؤه سفك دمه في مدينة البصرة.

ولكى يستطيع أن يدرك الإنسان رسالة الغيب، يجب عليه أن يخلص قلبه من علاقته، ويجلو مرآته، وينزع عنه شوائبه، ويكون ذلك بالسفر داخل نفسه وإدراك عيوبه: «لأن أمرك متعلق بنفسك دائماً، سافر داخل نفسك وأنت غائب عنها، فإن طفت لحظة داخلها، كأنما طفت في العالم بمائة قلب».

وبعد أن يتطهر الإنسان يسلك طريق العشق. ويقول الأب لابنه: «اتجه إليه وانظر جيداً، واحترس فهنا يمطر البلاء فاحذر، إن امتلكت رأساً جد بها وسلم جسدك

لفناء روحك، فيسلم لك هذا المذهب، وإلا فأنت ناقص ولا صلاة لك».

والعشق الحقيقي يتطلب ترك الإنسان لكل المتعلقات الدنيوية؛ لذلك غضبت ليلي عندما علمت أن المجنون يحمل إبرة؛ ليخرج بها الشوك الذي يجرح قدميه عندما يهيم على وجهه في الصحراء من أجلها، وقالت للمجنون: «لو كنت صادقاً في العشق لما كانت بك حاجة إلى هذه الإبرة».

وبهذا يقتنع الولد الخامس، ويبدأ دور الولد السادس.

### **الولد السادس: (المرحلة السادسة: مرحلة التوحيد):**

يشرح الولد السادس ما يلح على خاطره، فيقول لأبيه إنه يريد لدينه الاكتمال، ويرى أن تعلم الكيمياء هو الوسيلة المناسبة لتحقيق رغبته، لأنه عن طريقها يحول الفقراء إلى أغنياء.

يرفض الأب طلب ابنه، لأنه يريد تعلم الكيمياء لأغراض دنيوية بحتة، تدل على حرصه، ويقص الأب على ابنه الحكايات المختلفة التي تقتل نزعة الحرص عنده، فيقص عليه قصة ذلك الحيوان الضخم الذي كان يأتي على أعشاب سبع صحراوات، ثم ينهل الماء من سبعة بحار دفعة واحدة، ولا يهدأ في الليل خشية ألا يجد طعاماً في غده.

وينصح الأب ابنه بعدم الجشع، فقد سمع عيسى -عليه السلام- صوت أنات تصدر من أحد القبور، فدعا عيسى الله، أن يحيي صاحب الصوت، وعلى الفور ظهر شخص علم منه المسيح، أنه يعذب من ألف وثمانمائة عام، من أجل دانق من مال يتيم.

والدنيا لا تستحق هذا التكالب، لأنها جيفة يجتمع عليها الدود، بل إنها لا تستحق مجرد الحديث عنها، وكما قيل: إن كل من يتحدث بحديث عن الدنيا، يبعد عن الجنة بمسافة خمسمائة سنة.

ويقول الأب لابنه: «ماذا ينتج عن الدنيا سوى الندم وأنت لا تعلم ماذا يتأتى منها،

وذلك مما بك من جهل».

والدنيا - كما قال جعفر الصادق - خرابة وأكثر منها خراباً مرة ذلك القلب الذي يختار عمار الدنيا.

والسبيل الوحيد للخلاص، هو ترك كل شيء سوى الله. كما فعل إبراهيم - عليه السلام - عندما ترك أغنامه كلها في سبيل أن يسمع من جبريل كلمة «القدوس» وقال له: «اذكر اسم الحق مرة أخرى، فليس هناك شيء يفضلته».

ويقول الأب: «إن لم تتحقق لك القدوة من دين الخليل، فليس أمامك سوى طريق آزر».

والسلوك في الطريق يقتضي التخلص من آفات اللسان مثل الغيبة والنميمة، وفي هذا الطريق يفضل الصمت الكلام. لأن الإنسان لا يلتفت إلى شيء سوى الحق تعالى. فيقول الأب: «طالما يتنازعك الطيب والسيئ، فقلبك ليس بصيراً، وروحك بعيدة عن المعرفة، ولكن إذا ما تلاشى لديك هذا وذاك، شغلت روحك عندئذ بالسر القدسي».

وعند هذه النقطة يتوقف الأب عن الكلام، ويجذب الولد أطراف الحديث لينتقل إلى نقطة جديدة، وهي صلة الفقر بالكفر فيقول: «إن الفقر الزائد كثيراً ما يتسبب في الكفر، وعندما يستقيم الدين والدنيا بالذهب، يمكن طلب الكيمياء من الحق والذهب أيضاً».

يعترض الأب على نظرة ابنه للحياة، لأنه يرى أن الدنيا والآخرة لا يجتمعان فيقول: «عندما يلقي الذهب بظلاله عليك، يسلبك جوهرك وخصالك، الدين والدنيا لا يستقيمان معاً، واعلم أنه لا يمكن طلب الاثنين من الحق».

ثم يبدأ الأب في تأييد رأيه بالحكايات المختلفة، فيقص على ابنه قصة شيخ من أهل الأسرار خرج إلى السوق ليلاً، ليلتقط بعض الأشياء يحفظه به أوده، فشاهد

رجلاً لا يدين بالإسلام، يمتطى جواداً بسرج مرصع، ويحيط به غلمان كثيرون.  
وفي الحال أخذ الرجل يخاطب الحق تعالى قائلاً: «يا إلهي أتريدني على هذا  
النحو ولا تريده هو، وأنا من أحبائك وهو من أعدائك، أتريدني أن أكون على هذه  
الحال وهو على تلك».

وبعد أن انتهى الرجل من حديثه. جاءه الهاتف يطلب منه تبديل وضعه مع ذلك  
الشخص، إن أراد، ولكن سرعان ما تنبه الشيخ إلى سوء تفكيره، ورفض أن يتبدل  
حاله.

والشخص الذي يفرض الله عليه بمعرفته، لا يلتفت إلى شيء آخر سواه. كما قال  
أحد شيوخ الطريقة يصف حالته: «ليس لدي إحساس بأمان ولا بخوف، وليست لي  
صداقة بأحد ولا عدا».

والله يمتحن عباده ليختبر صدقهم وثباتهم في عشقه. كما فعلت زبيدة عندما  
أرسلت الخادم ليعرض على أحد الصوفية ذهباً، حتى يكف عن صياحه بعشقتها،  
فصمت بعد أن أخذ عشرة أكياس من الذهب. وعندما رآته زبيدة، قالت له: «يا عاشق  
نفسك، ماذا تريد أن تفعل أيها الكاذب من هذا».

وعندما يربط الإنسان قلبه بالحق، ويترك الخلق، يشع عليه نور المعرفة.  
ونور المعرفة له دور كبير في إدراك الأسرار العليا. كما عرف أردشير ولده من  
بين مجموعة كبيرة من الأطفال من نظرة واحدة، ولم يكن قد رآه من قبل، لأنه كان  
قد سلم زوجته للموبذ حتى يقتلها، وكانت حاملاً.

ونور المعرفة هذا هو الذي جعل إياز يتعرف على محمود، على الرغم من أنه كان  
فاقد الوعي فوق فراشه.

يقول الأب لابنه: «عندما تكتسب رائحة المعرفة، يشع نورك على الآفاق في  
العالمين؛ لأن ذرة واحدة من نور المعرفة تحوي ضياء مائة شمس. وأي سعادة أن



يحب الله عبده، ويفيض عليه بنوره، لذلك يجود السالكون بأرواحهم، عسى أن يدركوا نقطة من بحر محبته. مثل جرجس الذي قتله الكفار ثلاث مرات، وفي كل مرة كان يأتيه الهاتف: إن كان من يدعي حبنا لن يتجرع خمراً صافية دون ثمالة جزاء الأحباء يكون على هذا النحو. وعندما يسئل عما يريد يقول: «رغبتي الآن أن أصير تحت العربة مرة أخرى، وأن يمزقوني إرباً إرباً في العذاب حتى يأتيني الهاتف مرة أخرى».

والطريق صعب ووعر، ولا يجب الغرور في هذا السبيل. كما أصيب بعض الصوفية بالغرور عندما قابلهم الخضر، فماتوا جميعاً في الطريق.

ويقول الأب: «أي قيمة لدماء الرجال في هذا الطريق، فهنا طاحونة تدور على الدماء». والسالك يظل في حرقة دائمة، يعاني من الشوق إلى لقاء ربه، مثل شعيب الذي ظل يبكي حتى فقد بصره، وكلما رد الله إليه بصره، بكى مرة أخرى. ثم قال للحق تعالى: «يا عالم الأسرار لا ترد إليّ بصري بعد الآن، فطالما لم يتحقق اللقاء، لا شأن لي برؤية نفسي».

وبعد السير والسلوك يستطيع أن يصل إلى المعرفة الحقيقية لله تعالى، ويدرك وصاله.

ثم يتحدث الولد، ويبدو من حديثه أنه اقتنع بأهمية سلوك طريق العشق، ولكنه يرى إمكانية سلوكه، وإدراك معشوقه بالحصول على الذهب أيضاً فيقول: «وعندما تجتمع الدنيا مع الدين يتحقق لي وصال المعشوق».

يدرك الأب أن ابنه لم يفهم كيفية سلوك طريق العشق، فقال له: «طالما لا تتغاضى عن الطيب والسيئ، فلن تكون إلا عاشقاً مجازاً».

ثم يورد الأب قصة «رابعة بنت كعب» وكان أبوها أميراً يقيم على حدود بلخ، وبعد وفاته خلفه ابنه الحارث، وكان للحارث غلاماً اسمه بكتاش يقوم على أمر خزانته،

وكان أعجوبة الدنيا في الجمال. وحدث أن أقام الحارث حفلاً مجللاً. وصعدت رابعة إلى السطح، ووقعت عيناها على بكتاش، فاجتاحتها نار هواه، وسلبت كل إحساسها، ومرضت رابعة، ولكن الطبيب لم يستطع لها شيئاً.

باحث رابعة لوصيفتها بسرّها، ثم رقمت رسالة، وأرسلتها معها إلى بكتاش، قالت فيها: «ألا أيها الغائب الحاضر، أين أنت؟ لماذا أنت بعيد عني في نهاية الأمر؟ عيناى تستمدان ضياءهما منك، وقلبي يأتلف بك أيضاً، تعال وضيف العين والقلب، وإلا استل السيف وأزهق روحي....».

ثم رسمت صورة جميلة لنفسها وأرفقتها بالرسالة. وعندما قرأ بكتاش الرسالة ورأى صورتها، أسلم قلبه لها، وأوصى الوصيصة أن تبلغها عشقه فابتهج قلب رابعة، وأصبح شغلها الشاغل نظم الشعر.

وذات يوم خرجت رابعة إلى «دهليز»، فرأها بكتاش، وتشبث بأذيالها، فقالت رابعة: «انتبه أيها الوقح ما هذه الجرأة، إنك ثعلب فأى عرين للأسد تقتحم»!

فقال لها الغلام: يا من أنا تراب محلثك، كيف تخفين وجهك عني؟ وإلا فلماذا أرسلت الشعر إليّ ليل نهار، وأسرت قلبي بتلك الصورة الفاتنة».

وردت عليه رابعة: إنك لا تعلم ذرة من هذا السر، لقد وقع أمر في صدري، ولكنه انكشف!

وحدثت معركة بين الحارث وأحد الجيوش المعتدية حيث جرح بكتاش في هذه المعركة، فأرسلت له رابعة رسالة نظمتها شعراً، ورد عليها بالمثل.

وتقابل الرودكي والحارث في بلاط ملك بخاري، وهناك ترنم الرودكي بأشعار رابعة، فعرف الحارث سرها من حديث الرودكي عنها. وبعد عودته أمر بإلقاء بكتاش في غيابة الجب، وإيقاد نار الحمام من أجل رابعة، كما أمر بفصد عروق يديها وبأن تسد مخارج الحمام بالبحص والآجر.

فظلت رابعة تكتب الأشعار على جدار الحمام، حتى لفظت أنفاسها.  
أما بكتاش فقد استطاع الهرب من البئر، ثم قطع رأس سيده الحارث، وذهب إلى  
قبر رابعة حيث قتل نفسه بخنجر، ولحق بها.

وبعد أن انتهى الأب من قصته، يأتي دور الولد، ونراه قد اقتنع بأهمية سلوك طريق  
العشق، وبعدم جدوى الحياة الدنيا، ولكنه يريد أن يعرف كنه الكيمياء فحسب.

يبدأ الأب على الفور يقص لابنه قصة «أفلاطون» الذي قبع في مكان ما خمسين  
عامًا، واستطاع أن يصنع إكسيرًا قويًا من قشر البيض وشعر الناس، فجمع بذلك ذهبًا  
وفيرًا.

وذاث يوم فكر في صنع إكسير من جوهره، لينكشف له العالمان معًا، فاعتزل  
العالم ألف عام، وصنع كيمياء من جوهره، فانكشفت له الأسرار الإلهية، وكان لديه  
دواء يغنيه عن تناول الطعام وارتداء الملابس، وعندما ذهب إليه أرسطو والإسكندر  
وجداه جالسًا في صمت عميق، وعندما طلب منه الإسكندر أن يتحدث عن الحكمة  
قال له: إن الصمت شيء خالد.

ورفض كذلك تناول الطعام أو الخلود إلى الراحة، ثم دخل الغار.

ثم يوجه الأب الحديث إلى ابنه: «إن لم تكن تعلم ما هي الكيمياء التي تنير  
العالم، فتعلمها من أفلاطون، لماذا تصنع كيمياء الفضة والذهب من قشر البيض  
وشعر الناس أيضًا؟ اجعل جسدك قلبًا، ثم احله إلى ألم ومعاناة، فعلى هذا النحو  
يصنع الرجل الكيمياء».

والألم لا يمكن تعريفه. وكما قال مجذوب: إنه شيء لازم كما تلزم اليد لمبتور  
اليد أو كما يلزم الماء لشخص اشتد به العطش عشرة أيام.

والألم مهم جدًا للوصول إلى مرحلة الفناء. فيقول الأب: «لا تقض على وجودك،  
ولا تنم ولا تظل مستيقظًا، لا تكن في الأصل، تذكر هذا جيدًا، فأنت تملك ما تبحث

عنه في الآفاق، فافن عن نفسك حتى تدركه مثل العشاق.

ومن يدرك هذه الحال لا يهتم بشيء قط، لا يسعد بالإقبال، ولا يحزن من الخسران والإدبار.

وعندما يصل الإنسان إلى حال الفناء، تنمحي الاثنية، كما يختلط اللبن والخمر، ويتخلصان من نقص الاثنية.

ثم يتحدث الأب عن الكيمياء الحقيقية: «ولكن الكيمياء أبداً هي نور الله يقذفه داخل قلوب السالكين، فإذا ما ومض نوره على كافر ولو للحظة، تفيض أنواره على الدنيا.... وعندما ما يحيل ذلك النور روحك إلى المحو المطلق يصدر عنها «سبحاني» «وأنا الحق».

ثم يقول الأب لابنه: وإذا ما أدركت الروح هذه الدرجة، تكون جديرة بتلقي الأمر الإلهي، وتكتسب خواص الحضرة وتصير جزءاً منها: «ولأننا نرتدي ثوب خاصيتها، فالرسالة من القدوس إلى القدوس».

ثم يشرح الأب حقيقة الكيمياء مرة أخرى فيقول: «نعم عندما يحل نور الحق في روحك، يكتسب جسدك لون الروح في الحال.

ويطلب الأب من ابنه بعد ذلك أن يصنع الكيمياء على هذا النحو، ويقول له توجد بعد ذلك أسرار لا يمكن التحدث عنها إلا فوق المشنقة، وهو لا يملك أن يتحدث بأكثر من هذا.

وعلى هذا النحو تنتهي المناظرة بين الأب وأولاده الستة.

## ثانياً : الملامح العامة للقصاص الواردة في الهي نامه

### ١ - فن المناظرة :

يعتمد البناء الفني في منظومة الهي نامه على فن المناظرة، و المناظرة فن سابق على العطار، عرف في النثر منذ القدم، ثم ظهر في الشعر وغزا القصيدة في بداية الأمر، ثم تحول إلى المثنوية في منظومات قصصية، ويعتبر العطار أول من استخدم هذا الفن في المنظومات الصوفية، وظهر ذلك في منظومة الهي نامه.

وفن المناظرة يساعد الشاعر على الاستعانة بالحكايات والقصص المختلفة، وهو ما استفاد منه العطار في منظوماته المختلفة، ولكنه يتضح أكثر في الهي نامه.

وإيراد الحكايات وسيلة ناجحة للوصول إلى العامة، وكما يرى الأستاذ فروزانفر<sup>(٢)</sup> فإن عامة الناس تميل إلى سماع الحكايات والقصص، وتصغي إليها بعناية واهتمام، وعن طريقها يمكن إيصال المعارف الحقيقية إليهم، كما إن شرح أحوال السالك والمريد في ثوب التمثيل والحكاية يكون أكثر تأثيراً، هذا بالإضافة إلى أن الموضوعات الصوفية لا تتيسر بالإفصاح والعلانية.

### المناظرة في الهي نامه :

تدور المناظرة في الهي نامه بين أب وأولاده الستة على النحو التالي :  
يجمع الخليفة أولاده الستة، ويطلب من كل واحد منهم أن يفضي إليه بأعز أمانيه، وأغلى رغباته؛ حتى يحققها له في التو.

فيبدأ الولد الأول في طرح أمنيته، ومدى تعلقه بها في أبيات قليلة، ثم يتبعه الأب بتقبيح هذه الرغبة في عدة أبيات أيضاً، وبعد ذلك يبدأ العطار في سرد الحكايات المختلفة التي يدعم بها آراءه، ومع بداية المقالة التالية يبدأ الولد في جذب أطراف

الحديث، ويشير نقطة جديدة حول رغبته في أبيات قليلة، ثم يعقبه الأب في عدة أبيات ويبدأ بعد ذلك في سرد الحكايات والقصص، وتستمر المناظرة على هذا المنوال حتى يقتنع الولد الأول بخطئه ويقنع عن أمنيته. وتسير المناظرة مع بقية الأولاد على نفس هذا المنوال.

وهكذا نجد أنفسنا في تردد لقبول الرأي القائل بأن الحوار هو العنصر الأصلي للمنظومة<sup>(٣)</sup> لأن الحوار القصير بين الأب والأولاد في بداية كل مقالة هو بمثابة إطار عام للمنظومة، أما الحكايات فهي أساس المنظومة ولبها، وقد حرص العطار على التدخل بعد كل حكاية ليبدلي برأيه فيها ويعلق عليها، وكان التعليق في أغلب الأحيان يتسم بالإيجاز، باستثناء المواضع الخاصة بالحديث عن المعشوق والعشق وطريقه الوعرة، حينئذ يترك العطار العنان لخياله ولقريحته الشعرية فيتحول أسلوبه من أسلوب سهل إلى أسلوب متكلف مليء بالمحسنات البديعية.

كما ظهرت مهارة العطار في استخدام الحوار، فجعل الحوار في مستوى الشخصيات، كما إنه أجرى الحوار على السنة جميع الكائنات والمخلوقات، بل والملائكة والشیطان أيضًا، مما أضفى حركة وحيوية على الحكايات.

كذلك يتميز الحوار عند العطار بسهولة تحديد أطرافه فلا نلاحظ عنده ظاهرة الالتفات التي تميز الحوار عند جلال الدين الرومي أي انتقال الشاعر من صيغة المتكلم إلى الخطاب إلى الغيبة عدة مرات.

## ٢ - ثراء شخصيات القصص :

أورد العطار مائتين وست وسبعين حكاية في منظومة الهي نامه، وقد أجراها كلها على لسان الأب في جو يعيد إلى الأذهان ليالي ألف ليلة<sup>(٤)</sup> ويمكن تقسيم هذه الحكايات كالآتي:

أ - حكايات دينية: ذكر العطار كثيرًا من الأنبياء والرسل ضمن حكايات الهي

نامه فقد ذكر آدم وإبراهيم وإسماعيل ويعقوب ويوسف وشعيب وموسى وسليمان وأيوب ويونس ويحيى وعيسى «عليهم السلام»، وقد استفاد العطار من قصصهم في القرآن الكريم، هذا إضافة إلى الحكايات الدينية التي حشدها في ديباجة المنظومة.

ب - **حكايات تاريخية**: استفاد العطار من تاريخ إيران القديم وأساطيره، فذكر حكايات عديدة عن تلك الحقبة مثل حكاية بيزن، وكأس جمشيد، واكوان ديو، ورستم وسهراب، والعلم الكاباني، وسياوش، ورستم واسفنديار، وأفراسياب، وأردشير، وأنوشيروان، وبزرجمهر. كذلك ذكر قصصاً من التاريخ الإسلامي، فقد أورد قصصاً عن خلفائه وملوكه وسلاطينه، وتعددت قصصه عنهم، فذكر على سبيل المثال: زبيدة، سنجر، ملكشاه، هارون الرشيد، المأمون، أما محمود الغزنوي فقد حصل على النصيب الأكبر في حكايات الهي نامه، حيث ذكره العطار في خمسة عشر حكاية.

ج - **حكايات عن رجال الصوفية**: كان من الطبيعي أن تكثر حكايات الصوفية وقصصهم في منظومة صوفية مثل الهي نامه، فقد ذكر العطار أكثر من خمسة وثلاثين شخصاً من رجال الصوفية، ضمن حكاياته في الهي نامه، وتحدث عنهم باحترام تام، إلا أنه أظهر إجلاله الكبير، إلى كل من الحلاج وأبي يزيد بصفة خاصة، واعتبر الأول مثلاً أعلى لحالة العشق، واتخذ من الثاني صورة مثالية لحالة الفناء، كذلك فقد ذكر العطار عدة حكايات في الهي نامه كان قد ذكرها من قبل في كتابه تذكرة الأولياء ضمن ترجمته لسير رجال الصوفية.

د - **حكايات عن الشعراء**: أورد العطار حكايات عن ثلاثة من شعراء إيران وهم: مهستي وفخر الدين الجرجاني ورابعة بنت كعب، وكانت هذه الحكايات ذات أثر كبير في التعريف بأحوال هؤلاء الشعراء الثلاثة<sup>(٥)</sup> لقلة ما ورد عنهم في كتب التذكرة. كذلك دارت القصص حول حيوانات وطيور وحشرات وجماد بحيث احتوت على نماذج متعددة للكون كله، بكل ما يزخر به من مخلوقات وكائنات، وقد أخضع

العطار كل قصصه بشخصياتها ورموزها وعناصرها لحديثه الصوفي؛ فجاءت كلها محملة بالمعاني الدينية والصوفية.

### ٣ - تعدد الشكل القصصي :

ظهرت مقدرة العطار الفائقة كقصاص بوضوح في منظومة «الهي نامه» خاصة في قصتي «المرأة الزاهدة» و«رابعة بنت كعب».

وقد امتازت القصة الأولى، بتعدد الشخصيات، فالمرأة بطلة القصة، تقابل شخصيات عديدة، وهذه الشخصيات تساهم كلها في تفاعل الأحداث، كما يتوافر عنصر الصراع بين هذه الشخصيات وبين بطلة القصة، كذلك تنتقل المرأة إلى أماكن عديدة، وبذلك تتعدد مشاهد القصة، وتجري أحداثها في أماكن متفرقة، وتتطور الأحداث وتتصاعد، ثم تحل مشكلة المرأة في النهاية، وربما تصلح هذه القصة كنواة لقصة روائية طويلة.

والقصة الثانية تظهر فيها مقدرة العطار على نظم القصة أيضاً، إلا أن القصة الثانية من نوع آخر، فهي قصة عاطفية تعتمد على وصف المشاعر وإن كانت لا تخلو من الأحداث أيضاً، وتغيير مشاهد الحدث القصصي، ويكثر في هذه القصة الحديث عن الرسائل المتبادلة بين رابعة وبكتاش ووصف الأحوال النفسية والوجدانية للعاشقين.

وبالإضافة إلى مقدرة العطار كناظم لقصص طويلة، بدت مقدرة أيضاً على توضيح فكرته من خلال بيتين أو ثلاثة أبيات، تحت عنوان حكاية، وبالطبع فهذه الأبيات القصيرة لا تحمل مقومات الحكاية، لكنها توضح مقدرة العطار على تبيان هدفه في بيتين أو ثلاثة فقط، فقد استطاع مثلاً أن يوضح أن معرفة الله موهبة وليست كسباً، في ثلاثة أبيات فقط على هيئة سؤال وجواب بين شخصين<sup>(٦)</sup>، كما قال إن صفاء قلب الرجل لا يكون إلا بالإعراض عن الدنيا وحطامها، في ثلاثة أبيات أيضاً وبنفس طريقة السؤال والجواب<sup>(٧)</sup> كذلك صور المظالم التي تجتاح العالم وأهله



على لسان أحد الأشخاص في بيتين<sup>(٨)</sup>.

#### ٤ - الوحدة الموضوعية :

تتميز الحكايات في (الهي نامه) بالوحدة الموضوعية بين أبياتها، فالأفكار مرتبة ترتيبًا دقيقًا، وكل بيت في الحكاية يضيف جديدًا إلى معنى القصة، ويؤدي بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل في التفكير والمشاعر، ونستطيع أن نقول إن أغلب القصص في (الهي نامه) تتميز بعدم التكرار الممل بين أبياتها، فقد مال العطار إلى البساطة التامة في عرض قصصه، بحيث إننا إذا تجاوزنا عن تعليق العطار، والذي كان يطول أحيانًا خاصة في المواضع الخاصة بالحديث عن العشق، وأردنا أن نقص أحداث القصة، فأنا في أغلب الأحيان - لا نستطيع أن نترك بيتًا واحدًا من الأبيات المتعلقة بأحداث القصة. وتعتبر هذه ميزة كبيرة تضاف إلى مميزات العطار.

#### ٥ - الرمز الصوفي في الهي نامه :

تعتبر الهي نامه من منظومات العطار الواضحة المعالم، الجلية الرمز، فهو لم يكلف القارئ أي مشقة أو يحمله أي عناء لفهم هذه المنظومة.

فقد شرح العطار ما يقصده بالخليفة والأولاد الستة من خلال حديثه إلى الروح، فالروح هي خليفة الله على الأرض، منه أتت وإليه تعود، وفي قوس صعودها من الأرض إلى السماء تترقى في ستة مقامات هي:

الحس - الوهم - العقل - العلم - الفقر - التوحيد.

وكل ولد يمثل بالرغبة - التي يطلبها - مرحلة من هذه المراحل. فالولد الأول يريد الزواج من ابنة ملك الجان، وينتهي الأب من مناظرته معه بأهمية عدم التعلق بالماديات والقضاء على النفس الأمّارة. والتعرف على القوى الإلهية داخل النفس الإنسانية وتنميتها، والسلوك في طريق الله.

والولد الثاني يطلب تعلم السحر، فيوضح له الأب أنه يتجه إلى أشياء وهمية

يصورها له الشيطان، وعليه أن يجعل شيطانه يسلم، ويسلك طريق السحر الحقيقي وهو طريق الإيمان الذي يصل به إلى الخلود.

أما الولد الثالث فيرغب في الحصول على (كأس جمشيد)، ويوضح له الأب أن إدراك العوالم الخفية والأسرار العليا لا يتأتى إلا بالنفس الفانية التي تسقط من أمامها الحجب، أما الكأس فلا تؤدي إلا إلى الهلاك، وكأسه الحقيقية التي تصل به إلى العوالم العليا هي عقله الذي يحمل كثيراً من الأسرار والمعارف وعليه توجيهه إلى طريق الله.

ثم يأتي المقام الرابع وهو طلب الولد لماء الحياة، وقد استطاع الأب أن يدل ابنه على ماء الحياة الحقيقي، وهو المعرفة الإلهية التي تنير الطريق أمام السالك فيرى العالمين.

- وفي المرحلة الخامسة يطلب الولد خاتم سليمان. ليتحقق له ملك سليمان، ويتحدث الأب، ويوضح لابنه تفاهة مطلبه، وفي النهاية يقتنع الولد بأن خاتم سليمان ليس إلا القناعة، وسلوك طريق الفقر الصوفي هو أساسها، والقناعة هي الملك الحقيقي. لأنها تصل بالسالك إلى نهاية الطريق، وتجعله يتحمل مشاقه.

- وتأتي المرحلة السادسة وهي أسمى المراحل وأرفعها، وفيها يتشوق الولد للوصول إلى طريق الدين، ولكنه يتصور أن السبيل إليه يكون بتعلم الكيمياء. لكن الأب يفند له آراءه حتى يصل معه إلى كنه الكيمياء الحقيقية، فنجد أنها نور الله يقذفه داخل قلوب عباده، فإذا بهم يدركون سر الحياة الحقيقي ويفنون عن أنفسهم.

والروح التي تطوي هذه المقامات هي روح الإنسان الكامل، الذي هو خليفة لله تعالى.

ويتضح من هذا أن رموز العطار واضحة لأنه صرّح بها في بداية منظومته، كذلك فقد اختار رموزاً قوية، فالزواج من فتاة جميلة رمز قوي على تمكن الجوانب الحسية

من النفس الإنسانية، كذلك تعلم السحر، وخاتم سليمان وماء الحياة وكأس جمشيد، وتعلم الكيمياء كلها رموز على أحلام الإنسان وأمانيه في الحياة الدنيا، ورغبته في تقلد أحسن المناصب، والفوز بعمر طويل، والسياسة في العالم، والحصول على الذهب والمال، وإحكام سيطرته على الغير.

كذلك فقد مال العطار في أغلب حكاياته إلى شرح الرمز الذي يقصده إذا كانت القصة رمزية.

وبالإضافة إلى هذا امتازت بعض الحكايات باستعمال هذا الأسلوب الرمزي ومن أمثلة ذلك:

يتحدث العطار عن سلوك الطريق ووعورته، ففي هذا الطريق لا يصل كل إنسان إلى نهاية المطاف وهو الفناء في الله، بل كثيرًا ما يهلك سالك في هذا السبيل ويصل آخر، ويمثل العطار لذلك بالحجر والطوبة، فالاثنتان يسقطان داخل البحر، والحجر يغرق، أما الطوبة فتفنى عن نفسها، وتكتسب صفات البحر<sup>(٩)</sup>.

كذلك رمز لحالة الفناء بالقمر والشمس، فالقمر عندما يختفي، يكون قد فنى في الشمس، وعندما يظهر هلالاً، يسرع الناس إلى مشاهدته أو مشاهدة من فنى في حبيبه<sup>(١٠)</sup> والإنسان الجشع الحريص المتكالب على الدنيا، مثله العطار بالحيوان النهم الذي يأتي كل يوم علي سبع صحراوات، وينهل سبع بحار، وعلى الرغم من ذلك لا يهدأ له بال، ولا يغمض له جفن<sup>(١١)</sup>.

أما الدنيا فقد رمز لها العطار بلعبة الشطرنج، تنتظم صفوفها، ويحمل شخص من منزله، ويأتي آخر بدلاً منه، ويعزل الملك، ويطرد من مكانه، ويستمر الوضع على هذا المنوال حتى يفض اللعب<sup>(١٢)</sup>.

وقد أضفى العطار على رموزه قوة في التعبير وأظهر مقدرة في التصوير، فجاءت معانيه قوية، ورموزه موحية.

كما لجأ العطار إلى السخرية والتهكم، فجعل للمعاني صوراً ناطقة أقرب إلى صور (الكاريكاتير) منها إلى الشعر، ولعل أقرب مثال على ذلك وصف العطار للدنيا، عندما تجسمت للسيد المسيح على هيئة عجوز شعرها أبيض، وظهرها مقوس، وبدون أسنان ووجهها أسود، ترتدى ثوباً من مائة لون ولون، إحدى يديها مخضبة بألوان عديدة، واليد الأخرى غارقة في الدماء ويتدلى من كل شعرة من شعرها منقار صقر، ويغطي وجهها حجاب.

ثم يفسر العطار هذه الهيئة الغريبة، ويمزجها بطريقة جميلة للغاية بصفات الدنيا، وهي كلها أمور معنوية، وهو بذلك يجمع بين الماديات والمعنويات، ويخلط بينهما بمتهى المهارة، فالحجاب يحجب حقيقة الدنيا عن الخلق، والثوب المتعدد الألوان يجعل قلوب الناس تميل إلى حبها، ويدها ملوثة بالدماء من كثرة الناس الذين قتلهم، ويدها الأخرى مخضبة لتخدع الأزواج، وتجعلهم يتعدون عن ذكر الله<sup>(١٣)</sup>.

وعلى الرغم من الصورة المنفرة للدنيا، إلا أنها صورة قوية تترك في نفس القارئ الأثر الذي أراده لها الشاعر، وعرض الصور القبيحة لا يتنافى مع الشعرية، وفي هذا يقول الدكتور غنيمي هلال<sup>(١٤)</sup>، عرض الأمور القبيحة عرضاً فنياً لا غبار عليه متى أجد التصوير.

كذلك جعل للمعاني صوراً ناطقة، وأوضح مثال لذلك تصويره للدنيا وأهلها، فالدنيا جيفة ملقاة والملوك كالأسود أول من يأكلون من هذه الجيفة، ثم يأتي دور الأمراء، وبعد ذلك عمالهم ورجال بلاطهم... إلخ<sup>(١٥)</sup>.

وقد استطاع العطار أن يجسد هذه الصورة تجسيداً جميلاً، وأن يزاوج بين النفس الإنسانية والحياة والحيوان في صورة واحدة، وأن يأتي بصور متتالية كلها موحية.

كذلك ظهرت بعض الصور الشعرية التي تعتمد على الخيال، مثل حديثه عن يوم القيامة، عندما يسرع الملائكة بشاب صوب الجحيم، فيأتيهم الهاتف يأمرهم بتركه، ثم يخفيه الله في حجاب أسرار، ويبحث عنه الملائكة، فيقول لهم الله - تعالى - إنه

في دار عصمته<sup>(١٦)</sup>، والعطار يشرح بهذا مدى عناية الله ورعايته لعباده، ويدل على أن رحمة الله واسعة لا نهاية لها.

وفي حكاية أخرى يصف لنا قصرًا من قصور الجنة، حيث نزل شاب، وفي هذا القصر آلاف النوافذ من كل صوب، وحيثما نظر الشاب وجد الله تعالى أمامه، وينتهي العطار من هذه الصورة إلى أن هذه المكانة الرفيعة لا يدركها أي إنسان بسهولة، بل بعد مجاهدة وبقلب مفعم بالوجل والخوف من الله<sup>(١٧)</sup>.

كذلك ظهر في «الهي نامه» بعض حكايات متفرقة مما يسمى بـ «شعر اللاوعي» ويعتبر الصوفية هم أول من قال بأدب اللاوعي، فقد أثر عن الكثيرين منهم نظم الشعر في حالات الوجد الصوفي، التي كانوا يخرجون فيها عن العقل الواعي<sup>(١٨)</sup>.

ومن أمثلة ذلك ما جرى على لسان المجذوب في حديثه إلى الله، عندما طلب منه «الكرباس» لأنه لا يصبر على حاله هذا ويريد ثوبًا، ويجيبه الحق -تعالى- بأنه سيمنحه الكرباس ولكن من أجل كفه<sup>(١٩)</sup>. ويشير العطار بذلك إلى أهمية موت الإنسان في الحياة أي ضرورة فئاته عن نفسه.

كذلك حديث مجذوب آخر عن قلب الله -تعالى- الذي يتسع لكل قلوب أهل العالم، ورغبة في أن يشعر به قلب الله ويتألم لحاله<sup>(٢٠)</sup>.

ويجري العطار حديثًا آخر، على لسان أحد المجاذيب الذي يسر إلى الله برغبته في الفناء عن نفسه، لأن وجوده لا يتسع له ولله معًا<sup>(٢١)</sup>.

وقد اتخذ شعر العطار صبغة الحكم والنصائح العامة، حينما تحدث عن النواحي الأخلاقية مثل ذم الغيبة<sup>(٢٢)</sup>، وتفضيل الصمت على الكلام<sup>(٢٣)</sup>، وذم أكل اللحوم وتناول الطعام بكثرة<sup>(٢٤)</sup>.

كما استخدم العطار مثل أغلب الصوفية الرمز بأسماء المعشوقات الحسية مثل ليلي والمجنون، وأكثر من القصص التي تدور حول محمود الغزنوي وغلამه إياز،

ومن الغريب أن هذه القصص قد استعملت كطراز في كل آثار التصوف الفارسي<sup>(٢٥)</sup>.

## ٦ - إخضاع الشخصيات المشهورة وكافة الكائنات للمعاني الصوفية :

تمثلت الحياة بكافة ألوان الصراع الكامنة في النفس البشرية في شعر العطار، كما ظهر في شعره الصدق في تجربته الشعرية إلى أبعد مدى، فقد غاص في أعماق النفوس البشرية، وصور جوانبها المختلفة، وشرح ما يعتمل في روح الإنسان من صراع بين الخير والشر، واستعان في ذلك بكل مظاهر الوجود. وكما يقول الدكتور غنيمي هلال<sup>(٢٦)</sup>، فالشاعر يستطيع أن يجد موضوعات للتجارب الشعرية الصادقة في كل ما حوله، متى خلع عليها من إحساسه أو فاض عليها من خياله، وفي هذه لابد من قدرة شعرية تفوق المألوف لتنقل هذه المشاهد اليومية إلى عالم الشعر بقوة الإحساس والتصوير الفني.

وقد استطاع العطار أن يتناول الموضوعات العادية في الحياة اليومية، وأن يوجهها وجهة صوفية صرفة، ومن أمثلة ذلك:

وقف العطار أمام مناظر عادية، ربما تمر على الإنسان العادي، دون أن تترك أثراً يذكر في نفسه، أو لا يكاد يلحظها بالعين المجردة، إذا كانت غير قريبة منها، أما العطار فقد أثارت هذه المناظر فكره، وشحذت خاطره، وألهبت خياله، فنراه وقد صور النملة الضعيفة الواهية، وهي تحمل التراب ذرة ذرة من تل كبير أمام منزله، من أجل إدراك رضا المحبوب، ويقارن بين هذه النملة وبين السالك الذي يجب عليه تحمل آفات الطريق وصعوبته ووعورته، فهو بضغفه البشري يمثل النملة، ومطمحه في الوصول إلى معرفة الله يمثل رغبة النملة في حمل هذا التل الكبير، وربما هلك أثناء الطريق، وربما فشلت النملة في مهمتها، ولكن الأمر المهم هو توافر النية والعزم<sup>(٢٧)</sup>.

وهكذا استطاع العطار أن ينتهي إلى نتائج مهمة، من منظر عادي مألوف وهو

سعي النملة ودأبها على حمل الأشياء.

وكم من إنسان وطأ نملة يقدمه، دون أن يحرك ذلك ساكنًا فيه، لكن العطار حول هذا الأمر العادي إلى مثال يدل على صفاء الباطن وجلاء مرآة القلب، فالإنسان الذي يشعر بخطورة فعل كهذا الفعل، هو رجل الطريق الحق<sup>(٢٨)</sup>.

كذلك جعل العطار موضوع قذف كلب بطوبة<sup>(٢٩)</sup> أو ضربه بعصا<sup>(٣٠)</sup>، جريمة إنسانية تبعد الإنسان عن كونه أفضل مخلوقات الله، وتحيد به عن سلوك طريق الحق تعالى. وتدل على الشرور التي تعتمل في نفسه. ومن الأمثلة الجديرة بالتنويه في هذا الصدد، المناظرة بين طائر منزلي وباز حول عدم وفاء الإنسان، فهو يربي الطيور ليذبحها في النهاية. ويتنقل العطار من ذلك إلى الدنيا فهي أيضًا تربي الإنسان لتقضي عليه في نهاية الأمر<sup>(٣١)</sup>، وعلى هذا النحو مزج العطار بين خصال الإنسان وصفات الدنيا، ليثبت أن الإنسان لا حول له ولا قوة، وأن الآخرة أبقى له وأنفع.

ويبدو أن ذبح الإنسان للطيور والحيوانات يثير مشاعر العطار، فها هو يرى القصاب وهو يذبح الخراف، وعلى الرغم من أنه أمر عادي للغاية بالنسبة لأغلبية الناس، إلا أنه يجعل العطار يتحدث عن الموت وحتميته، وعن هذا القصاب اللاهي الذي لا يفكر في حتمية موته هو، ولا يعمل من أجل آخرته<sup>(٣٢)</sup>.

كذلك فقط حمل العطار الشخصيات المشهورة المعاني والمضامين الصوفية فاتخذ من الخلفاء والملوك والأمراء والحكام والقادة والوزراء في كثير من قصصه رمزًا للغفلة عن الآخرة، والتكالب على الحياة، والبعد عن الطريق القويم، وربما يكون السلطان محمود الغزنوي من أبرز الشخصيات المشهورة التي دارت حولها القصص في الهي نامه.

ويبدو من هذه القصص التي تدور حول محمود أن صورته كسلطان عظيم فاتح للهند لا تزال ماثلة للأذهان، فالعطار يذكره على نحو حفظ له صفات الملك والعظمة مثل: الملك المؤمن، الملك المعظم، الملك المظفر، شيخ الملوك، ملك

الدين، سلطان العالم.

كذلك يطالعنا السلطان محمود الغزنوي غالبًا في الهي نامه وهو في الطريق قائدًا للجيش أو خارجًا للصيد، وفي طريقه يقابل إما عجوزًا أو شيخًا أو مجذوبًا أو غلامًا حيث تدور بينهما القصة.

كما يجري ذكر ضخامة جيشه وفتوحاته للهند وكثرة أفياله وتحطيمه لمعبد سومنات الذي كان يضم أعظم أصنام الهند.

كما يشير العطار إلى ما حدث بين محمود الغزنوي والفردوسي بعد تأليف الأخير للشاهنامه، وغضب الفردوسي لعدم تقدير محمود له.

ومن الواضح أن صفات السلطان محمود الغزنوي ٣٨٧ - ٤٢١ هـ كمؤسس للحكم الإسلامي في الهند حيث أمضى محمود ما يقرب من خمسة وعشرين عامًا في حروب وفتوحات متفرقة في بلاد الهند، ووضع أساسًا قويًا للدولة الإسلامية هناك، فاستمر الحكم الإسلامي بعده حوالي ثمانية قرون ونصف قرن، من الواضح أن هذه الصفات كانت قد استقرت تاريخيًا في الحكايات المتداولة عن محمود الغزنوي وصارت ماثلة للأذهان، فأضحى محمود مثالاً على الشجاعة والغزو والجرأة، كما إنه صار رمزًا للغنى والمكنة.

وعلى الرغم من إثبات هذه الصفات من الإيمان والقوة والمكنة للسلطان محمود الغزنوي في بدايات الحكايات، إلا أن مضمون هذه الحكايات في مجملها استخدمت داخل إطارها العام بحيث أخضعها العطار للمعنى الصوفي الذي يقصده في موضع حديثه؛ لذلك نرى محمود الغزنوي في كثير من الحكايات يمثل الملك الغافل عن سر الحياة؛ والذي يدرك حكمة الوجود من عجوز أو شيخ أو مجذوب، كما إنه يعد مثالاً على ظلم الحكام واستغراقهم في الماديات، واستمراءهم للحرام. أو كرجل ذي حس صوفي يتمتع ببعض الروحانيات، كما يظهر أحيانًا كمثال للملك العادل. ويمكننا القول: إن القصص التي تدور حول الشخصيات التاريخية حافظت



فقط على الإطار التاريخي للشخصية، وإن المعاني التي وردت داخل هذا الإطار تعددت، بحيث أنصفت تلك الشخصيات حيناً، بينما جاء الرمز الصوفي على حسابها حيناً آخر، وإن الأولوية كانت للمعاني والرموز الصوفية، حيث خضعت صورة هذه الشخصيات في الحكايات لمقتضى الموقف والرمز.

فقد جعل الإسكندر مثلاً بكل قوته الهائلة يموت ذليلاً لأنه لم يدرك الطريق السليم في حياته.

## ٧ - الأبعاد الاجتماعية والحضارية:

حفلت القصص الواردة في الهي نامه بلمحات من الحياة الاجتماعية والحضارية مثل:

١ - نقد القضاء: تشير أول قصص المنظومة وهي قصة المرأة الزاهدة إلى تدهور أوضاع القضاء حيث يشير العطار إلى شهادة الزور والمعروف أن القاضي كان يتخذ الشهود ليعاونوه في عمله القضائي، وذلك لأن أساس الحكم في الإسلام هو البيئة أي الشهادة، وكان أي فرد يقوم بالشهادة في محضر القاضي، فمن عرف عنه خير، قبلت شهادته، ومن عرف فيه غير ذلك لم تقبل منه، حتى كثرت شهادة الزور وتفشت، ثم ظهر نظام الشهود العدول في عهد الخليفة المنصور ١٣٦ - ١٥٨ هـ فكان القاضي يختار بنفسه بعض الشهود ممن اختصوا بالأمانة والتفقه في الدين، وكان القاضي لا يفتأ يراقب تصرفاتهم ويعاقب من يسيء منهم، وكان الشهود العدول يكونون في القرن الرابع الهجري طائفة مهمة وكانوا أشبه بالعمال الدائمين<sup>(٣٣)</sup>.

وفي العصر العباسي الثاني لم يقتصر الفساد على حالة الدولة المدنية والحربية، بل تعدى ذلك إلى القضاء أيضاً<sup>(٣٤)</sup>. ويبدو أن شهادة الزور كانت تتبع ضعف القضاء وهو أمر منطقي.

٢ - الخراج: كما تحتوى القصة نفسها على مشهد يعبر عن تعسف الحكام في

جمع الخراج تعسفاً يصل إلى حد الحكم بالإعدام.

وكان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قد رأى عندما فتح البلاد العراق والشام ألا تقسم هذه الأراضي المفتوحة بين الغانمين، ولكن تترك لأهلها مع وضع الخراج عليها لينفق منه على مصالح المسلمين<sup>(٣٥)</sup>.

والخراج مقدار معين من المال أو الحاصلات يدفع سنوياً وفي العصر العباسي جعلت الأرض في ملكية الدولة، وأصبح لها حق الإقطاع فيها، وكان الأتراك يقطعون الولايات على أن يؤدوا لدار الخلافة مبلغاً من المال عدا الهدايا والطرف.

وكان المقطع أو الملتزم يعمل على الإثراء وجمع الأموال الضخمة، ولا يتردد في إرهاب الأهالي وإثقالهم بأنواع الضرائب المختلفة؛ ليستطيع أن يؤدي إلى الحكومة ما عليه من مال الخراج، ويحفظ ما زاد لنفسه، وكان الجباة يسلكون في سبيل ذلك وسائل التعذيب المختلفة<sup>(٣٦)</sup>. وقد وصلت في بعض العصور إلى إلحاق صنوف العذاب والمكارة بالناس حتى كانوا يموتون تحتها أشنع موت<sup>(٣٧)</sup>.

٣ - الرقيق: تتعدد صور بيع الرقيق وشرائه في المنظومة، وكان هذا الأمر شائعاً في العصر العباسي، فقد توسع العباسيون في جلب الرقيق، واستخدامهم في قصور الخلفاء والأمراء والوزراء، واكتظت هذه القصور بالآلاف من الجواري من كل جنس، وكانت بغداد نفسها من أعظم أسواق الرقيق<sup>(٣٨)</sup>.

٤ - الغلمان: تحتوى قصص الهي نامه على أربع عشرة قصة أبطالها من الغلمان حيث يفيض العطار في وصف جمال الغلام بطل القصة إفاضة كبيرة، كما يسهب في وصف آلام العشق، وكانت هذه القصص انعكاساً للأحوال السياسية والاجتماعية التي مرت بها الدولة الإسلامية بعد أن فقدت الروح العربية سيادتها، وعرف الغزل في الغلمان، وشهدت قصور الخلفاء أيضاً ظاهرة الغلاميات منذ عهد الأمين، فيقال إن أم جعفر عندما رأت شغف الأمين بالخدم، اتخذت الجواري المقدودات الحسان

الوجوه، وعممت رؤوسهن وألبسهن الأقبية والمناطق، فاستحسنهن وأبرزهن للناس من الخاصة والعامة، فاتخذ الناس الجواري المطمومات وألبسوهن الأقبية والمناطق وسموهن الغلاميات<sup>(٣٩)</sup>.

وقد انعكست هذه الظاهرة في الشعر بصورة واضحة<sup>(٤٠)</sup> وانتقلت إلى التصوف مثلما انتقل الغزل بأسماء المعشوقات الحسية، وإن كان شعراء التصوف بالطبع قد أخضوعوا لمفهومهم الصوفي.

وهذه الأشعار في الحقيقة تعبر بجلاء عن ذوق العصر آنذاك، ومن العسير تقبلها الآن، وهي تلقي بلا شك ظلالاً سلبية على الأدب الصوفي.

وهناك نسبة ضئيلة من قصص الهي نام، تمثل هذه النوعية من الشعر وهي:

| رقم المقالة          | رقم القصة | اسم القصة                         |
|----------------------|-----------|-----------------------------------|
| المقالة الرابعة      | ٢         | قصة عشق أحد الصوفية               |
| المقالة الرابعة      | ٤         | قصة الأمير والبطل                 |
| المقالة السادسة      | ٤         | قصة فخر الدين الجرجاني والغلام    |
| المقالة السادسة      | ٧         | قصة غلام ودرويش                   |
| المقالة السابعة      | ١٧        | قصة السلطان محمود وإياز           |
| المقالة الثامنة      | ٤         | قصة السلطان محمود وإياز           |
| المقالة الثامنة      | ٥         | قصة غلام جميل وعاشقه              |
| المقالة الثامنة      | ٦         | قصة السلطان محمود وإياز           |
| المقالة التاسعة      | ١٣        | قصة السلطان محمود وعرض الجيش      |
| المقالة الحادية عشرة | ٦         | قصة السلطان محمود وإياز في الحمام |
| المقالة الرابعة عشرة | ٨         | قصة الشاب منظم الملابس            |

|                     |    |                             |
|---------------------|----|-----------------------------|
| المقالة الرابعة عشر | ١١ | قصة السلطان محمود وإياز     |
| المقالة الرابعة عشر | ٢٤ | قصة الشاب بائع الملح        |
| المقالة الثامنة عشر | ٨  | قصة الشيخ أبي علي الرودباري |

وأهم الملامح التي تميز هذه النوعية من القصص في منظومة الهبي نامه هي:

١ - الإفاضة في وصف جمال الغلام مثل وجهه يشبه القمر عندما يتوسط السماء،  
باسق كسرو البستان، طرته تلامس أقدامه ووجهه يتدفق حياة، إذا ما أشرقت شمس  
وجهه أخفت إشراق السماء، تجاعيد طرته تصل إلي مئات الآلاف، فقد القمر قراره  
تدلها به، وختم جماله العشق.

٢ - العاشق في هذه القصص إما صوفي أو شيخ أو شاب، وهناك ست قصص من  
بين هذه القصص تدور بين محمود وإياز، وقصة بين الشاعر فخر الدين الجرجاني  
وغلام الملك.

٣ - استخدم العطار عبارات صريحة وواضحة ومباشرة مثل: وحدث أن شقي  
أحد الصوفية بعشقه وتدله إلى حد لا يمكنني شرحه، ولم تكن لديه قدرة مطلقاً على  
البوح بسر عشقه، فكان يكتوي بنار العشق ليل نهار، وقد سلبه العشق وجوده.

٤ - بعد أن يأتي العطار بصورة مغرقة في المادية وممجوجة، ينتقل إلى معان  
سامية ولأسباب لا تخفى على فطنة القارئ، لم يكن أمامي إلا حذف هذه القصص  
من الترجمة، خاصة وأنها لا تؤثر على السياق العام لتعدد القصص الواردة بالمناظرة  
في كل موضع من مواضع المناظرة، وقد اكتفيت بالإشارة إلى هذه القصص عند  
عرض موضوع المنظومة.

## ثالثاً : آراء العطار في الهي نامه

تحدث العطار في الهي نامه عن كثير من المفاهيم والآراء الصوفية والأخلاقية، يدخل بعضها في باب الرسوم والآداب، والبعض الآخر في باب الأسس والمفاهيم الصوفية، ولن يتسع المجال للحديث عن كل ما تناوله العطار من أفكار وآراء لكثرتها وتنوعها، ولذلك فسأركز على أبرز هذه الأفكار، مصنفة إياها في بعض المجموعات المتقاربة، وأول هذه المجموعات:

### (١) الآداب والرسوم الصوفية :

للصوفية آداب في حياتهم اليومية مثل: آداب السفر وآداب الصحبة وآداب الأكل وما إلى ذلك، وقد جاء ذكر بعض من هذه الآداب في «الهي نامه» مثل:

١ - آداب الأكل: كان الرسول ﷺ ينهي عن تناول الطعام بكثرة؛ لأنه يبعد الإنسان عن الإيمان بالحق والخشوع لله تعالى. وقد أخذ الصوفية بهذا المبدأ وبالغوا فيه، فتحدثوا عن فضيلة الجوع، ومن ذلك قول الغزالي: أعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن، فيها أخرج آدم -عليه السلام- وحواء من دار القرار إلى دار الذل.

ويقول الهجويري: أما ثمرة الجوع فالمشاهدة، لأن المجاهدة قائدة. أما صاحب اللمع فقد اعتبر الجوع مهماً أيضاً في وقت الشبع: يكون الفقير معانقاً للجوع في وقت الشبع حتى إذا جاع يكون الجوع أنيسه<sup>(٤٣)</sup>.

وقد ذكر الهجويري<sup>(٤٤)</sup> آداباً كثيرة للصوفية في الأكل: منها أنهم لا يأكلون بمفردهم، ويؤثرون بعضهم بعضاً، وحين يجلسون على السفرة لا يصمتون.

كذلك ذكر السهروردي<sup>(٤٥)</sup> بعضاً من هذه الآداب مثل: الإمساك عن الطعام قبل الشبع.

وقد ذم الصوفية تناول الطعام بكثرة، كما ذموا أكل اللحم، ويذكر ابن الجوزي<sup>(٤٦)</sup> أنه كان بين الصوفية قوم لا يأكلون اللحم حتى قال بعضهم: أكل درهم من اللحم يقسي القلب أربعين صباحاً.

وتابعهم العطار في هذا الرأي حيث أورد قصة رابعة مع الحسن البصري، حينما فرت الوعول والغزلان التي كانت تتحلق رابعة بمجرد مشاهدتها للحسن، فقالت رابعة:

- لقد أكلت من شحم هذا القطيع المسكين، فكيف لا يهرب منك.
- ويعلق العطار على قصة رابعة مع الحسن، فيقول:
- ها أنت تتقوى بالماء والخبز، وتملاً بطنك في نهم.
- تلازم الخلاء والمطبخ أيها الرجل، ولا يضيق قلبك بهذين الجحيمين.
- لأنك لم تسترح لحظة عن أنواع الطعام المختلفة، مهما اجتهدت فهو خيال.
- قيل: اشعل النار في نفسك، وان أكلت لقمة اجلس واضرب جسدك<sup>(٤٧)</sup>.
- كذلك أورد العطار قول الحق لموسى -عليه السلام-:
- إن دعاك الناس لطعام، احذر حلقك.
- ففي الشغف بالطعام، نقص كبير لك<sup>(٤٨)</sup>.

## ٢ - آداب السير والسفر:

- يقول القشيري<sup>(٤٩)</sup> اعلم أن السفر على قسمين: سفر بالبدن: وهو الانتقال من بقعة إلى بقعة، وسفر بالقلب: وهو الارتقاء من صفة إلى صفة.
- ولم يتحدث العطار عن السفر في بيت واحد، عندما قال الحق تعالى لموسى:
- وإن سرت في الطريق لا تنظر خلفك، وانظر موضع قدميك<sup>(٥٠)</sup>.

### ٣ - آداب الصحبة :

يعتبر الهجويري<sup>(٥١)</sup> حق الصحبة أهم الأشياء للمريد، ويقول: لا محالة أن تكون رعاية الصحبة فريضة.

وقد ذكر العطار هذا المبدأ عندما تحدث الله إلى موسى، وقال له: «إن اجتمعت بالناس كن عطوفاً، واحفظ لسانك»<sup>(٥٢)</sup>.

### ٤ - السماع :

ومن الرسوم الصوفية التي ورد ذكرها في «الهي نامه» السماع. والسماع في الاصطلاح بمعنى الموسيقى والغناء والرقص، وعند أصحاب الحال من الصوفية بمعنى الاستماع بأذان القلب إلى الأصوات والألحان في حال من الوجد والغيبة عن النفس، والتصفيق والرقص على انفراد أو في جماعة بآداب ورسوم خاصة<sup>(٥٣)</sup>.

ويقسم صاحب اللمع المستمعين إلى طبقتين: طبقة اختارت سماع القرآن، منهم من صقع وبكى، ومنهم من مات، ومن انفصلت بعض أعضائه، وطبقة اختارت سماع القصائد<sup>(٥٤)</sup>.

وقد وضع الصوفية شروطاً للسماع. فقال أبو سعيد<sup>(٥٥)</sup> بأهمية الإيمان القوي للسالك في السماع.

كذلك اشترط الهجويري<sup>(٥٦)</sup> استقامة الطبع، فقال: الشخص الذي يكون طبعه الفساد، يكون كل ما يسمعه فساداً.

وقد وافق الغزالي<sup>(٥٧)</sup> أيضاً على السماع وأتى بدلائل له من النص والقياس، إلا أنه وضع عليه أيضاً بعد القيود فتحدث عن العوارض المحرمة للسماع.

أما العطار فقد أورد القصة المعروفة عن الشيخ نوري وهي: أنه عندما سمع الشيخ نوري اسم الحق يجري على لسان شخص ضريّر، قال له: ماذا تعلم عنه؟ وإن كنت

تعلم فلم تبقى سجيناً؟ ثم غاب عن وعيه، واستبد به الوجد، فانطلق إلى الصحراء ووجد في طريقه مزرعة قصب، فأخذ يضرب جسده على القصب حتى مزقه إرباً إرباً من الجروح، وفي النهاية فاضت روحه من كثرة نزفه، وعندما نظروا إليه وجدوه ميتاً، ومكتوب بدم فوق كل عود قصب «الله».

ويلق العطار على القصة مبدئاً إعجابه بالمبالغة في السماع فيقول:

- هكذا يجب سماع الناي.

- والقتل بالقصب والراحة في الدماء.

- عندما نستمع إلى اسم الحبيب، كن بحرّاً نارياً بكل ذرة فيك.

- فإن لم تفن في العشق، فذلك العشق ليس إلا مجازاً<sup>(٥٨)</sup>.

### ثانياً: الأفكار الأخلاقية:

يقيم الصوفية طريقهم على أساس من رياضة النفس ومجاهدتها، والمجاهدة الصوفية لها جانبان: جانب بدني وجانب نفسي، والجانب البدني يتمثل في العبادات كالصوم والصلاة والذكر والدعاء وما شاكل ذلك، والجانب النفسي يتمثل في كف النفس عن المعاصي، والأخلاق والصفات المذمومة<sup>(٥٩)</sup>.

ويقول القشيري:<sup>(٦٠)</sup> محل الأوصاف الحميدة: القلب والروح، ومحل الأوصاف المذمومة: النفس.

ويقول الهجويري<sup>(٦١)</sup>، مخالفة النفس رأس جميع العبادات، وكمال كل المجاهدات. ولا يجد العبد الطريق إلى الحق إلا بذلك.

ومن المبادئ الأخلاقية التي تحدث عنها العطار في منظومة «الهي نامه» ما يلي:



## (١) ذم الغيبة :

تحدث الصوفية عن ذم الغيبة وتقبيح النميمة والكذب وغيرها، وقد أفرد الغزالي باباً في الإحياء للحديث عن آفات اللسان، ومما قاله في بيان معنى الغيبة: «اعلم أن حد الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرته بنقص في بدنه أو نسبه أو في خلقه أو في فعله أو في قوله أو في دينه أو في دنياه»<sup>(٦٢)</sup>.

ويشارك العطار الغزالي وغيره من مشايخ الصوفية في ذم الغيبة والمغتائبين، فقد قال في حق المغتاب:

- لو يشبع هذا الكلب لحظة، فالعجيب أنه يصبح أسداً.
  - فعندما تمتلئ بطنه، يشتاق لسانه للغيبة.
  - فيطيل لسانه كسيف حاد، ويغتاب أهل العلم.
  - وإن نصح كثيراً، لا يمكن إسكاته لحظة واحدة.
  - وكل من يتناول بلسانه للغيبة، يحل به الأذى كل ساعة من الغيب<sup>(٦٣)</sup>.
- ويقول:

- ذكر في التوراة أن الشخص، الذي يغتاب ثم يتوب.
  - يكون آخر شخص، يفسح له الطريق إلى ساحة الخلد.
  - وإن لم يتب يكن أول شخص، يدخل النار بمفرده<sup>(٦٤)</sup>.
- ولم يقف الصوفية عند ذم الغيبة والنميمة، وإنما تحدثوا أيضاً عن تفضيل السكوت على الكلام، يقول الغزالي: «اعلم أن خطر اللسان عظيم، ولا نجاة من خطره إلا بالصمت».

أما الهجويري<sup>(٦٥)</sup> فقد ذكر أن الكلام على نوعين، والسكوت على نوعين، فالكلام منه الحق ومنه الباطل، والسكوت منه حصول المقصود، ومنه الغفلة.

وقد تحدث العطار عن الكلام والسكوت، ويبدو من حديثه أنه أميل إلى رأي الغزالي، فقد روى أن عظيمًا طاف بالعالم كثيرًا، فسأله شخص ذات يوم: من ذا الذي يستحق الحديث عنه ممن رأيت؟ فقال:

- لقد طفت الأقاليم السبعة، ولم أر في العالم إلا شخصًا ونصف شخص.
- أما الشخص فهو من لا يتحدث في أغلب أوقاته، بطيب ولا بسوء عن أحد.
- أما نصف الشخص فكان من العزة، بحيث لم يتحدث عن الخلق إلا بالطيب فحسب<sup>(٦٧)</sup>.

## ٢) ذم الحرص والغرور:

ذم العطار الحرص على الدنيا والتكالب على حطامها، والغرور بمباهجها الزائفة فيقول:

- تجرعت كأس الدنيا الطافح، فماذا ستفعل بأموالها الوفيرة.
- بالله لا يساوي متاع الدنيا بأسرها، في عين السالك شعيرة واحدة<sup>(٦٨)</sup>.
- ويقول:
- إن كان لديك ذرة من حرص اليوم، فسيكون مصيرك في النهاية الاحتراق بها.
- إن كنت تعرف حق المعرفة، لصببت الماء فوق النار المتأججة.
- وإلا فستخلد في النار، سواء كنت في سكر أو يقظة.
- وإن كان لك قدر حبة من حرام، فسينتظرك عذاب خالد جزاء كل حبة<sup>(٦٩)</sup>.
- ويقول:

- ألا تعلم يا من تجتهد لجمع الفضة، إنك تبيع عمرك الذهبي بالغفلة.
- لا تجمع الذهب فهو مثل الزئبق في ميزان الحرارة، وسرعان ما يختفي مثله<sup>(٧٠)</sup>.

ويقول:

أيها الصديق الدنيا كلها جيفة، من يتعقبها جيفة أنتن منها<sup>(٧١)</sup>.

ويقول:

- لقد انقضى عمرك فماذا أنت فاعل في النهاية، ومع هذا فقد جلست تزيد من ذهبك<sup>(٧٢)</sup>.

ويقول:

- هذه الدنيا الغادرة مثل الجيفة، وأنت مثل الكلب صرت مشغولاً بها.

- ولأنك أسير الكلب والجيفة، فأنت أسوأ منهما مائة مرة.

- وما دام هذا الكلب لا يشبع مطلقاً من تلك الجيفة، فأنت لن تشبع من هذا الكلب أبداً<sup>(٧٣)</sup>.

ويذم العطار أيضاً الغرور بالحياة الدنيا، ويعتبره سبب الإخفاق وكما قالت النملة، وهي تسحب النحلة المغرورة، بعد أن شطرها القصاب بالساطور مع اللحم:

- الشخص الذي يعيش لتحقيق أهوائه، يموت مثلك فانظري ما آخرتك؟

- ولأنك ابتعدت عن حدودك، فقد وضعت قدمك في الدماء بجهل.

- يجب الخطو داخل الحدود، والسير وفق الأمر.

- ويجب القضاء على الغرور والكبر، وسلوك طريق الأخلاق والكرم<sup>(٧٤)</sup>.

وقد قال مجذوب بعد مرور جماعة ترتدي أفخر الثياب، وكانوا يزهون بأنفسهم تيهًا وعجبًا ويتبخثرون مثل الحجلة:

- قال أحنيث رأسي، من شدة الغرور الذي شاهدته.

- وذلك لأنني خشيت أن يخطفني ريحه، وعندما مروا، رفعت رأسي<sup>(٧٥)</sup>.

ويقول العطار:

- إذا ما استولى الغرور على أعضائك السبعة، افتضحت الدنيا منك.
- والأشخاص الذين يتخلصون من هذه الصفة، يفوزون بالآخرة في الدنيا<sup>(٧٦)</sup>.

### ثالثاً: الأسس والمفاهيم الصوفية:

#### ١ - المحبة:

- تحدث العطار عن المحبة والعشق فقال:
- ولكن إذا ما وصلت الشهوة إلى غايتها، يتولد عنها عشق لا حد له.
  - وعندما يفيض العشق، تظهر المحبة.
  - وعندما تصل المحبة إلى حدها أيضاً، تفنى روحك في المحبوب<sup>(٧٧)</sup>.
- أي أن الإنسان عندما يتخلى عن الشهوات والماديات، يدرك العشق الذي يبتعد به عن تلك الشهوات تماماً.
- ويتضح من هذا أن العطار قد اعتبر المحبة مرحلة تلي العشق وتؤدي إلى الفناء.
- وقد حفلت منظومة الهبي ناميه بقصص العشق، ويرى المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون<sup>(٧٨)</sup> أن آثار العطار تقوم على ثلاثة أركان هي: الجمال والعشق والألم، ويعتبر الألم الركن الأساسي فيها ومجال ابتكار العطار.
- وربما يمكننا أن نضيف إلى قول ماسينيون أن بعض هذه القصص يجري في جو يفيض بالميلودراما العنيفة مما أضفى عليها قتامة وسوداوية، وجعل الإيمان يتلازم مع الآلام والحزن والبلاء.
- وقد اهتم العطار بوصف جمال المعشوق حيثما ورد ذكر له، كذلك صور العطار آلام العشق وطريقه المحفوف بالمخاطر الذي يتطلب اجتيازه تحمل آلام مبرحة وجروح متعددة ومعاناة لا حد لها.
- وقد حدد العطار لهذا الطريق ثلاثة دروب:

- لدينا إلى العشق الآن ثلاثة طرق هي: النار والدمع والدم<sup>(٧٩)</sup>.
- وطريق العشق ليس له معالم واضحة:
- ليست للعشق بداية ولا نهاية، وليس هناك مرشد سوى دم القلب.
- الشخص العاشق يغرق في الدماء من مفرق رأسه حتى أخمص قدميه من أول خطوة يخطوها مثل الورد<sup>(٨٠)</sup>.
- ومن يسير في طريق العشق عليه أن يتحمل آلامه، مثل المرأة التي عشقت الأمير ولاحقته أينما ذهب، فقرر الملك أن يسفك دمها وهي مقيدة في ساق جواد.
- ولم تطلب المرأة العفو من الملك، بل طلبت منه أن تقيد في ساق جواد الأمير وقالت:
- إن كنت تريد اليوم، أن تسفك دمي تحت أقدام أي جواد.
- فما أريده يا مولاي، أن تقيد شعري في ساق جواد الأمير.
- وعندما يقود الأمير الجواد، ليسفك دمي.
- أصبح قتيلة ذلك القمر، وأظل حية دائماً في هذا الطريق<sup>(٨١)</sup>.
- والعشق يمنح قوة هائلة تجعل كل الصعاب تهون أمام الوصول إلى الهدف المنشود. مثل النملة التي رآها سليمان تخرج التراب ذرة ذرة، من تل كبير أمام منزله، وقالت له: هناك نملة غائبة عني، ألقيني في شرك عشقها، وقالت لي:
- إن نقلت هذا التل المملوء بالتراب من هنا، ونظفت الطريق.
- حينئذ ألقى بصخرة هجرك، من الطريق، وأجالسك.
- والآن أهتم بهذا العمل، ولا أعرف شيئاً سوى حمل التراب.
- فلو تلاشى هذا التراب، أستطيع تحقيق وصالها.
- وإن هلكت روحي في هذا الصدد، لا أكن مدعية وكاذبة<sup>(٨٢)</sup>.

وقد اعتبر العطار الحلاج إمام العاشقين وقدوتهم، فعندما قطعوا يديه فوق المشنقة، مسح وجهه وساعده وقال:

- من عرف سر العشق، يجب أن يتوضأ لصلاته بالدماء.

- وإن لم تتوضأ بالدم، فصلاتك باطلة<sup>(٨٣)</sup>.

ويظهر العطار إعجابه بالحلاج فيقول:

- اخط في جادة المعشوق مثل الرجال، ولا تخش وصمة أو عاراً من أي مخلوق.

- فكل قلب قائم بالقيوم، لا يخاف قدرة ذرة واحدة من لومة لائم<sup>(٨٤)</sup>.

والعاشق الحق هو الذي تستغرقه هيبة العشق تماماً، وتظهر علامتها على هيئته ولون وجهه بسبب الخشوع الذي يتملكه، مثل المجنون الذي لم يكن يتحمل مشاهدة ديار ليلي، فكان وجهه يصير أصفر كالزعفران، ويصبح شعره كالسنان، وتستولي الرجفة على أعضائه، ولما سئل عن سبب ذلك قال:

- انظر إلى قوة ساعد الأسد، وكيف ألقى به العشق تحت قدميه كنملة<sup>(٨٥)</sup>.

والعاشق يظل يعاني من الآلام المختلفة، حتى يدركه معشوقه الخالد، ولكن بعد أن يتخطى الاختبارات المختلفة، كما اجتاز الدرويش الاختبار الذي أجراه له معشوقه عندما أخذه إلى الصحراء، ثم وضع حبلاً حول عنقه، وقاد جواده، وجرى بالدرويش في كل صوب، وامتألت قدماه بآلاف الأشواك، وعندئذ أدرك المعشوق إخلاص العاشق وبعده عن الشهوة، فترجل وانتحى بالدرويش جانباً، وظل يخرج الشوك من قدميه شوك شوك طوال اليوم.

- كان العاشق المتيّم يقول في سريره، ليت كل شوك كانت مائة شوك.

- فلو أنها للجسد جرح كبير، إلا أنها للقلب روح جديدة وراحة كبيرة<sup>(٨٦)</sup>.

وكان يقول:

- لو لم يصب هذا الشوك قدمي، لما تحقق لي وصال هذا الغلام.
- إذا ما أصاب الشوك قدمك في سبيل الحبيب، فكل شوكة روضة لا شوكة<sup>(٨٧)</sup>.
- والقدرة على رؤية المعشوق لا تيسر إلا بكحل الرياضة والمعاملة، وعندئذ تستطيع العين أن تدرك المعشوق، ومن دون هذه العين، لا فائدة من وجود المعشوق كما حدث لأحد الصوفية، عندما عشق ابن الوزير، ثم فقد عينيه من كثرة البكاء ولم تعد هناك فائدة من مجيء معشوقه أو عدم مجيئه، لذلك عندما أحضر الوزير ابنه وأجلسه أمام الدرويش، قال الدرويش:
- إن عادت لي عيناى، أحقق وصال المعشوق بروحي.
- وإن لم تعد لي، فماذا أفعل بالمعشوق الأوحد.
- إن يكن العالم كله معبودًا، ولا توجد العين فما الهدف؟
- فما يلزمني عيناى لا معشوق، فأمام الأعمى يستوي الخالق والمخلوق<sup>(٨٨)</sup>.
- والحال بين العاشق والمعشوق يصعب وصفها:
- يلزم العاشق معشوقًا دائمًا، يجعله حينًا في الصحو وحينًا في الفناء.
- بين العاشق والمعشوق حال، شرحها غير لائق بنا<sup>(٨٩)</sup>.
- وجود العاشق ضروري للمعشوق:
- إن لم يكن للمعشوق عاشق، لما كان جديرًا بالعشق<sup>(٩٠)</sup>.
- ونهاية العشق هي اتحاد العاشق والمعشوق:
- إذا ما ارتفع المعشوق إلى العيوق، لن ترى أي عاشق غير المعشوق.
- ولأن المعشوق يختار عاشقه، فلا يوجد عاشق أيضًا سوى المعشوق<sup>(٩١)</sup>.
- وقد خصص العطار قصة رابعة بنت كعب للحديث عن بحار العشق الثلاثة النار والدمع والدم، ومما قاله في هذا الصدد، ما رقمته رابعة بدمائها على جدار الحمام:

- والآن أنا فوق النار، لأنني أريق الدماء حيناً وأذرف الدمع حيناً آخر.
- أردت أن تحترق روحي بالنار، ولأنك كامن فيها لا أقدر على احتراقها.
- إنني أغسل بدمعي قدم الحبي، وأودع الحياة بدمائي.
- بهذا النار التي أشعلها من روحي، أحرق كل أهل الغفلة في العالم.
- وبما يراق على وجهي من هذا الدمع، أغسل وجوه كل من لم يغسلوا وجوههم.
- ومن هذه الدماء لو انفتح أمامي، أجعل كل العشاق في لون الورد.
- ومن هذه النار التي أعانيها في هذه الحرقه، يظهر لي كيفية الاحتراق في سبع من جهنم.

- ومن دمعي هذا وهو طوفان متدفق بالدماء، أعلم المطر كيفية الإمطار.
- ومن دمي هذا وهو كالبحر، أعلم الشفق الاحمرار.
- ومن هذه النار التي أقامها لي الزمان، كانت جهنم تطلب مني شعله.
- ومن دمعي هذا جعلت العالمين بأكملهما، طيناً في الماء حتى يوم القيامة.
- ومن هذه الدماء سددت طريق الفلك حتى، صارت طاحونة الفلك تغرق في الدماء.

- أحرق بتلك النار كل رسم، سوى رسم خيال قلبي السعيد.
- ومن هذا الألم الذي عاناه ذلك الجميل، أغرق الأرض بالمياه من الدموع.
- ولأن معشوقي يسعد بحزني، فما أجمل أن تمتلئ الدنيا من دمائي<sup>(٩٢)</sup>.

## (٢) الفناء:

يعتبر الهدف الأساسي للصوفية هو إدراك حال الفناء. ويقول القشيري<sup>(٩٣)</sup>: أشار القوم بالفناء إلى سقوط الأوصاف المذمومة، وأشاروا بالبقاء: إلى قيام الأوصاف المحمودة.



ولا يعني هذا فناء البشرية. فكما يقول الطوسي<sup>(٩٤)</sup>: أما القوم الذين غلطوا في فناء البشرية سمعوا كلام المتحققين في الفناء، فظنوا أنه فناء البشرية، فوقعوا في الوسوسة، فمنهم من ترك الطعام والشراب، وتوهم أن البشرية هي القالب، والجنة إذا ضعفت زالت بشريتها، فيجوز أن يكون موصوفاً بصفات الإلهية. والذي أشار إلى الفناء أراد به فناء رؤيا الأعمال والطاعات ببقاء رؤية العبد لقيام الحق للعبد بذلك وكذلك فناء الجهل بالعلم وفناء الغفلة بالذكر.

ويتفق الهجويري<sup>(٩٥)</sup> مع الطوسي في هذا الصدد، فيقول، وقد أخطأت جماعة في هذا المعنى، وهم يظنون أن الفناء بمعنى فقد الذات وانعدام الشخص، وأن البقاء هو أن يلحق بقاء الحق بالعبد، وهذان كلاهما محال.

وبعد فناء العبد عن نفسه وصفاته ببقائه بصفات الحق، يفنى عن صفات الحق بشهوده، ثم يفنى عن شهود فنائه باستهلاكه في وجود الحق<sup>(٩٦)</sup>.

ويفصل الهجويري<sup>(٩٧)</sup> هذا الأمر فيقول: وفناء العبد عن وجوده يكون برؤية جلال الحق وكشف عظمته، حتى ينسى الدنيا والعقبى في غلبة جلاله، وتبدو الأحوال والمقامات حقيرة في نظر همته، وتتلاشى الكرامات في حاله، فيفنى عن العقل والنفس ويفنى أيضاً في عين الفناء عن الفناء، فينطق لسانه بالحق، ويخضع جسده ويخضع.

وقد تحدث العطار عن الفناء بإفاضة في منظومة الهي نامه، ودعا إلى العمل على إدراك حال الفناء أو إدراك الخلود:

- إن أردت الحياة في الموت، فاعلم أن كمال الحياة هو الموت.

- وإن أردت إدراك الخلود، يمكنك ذلك بالمحو<sup>(٩٨)</sup>.

وعندما يغرق الإنسان في بحر الفناء، تنمحي ذاتيته وتنفى أوصافه مثل الطوبة التي كانت تسير مع حجر، وفجأة سقطا في بحر، فقال الحجر: لقد غرقت لكن الطوبة

فנית عن نفسها، ولا أعلم أين ذهبت فتحدثت الطوبة، وقالت:

- لم يبق مني أثر في العالمين، ولم يبق من وجودي قدر رأس إبرة.

- ولا يمكن مشاهدة شيء مني لا روحي ولا جسدي، ولكن يمكن مشاهدة البحر المضيء كله<sup>(٩٩)</sup>.

وإن لم يفن الإنسان عن نفسه فمصيره الهلاك. مثل الشاب الذي رآه شبلي في طريق البادية، يرتدي أفخر الثياب، ويسير في عزة وخيلاء. ثم شاهده شبلي عند الحرم في غاية الضعف والعوز وقال له:

- لا أعلم أنا الغافل هذا اللغز، فهو (سبحانه) يقول إما أن تكون أنت أم نحن<sup>(١٠٠)</sup>.

والفناء هو الوسيلة الواحدة لإدراك المراد، والوصول إلى المعشوق، كما فعل الكلب الذي ظل يعاني من شدة العطش خوفاً من الكلب الآخر في جدول الماء، وعندما طال انتظاره عن الحد، ألقي بنفسه داخل الماء فاخفى الكلب الآخر. وهكذا يجب أن يفعل الإنسان:

- إن لزمك حضور دائماً، فلا تأت مع نفسك ثانية وهذا كافٍ لك.

- لا تأت مع نفسك، تعال بدونها، وابتعد عنها، فهذا الفناء نور على نور<sup>(١٠١)</sup>.

ويجب أن يتخلص الإنسان من قيد وجوده تماماً. كما فعل محمود، عندما ظل ينظر إلى إياز النائم على أنعام البلب وتحت ظلال الورد، وأخذ ينثر الورد تارة على جماله، ويجري الدمع حيناً فوق وجهه، وعندما استيقظ إياز، قال له محمود: أنا ذاهب الآن:

- ففي تلك الساعة عندما كنت غائبا عن الوعي، كنت أعظم من كل صفة أصفك بها.

- ومن تلك الساعة التي رأيت فيها روحك الممتدة، لم تكن أنت لأنني كنت موجوداً.

- ولأنك عدت إلى وعيك فقد فنى المحبوب، ولأنك صرت طالبًا فقد اختفى المطلوب<sup>(١٠٢)</sup>.

وإدراك حال الفناء يتطلب معاناة طويلة، فعندما قال القمر، إنني في عشق الشمس سوف أجعل الدنيا مفعمة بالنور خالدة، قالوا له: إن كنت بهذا الصدق تلزمك الحركة ليل نهار حتى تصل إليها وتفنى فيها، وعندما تخرج من تحت أشعتها يتلهف الخلق على مشاهدة جمالك، وعندما تختفي مرة واحدة يدرك الناس حينئذ أن واحدًا مقيمًا قد فنى دون خوف. وهذا هو سر شغف الناس برؤية الهلال:

- في الليلة الرابعة عشر وبالرغم من جماله الفائق، يطلب العون بسبب نقصان هلاله فيما بعد.

- وعندما يزدان في تلك الليلة لا يلحظه أحد لأنه يكون ذاتيًا.

- ولكن إن شاهده وقت تكونه، تجد الناس يضحكون له وهو هلال<sup>(١٠٣)</sup>.

والفناء حال رفيع. لذلك يفرق العطار بين الفناء والسكر:

- كل ما يبعدك عن نفسك، يكون خمراً وليس نبيذاً

- إن علمت الفناء من السكر، تكن قد وقفت على حجاب الأسرار.

- عندما يستبد السكر بشخص، يعرف أنه أدرك الفناء لا السكر.

- ولأنك لا تعلم الفناء من السكر، تفتخر بالفناء في السكر<sup>(١٠٤)</sup>.

وبهذا فالعطار يعتبر حال الفناء حال لعبد سكر من حب الله، وهو حال أرفع من السكر. وقد عرف القشيري السكر بأنه غيبة بوارد قوي، وهو لا يكون إلا لأصحاب المواجيد، والعبد في حال سكره يشاهد الحال<sup>(١٠٥)</sup>.

ويمثل العطار للسكر بقول يحيى بن المعاذ الذي أرسل رسالة لأبي يزيد وقال له:

ماذا يقول شيخ الدين في ذلك الشخص الذي شرب شربة طاهرة ومقدسة،

فاستولى الخمار على رأسه لمدة ثلاثين عامًا ليل نهار<sup>(١٠٦)</sup>.

فوصله الرد من أبي يزيد وهو يصف حال الفناء: «يوجد هنا رجل شرب البحر والأرض والعرش والكرسي دفعة واحدة، فماذا تسأله ثانية، وإلى الآن يصبح «هل من مزيد» وإن كنت لا تعرفه فهو أبو يزيد<sup>(١٠٧)</sup>.

وعندما يدرك الصوفي حال الفناء، تمحى الاثنيانية، ويصير هو ومعشوقه شخص واحد، كما قال المجنون وهو يتحدث عن بعده عن ليلي:

- لقد مضى ذلك الآن، فالمجنون هو ليلي ويلي هي المجنون.

- ارتفعت الاثنيانية الآن، وأصبح الكل ليلي، و تنحى المجنون.

- مثل اللبن والخمر عندما يختلطان معًا، ويتخلصان من نقص الثنائية<sup>(١٠٨)</sup>.

ويقول العطار:

- عندما تظهر الأحدية، تنمحي الثنائية، فقد حل الحبيب.

- فإن تمنيت وصاله بروحك، اذهب وافن عن نفسك حتى يظهر هو، افن بحيث

لا تستطيع أن تجد نفسك في الحياة مرة أخرى<sup>(١٠٩)</sup>.

مثل أبي يزيد الذي دق أحد الأشخاص بابه، وكان أبو يزيد واقفًا مستغرقًا في التفكير، فقال للزائر: من أين أتيت؟ قال: رجل حال جئت لمقابلة أبي يزيد، فأجابه الشيخ قائلاً: أيها الدرويش مضى اليوم ثلاثون عامًا وأنا أريد رؤية أبي يزيد، بحثت عنه كثيرًا، ولكن لم أر له أثرًا، لا أعلم ماذا حدث؟ وأين مضى؟ فقد انفصل عني منذ ثلاثين عامًا<sup>(١١٠)</sup>.

ويرى نيكلسون<sup>(١١١)</sup> أن تعريف الصوفية للفناء من الناحية الخلقية بأنه محو للصفات الدائمة، والتخلق بكل خلق حميد، ووصفهم لوسائل قمع الهوى والشهوات يدل على وجود أثر للفلسفة البوذية فيهم مما لا يدع مجالاً للشك. وعلى الرغم من الاعتراف بمثل هذا الأثر، إلا أن هناك ثمة اختلاف بين الفناء الهندي

والفناء الإسلامي، فبينما نجد تحقيق الغاية العليا لدى صوفية المسلمين يتطلب الغوث الإلهي، نرى أن الاتحاد الذي يرنو إليه المتنسك الهندي لا يفتقر إلى أي معونة خارجية، بل يتخلص في الرغبة في عودة روحه إلى المطلق حيث السكون والخمود (النرفانا)، أي الفناء في المطلق.

والتنسك الهندي في جوهره ينحصر في تحقيق الوحدة مع المبدأ الأسمى، وليس اتصالاً بآله مفارق للعالم، ولكي يصل المتنسك إلى هذه المرتبة يجب أن يتخطى عددًا من الطرق المتباينة وهي منصوص عليها في القسم المسمى باليوجا من الكتاب المقدس الهندي ومعناها الاتحاد النهائي، وهي طريقة روحية قبل كل شيء<sup>(١١٢)</sup>.

الاختلاف الثاني هو أن الفناء الهندي عبارة عن حالة من السعادة يبلغها الإنسان في هذه الحياة لا بعد الموت، ويتحقق ذلك بإقلاعه عن شهواته تمامًا، ويجيء الموت والإنسان مطلق من دواعي الحياة، فلا يشعر به ولا تنزع به نوازعه إلى الحياة وهو يستقبل الموت<sup>(١١٣)</sup>.

أما الفناء الإسلامي والذي يمثله الفناء في الهي نامه فهو مقدمة لحياة جديدة وهي حياة الخلود، فمعه يبدأ سير السالك في الله وهو سيرًا أبدي خالد.

ويقول:

- داخل حجاب روحك معرفة، كنت على صلة بها قبل ذلك.

- فإن عدت إلى معرفتها ثانية لحظة واحدة، لسبقت بذلك أهل العالم<sup>(١١٤)</sup>.

ويقول:

- ما العالمان أنهما بحر اسمه القلب، وأنت باق في البحر وقدماك في الطين.

- فغص داخل بحر صدرك لحظة، لتتعرف على عالم مجهول داخل نفسك.

- و لأن قلبك يحتوي على مئات من العوالم الخفية، فمتى تستطيع عينك أن

تراها.

- وهناك نرى الأرض والسماء، فأنت صورة للعالم والآخر أيضاً<sup>(١١٥)</sup>.
- وعندما تصل الروح إلى الفناء، وتكون جديرة بتلقي الأمر الإلهي، لأنها عادت إلى أصلها:
- عندما تجيء إلى ساحة الخلد بإخلاص، يصلها الخطاب من الحضرة الخاصة.
- فتكون هذه الرسالة من الملك الأوحى، إلى الملك الخالد<sup>(١١٦)</sup>.
- ويقول:
- ولأننا نرتدي ثوب خاصيتها، فالرسالة من القدوس إلى القدوس.
- ولأنه لا يمكنك أن تخلد مثل القدوس، فاحل جسديك إلى قلب، وصير قلبك روحاً أيضاً<sup>(١١٧)</sup>.
- ويقول العطار:
- كل شيء أيها الحبيب هو أنت الوجود والعدم، فأنا لم أر سواك في العالمين دائماً<sup>(١١٨)</sup>.

#### (٤) وحدة الأديان:

- يقترّب العطار أيضاً في هذه المنظومة من نظرية وحدة الأديان. وقد اتضح هذا المعنى في «الهي نامه» في قصة المجوسي الذي شيد جسراً من أمواله الخاصة، وذات يوم طلب منه السلطان محمود أن يأخذ من الذهب مقابل ما أنفقه في تشييد الجسر، فرفض المجوسي وقال: «لن أبيع ولن آخذ ذهباً في مقابله، لقد شيدته من أجل الدين»<sup>(١١٩)</sup>.
- سجن محمود المجوسي وأذاقه ألوان العذاب، وعندما تجاوز العذاب حده، أرسل المجوسي رسالة إلى السلطان، وطلب منه المجيء إلى الجسر، ومعه خبير ليحدد قيمته، وعندما اعتلوا جميعاً الجسر، قال المجوسي:
- أيها الملك، اطلب مني الآن ثمن هذا الجسر.

- فسوف أنهى حياتي عليه، وبذلك أكون قد أجبتك.
- انظر ها هو الثمن أيها الملك العظيم، قال هذا، وقفز في الماء على الفور<sup>(١٢٠)</sup>.
- وأساس العبادة الصحيح هو التفاني في حب الله، والإخلاص في ذلك إلى أقصى درجة ممكنة، كما قالت الأم للشاب الذي أسلم، وفي اليوم التالي احتسى الخمر، فقالت له:
- لقد أغضبت عيسى منك سريعاً، ولم تسعد محمداً<sup>(١٢١)</sup>.
- وكذلك عندما وقع بصر الرسول ﷺ على عمر، وهو يقرأ جزءاً من التوراة نهاه عن ذلك وقال له:
- لا يمكن لك العبث بالتوراة، إلا إذا تحولت كلية إلى اليهودية<sup>(١٢٢)</sup>.
- والدين الحقيقي يقوم على الثبات في عشق الله، لا على تأويل الأحكام الدينية، والاعتماد على الأدلة النقلية أو التقوى الظاهرية، وقد أوضح العطار هذا في قصة العلوي والعالم والمخنث، عندما سافروا إلى بلاد الروم، وأسروا هناك وطلبوا منهم السجود للصنم وإلا أراقوا دماءهم، فطلبوا مهلة ليلة واحدة لتدبر الأمر:
- تحدث العلوي وقال: لا مفر، يجب التمنطق بالزناز أمام الصنم.
- وجدي يستطيع تماماً، أن يشفع لي يوم القيامة.
- وتحدث العالم وقال أنا أيضاً، لا أستطيع التضحية بروحي وجسدي.
- وإذا ما سجدت للصنم، ينهض لي شفيع من علمي الديني.
- وقال المخنث إنني حائر، فلا عون لي ولا شفيع.
- لكما شفيع وليس لدي، فلا يليق مني هذا السجود.
- إن قطعوا رأسي كالشمع فأني خوف؟، لذا لن أستطيع السجود للصنم ففي هذا هلاكي<sup>(١٢٣)</sup>.

## رابعاً: أفكار صوفية أخرى:

إلى جانب تلك الأفكار التي سبق الحديث عنها، فقد حفلت منظومة «الهي نام» بالعديد من الآراء والأفكار الصوفية التي تعرض لها العطار تعرضاً سريعاً، لذا اكتفى بمناقشة فكرتين من هذه الأفكار، وهما:

### ١ - الله والعالم والإنسان:

يرى العطار أن الذات الإلهية هي أساس الحياة، وأصل الوجود كله، وأن العالم كله صادر عن الله تعالى، فيقول:

- الله الذي مهما تعددت مظاهر الوجود، فكلها بجانب ذاته عين الضعة<sup>(١٢٤)</sup>.

وذاث الله من العظمة بحيث لا يستطيع أحد أن يصل إلى كنهها:

- لأن ذاته أعلى من كل شيء نعرفه، فكيف يتأتى لنا شرحها؟<sup>(١٢٥)</sup>.

وإدراك ذات الله تخرج عن نطاق العقل، إلا أن العالم كله جاء دليلاً على ذاته، ومظهرًا له، لذلك فالسبيل إلى معرفته هو رؤيته عن طريق صفاته:

- لا يعلم أحد كنه ذاته، إلا عن طريق صفاته<sup>(١٢٦)</sup>.

وصفاته مضاءة من نور ذاته:

- الحياة مزدانة من نور ذاته، فالصفات مظهر لذاته دائماً<sup>(١٢٧)</sup>.

- أنت ذات ظهرت في الصفات، وكل الأرواح تتطلع إليك<sup>(١٢٨)</sup>.

والصفات لا تنفصل عن الذات:

- صفاته هي ذاته وذاته هي صفاته، وكل الآثار من صنع قدرته<sup>(١٢٩)</sup>.

والعطار في هذا يقترب جداً من ابن عربي الذي يقول: فما وصفناه بوصف إلا كنا نحن أي المحدثات ذلك الوصف، فالحق عين الخلق أو عين الصفات الظاهرة في مجال الوجود، وهي ليست شيئاً زائداً على الذات بل هي نسب وإضافات لها<sup>(١٣٠)</sup>.



ولأن الوجود كله قد انبثق عن الله تعالى، وكله ظل لذاته، فيجب على الإنسان العودة إلى الأصل، وإسقاط كل الإضافات بما في ذلك وجود الإنسان نفسه، وبذلك تعود القطرة إلى بحرها وتتصل به:

- إنك تقول قولاً طيباً ذلك الذي تقوله في الذات، إن التوحيد إسقاط الإضافات<sup>(١٣١)</sup> وما يقصده العطار ربما يتضح أكثر فيما قاله الغزالي<sup>(١٣٢)</sup> عن التوحيد:

«للتوحيد أربع مراتب: الأولى أن يقول الإنسان لا إله إلا الله وقلبه غافل عنه، الثانية أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه وهو اعتقاد العوام، الثالثة أن يشاهد ذلك بطريق الكشف وهو مقام المقربين فيرى الأشياء على كثرتها صادرة عن الواحد القهار، الرابعة أن لا يرى في الوجود إلا واحداً وهي مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية بالفناء في التوحيد، لأنه من حيث لا يرى إلا واحداً، فلا يرى نفسه أيضاً، والرابع موحد بمعنى أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد، فلا يرى الكل من حيث إنه كثير بل من حيث إنه واحد، وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد.

واعلم أن أسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب، فقد قال العارفون إفشاء سر الربوبية كفر.

وحقيقة الحياة هي التوصل إلى معرفة الله:

- تظهر منك أيها الحبيب كل الأرواح، فأنت اللب والحقيقة والجميع قشور<sup>(١٣٣)</sup>.

وروح الإنسان الكامل هي التي تستطيع أن تصل إلى هذا الهدف السامي، وتدرك معرفة الله تعالى، وتصبح مرآة لله تعالى، يتجلى عليها كمال صفاته:

- أنت ترى الأرض والسماء هناك، لأنك الدنيا والآخرة كلاهما.

- وبما إنك تعلم أن الآخرة تظهر فيك عياناً، فلا تنظر إلى أي مكان لحظة واحدة<sup>(١٣٤)</sup>.

## ٢ - الجبر والاختيار:

تعرض العطار لمناقشة فكرة الجبر والاختيار، والإنسان عنده مجبر تمامًا، فهو مثل كرة يقذف بها في خضم الحياة، وإن أخطأت الكرة مسارها خلدت في النار والعذاب، على الرغم من أنها ليست مسؤولة عن خطئها:

- انتبهي أيتها الكرة المسرعة، اذهبي إلى هناك حتى لا تسقطي في أعماق الأرض.  
- وإن اعوج مسارك أيتها الكرة في الطريق، فإنك تخلصين في النار وفي غياهب الجب.

- بما إن سير الكرة ليس من دون رام، فالذنب ليس ذنب الكرة الطائشة.  
- وعلى الرغم من أن ذلك الذنب ليس من عملك، إلا أنه في عنقك<sup>(١٣٦)</sup>.  
ويشبه العطار الأزل بالقوس الذي تنطلق منه آلاف الأسهم كل لحظة، والأبد بمكان الإصابة، ولا يمكن للإنسان الهرب من هذا ولا من من ذلك:  
- كل سهم يصوب من القوس بنجاح، يتطلب عناية قاذف السهم.  
- وكل سهم يخطئ طريقه، تنصب اللعنة على السهم حيثئذ<sup>(١٣٧)</sup>.  
والإنسان لا حيلة له ولا وسيلة، فهو كمن ألقى به داخل بحر، وقالوا له:  
لا تبتل أبدًا أيها العاجز:

- وعلى الرغم من أنك غارق، ولكن إن ابتللت تكن من المذنبين.  
- لا تبتل وإن وجدت في الماء دائمًا، وفي هذا الصدد ماذا يساوي أسد الغابة<sup>(١٣٨)</sup>.  
وقد نتج عن قول العطار بالجبر، قوله بترئة إبليس، فهو يرى أن الله قد خص إبليس ببعته، وكانت هذه مشيئته تعالى، ولا دخل لإبليس فيها، بل هو بريق الدمع دومًا لحاله، وقد تتبع أحد الأتقياء جدولي ماء أسود، وفي النهاية وجدتهما ينبعان من عيني إبليس ووجده، يقول: «إن هذه القصة لم تحدث لوجه قمري، ولكن لأن حظي

أسود، لا يريدون طاعتي، ثم يلقون بالذنب في عنقي» (١٣٩).

والله هو المقدر لكل شيء، وله -سبحانه- حكمة فيما يقدره على عباده، وكذلك عصيان إبليس، فقد خصه الله باللعنة، ليقف على باب الحضرة، ويبعد المذنبين كما فعل يوسف عندما أراد أن يحقق وصال أخيه بنيامين فوضع له الصواع في رحله واتهمه بالسرقة (١٤٠).

وقد سعد إبليس باللعنة لأنها من عند الله:

- لأن اللعنة كانت لخدمة حضرة الله، سعد بها إبليس (١٤١).

ولذلك طلب إبليس عمراً خالداً:

- عندما سعد بتلك اللعنة، طلب الأمان، واختارها بروحه، وطلب عمراً خالداً (١٤٢).

وبذلك صار إبليس العاشق الأوحى في الحضرة الإلهية، فهو لم ينس رضاء الله أبداً:

- الشخص الذي تذوق الصفاء آلاف الأعوام، ولم يتجرع كأساً طافحة أبداً، أنى له أن ينسى ذلك الصفاء بقطرة يشربها في النهاية.

- وعلى الرغم من أنه تجرع ثمالة اللعنة، إلا أنه لم ير بتلك الثمالة سوى الساقى (١٤٣).

وإبليس أراد أن يكون وحيداً في عشق الله تعالى، لذلك سعد باللعنة، لأنه اختص هو فقط بها:

- حتى لا يرى هو ولا أهل العالم، ذلك الباب وتلك الأعتاب.

- ولا يتلوث شعاع من حجاب العزة، من المشاهدة أبداً (١٤٤).

وقد سُئل إبليس عن سبب سعادته باللعنة فقال:

- إن اللعنة هي سهم الملك، والملك يصوب نظره في البداية إلى الهدف (١٤٥).  
وإبليس عاشق صادق:

- عندما أصيب بجرح من الحبيب لم يهرب، لكنه جعل من جراحه مائة مرهم.  
- وطلب من الحق أن يمهل به جرحه حتى يوم القيامة (١٤٦).

وعلى الرغم من لعنة إبليس، إلا أنه موجود في حضرة الحق دائماً:

- ولو أن إبليس مطرود ومعلون، إلا أنه موجود دائماً في حضور الملك.

- عندما تلعه ليل نهار؟، تعلم الإسلام منه مرة واحدة (١٤٧).

وإبليس يفكر في الحق دائماً، ويمضي وقته في تسيبته وذكره، فعندما سأله موسى: هل تذكر الله قال له:

وهل ينساه لحظة قط عطوف مثلي (١٤٨).

والأمل في رحمة الله وغفرانه يحدو إبليس دائماً، فقد قال لشبلي:

- بما إنه ليس هناك علة وكيفية في إرادة الله، فلا يجوز إذن قطع الأمل من الحق (١٤٩).



## الهوامش

(\*) كانت منظومة الهي نامه هي موضوع رسالتي للدكتوراه ١٩٧٩ م، وقد رأيت حذف بعض الموضوعات؛ حيث لا يتسع لها المجال في هذا الكتاب مثل: الدراسة حول حياة الشاعر، والدراسة حول أسلوبه، والمقارنات بين المنظومة وغيرها من الأعمال الأدبية. انظر: منظومة الهي نامه للشاعر فريد الدين العطار دراسة تحليلية نقدية، مكتبة كلية الآداب - جامعة عين شمس.

١ - اته: تاريخ ادبيات فارسي ص ٤٣.

٢ - فروزانفر: شرح احوال ونقد وتحليل اثار... ص ٥٢.

٣ - Poggiono bausani ; Storia della letteratura Persiana P. 698 Milano 1960.

٤ - A. J Arberry Classical Persian Literature P. 132

٥ - انظر: نعمت الله قاضي شكيب: بسوى سيمرغ، ص ١٢٩.

٦ - الترجمة ص ٩٦ قصة إقبال الحظ.

٧ - الترجمة ص ٢٢٢ قول يحيى بن المعاذ.

٨ - الترجمة ص ١١٧ قصة افتضاح الخلق يوم القيامة.

٩ - الترجمة ص ١٠٧ قصة حجر وطوبة.

١٠ - الترجمة ص ١١٢ قصة القمر والشمس.

١١ - الترجمة ص ٢١٩ قصة حيوان حريص.

١٢ - الترجمة ص ٢٠٤ قصة أمر الدنيا في نظر مجذوب.

١٣ - الترجمة ص ٥٤ قصة مناظرة المسيح مع الدنيا.

١٤ - النقد الأدبي الحديث: ص ٣٨٩.

١٥ - الترجمة ص ٢٢١ حديث عباسة الطوسي.

- ١٦ - الترجمة ص ٤٥ قصة شاب يوم الحشر.
- ١٧ - الترجمة ص ٤٥ قصة أخرى عن يوم الحشر.
- ١٨ - محمد عبد السلام كفاي: مثنوي جلال الدين الرومي شاعر الصوفية الأكبر، الكتاب الأول ص ٣٨.
- ١٩ - الترجمة ص ٨٢ قصة مجذوب وطلبه للكرباس.
- ٢٠ - الترجمة ص ٨٣ قصة مجذوب غلب عليه البكاء.
- ٢١ - الترجمة ص ١٠٩ قصة مناجاة مجذوب.
- ٢٢ - الترجمة ص ٢٢٦ قصة العلاج مع ولده.
- ٢٣ - الترجمة ص ٢٢٦ قول في الصمت.
- ٢٤ - الترجمة ص ٦٨ قصة حسن البصري ورابعة.
- ٢٥ - سعيد نفيسي: سر چشمه تصوف درايران، نهران ١٣٤٣، ص ٤٦.
- ٢٦ - محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث: ص ٣٨٨.
- ٢٧ - الترجمة ص ٣٥ قصة سليمان مع نملة.
- ٢٨ - الترجمة ص ٣٦ قصة أمير المؤمنين علي مع نملة.
- ٢٩ - الترجمة ص ٣٨ معشوق الطوسي مع كلب وفارس.
- ٣٠ - الترجمة ص ٣٨ أبي سعيد مع صوفي وكلب.
- ٣١ - الترجمة ص ٢٠٢ قصة الباز وطائر منزلي.
- ٣٢ - الترجمة ص ٢٠٢ قصة الخراف والقصاب.
- ٣٣ - د. عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية ص ٤٧ العصر العباسي الأول ص ١١٩، آدم منز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد الهادي ج ١، ص ٤١٩: ٤٢٢.
- ٣٤ - د. حسن إبراهيم وعلي إبراهيم: النظم الإسلامية ص ٢٨٢.
- ٣٥ - أبو زيد شلبي: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٥٢.
- ٣٦ - د. حسن إبراهيم وعلي إبراهيم حسن: النظم الإسلامية، ص ٢٢٩: ٢٢٨.
- ٣٧ - آدم منز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي ج ١،

ص ٢٥٤.

٣٨ - د. حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي.

ص ٣٤٢.

٣٩ - المسعودي: مروج المذهب، ج ٢، مصر ١٣٤٦ هـ، ص ٥١٧.

٤٠ - آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريذة، ج ١، ١٧٣٧ الطبعة الرابعة. بيروت ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م، ص ١٦٨.

٤١ - إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٧٧.

٤٢ - كشف المحجوب: ترجمة د. إسعاد عبد الهادي ج ٢، ص ٥٧١.

٤٣ - أبو نصر السراج الطوسي، ص ٢٦٩.

٤٤ - كشف المحجوب: ترجمة د. إسعاد عبد الهادي، ج ٢، ص ٥٩٣، ٥٩٤.

٤٥ - عوارف المعارف: هامش على إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٢٩٥ وما يليها.

٤٦ - تلبس إبليس، ص ٢٠٩، ٢١٠.

٤٧ - الترجمة ص ٦٩.

٤٨ - الترجمة ص ٦٩.

٤٩ - الرسالة القشيرية، ج ٢، ص ٥٦٦.

٥٠ - الترجمة ص ٦٩.

٥١ - كشف المحجوب: ترجمة د. إسعاد عبد الهادي، ج ٢، ص ٥٨٤.

٥٢ - الترجمة ص ٦٩.

٥٣ - د. إسعاد عبد الهادي: آكلي ولد الفيل، ص ١٤٨.

٥٤ - أبو نصر السراج الطوسي، ص ٣٥٢، ٣٥٦.

٥٥ - أسرار التوحيد: ترجمة د. إسعاد عبد الهادي، ج ٢، ص ٣٥١.

٥٦ - كشف المحجوب: ترجمة د. إسعاد عبد الهادي، ج ٢، ص ٦٥٠.

٥٧ - إحياء علوم الدين: ج ٢، ص ٢٦٦ وما يليها.

٥٨ - الترجمة ص ٦٣.

٥٩ - د. إسعاد عبد الهادي قنديل: آكلي ولد الفيل، ص ٥٢.

- ٦٠ - الرسالة القشيرية، ج ١، ص ٢٧١.
- ٦١ - كشف المحجوب، ج ٢، ص ٤٢٧.
- ٦٢ - إحياء علوم الدين ج ٣، ص ١٤٠.
- ٦٣ - الترجمة ص ٢٢٦.
- ٦٤ - الترجمة ص ٢٢٦.
- ٦٥ - إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٠٥.
- ٦٦ - كشف المحجوب، ج ٢، ص ٦٠١، ٦٠٢.
- ٦٧ - الترجمة ص ٢٢٧.
- ٦٨ - الترجمة ص ٤.
- ٦٩ - الترجمة ص ٢١٩.
- ٧٠ - الترجمة ص ٢٢٠.
- ٧١ - الترجمة ص ٢٢٢.
- ٧٢ - الترجمة ص ٢٢٦.
- ٧٣ - الترجمة ص ٥٥.
- ٧٤ - الترجمة ص ١٢٣.
- ٧٥ - الترجمة ص ١٢٥.
- ٧٦ - الترجمة ص ١٢٥.
- ٧٧ - الترجمة ص ٣٣.
- ٧٨ - مقدمة فؤاد روحاني على الهي نامه، ص پانزده.
- ٧٩ - الترجمة ص ٢٤٩.
- ٨٠ - الترجمة ص ٢.
- ٨١ - الترجمة ص ٣٤.
- ٨٢ - الترجمة ص ٣٥ / ٣٦.
- ٨٣ - الترجمة ص ٦٣.



- ٨٤ - الترجمة ص ٦٢ .
- ٨٥ - الترجمة ص ٦٢ .
- ٨٦ - الترجمة ص ٦٣ .
- ٨٧ - الترجمة ص ٦٥ .
- ٨٨ - الترجمة ص ٦٦ .
- ٨٩ - الترجمة ص ٧١ .
- ٩٠ - الترجمة ص ٧١ .
- ٩١ - الترجمة ص ٧١ .
- ٩٢ - الترجمة ص ٢٤٩ .
- ٩٣ - الرسالة القشيرية، ج ١، ص ٢٢٨ .
- ٩٤ - اللمع: ص ٥٤٣ .
- ٩٥ - كشف المحجوب: ترجمة د. إسعاد عبد الهادي، ج ٢، ص ٤٨١ وما يليها .
- ٩٦ - الرسالة القشيرية، ج ١، ص ٢٣١ .
- ٩٧ - كشف المحجوب ترجمة د. إسعاد عبد الهادي، ج ١، ص ٤٨٦ .
- ٩٨ - الترجمة ص ١٠٦ .
- ٩٩ - الترجمة ص ١٠٧ .
- ١٠٠ - الترجمة ص ١٠٨ .
- ١٠١ - الترجمة ص ١١١ .
- ١٠٢ - الترجمة ص ١١٢ .
- ١٠٣ - الترجمة ص ١١٣ .
- ١٠٤ - الترجمة ص ٢١٦ .
- ١٠٥ - الرسالة القشيرية، ج ١، ٢٣٦، ٦٣٨ .
- ١٠٦ - الترجمة ص ٢١٦ .
- ١٠٧ - الترجمة ص ٢١٦ .

- ١٠٨ - الترجمة ص ٢٥٥.
- ١٠٩ - الترجمة ص ٢٥٥.
- ١١٠ - الترجمة ص ٢٥٥.
- ١١١ - في التصوف الإسلامي: ترجمة أبي العلا عفيفي، ص ٧٥.
- ١١٢ - محمد غلاب: التصوف المقارن ص ١٤٠ وما يليها.
- ١١٣ - عبد الكريم الخطيب: قضية الألوهية بين الفلسفة والدين، ص ٢٣٩.
- ١١٤ - الترجمة ص ٤٤.
- ١١٥ - الترجمة ص ٨٤.
- ١١٦ - الترجمة ص ٢٥٦.
- ١١٧ - الترجمة ص ٢٥٦.
- ١١٨ - الترجمة ص ٣١١.
- ١١٩ - الترجمة ص ٥٧.
- ١٢٠ - الترجمة ص ٥٨.
- ١٢١ - الترجمة ص ٥٧.
- ١٢٢ - الترجمة ص ٥٧.
- ١٢٣ - الترجمة ص ٣٥.
- ١٢٤ - الترجمة ص ١.
- ١٢٥ - الترجمة ص ١.
- ١٢٦ - الهي نامه ٣٠٨.
- ١٢٧ - الترجمة ص ٣٠٨.
- ١٢٨ - الترجمة ص ٣١٠.
- ١٢٩ - الترجمة ص ١.
- ١٣٠ - الترجمة ص ١.
- ١٣١ - الترجمة ص ١.

١٣٢ - إحياء علوم الدين ج ٤، ص ٢٤٠، ٢٤١.

١٣٣ - الهي نامه، ص ٣٠٩.

١٣٤ - الترجمة ص ٨٤.

١٣٥ - الترجمة ص ٢٥٢.

١٣٦ - الترجمة ص ٦٧.

١٣٧ - الترجمة ص ٦٧.

١٣٨ - الترجمة ص ٦٧.

١٣٩ - الترجمة ص ٧٣.

١٤٠ - إشارة إلى الآية: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رِجْلِ أَخِيهِ﴾ سورة يوسف آية ٧٠.

١٤١ - الترجمة ص ٧٤.

١٤٢ - الترجمة ص ٧٤.

١٧٣ - الترجمة ص ٧٤.

١٤٤ - الترجمة ص ٧٤، ٧٥.

١٤٥ - الترجمة ص ٧٥.

١٤٦ - الترجمة ص ٧٦.

١٤٧ - الترجمة ص ٧٦.

١٤٨ - الترجمة ص ٧٧.

١٤٩ - الترجمة ص ٢٦٥.



## القسم الثالث

ترجمة منظومة الهي نامہ من الفارسية إلى العربية



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### في مدح الله - عز وجل - (١: ١١٢)

باسم من يخلد ملكه ولا يزول، ويخرس أمام وصفه نطق الفصيح، اسمه مفرح لكتاب الأرواح، وذكره يتصدر فهرست الدواوين، فاضت حلوق الأرواح بحلاوة ذكره، وانتشرت اللآلئ على الألسن بوصفه، إن وجدت رائحة دون ذكره فهي لون لا رائحة فيه، وإن ذكر اسم دون اسمه، فهو عار، الله الذي مهما تعددت مظاهر الوجود، فكلها بجانب ذاته عين الضعة، لأن ذاته أعلى من كل شيء نعرفه، فكيف يتأتى لنا شرحها؟

ألقي بيد قدرته الكرة الأرضية، في قبضة صولجان الأفلاك، ولأن عقل أي إنسان لا يسمو إليه، فلا أحد يعرف كنهه، فناء العالم إثبات لوجوده، وخلق العالم دليل علي ذاته، صفاته هي ذاته وذاته هي صفاته، عندما تدقق النظر، تجدها كلها ذاته، كل الوجود ظل لحضرته، وكل الآثار من صنع قدرته، أصاب القول في الذات من قال هذا القول الحق: إن التوحيد إسقاط الإضافات.

ما أرفعها من مكانة، فمن الأرض حتى السماء، مثل شعرة سوداء أمامه! ما أجلّها من عزة فأمام استغنائه الذي لا حدود له، تفقد الكثير من العقول وتضل العديد من الأرواح! ما أعظمها من رهبة إذا ما حلت في الروح، صدر عن كل ذرة فيها مائة طوفان!، ما أجملها من وحدة لا انفصام لها، ولا تساوي الدنيا قبلها شعرة واحدة

ما أطيبها من رحمة إذا ما حصل إبليس على ذرة منها، سرق الكرة من إديس! ما أشرفها من غيرة، إن وقعت على العالم، انطبقت السماء على الأرض في ساعة واحدة! ما أحسنها من هيبة، إن اكتسبت الشمس ذرة واحدة منها، تلاشت في أفق الوجود! ما أقدسها من حرمة، فمن عظمة جاهه، لا يجد أحد مخرجًا بدونه! ما أعزه من ملك ساد، فلا غرو أنه غير قابل للزيادة والنقصان! ما أعجبها من قوة، إذا شاء تصير الأرض كالشمع، وتمحّي الأفلاك أيضًا في لحظة! ما ألدّه من شراب يجري في عروقهم، على أمل سقايم ربهم<sup>(١)</sup>، ما أفسحها من ساحة، فلو لم يظهر العالم، لما نقضت معالمها شيء! ما أنبلها من غاية، تُبقي عين العقل والإدراك، شاخصة للأرض بعد إدراكها! ما أقصرها من مهلة، فإذا ما حان الأجل<sup>(٢)</sup> يُقبض العالم في لحظة! ما أرهبها من شدة، فبسبب القبض، لا مجال هناك للصمت ولا سبب للكلام! ما أقبح العزلة التي أحاطت بالعديد من النساء والرجال الذين اجتهدوا ولم يروا أثرًا من طريقه! ما أسوأ الغفلة التي قيدتنا، فبدونها ما صدر عنا أي تقصير! وويل للحسرة التي سوف تلفنا، لكنها لن تنفعنا بشيء، ما أجمل القدرة التي تجعلنا نترك هذه الأمانة<sup>(٣)</sup>، دون ارتكاب خيانة!

دنيا العشق لا بداية لها ولا نهاية، ولا مرشد هناك سوى المعاناة، الشخص العاشق يغرق في الدماء من مفرق رأسه حتى أخمص قدميه، من أول خطوة يخطوها مثل الورد، يا إلهي تحدثت كثيرًا بما لا طائل تحته، وأوردت كثيرًا مما كان وما لم يكن، لو أن حرم العصي يماثل مائة عالم، فإن ذرة واحدة من فضلك تمحوه، ولأنه ليس لنا سوى التقصير في الطاعة، فماذا تساوي سوى حفنة وضيعة، والآن وقد تداعت أعمالنا، لا تتركنا يا إلهي لأنفسنا، أنت مبرأ من النقص والكيفية، أنت عالم وراء هذا العالم وخلفه.

يا إلهي رحمتك بحر عام، تكفيننا قطرة واحدة منه، إن غسلت ذنوب الخلق الآثمين، في ذلك البحر مرة واحدة، لن يتعكر ذلك البحر لحظة، بل سيعم الضياء الدنيا، فماذا يضير بحر الرحمة، إن قسمت قطرة واحدة منه على الخلق، ما أجمل



النداء من الحق والتلبية من العبد، فبين العبد والحق نداء وتلبية.

ليس لك أحد في العالم بأسره، فلماذا لا تبكي على نفسك بحرقه، إذا كان لك مائة صديق في المنزل، فكلهم أغراب عنك، عندما تموت، لن تمنح هذه المعاناة بسهولة، فلا يوهب الجبل لقشة. إن لزمك ذرة من هذه المعاناة، لزمك صفاء البحر وصبر الجبل، إن تمت قبل الأجل بلحظة واحدة، تفز بالعالم كله في هذا الوقت إن تحققت أيها الرجل البائس، عمن ابتعدت هذا الوقت لأحرقت صدرك من الحسرة، ووضعت رأس الندم فوق قدميك إن كنت جديرًا بطريق الله، أسمل عين أهوائك تمامًا، وعندما تكف عين أهوائك، تبصر عين ألوهيتك بالحق، لا توجد للحيرة نهاية واضحة، فمن يمكنه استعادة إبرة وسط الأمواج، اعتبر الدنيا مثل رباط ذي بابين، عندما تدخل من هذا الباب تعبر من الآخر، استغرقك نوم الغفلة وليس لديك خبر عن شيء، إنك سوف تموت إن أردت أو لم ترد، إن كنت شحاذًا أو ملكًا، لن يصحبك أكثر من ذراعين من الكرباس وعشر آجرات، كثيرًا ما صدر عن الفلك أفعال، لن يكون لأحد نجاة منها، في نهاية الأمر لا بد لك من الفراق عن كل ما تملك أردت أو لم ترد، إذا كان ملكك من الأرض حتى السماء، فنهايتك هي العبور من هذه البوابة، إذا كنت الإسكندر فديناك فانية، تصنع لك ذات يوم كفن الإسكندر.

يا عزيزي أنت بدون علائقك الدنيوية كنز ملكي، أخفاه الله داخلك، إن أراد أظهر ذلك الكنز، وإلا ظل مخفيًا كما هو، ويجب أن تعلم على أي حال، لما يُخفي ذلك الكنز ولم يظهره؟، الحياة خادعة لا بريق لها، هي لحظة بلا معز ولا مواس، إن وهبتك الأموال فهي حجر، وإن اعتذرت لك فهي خرساء، لم يقسم لأحد وصال دون فراق ولا ورد دون شوك ولا سكر دون ذباب، لا أعرف لأحد سبيلًا سوى المعاناة، حتى أمسح عنه أحزانه للحظة، فاذهب، واجعل جسدك يعاني، وجد بروحك وافن عنها كما يطلب منك، لا أرى لك تلك الرجولة والقوة، طالما تتجول في العالم دون دخول القبر، ألم يبق آدم ستمائة عام حزينًا، وأراق دمه على الأرض من أجل حبة

قمح، ولأنه لم يحصل على القمحة إلا ببلاء عظيم، لا يجوز لك أيضاً الحصول على لقمة دون بلاء، كل نفعي ونفعك باء بالفشل، أواه من ميلادنا ووجودنا، أيتها الحياة من هو الشخص السعيد بظلمك وترديك هباء.

ولأن الحياة لا تعباً بك، فلماذا تهيل التراب على رأسك بسببها، الدنيا لها أصهار كثيرون مثلك، وتموج ذاكرتها بذكرى الأعياد والأعراس، طالما أنا على قيد الحياة فسوف أسوق الرمز دوماً لجلسائي، لا أري جليساً مخلصاً، فالغوث من هؤلاء الرفاق المنافقين لأن مصيرك هو التراب، فأني قصر وإيوان تقيمه في هذه الضعة، ولأن عينيك سوف تمحّي في التراب، فلماذا تعلو بالقصور إلى الأفلاك، إن كنزت الأموال من الفضة والذهب، لن تتجرع الماء لحظة دون عناء، اهتم بنفسك، فلن يهتم بك أحد، ماذا أقول لك أليس الأمر على هذا النحو؟! على الرغم من أن أصلك من التراب، إلا أن روحك الطاهرة من جوهر طاهر، ألم يسجد الملائكة لجوهرك؟ ألا تتقلد تاج الخلافة؟، إنك ابن خليفة فحرر جسدك، وتخلص من العجز في تلك الرياض، لك ملك في مصر وأنت مثل يوسف، فلماذا تظل في غيابة الجب، لا يصدر لك الأمر بملكك هذا، طالما أن الشيطان يقبع داخلك بدلاً من سليمان، أنت ملك في البداية والنهاية، لكن بصرك أحول، ترى الواحد اثنين والاثنين مائة، وسواء واحد أو اثنين أو مائة الكل أنت نفسك، لك قلب واحد أيها المسكين ومائة صديق، فكيف يتأتى لك مائة عمل بقلب واحد، إلى متى تظل في هم الخبز والثوب، وإلى متى تظل في خزي العوام وعارهم، لك عادة عجيبة في الأصل، ترتدي الخرقة، لتحصل على ثوب خلق، وإن تجتهد كل لحظة في الحضور، تفز منه بخلعة اسجد واقترب<sup>(٤)</sup>، من كثرة الأفكار العابثة التي رددتها، فسدت فطرتك.

ألا أيها النائم إن كنت عاقلاً، يجب أن تغوص داخل أعماقك، ما أبشع الحرص في قلب ابن آدم، وما أعجبه من حائر وضال في العالم، ألا يا صاحب القلب الأعمى من الحرص، إنك مقيد بالحرص حتى تصل إلى حافة القبر، لن يقل حرصك ما لم

تمت، فجرح الحرص لا مرهم له سوى الموت، تجرعت كأس الدنيا الطافحة، فماذا ستفعل بأموالها الوفيرة؟ بالله لا يساوي متاع الدنيا بأسرها، شعيرة واحدة في عين السالك، آه من هذه العناكب الأكلة للذباب، كلها مثل النسور تبحث عن الجيفة، ويلاه من المتكالبين النمامين، كلهم مثل النمل لا قائد لهم ولا مرشد، واحسراتاه من حرص البعض وتكالبهم وراء العظام، فهم جميعاً يتمثلون بالكلاب ويشبهون الفئران.

ألا يا من بقيت مهموماً ليل نهار، وأصبحت مسكيناً بسبب الحرص، جعلت الحرص رسناً فوقك، الحرص يعلوك والرسن يعلو الجمل، آمن بالرزاق في نهاية الأمر، واصبر واهدأ، فهو لا يستعيد الرزق من الكافر، فكيف يستعيده من الرجل العاقل، لا تتردد يا صديقي عندما يحين الصباح، وأنت تتمتع بالأمن والسلامة، عندما تستيقظ وقت الصباح، أقبل دون أي شيء في الساعة التي تريدها، كل خلعة تمنح من ذلك البلاط، ترتدي إذا ما حان الصباح، حيث يُفتح باب الروضة وقت السحر، ويظهر جماله للمشتاقين، وإن لزمك في تلك اللحظة ملك، قف على باب محمد سائلاً.

## في نعت الرسول (١١٣: ٤٥٢)

محمد قدوة العالمين، ومهدي آل آدم، محمد شمس الخلق، وقمر الأفلاك أي عينها البصرية، محمد مصباح المعرفة وشمع النبوة، سراج الأمة ومنهاج الملة<sup>(٥)</sup>، قائد ميدان الشريعة، وأمير جيش السيرة العطرة، ملك العالم وفخر لولاك<sup>(٦)</sup>، سلطان الأرض والأفلاك، أمين الأنبياء وبرهان المنهاج، ملك بلا خاتم، وسلطان بلا تاج، تأهب لملك الدنيا، لكنه التزم بالفقر فخري<sup>(٧)</sup>، آيته من ناحية إنا فتحنا<sup>(٨)</sup>، ورايته من ناحية أخرى نصر من الله<sup>(٩)</sup>، لعمرك<sup>(١٠)</sup> تاج مفرقه الذكي، وألم نشرح<sup>(١١)</sup> لك طراز عهده، هو حقاً تاج القادة، وهو قطعاً سيد الأنبياء، لا يوجد قطعاً أفضل

منه على الإطلاق، ولا يوجد حقاً أمين للحق سواه، هو الهدف من الدنيا والآخرة، هو سراج للعيون وبصيرتها، هو مفاتيح الهدى للعالمين، ومصابيح الدجى للدنيا والآخرة، لسانه ترجمان الملك، وقلبه كاتب الوحي الإلهي، الأرض والسماء في ملته، والعالمان عهد دولته، حامل لأمانة رب العالمين.

لأنه كان أميناً في العالم قبل الوحي، صار الفلك مفعماً بالنور من جماله، وأصبحت الأرض مهبطاً للوحي من كماله، لم يكن له غير الله في طريق الشرع، فتمكن بواد غير ذي زرع<sup>(١٢)</sup>، انتهت مشاكل الخلق بكفره، لأن فكره ممتد في الأزل، ظهر من الأزل حتى يمكن للأرواح المضطربة أن ترتوي من بحر شرعه كل لحظة، كان متقدماً على جميع الأنبياء، ختم الأنبياء ووجد قبلهم، حينما رفع آدم بصره لأول مرة، رأى اسم محمد مكتوباً فوق العرش، فسجد أمام اسم محمد الذي خلق من التراب الطاهر<sup>(١٣)</sup>، عند ميلاد محمد، أصاب الطوفان عبدة النار، وفي كل معبد نار وبسببه، انطفأت النيران في الحال، إن كانت النار قد خمدت عن إبراهيم، فقد خمدت عن العالم بأسره بسببه وهو طفل، ألا ترى عندما تشعل النيران، كيف أنها تحاول الهرب من وسط ألسنتها.

وما إن ارتفع خفه بالخطو في طريق الدين، حتى سقط التاج عن رأس كسرى<sup>(١٤)</sup>، ثانيا ذؤابته أسقطت تاج قيصر، وأطاحت بخاقان الصين، في البداية عندما تدثر، نزل عليه روح القدس، قال له هناك خير عظيم للغاية، ينطوي تحت هذا الغطاء، هناك مقدار لينة خالية، في بناء النبوة العالي<sup>(١٥)</sup>، قال الرسول هذا البناء السامي، منح بي الخلود الكامل، بلى كان هو المقصود بكل الأنبياء، وعندما بُعث ختمت به النبوة، ألم تر الجند يأتون في البداية، ثم يتبعهم الملك العظيم بعد ذلك، الأنبياء مثل الجند والهدف من وجودهم هو الملك، عندما ظهر سلطان الأنبياء، ختمت به النبوة لأنه المراد، وعندما أضاء دينه العالم، نسخت الشرائع والله أعلم، فكيف تبقى الحياة بنجومها، وقد ظهرت الشمس المضيئة واضحة.

في تلك الساعة التي شبّه نفسه فيها باللبنة، كأنما أصبحت كل لبنة جنة، هو قالب لبنة النبوة منذ آدم، فهو أساس العالمين، ولأن إطار اللبنة في الدنيا أربعة، يحيط بلبنة النبوة أربعة من الصحابة، عندما توجه معه صديق الغار، امتلأت الدنيا نوراً بهما، وعندما دخل محمد إلى خيمة أم معبد، رأى عنزة عجفاء ووحيدة، فرق لحال هذه العنزة، فأشرقت الشمس في عينيها، وعندما مسح يديه على ضرعها، انساب اللبن منها كالأمطار، ابيضت يده من اللبن، ومنح اليد البيضاء من القدر<sup>(١٦)</sup>، ما أجمل الرسول البالغ شارباً اللبن، وهو الذي يبدو آدم أمامه طفلاً، عند الهجرة عندما دخل الغار مع الصديق، ظهر العنكبوت المشهور، ونسج على بابه خيوطه المتشابكة، كان ينسج السداة ويصلها باللحمة، وعندما تماسكت تلك الخيوط وكونت حجاباً، جاء العدو وأراد اختراق الحجاب، وتقدم أمام العنكبوت متكبراً وهو يقول: ارفع الحجاب المسدل، الصقران هما ما أريد من وراء هذا الحجاب، فلتحدث إلى الحجاب بهذا الأمر، علم العنكبوت ما يدور بخلد العدو، فتحدث في الحال مستنكراً، لا يخترق خيوط العنكبوت أبداً لا جمشيد ولا أفريدون البطل، ليس لديك ذرة من عقل، عندما تبحث عن السيمرغ في مخلفات الذباب، يكفيني قديد ذبابة واحدة، فكيف يقع الشاهين في شراكي، طلسم من نسج العنكبوت، كيف يتسع لمخلوق الحي الذي لا يموت، إذا كان السر الذي ذكرته ليس على هذا النحو، فكيف ظلت خيوطي المتشابكة قائمة؟ لو أن خصمه في سابع أرض، فالفلك السابع متربص به، ومستعد دائماً لقتال الأعداء، وشمس سيفه تتلألأ في العيون، لم يخط الفلك أبداً دون حبه، ولم يتنفس الملك يوماً دون الشوق إليه، لم يفعل أمراً لا يمليه عليه الدين، ولم تر عين تقطيعه لجبينه، كان يسوده الرضا دون الغضب، فلم تر عين تقطيعه بين حاجبيه قط، ولأن تجعد جديته صار حلقات حلقات، فقد نتج عنه اثنتان وسبعون فرقة، عندما ظهرت حلقاته المجددة، ظهرت السبعون هذه من تلك الحلقات الستين، وأخذ كل قوم في المجاهدة طويلاً، للثبث بحلقة منها، لم تستطع يد أن تحوز الخلود الأبدي إلا يده، لأن تلك اليد قد استمسكت بالعروة الوثقى<sup>(١٧)</sup>.

لم يفن أحد عن نفسه في حضرة العزة المؤيدة إلا محمد، عندما فنى عن نفسه كلية، أصبح الجميع ينتظرون الشفاعة هناك إلا هو، محمد شمس الخلود، وهو الصبح الأحمدى لروح الله (عيسى) عندما بشر روح الله (عيسى) بالمختار<sup>(١٨)</sup> ظهر في لحظة واحدة بلا أب، نعم كان مبشرا سابقا، ليبشر الخلق به، لأن ظهوره كان في البداية مبشرا به من الحق، كان ظهوره أيضًا في آخر الزمان، لن تكون عودته إلا لغرض حميد، فالعود أحمد، لأن قلب محمد الطاهر كان كقلب الجيش، فروحه ملك بين جنبات قلبه، كان جناح قلبه عند نزول الوحي، يتكون من ستمائة ألف جناح لجبريل، بينما اصطف على ناحيتي قلبه، عالم مختار من القدوس، كانت سترته من الصبر، وسيفه من الصدق، وقد قلبت ظلال رمحه الفلك، في يده قوس قاب قوسين<sup>(١٩)</sup>. ومستعدًا بسهام إذا رميت<sup>(٢٠)</sup>.

نبي السيف معه تاج لعمر<sup>(٢١)</sup>، امتطى البراق من التبرك، ولو أن روحه سلطان دار الملك، إلا أن الجهاد حرفته الوحيدة، لأنه كان يريد العبودية في النبوة، كان يطلب من الحق عينين دامتين، لأنه أطلق على نفسه ابن الذبيحين، أيقنت روحه وعقله بهذا القول، فلم يشغل بشيء قط في الغيب عن الله - عز وجل - لأنه لم يبق له في الوجود أي أمل، قفل سجله إلى الأبد من ما زاع<sup>(٢٢)</sup>، عندما تكون روحه تضطرب شوقًا إليه، كان يجري أحيانًا على لسانه قوله: ليست الله العالم لم يخلق محمدًا، وما إن قال ذلك، حتى جعل الجبار الدنيا مصباحًا منيرًا خالداً له، ولو أن ضياء المصباح يغمر الشمع، إلا أنه بعيدًا عن العسل في ألم وعذاب، في البداية كان الشمع غارقًا في العسل، متحدًا به لا يفكر في هذا أو ذاك، وفي النهاية عندما ابتعد عن وصال العسل كان يقول أي شأن لي بالشمع، كنت متحدًا مع جمعي فماذا حدث؟ ماذا كان يحدث لو لم أتحد مع الشمع، وظلت جليسا للعسل؟ عندما ابتعد شمعي عن محبوبي، أمر الحق مصباحي حتى أضيء، ولو كنت موجودًا مع العسل لكنت فנית من حرقتي المتواصلة.

كان جلوسه على الحصى من التجرد، وربطه للحجر فوق البطن بسبب الجوع كمال الفقر دليله، فالفقر مقام جليل للغاية، إذا كان هو لا يرغب إلا في القليل، فأنى للفقراء أن يميلوا إلى الكثير، كانت راحته في الفقر فلم يكن من آدابه تجزئة هباته، لم يطلب مالاً وملكاً ولا متاعاً وزاداً، فكان يوماً شبعاناً ويوماً جائعاً، ولو أن الأفلاك قد خلقت من أجله من الدخان<sup>(٢٣)</sup>، فما أكثر الشهور التي أمضاها، ولم ير أحد دخاناً من حجرات منزله التسع، حتى صار من المألوف عدم تصاعد الدخان من حجراته التسع، عندما عاد من المعراج معززا، لم يسود وجهه قط، هكذا قال نجومه عندما كان جالساً كالقمر وسط الجمع: أي أطيايف نورانية للشمع وقد أفاض القمر بضياءه على الجمع، كل أصحابه بجانبه، مشدوهين من هيئته، نعم فالمكان الذي يواجهه البحر، كيف يمكن أن تثبت قطرة فيه، من شدة هيئته في حضوره، وقع خلاف في جمع نوره، هل كان صدر العالمين مستيقظاً أم نائماً؟ ألم ير وجهه خلق للعالمين، وكيف لا تتيسر الرؤية وقد كان قاب قوسين، ومدت الأرض مثل سماط، ووضعت كلها أمام عينيه، حتى صارت أسرار العالم عياناً له، ووقف على العالمين، عندما تجلت له الأسرار الإلهية قال: لا أحصي ثناء عليك، لأنه كان يرى من عين الأسرار، كان يشاهد الجنة والنار من وراء حجاب.

توارت الجنة والنار أمامه، تسأل كل منهما الأخرى أتعلمين من يكون خلف الحجاب؟ وابتعدا عن الآخرة وراء الحجاب، حتى يشاهدا شمس وجهه، ضل كلاهما عن الآخرة، عندما نظرا إليه هكذا باشتياق.

وعندما وجد الحق قريباً من الأحبة، أسرع أمامه، اتجه نحو الحق عاري الرأس، لأنه يمكن السير في طريق الحق دون رأس، لا يجرؤ الشيطان الرجيم أن يظهر في صورته<sup>(٢٤)</sup>، عندما تنضج حبة القمح تشق السنبل، وقد شق صدر القمر مثل القمح، لأن قوة روحه كانت مستمدة من خوان الفقر، لذلك كان فقره فخراً له.

عندما تلاً نور فقره، أضاءت أفعاله كسليمان، كان أحياناً يكنس المنزل وأحياناً

أخرى ينام فوق الأرض مطمئناً، وتارة يسرع مع عائشة لأداء بعض الأعمال وتارة أخرى يرفع الآجر والطين لبناء المسجد، وفي بعض الأوقات يرتق نعليه، وفي أوقات أخرى يجالس الأطفال، يذهب حيناً لتشيع جنازة، وحيناً آخر يذهب لعيادة المرضى، وكثيراً ما كان يعلق الجمال، وفي بعض الأحيان كان يدير الطاحونة اليدوية، وأحياناً كان يحمل الأقداح لأصحابه، ويقف مضيفاً لهم، ومن حلمه كان يفعل كالجمال أحياناً، للتسربة عن الطفلين الحكيمين (الحسن والحسين).

عندما ولد ذلك الصدر العالي، خرج إلى الحياة ساجداً، خرج إلى الحياة مقطوع السرة، كما ولد من أمه مختوناً لو وجد وسط خلق العالم، لفاق الجميع طولاً، لم ير شخص قط ما يخرج منه، كانت الأرض تبتلعها مثل العنبر، لم تقف عليه أبداً ذبابة من الأمام أو من الخلف أيضاً، لأن ظلاله انعكست على الأفلاك، فكيف يقع ظل له في الأرض؟ لأن ظله اقترب من العرش، فكيف يستقر على الأرض.

ذات ليلة توجه إلى العرش والسماء، واعتلى العالمين، كان البراق ملثاعاً شوقاً إليه، وهو مقيد بطوبى منذ القدم، فسلك الطريق على سيرة المصطفى، وذهب صائحاً وحمل لجامه وانطلق جارياً، دخل جبريل وقال: أيها الطاهر لماذا تلازم الأرض؟ توجه إلى الأفلاك، لأن الحق شرفك بملك العرش، فتقدم من الأرض إلى إيوان العرش، لأن ذاتك رحمة للعالمين، فهي مضيئة للعالمين بالرحمة<sup>(٢٥)</sup>، لأنك كنت مضيفاً للأرض لفترة، فقد حل الدور الآن على الأفلاك، فاصنع الكيمياء بفقرتك للممالك، وجهز التوتيا للملائكة من ترابك.

وما إن انطلق براق صدر العالم، حتى وصل إلى السماء السابعة كالبرق، دخل حتى الكرسي ممتطياً، وهو صاحب البراق والمنبر، وعن يمينه حملة العرش، وعن يساره حفظة الأرض، والفلك تحت براقه كالأرض، وغلाम بلاطه الروح الأمين، انكشف له عالم العرش، ووضع قدمه في مقعد صدق<sup>(٢٦)</sup>، انطلقت الصيحات من سكان السماوات قائلين: لقد جاء سيد العالم إلى الميقات، جاء اليتيم من سلالة أبي



طالب، جاء الآن دُرًّا يَتِيمًا طالبًا (لِلْحَقِّ)، فخرج من الحضرة في الحال مئات الآلاف من الأرواح العلية لاستقباله.

كان في عبوره على المسيح مثل يوسف، فجعله في شيخوخته في شباب زليخا، وكأن روح روح الله الظاهر (عيسى) قد بعثت مرة أخرى فوق الأفلاك، تقدم سليمان وتخلي عن الإكليل، ووضع السلة لتلقي الصدقات، وانطلق الكليم من هيئته، على أمل أن يكون من أمته، وأحضر الخليل ما عنده، حتى يضحي بابنه أمامه، وعاد نوح من السفينة، وتحققت له العظمة بوجوده ومن وجوده، ودخل آدم فطرب، وطلب منه جوهراً، وأحضر الرضوان الشراب، وسأله كثيراً عن طريقه الطويل، وإذا ما كان العطش قد نال منه أثناء الطريق، فيحضر له الشراب السلسيل<sup>(٢٧)</sup> في الحال، وإذا ما كانت حرارة العشق قد أنهكته، فمزاج شرابه كافور<sup>(٢٨)</sup>، وإذا ما كانت برودة اليقين قد وصلت إلى الذروة، فشراب الزنجبيل إثار له<sup>(٢٩)</sup>، وعندما مال إلى الاعتدال في النهاية، مزج له العسل باللبن، وعندما أقسم طاهيه بالإخلاص، خصص له الشراب الطهور، كان شرابه رحيقاً مختوماً<sup>(٣٠)</sup>، لا يعلم هذا الحب سوى الحق.

وسُخرت شمس الفلك له، وكانت لجام براقه في تلك الليلة، كانت الشمس الذهبية مقبض سرجه، والهلال ركابه يقبل قدميه، والقمر بيدر خاص لبراقه، يُمنح القمح من الجوزاء والعشب من المجرة، ألم يكن في تلك الليلة يسرع بالعدو في تلك الطريق، وبراقه يخطو به فوق الأفلاك والهلال نعل براقه الذي ارتدى الفلك كقرطين في أذنيه وأحكم قوسه، وصنع له السماك<sup>(٣١)</sup> هدية من الرماح، وطهر له الطريق من رأس الغول، وتوجهت الحور جميعاً صوبه، من الأرض حتى السماء مباشرة، وأنار الليل المظلم لهذه الروضة المباركة بنور وجهه كثيراً من الأعين، وأحكم العرش محرابه بسرور، وجعل الوجود، طوع أمره واكتسبت طوبى منزلتها من ذؤابتيه، فألقت بظلها على رأس الفردوس.

وعندما أمد الذنب رأسه أمامه، سحب ذيله كالعقرب رهبة منه، وكنس الفلك

السنبلة<sup>(٣٣)</sup> وعندئذ انحنى حتى يفسح له الطريق، وعندما تعرف السرطان على حيثيته، ألقى بجيشه إلى الماء، ووقفت الجوزاء ممثلة لأمره، وجاء الميزان وقيد يديه، وخفض القوس وتره أمامه، وأوقف منزليه فداء لروحه، وأقام له الحمل والجدي مائدة من الشواء، وبسط الخوان من الأرض حتى السماء، وصار الأسد مثل ليث يحميه، وصار مثل الدلو متدلهاً به، وعندما شاهدت الأختان وجهه، رفعتا القناع عن وجهيهما شوقاً إليه، وحضر النسران<sup>(٣٣)</sup> الواقع والطائر، حتى لا يقع أي مكروه، وكانت السماوات السبع السيارة<sup>(٣٤)</sup>، حول القطب مثل الرجال السبعة<sup>(٣٥)</sup>، عندما رأوا رجولته وعرفوا حياته، حملتهم بنات النعش كالموتى، ودخل كل ملك بمجمر خاص، ليحرق بخور عشقه بإخلاص، وفتح الرضوان ثمانية أبواب من الخلد، وأجرى الماء من الكوثر مدراراً في تسعة اتجاهات، وأسعد خازن الفردوس العالم، فأهداه حور العين، عندما علم نوح قدر تراب قدمه، صنع لوحاً من الطين للوجود عليه مثل الشيعة، عندما فاض عالم النور بجماله، تدله البيت المعمور<sup>(٣٦)</sup> بعشقه، جعل الحق الفلك نثاراً له بحق، وقدمه له كله فوق طبق، أحضر كل فلك مائة كيس من الذهب كهدية، حلالاً لأنها جاءت<sup>(٣٧)</sup> من السدرة، وطلب الفلك من الحق استضافته، ليتحقق لكل نجم مصاحبته ليلة.

ومنذ ذلك الحين الذي ضيفه فيه الفلك، مثل أصحابه الطاهرين بالنجوم، لأنه في تلك الليلة كان مثل شمس ساطعة، انعكس نوره على كل نجم بطريقة مختلفة، فمنح ضيعة السماء لرجل، وأفتى بمنح الطيلسان للمشتري، ورفع المريخ رأسه بصلاية، وأقى بظلال ذؤابته على الشمس، وأجاب على الزهرة بحنان، وأرسل إلى عطارد خطاب الحكمة، وظهر أمام القمر مثل يوسف، فقطع القمر يديه والبرتقال<sup>(٣٨)</sup>، هكذا تجول شمس الشرع، على ستمائة ألف جناح لجبريل، لم تستغرق جولته لحظة، ولم يترك أي أثر أو علامة.

عندما اصطفت الملائكة حوله، رأى الدنيا مثل قاع صفصف<sup>(٣٩)</sup>، دنيا لا أثر فيها

للحياة، ولا أثر فيها لصفصف ولا رفرف<sup>(٤٠)</sup>، عالم خال من قريب ومن بعيد، وهو من نور النور، نور على نور<sup>(٤١)</sup>، كان يرى أرض الآخرة كحلم، ويرى أنهارها الجارية عيانًا، السماء معظمة من جلاله، والشمس مضيئة بجماله، عندما اضطربت روحه شوقًا إلى الحق، شق ذلك الصدر ملابس صدره، بلى لأن السماء كانت صدره، فقد اخترقها في تلك الليلة، وعلامة ذلك الاختراق في المجرة، تضاول الفلك أمامه إلى ذرات، ولأنه كان دائمًا حجابًا خاصًا للحق، شق الفلك بسبب معراجيه.

جاء الخطاب من الحق: يا سيد الخلق، ماذا تطلب في مجيئك هذا؟، إن قلبك مع أمتك المليئة بالذنوب يقول لهم: سيروا سير أضعفكم في الطريق، قال الرسول: يا إلهي علمك بحالي، يغني عن سؤالي إن إنعاماتك قد وصلتنني متلاحقة، وقد انعقد لساني فلا أحصي ثناء عليك، انمحي وجودي في الكل، فالشمس باقية، والظلال تنمحي، عندما شعر صدر الكونين بضعفه، قوى عضده من قاب قوسين، لأن محمدًا هو سيد العالم، مُنح عضده ذلك القوس، قوس مبارك عصبه وتر هندي العين، من قوس قاب قوسين.

في تلك الساعة التي انكشفت له فيها المعرفة، بدا كأنه يشبه السهم في صفتين: **الأولى:** في استقامة الوقوف، **والثانية:** في سيره، ولأنه كان يشبه السهم بهاتين الصفتين شبهت مكانته بالقوسين في البداية، عندما انطلق صوب الحق كان مثل سهم أُطلق من قوس، وفي النهاية عندما أعيد إلى قومه، كان مثل سهم صوب من قوس، ولأن هاتين الرحلتين انطلقتا من القوس شبه بقاب قوسين، ولأن للقوس بيتين دائمًا، فهما خالدان، الأول بيت الأحدية إن كنت تعرفه، والثاني بيت أحمد الخالد. عندما أسرع السهم بجذبة من الحق، اختفت الميم من أحمد مثل شعرة، وانمحت ميم أحمد من المنتصف، وصارت أحدًا، وصار الاثنان واحدًا.

في تلك الليلة كان طاووس الملائكة<sup>(٤٢)</sup>، يفدي فتنة طرته بمائة روح، كان يرى من ذؤابتيه وترّي القوس، ويشاهد من عينيه ما زاغ البصر<sup>(٤٣)</sup>، قوس قاب قوسين<sup>(٤٤)</sup>

بين حاجبيه، ووتريّ ذلك القوس ذؤابتيه على الدوام. نعم فلأن طرته كلها نور، فهي تمنح مثل هذين القوسين الروحانيين، إنني لا أرى قوس قاب قوسين، برهة في عضد العالم، فعندما تصبح فتنة طرته لا قرار لها، يليق بطاووس الفلك اقتناصها، ما أجمل القوس، وما أحسن الوطد، فمنه ما كان وما أوحى وما زاغ<sup>(٤٥)</sup>.

وبسبب الحسد الذي تملك الفلك من الرسول، احدودب حول المحور، الله علم آدم الأسماء<sup>(٤٦)</sup>، عن طريق الوحي تعظيمًا لمحمد وأسمى محمدًا منذ القدم، لأصبح الأمي الفقير، ولأنه خلق دون معرفة الأسماء، لم يعرف القراءة وكان أميًا<sup>(٤٧)</sup>، ولأنه جاء في طريق الحق مجردًا، أصبح لتجرده فقيرًا مطلقًا، وبسبب تجرده وفقره، تلقب بالأمي من أم الكتاب<sup>(٤٨)</sup>، في البداية كلف بخمسين صلاة، ثم جعلها الحق خمسًا من أجله، إن كان قد فاز تلك الليلة جزئيًا وكليًا، إلا أنه عندما تجرد من ذاته فاز بالكل بحق.

أيها القلب، اجعل إقبال الروح متصلًا، وقيد نفسك بسرج براقه، واخضع له في عبودية، حتى تصبح سيّدًا عزيزًا، ماذا أقول يا رسول الله أكثر من هذا، أنا عاجز ولا أعلم أكثر من هذا ما أفضل جبريل رسول بلاطك، فكل عمله التردد في طريقك!، وعندما أبصر ميكائيل عين ملكك، أصبح أجيرًا لجند جيشك، ونتيجة لشجاعتك، ظل عزرائيل مستعدًا دائمًا بسيفه، وأصبح إسرافيل الأمين، حارسًا لأعتابك، والملائكة حجابًا على بابك، وكرام الكاتبين حارسيك، وآدم الطاعن في السن والذي كثيرًا ما سجل أسماء ذاتك، كاتبًا لبلاطك، وإدريس أمامك بمثابة منجم، بشر بالجنة بسببك، وعندما اكتسبت الدنيا سلطانك، اختار نوح سفيتك، وجعل صالح نفسه جمالًا لك بروحه، وضيفك بلبن ناقتة، وعندما صار بناؤك مثل إبراهيم صارت الكعبة كلها حرما لك<sup>(٤٩)</sup>، وما إن سمع إسماعيل عن مذهبك حتى صبر على أمر الله بذبحه وهو حي، واشتاق إليك يعقوب الحزين، فجلس في الخلوة على أمل رائحة منك، ونجا يوسف من السجن ومن البئر يبحث عن جمالك في مائة جمال، ونثر

الخضر الجليل الأنساب الماء، على محلتك كل ليلة من ماء العين، وتعلم إلياس  
التضحية منك، فاختار الفداء حتى يوم الحشر، وعلمت يونس المعرفة في الطريق،  
فظل حتى اختفائه في البحر يقتني أثرها، وكثيراً ما شعر داود بالشوق إليك، فافتدى  
لوعة عشقك بمائة روح، وعندما رآك أيوب طبيباً لعشقه، تغلب بجسده على المرض،  
وما إن شاهدك سليمان ملكاً على العالم، حتى وقف لخدمتك مثل الخاتم، وبمجرد  
أن تقلد يحيى تاجك، صار هارون حاجباً على بابك، وأصبح موسى ممسكاً بالعصى  
على دربك، وبارك عيسى اسمك الهندي، ولأن لك مؤنساً مثل قل هو الله<sup>(٥٠)</sup> فقد  
محوت كل ما سوى الله، زوج أبي لهب التي احترقت كمداً، إذا ما ألفت لك شوكة  
في الطريق، فليسعد ورد غيبك في مكانه، حيث لا تزدهر وردة دون شوك، في كل  
لحظة يظهر فيها وجهك الجميل، يكفيك بخور قل أعود<sup>(٥١)</sup> لعين السوء.

كل إصبع من أصابع الفلك السبعة، أمسك بمصباح من النجوم، تناديك من الألم  
والعذاب، أبحث أحد عن الشمس بمصباح؟ أنت سلطان الأرض والسماء، سراج  
الدنيا والآخرة، والفلك في حركة دائبة مثل كرة، لعله يدرك رائحة من قدرك، في  
ذلك المجمع الذي تتجلى فيه القدرة الإلهية، يبدو ارتفاع السماء تحت قدميك،  
ومن هذه القدرة، والتي لا حصر لها، يوجد خارج الأفلاك التسعة تسعمائة حجاب  
وبسبب الحسد من قدرة هذه القبة المنيرة، يتعاقب الليل والنهار، عندما أشعت ذرة  
من القدرة على السماء، اكتسبت الشمس الحياة وفاز القمر بالضياء من تلك الذرة.

ماذا أقول وصفاتك على هذا النحو، حيث مائة عالم تعلو على الفهم والإدراك،  
إن اعتبرت العالم كله لعبة، فاقبل منه مادحاً لأعتابك، لا أعلم كيف يتأتى ثناؤك، وإن  
قيل، فهل تقبله؟، أنت تعلم أنه من بين المتحدثين، لم يقل أحد مثل هذا المدح، إلا  
أنا، هذه الأشعار عروس، وجودك ظلها، وقبولك لها زيتنها وحليتها، إن قبلتها متى  
يرتفع شأني، وإلا زهقت روحي الحزينة، إن تقبل مني هذا الكلام، أجدد الفلك العتيق  
بصنعتي، لو أن حضرتك بحر عظيم، إلا أن القطرة منه در يقيم، ولو أن البحر زاخر

بالمياه، إلا أن للقطرة الواحدة تأثيرًا، ألا ترى البحر لا بداية له ولا نهاية، وقد أفسح الله بلطفه لكل قطرة مكان، ماذا أقول يا رسول الله بعد ذلك، لقد تحدثت بهذا القدر على قدر استطاعتي، أنت كريم مطلق، وتعلم أيضًا أنك تستطيع منحني مائة خلعة.

### قصة (٤١٤: ٤٥٢)

جاءت امرأة ساقطة إلى مكة، حيث ذاع صيت فسقها وفسادها، فإذا ما عزم شخص على اللهو والعبث، كانت هي شريكته الأخرى، كان صوتها جميلًا وتتقن فن الحديث، وليس لها من عمل سوى الغناء.

وعندما دخل الرسول مكة، وحل الحب والوئام محل الحرب والحقد، قوي شأن الإسلام، واستقر الإيمان وزال الكفر، وخلت مكة من المفسدين، وتفرقوا عنها، وأصبحت تلك المرأة معدمة، فذهبت إلى الرسول بائسة.

قال لها الرسول: ويحك كيف جئت؟ كيف؟ أجئت مهاجرة الآن أم تاجرة؟، أجئت إلى هنا من أجل الإيمان؟ أم حضرت من أجل التكسب؟، عندئذ قالت المرأة لصدر العالم: لم أحضر من أجل هذا ولا ذاك، لكنني جئت إلى هنا، عندما سمعت وصف جودك من الخلق، طويت مراحل الطريق على أمل عطائك، أنا المسكينة البائسة، فقال الرسول: مكة تزخر بالشباب، فابحثي عنهم فهذا ما يلائمك، عندئذ قالت المرأة: بسبب حروبك ومعاركك، وخشية من خنجرك ورمحك، ولصيت قدرتك وذيوع مكتتك، ولفضل معجزتك وبسبب شهرتك، انتهت نزوات فرسان العرب، فكيف يرغب شخص في مطربة.

استحسن الرسول ذلك القول فمنحها برده، وقال لصحابته: ليمنحها كل منكم اليوم شيئًا مما تيسر له، فمنحها الصحابة هبات كثيرة، وصارت تلك المرأة من الأثرياء. يا رسول الله! إن المرأة الغربية المشركة، الغارقة في الفسق والفجور، عندما

مدحتك بكلمات مرة واحدة، فازت من جودك بالمال الوفير، ولم تجعلها تيأس من جودك، ولم تعدم إنعامك، وأنت تعلم أن العطار في وصفك، يهيم حول نفسه كالفرجار، فإذا ما أدرك تراب محلتك، لوجد من كل ذرة فيه شمسًا مختلفة، ولأنه تراب محلتك، فقد وصفك بروحه، فاقبله بهذا إن أمكن، ولا ترده يائسًا يا من لا مفر له عنك، وخذ بيده، لأنه عاجز، ومثلما منحت المرأة بردتك، فليصلني منك في النهاية عطاء، لك الملك في العالمين، ويمكنك منح التشريف الإلهي، فشرف جسد العطار بخلعة، لأنه لم يعد يشعر حتى بثيابه، وزين قلبه بالتوحيد، كما لم يزين قلب من قبل، ليس لي هدف من هذا سوى المحو، ماذا أقول؟ فأنت تعلم وتقدر، العبودية تملأ جوانحي دومًا، لأن قلبي دائمًا غلامك، ليست لي القدرة في طريقك، أن أقول: اشفع لهذا المسكين، السائر إن كان مسكينًا ومحتاجًا، يصبح لا حول له ولا قوة في طريق الحج، وعندما يراه القادر مضطرب الحال، أني له أن يحرمه من الماء، ولأنك سيد العالمين، فمن الجائز أن تقطر على شفتي بعض الماء، إن صدري منقبض في هذه الحرارة والاحتراق، فأحيي كبدي بقطرة ماء، وإن كنت لا أستحق ماءك، فلا تمنحني إياه، والله أعلم.

### في مناقب أمير المؤمنين أبي بكر (٤٥٣: ٤٨٣)

قائد رجال الدين، الصديق الأكبر، والإمام الصادق لأصحاب المحشر، كان أعظم رحمة مهداة للرسول، لأنه كان سابقًا بالخيرات في الدين<sup>(٥٢)</sup>، قرين الخلوة ليلاً وصديق الغار، هبته في اليوم الأول أربعون ألفاً<sup>(٥٣)</sup>، الشخص الذي سن سنة حسنة، يصله أجرها دائمًا، ولأن أبا بكر بدا على هذا النحو، منح أجر الدنيا كلها، ولأن إيمانه منذ الخليقة، فهو يعلو كل إيمان لقدمه، ألم يعان من آلام الأسنان عشر سنوات، ولم يخبر الرسول بهذا الأمر، وعندما كشف للرسول أمر رفيقه، قال الرسول له: أيها الصديق لماذا لم تخبرني بهذا الأمر، من المستغرب معرفة ذلك من الحق، الشخص

الذي حفظ سر جسده على هذا النحو، ليس له من سبيل لحفظ سره سوى الحق، لقد أحكم غلق فمه بحجر، حتى لا ينثر لسانه الدرر، سمعت عن وجود الجوهر وسط الحجر، لكنني لم أشاهد الحجر بين الجواهر، ولأن روحه كانت مستغرقة في الحق تمامًا، فقلما كان يجري كلام على لسانه، ولأن روحه انشغلت بالمعرفة، فقد روى عنه ثمانية عشر حديثًا فقط، يجمال بالعالم حتى مع معرفته بثمانية عشر ألف حديثًا، أن يروي أحاديثه الثمانية عشر.

لأن أحاديثه اعتبرت أساس المعرفة، وأحكمت أسانيدها، فانظر أي عقل وأي بصيرة كانت له، بحيث كشفت له أسرار الحمل والطفولة، عندما دعا للضرير العاجز، حقق الله دعاءه وأعاد للضرير بصره، لم يكن يتزايد في شيء قط، فلم يتحدث إلا بأقيلوني<sup>(٥٤)</sup>، عندما حانت منيته، حملوه إلى المصطفي ثانية<sup>(٥٥)</sup>، ومن صدقه فتح مفتاح عالم الأسرار، الباب له، وانفصل القفل عن محبسه، فتح القفل لاستقباله، دون أن يمسسه أحد، الشخص الذي لأن الحديد له، كيف يقسو قلب عدوه عليه، ولأن القفل فتح بسبب صدقه، فلماذا لم يفتح قفل قلب عدوه، وما إن شاهد أصحابه ذلك المشهد، ورأوا قبره يفتح حتى أوروه الثرى، ثم عادوا، وقد اطلعوا على مكانته عند الأحد.

الشخص الذي عانى من أذى الحيات هو الصديق، وهو الذي يمكن تسميته بصديق الغار<sup>(٥٦)</sup> قد تصدى ذلك الصديق لأذى الحيات السامة، حتى يكف أذاها عن الرسول، لذلك شبه الرسول أبا بكر وعمر، الأول بالبصر والآخر بالسمع، ولأن النبي أطلق عليهما السمع والبصر، فالشخص الذي لا يؤمن بهما أعمى وأصم.

## في مناقب أمير المؤمنين عمر (٤٨٤، ٥١٤)

الإمام المطلق وشمع العالمين، أمير المؤمنين الفاروق الأعظم، الصديق ينطق على لسانه، بالكمال الذي تحقق له من الفرقان، عندما أيقن قلبه بالحق في الحرم، اتصل قلبه بعين العدل في الحال، وما اقترنت عين العدل بالقلب، حتى شاع عدله في



العالمين، عندما قفل باب الظلم إلى الأبد، فتح بعدله مائة باب للعجم، قوي أمر العرب به منذ البداية، واعتنق كل العجم الدين بسببه، والشخص الذي لم ينقد له، فبسبب عدائه للعجم والعرب، لأن الحديد لان أمام صلابته، فقد فتح القفل الرومي<sup>(٥٧)</sup> في بلاد الروم، وقد خاصم الثوبان جسده، فبعد إسلامه، كان له ثوب واحد، ولأنه عندما اعتنق الإسلام كان له ثوب واحد، فعندما خلعه، كان الثاني هو كفنه، ومن كثرة ما رتق ثوبه، أخاطه سبعين مرة، وأمام ثوبه المخاط، تمزق ثوب العالم إلى ثمانية عشر ألف قطعة احتراماً له، ولأن أنحاء العالم قد خضعت له، ارتدى الكرباس المرقع، ولأن عدته كانت ثوباً واحداً، فلا جرم أنه فاز بحلاوة الإيمان، لم يجرؤ منكر ونكير على الاقتراب من قبره، بسبب رجولته وقوته، ولأنه الفاروق المحتسب العظيم<sup>(٥٨)</sup> لم يظهر أي منكر في الآفاق، لأنه محتسب يأمر بالمعروف، فقد وصف أيضاً بالنهي عن المنكر.

اعتبره الرسول عينيه فيا لها من مكانة، وقال عنه سراج الخلد أيضاً، فيا لها من مرتبة، هو سراج أضواء الشرق والغرب، زيتة لا شرقي ولا غربي<sup>(٥٩)</sup> لأنه بمثابة العين والمصباح من الحضرة، فأنت عندما تسلك بدونه لا عين لك ولا مصباح، وإن لم يكن لك عين ولا مصباح، لا يمكنك التفرقة بين الحمام والحديقة، تلزمك عينك دائماً، كما يلزمك المصباح أمامك بصفة دائمة، فإن لم يرافقك المصباح والعين في الطريق، لن تفرق بين البئر والطريق، وإن زلت بك قدمك في الطريق بدونهما، سقطت في البئر في النهاية بسبب العمى، ولأنه فاز من المصطفى بمثل هذه العين، فقد اكتسب لسانه نطق جبار العالم، إن لم تكن من العميان، فانتبه، وتتبع تلك البصيرة، واصغ لتلك الأقوال، ومن لا يشع ذلك النور في رأسه، لن تكون الجنة سراجاً له، إن مصباح الفلك هو الشمس المنيرة، وسراج الخلد هو الفاروق العظيم، وغداً ينطفئ مصباح السماء إلى الأبد<sup>(٦٠)</sup>، عند نفخ الصور<sup>(٦١)</sup>، لكن سراج الخلد هذا، سيظل متلألئاً كل صباح ومساء.

## في مناقب أمير المؤمنين عثمان (٥١٥ : ٥٤٥)

أمير المؤمنين عثمان، وضع الإيمان أساسًا من الحياء<sup>(٦٢)</sup>، الفلك من بحر علمه بخار، والأرض من جبل حلمه غبار، هو الروح المصورة لدنيا المعرفة، صاحب اللبين من نوري الرسول<sup>(٦٣)</sup>، ماذا أقول فقد أصبحت ثلاثة من الأنوار من نوري الرسول، ومن القرآن فما أجمل الأمر، الشخص الذي يعيش في رحاب هذه الأنوار الثلاثة، إن لم يره العدو جيدًا فهو أعمى، إن كانت للشمس عين شاخصة، فقد استمدت المدد من نور ذي النورين، لم يتحقق هذا الكمال لأحد سواه، فاقترن بابتني الرسول الجليلتين.

لأنه كان مهتمًا بالحفاظ على القرآن، كان برهانا على عجز الآخرين، فابتعد عن الدنيا، مهتمًا بهذا الأمر، هكذا كان ذلك الشمس ذا النورين، الشخص الذي مُنح هذه الكرامة من الله، فحاز على عيني وسراج المصطفى، ولأن ذا النورين من الأسرة أيضًا، فكيف يمكن إنكار صدقه، الشخص الذي توجد في سمائه هذه الأنوار يكون القمر والشمس حاضرين معه.

إن نزعت بغضه للحظة من قلبك، تشرق شمسك ويضيء قمرك، الشخص الذي كسر عصا عثمان على ركبته، أصيبت قدمه بجذام دائم<sup>(٦٤)</sup>، وهكذا أصبحت عصاه رمزًا، وصارت مثل عصا موسى خصمًا للأعداء، إن وجد له عدو في الحياة، يكون كنائب فرعون، هكذا قال عند بيعته: لي يدي متصلة دائمًا بيد النبي، ومن أجل حرمة يده، لم يتسلل فساد أو مكروه إلى تلك اليد، الشخص الذي رعى حرمة يديه على هذا النحو، ضحى من أجله كل صاحب دين، كان قلبه بحر عظيم من العلم، وكان جسده جبل راسخ من الحلم، كان قلبه في الحقيقة جامعًا للقرآن، وقد تجمع بين حناياه كل أسرار العالم، كان الخلق يتجمعون حوله داخل الجامع، ليفسر القرآن للخاصة

والعامة، ولأنه كان إمامًا للخاصة والعامة في شئون القرآن، فكيف يجانبه الصواب مع أقاربه<sup>(٦٥)</sup>، لم يغف أو يتناول طعامًا طوال حياته، إلا بعد ختم القرآن كل ليلة.

في تلك الغوغاء أشهر غلمانة السلاح، مرة واحدة من أجل الحرب، فقال لهم: كل عبد يلقي اليوم بسلاحه، فهو حر مظفر، لأن القرآن كان شاهده دائمًا، كان جمع القرآن هو شغله الشاغل، في نهاية الأمر، صار شهيدًا، وهو في حضرة الحبيب وأصبح القرآن وعاء لدمائه<sup>(٦٦)</sup>، لأن القرآن كان معشوقه في الآفاق، فقد مُحي في النهاية شمع عشاق القرآن، وإن كان شمع الجنة هو الفاروق، فقد فنى هو في سبيل المعشوق مثل الشمع.

### في مناقب أمير المؤمنين علي (٥٤٦: ٥٧٦)

إن وجد إمام الدنيا من مشرقها إلى مغربها، فهو أمير المؤمنين حيدر، ملك الدنيا بضرب أسنة رماحه، وفاز بالآخرة بوصف جوده، لأن عطاءه استقام في السر بإخلاص، فقد تحقق لأبنائه الثلاثة سبعون آية خاصة، أقماره الثلاثة مثل قرصي الشمس والقمر، وضعهم على الخوان للعالمين إلى الأبد.

إن أمطرتك السهام دوّمًا، لكفاك أن عليًا حبه جنة<sup>(٦٧)</sup>، قال له الرسول: يا نور عيني، لقد خلق كلانا من نور واحد، ولأن عليًا من نور واحد مع النبي، فهما شخص واحد، بعيدًا عن الثنائية، عندما أصبح علي، بابًا في مدينة العلم<sup>(٦٨)</sup> صار بواب الجنة بحق، وما إن تحرر في الفقر والفاقة، حتى هجر الذهب والفضة بلا رجعة، وعلى الرغم من أنه حرم الذهب والفضة، إلا أنهما صارا عجل هذه الأمة<sup>(٦٩)</sup>، وأنى للعجل أن يؤذى، وقد نشب مثل هذا الأسد مخالفه فيه. رُوي أنه كان له درع، وجهه وظهره غاية في الضياء، ظهره مضيء مثل وجهه، لأنه كان يحمي به ظهر النبي، هكذا قال: إن أرادوا قتلي، فلن يرى أحد في المعركة ظهري، إن كان ماله حسن المآب<sup>(٧٠)</sup>، فهو أيضًا أبو الحسن وأبو تراب. وقد قال: إن رفعوني إلى المنبر، فسوف أقضي بأمر الله،

وأحكم بين أهل العالم، بالكتب الأربعة.

ولأن كل ما قاله، قاله من بحر اليقين، فقد تحدث ذات يوم و قال: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً<sup>(٧١)</sup> كيف لا أعبد رباً حتى أراه؟ ما أجملها من بصيرة! وما أطيبه من علم! وما أعظمه من عمل! وما أزهاها شمس الشرع وبحرها الزاخر! كانت أنفاس أسد الله تصل حتى الصين، فاخترن الغزال المسك من علمه، لهذا قالوا: كن رجل العدل والدين، وابحث عن العلم من يشرب حتى الصين، الأسد وهو نافجة منزل الشمس، صار كالمسك الصافي من أنفاس ذلك الغزال، أخطأت القول؛ فهو ليس على هذا النحو بسبب الخطأ، ولكن بسبب اشتراكه في الاسم مع أسد الله، لو أن علمه صار بحرًا مصورًا، تصبح القطرة الواحدة منه بحرًا أخضر.

ولأنه لم تكن لديه أي قدرة على السؤال أبداً؛ فقد صار أجيراً ليهودي ذات يوم، وعندما سئل لماذا فعلت هذا؟ ثار، وانطلق لسانه كالسيف قائلاً: لنقل الصخر من قتل الجبال، أحب إليّ من منن الرجال، يقول الناس لي في الكسب عار، فقلت العار في ذل السؤال<sup>(٧٢)</sup>، تدعمت أركان الشرع الأربعة دائماً، بسعي الحموين والصهرين واجتهادهم<sup>(٧٣)</sup>.

## خطاب إلى الروح (٥٧٧: ٦٢٤)

ألا أيتها الروح المسكية انثري أريحك، فأنت نائبة دار الخلافة<sup>(٧٤)</sup>، وقد منحت الأمر الرباني، ووهبت سرير الملك الروحاني<sup>(٧٥)</sup>، العالمان معاً حفنة تراب، وفضاء قدسي لدار ملكك الطاهر، العالم بأسره منوط بك كلية، والأرض والسماء يهيمن حولك، أنت كائنة دائماً وجامحة عنا، بعيدة عن العين ومتجلية بها، الخلد والسعير ويوم القيامة، كلها علامات على وجودك، أنت مانحة المعرفة للملائكة بالرمز، وواصفة الخلق بمئات الصور، أنت مثل مائة شمس، إن أشرقت، أضاءت كل ذرة منك مائة شمس، لأن نور شمسك في تزايد، لك عرش مجيد من ذراتك، أنت رفيقة

خاصة للقيوم دائماً، بماذا أتحدث؟ فأنت معروفة دوماً، أنت طائر عجيب لا أعلم كنهك، فأنت بعيدة عن نطاق فهمنا، إنك لست في السماء ولا في الأرض، فأين أنت؟ إنك عند رب العالمين، إنك كل شيء، ولا شيء أيضاً، ماذا أقول؟ فأنت واضحة ومبهمه أيضاً، أخرجني من القلب نفساً مسكيناً بإخلاص، فالعرش صار من أنفاسك مجمرًا خاصاً.

أنت ملك وخليفة خالدة، لك ستة أولاد كل منهم فريد في صفاته، فكل ولد من أولادك ميمون الطالع، وكل واحد منهم عظيم في فنه، واحد نفس مكانه الماديات، وواحد شيطان ينحو رأيه إلى الخرافات، وواحد عقل يناقش المعقولات، وواحد علم يتلمس طريقه إلى المعلومات، وواحد فقر يطلب الأشياء الوهمية، وواحد توحيد يبحث عن الذات الإلهية.

وعندما يسلك هؤلاء الستة الطريق بناء على الأمر، يكتسبون آنذاك الحضور الخالد، ولأنك خليفة خالد إلى الأبد، فالعالم مفعم بلطائفك، فارتدي زي الخلافة الأسود مثل آدم<sup>(٧٦)</sup>، وسافري داخل أعماقك مثل العالم، اخطي مثل الخضر في طريق الرجال، حتى لا يدركك الفلك الدوار، مكانك سفينة نوح<sup>(٧٧)</sup> أيتها الصدر، وزمانك والضحي<sup>(٧٨)</sup> وليلة القدر<sup>(٧٩)</sup>، اتكئي على المسند مثل سليمان، ولكن وأنت واضحة الخاتم في إصبعك، كوني صورة من جمال يوسف، وسبعة أعضاء مبصرة مثل إبراهيم، لاطفي هذه السماء مثل النبي داود، وتنفسي مثل عيسى في العشق وائتني به، ولصداقتك بموسى بن عمران، تجرعي ماء الحياة من كأس الروح، حلقي بجناحيك في ظل العنقاء، واجلسي إلى إدريس اصنعي الكيمياء، فإذا ما قمت بجهد وجد لا حصر لهما، تجددين المدد من روح المصطفى.

عندما يتم لك هذا الكمال في الدين، يكون الكلام حلاً لك الآن، لا تنظري إلى الكلام بعين العقل فلا يخلو العالمان من كن مطلقاً<sup>(٨٠)</sup>، أساس العالمين ليس سوى الكلام، فقد صار الوجود من كن، ولم يظهر من لا تكن. أنزل الكلام من الحق تعالى،

وأرسل إلى فخر الأنبياء لو أن موسى كليم الزمان، فكليمه هو كلام الله، ولو لم يكن عيسى كلمة الحق، ما كان ليظهر من عزة الروح المطلق، محمد ﷺ أيضًا كان هو المقصود بـ«كن»، وكان سلطان ليلة المعراج بكلام الله.

الكلام أساس العالمين في كل شيء كبيرًا أو صغيرًا، في الزواج والطلاق والبيع أيضًا عند عرض ذرية العشاق، كان الكلام هو أصل العهد والميثاق<sup>(٨١)</sup>، فكل ما كان مرئيًا أو مسموعًا، أو مطعومًا أو ممنوعًا إن لمسته أو شمته، أو عقلته أو وهمته أو كان فكرًا أو خيالًا، أو شيئًا ممكنًا أم محالًا فكله محدود سوى كلام الله، الذي صدر عنه اللوح المحفوظ وإن وجد أو لم يوجد فهو كالشمع بين أصابع الكلام ولكل قسم منه ذوق وإشارات، يمكن التعبير عنها بطرق شتى، وقد ثبت للعقل من هذه البراهين أن الكلام هو أساس كل الأشياء، الآن وقد اتضح ذلك تحدثني أنت واسألني واستقصي وابحثي.



## بداية القصة والمقالة الأولى (٦٢٥ : ٩٥٨)

### الولد الأول (٦٢٥ : ٩٥٨)

حكى شخص محنك ووحيد وصاحب وجد ومجذوب عن شخص قوله: إنه في سالف العصر والأوان كان لأحد الخلفاء ستة أبناء، كانوا جميعاً أصحاب همّة عالية، ويتميزون بالطاعة الكاملة، وفي كل علم عرف في ذلك الزمان، كانوا جميعاً لا نظير لهم فيه بين الأنام، ولأن كل واحد منهم كان عالماً ماهراً، نادراً ما ظهر لهم أشباه في العالمين.

جمعهم والدهم ذات يوم قائلاً: كل واحد منكم متمكن في العلوم السائدة، أنتم أبناء خليفة وملوك، فماذا تتمنون من الحياة إن كانت لكم مائة أمنية أو أمنية واحدة، فليقل كل منكم ما هي؟ وعندما أعلم رغبة كل منكم، أحقق له ما يتمناه ويرضاه.

فأباح الولد الأول بسرّه قائلاً: نقلاً عن الأكابر العظماء يوجد لملك الجان بنت بكر، لا يمكن أن يوجد لها مثل، جمالها وعقلها بلسمان للروح، فهي مظهر لجمال الأرض وصورة لحسن السماء، إن تحقق لي هذه الرغبة، تكفيني حتى يوم القيامة. فمن يفرز بمثل هذه الفاتنة؟ كيف يبحث عن كمال بعد ذلك؟ ومن يتمتع بوصول الشمس، كيف يأمل في قرب ذرة؟ هذا هو مرادي وإن لم يتحقق لي، فلن يكون لي دين سوى الجنون.

### إجابة الأب (٦٤٣ : ٦٤٧)

قال له أبوه: ويل لك يا عابد الشهوة، إنك ثمل من عبادتك لها، إن قلب الرجل عندما تأسره الشهوة، تسلبه وجوده كله، ولكن كل من يتمتع بالرجولة والشهامة،

عليه أن يبتعد عن هذه الشهوة تمامًا، مثل تلك الزوجة التي قمعت الشهوة، فتفوقت على رجال حضرة الباري.

### المرأة الزاهدة (٦٤٨ : ٩٥٨)

كانت امرأة ذات حسن وجمال، الليل والنهار مثالان لوجهها وغدائرها الحسان، كان حسنها وبهاؤها لا حد لهما، وكان الصلاح والزهد قرينين بهما، ذاع صيت جمالها في العالم قاطبة، فهي ذات ملاحاة وفتنة طاغية، في كل شعرة من جدائل تلك الدمية، ثنايا تزيد عن الخمسين وتقل عن الستين ثنية، عيناها وحاجباها مثل الصاد والنون، ودليلها هو النون، كانت إذا ما فتحت فمها الناثر للعقيق، تقتل العصاة بماء الخضر العتيد، شفتها الضاحكة مثل الصدف، ولؤلؤها هو أسنانها، ولأن لؤلؤها تحت شفتها الضاحكة، كان الدر المكنون يظهر في أسنانها، وكان طابع حسننها مثل تفاحة من الفضة، ونصيب الناس منها هو الابتلاء، كان الفلك من رسم وجهها، حائراً بائساً مثل عشاقها، الأشخاص الذين كانوا ينثرون الدر بأقوالهم، كانوا يطلقون عليها «مرحومة»، كانت امرأة اعتبرها دوران الفلك الدائر، في عداد الرجال الأقوياء.

وحدث أن توجه زوجها فجأة، في طريقه إلى الحج، وكان لزوجها أخ أصغر، لكنه كان وضيعاً، أوصاه أخوه من أجل عياله، وطلب منه أن يشرف على أمواله، وبعد أن أفضى إليه بهذا القول، ورضي أخوه بالأمر، نفذ ما أوصاه به، فكان يراعي الزوجة ويعتني بها، وأوقف نفسه على خدمتها ليل نهار، فكانت تطلب منه كل ساعة أمراً مختلفاً، حتى كان يوم ذهب إلى تلك المرأة، فبدا وجهها الفاتن من خلف الحجاب.

ففقد قلبه وانقلب حاله، أخطأت ماذا أقول؟ لقد ذاب دماً، هكذا وقع في شباك تلك المعشوقة، وأصبحت لحظة واحدة معها تساوي مائة عمر، كثيراً ما حاول أن يحكم عقله، لكن عشقه كان يزداد في كل لحظة، ولأن أمره لم يستقم إلا بوصال الزوجة، فإنه لم يهدأ هنيئاً، وعندما تغلب العشق وتراجع العقل، سرعان ما فاتح



المرأة في الأمر أغراها ببريق الذهب وقوة التضرع، فطرده المرأة من أمامها بتمنع، وقالت له: ألا تخجل من الله، أهكذا تراعي شرف أخيك وحماءه، أهذا هو دينك وديانتك، وهكذا تراعي الأمانة لأخيك وملتك، أذهب وتب وعد إلى الله، وابتعد عن هذا الخاطر المشين، قال لها: لا فائدة من إبعادي، فيجب أن تسرعني في إسعادي، وإلا فإني لن أقيم لك وزناً، وأفضحك وأهون من شأنك، والآن أيضاً سوف ألقى بك إلى الهلاك، وأفضي بك إلى أمر مخيف فتاك، قالت له المرأة: لست أخشى انتقامك، فهلاك الدنيا أفضل من بلاكك.

ربما خاف ذلك الرجل الحقير، أن تتحدث الزوجة لأخيه بالأمر المشين، فذهب ذلك الشؤم ليدفع التهمة عن نفسه، واستأجر في الحال أربعة شهود لشخصه، فشهد هؤلاء الشؤم، بأن المرأة قد ارتكبت الزنا والفحش، عندما صدق القاضي دعواه، حكم برجمها في الحال، حملوها إلى الصحراء على قارعة الطريق، وأطلقوا عليها الحجارة من كل صوب ودرب، عندما تطايرت الحجارة المتلاحقة على المرأة، واعتقدوا أن روحها قد فاضت، تركوها هناك على ذلك النحو، ليعتبر أهل العالم.

ظلت المرأة المسكينة في الصحراء، مضرجة في دمائها وسط التراب، وعندما انقضى الليل وبزغ النهار، بدأت المرأة تفيق مع طلوع الصباح، وأخذت تنوح بذل ومسكنة، فكانت تملأ الزعفران بندى عينيها، وكان أعرابي قادم في الطريق صباح ذلك اليوم، يعتلي جملاً، فسمع ذلك النواح فاضطرب، ونزل عن الجمل، وتقدم من المرأة، وسألها قائلاً: أيتها المرأة من أنت؟ إنك تشبيهن الموتى وأنت على قيد الحياة، قالت له المرأة: إنني مريضة وبائسة، قال الأعرابي: يمكنني العناية بك. أجلسها فوق الجمل، ومضى بها مسرعاً، وشد الرحال صوب خيمته، تعهد لها كثيراً أثناء الليل وأطراف النهار، حتى استردت تلك الفاتنة صحتها، وما لبث أن بدأ جها يحيك في صدره، وبدأ حديث الحب والوفاق يراود فكره وعقله، فقد ازدهر جلنار وجهها، وتموج زنار شعرها فوق رأسها، وبدأ لعل وجهها ينبت من بين الحجر الصلد بعد

رجمها بالحجارة، وعندما شاهد الأعرابي جمالها على هذا النحو، افتداها بروحه، وصار متدلهاً بعشق وجهها، وأصبح ثوبه كفنًا على جسده من تباريح عشقها، قال للمرأة: لتصبحي زوجتي شرعًا، وتسعدي الناس بوصالي جهراً، قالت له المرأة: إن لي زوجًا، فكيف يصير لي زوج آخر

وعندما بلغ به الحب كل مبلغ، راود الزوجة عن نفسها، فقالت له المرأة: أيها المنحرف عن جادة الدين ألا تخشى غضب العادل وقهره، لقد عنيت بي من أجل الحق، والآن اتبعت الشيطان، ولأنك فعلت خيرًا فلا تفسده، ولا تنفذ الخلل إلى كعبة الإيمان وتزلزله، لأنني لم ألب مثل هذا الطلب، عانيت كثيرًا من البلاء ورجمت بالحجارة، والآن أنت أيضًا تدعوني إلى هذا الأمر، ولا تعلم أنني طاهرة تقية الصدر، إن مزقتني إربًا إربًا، لن يجد الفساد إلى جسدي الطاهر سبيلًا ولا مأوى، فامض ولا تشتتر بالشهوة التي تدعو لها، عذابًا أبدئيًا لروحك، ومن صدق تلك المرأة التقية، اتخذها الأعرابي أختًا له في الله، وندم على ذلك التفكير، وعلى اتباع أمر الشيطان اللعين.

وكان للأعرابي غلام أسود، حضر إليهم فجأة، وعندما شاهد وجه المرأة منحها قلبه، وسلبه عشقها قلبه وروحه، وتمنى قلبه وصال المرأة، ولكن لم يتيسر له تحقيق مناه، قال للمرأة: أنا ليل وأنت تشبهين القمر، فلماذا لا تودين أن تحققي وصالي؟، قالت له المرأة: هذا لن يتحقق لك أبدًا، فكثيرًا ما طلب مني سيدك هذا، ولأن وصالي لم يتحقق لقمرى الوجه، فكيف يتحقق لك يا أسود الوجه: قال لها الغلام: حققي لي الوصال، حتى تفوزي منى بالحرية والخلاص، وإلا فسوف أدبر لك حيلة بمهارة، بحيث أطرده من هنا بحقارة، قالت له المرأة: افعل ما تريد فلا شيء يهم، ولن أهتم وإن كان نصيبي هو الهلاك والهم، غضب منها الغلام للغاية، ولم يهدأ له بال من عشقها، نهض الغلام ذات ليلة وقلبه مفعم بالحق، وكان لزوجته سيده طفل جميل غض، فقتل الطفل في المهد، ثم السكين المطلخة بالدماء والذنب، وأخفاها تحت وسادة المرأة، لتبدو قاسية قاتلة.

وفي وقت السحر استيقظت أم القليل المسكين، من أجل إرضاع الطفل الصغير، فشاهدت الطفل المقتول، وأطلقت صرخة من القلب المكلم، وأطبق الصراخ والعيول الدنيا، وقطعت الأم شعرها وربطت وسطها، وبحثوا عمن يكون قد فعل ذلك الأمر، وقضى على مثل ذلك الغض، وتحت وسادة المرأة التقية، خرج السكين المضرج في الدماء برهاناً جلياً، فقال الجميع: المرأة هي التي ارتكبت هذا الأمر، وهذه الفاجرة هي التي غدرت به، وأخذ الغلام ووالدة الطفل يضربون المرأة، إلى حد لا يمكن ذكره، وتقدم الأعرابي وقال: أيتها المرأة بماذا أسأت إليك؟ لتقتلي طفلاً كالقمر، ألا تخشين دم البريء؟! قالت المرأة: يا أخي، لقد منحك الله خالق العالم العقل، حتى تعمل العقل وتمعن الفكر، وتستفيد من وجوده، انظر بعين العقل أيها التقي، تجد أنك أحسنت إليّ كثيراً، واتخذتني أختاً في الله، وأنعمت عليّ بالكثير، فهل تعتقد أن يكون هذا هو جزاؤك؟! فكر تجدني بريئة من هذا القتل.

ولأن الأعرابي كان حكيماً مفوهاً، فقد صدق كلام المرأة، وأيقن أن تلك المرأة بريئة، لكن إقامتها هناك جريرة، فقال للمرأة: بعد أن وقعت هذه الأمور، تضايقت منك الصدور، ولأن زوجتي تتهمك، فسوف تتذكر ابنها كل لحظة بمشاهدة وجهك، فيتجدد حزنها على الدوام، وتعظم المصيبة ويعم البلاء، وتسيء لك القول ولا تحسنه، وإن أعزرتك أنا فلن تفعل مثلي، فيجب أن تنصرفي من هنا، وأعطاها فوراً ثلاثمائة درهم سرّاً قائلاً: لتنفقي من هذه أثناء الطريق، فأخذت المرأة الدراهم ومضت.

وما إن سارت تلك البائسة وحيدة، حتى تراءت لها قرية من بعيد، ورأت مشنقة معدة على جانب الطريق، وقد تجمع حولها الناس من كل حذب و صوب، ويقف شاب بقلب دام وكبد محترق، كانوا يعدون لشنقه في ذلك اليوم، فسألت المرأة أحد الرجال: من يكون؟ أخبرني ما هي جريمته؟ قال لها: هذه قرية تابعة لأمير، لا نظير له في الظلم والجور، وجرت العادة هنا أيتها العاقلة، أن كل من يعجز عن

أداء الخراج، يسوقه هذا الظالم إلى المشنقة، وسوف يقتل هذا الآن فوقها، سألت المرأة: ما مقدار الخراج الواجب عليه؟ وكم مطلوب منه الآن؟، قالوا لها: ما نعرفه أنه في كل عام، يستحق عليه ثلاثمائة درهم بالتمام والكمال، قالت المرأة في نفسها العطوفة، فلتنقذي روحه الآن، لأنك نجوت من الرجم ومن الموت، فلتنجيه الآن من المشنقة، فقالت لهم: لو دفعت أنا هذا المال، أتبعونه لي؟ قالوا: في الحال، فأسرعت بإعطائهم الثلاثمائة درهم، حتى يتخلص الشاب من محنته ويتحرر.

وبعد أن دفعت المرأة النقود انطلقت على الفور، وانطلق في إثرها الشاب مثل السهم، وما إن وقع بصره على وجه المرأة، حتى كادت روحه تفيض من العشق وارتفع أئينه حتى السماء، سلب قراره وكان يصيح قائلاً: لماذا حررتني من المشنقة، لو كنت فقدت حياتي فوق المشنقة فجأة، لما بليت بعشق تلك القمرية قط، تحدث مع المرأة كثيراً دون فائدة، لم تكن المرأة نارا فكيف يصل إلى دخانها؟ تكلم إلى المرأة كثيراً وتضرع لها، ولم يجن من ذلك إلا الخجل والمهانة، قالت له المرأة: أكون رعايتي لك هكذا! فعلت ذلك إلا فهل يكون جزائي على هذا النحو؟ قال لها الشاب: سلبت قلبي وروحي، فكيف أطيق فراقك لحظة، قالت المرأة: وإن لم تبتعد عني، فلن يتحقق لك أبداً وصالي، سارا طويلاً وتحدثا وتناقشا، حتى انتهى بهما المطاف إلى البحر، حيث ترسو سفينة على الشاطئ محملة بالبضائع والتجار، وعندما يأس الشاب من المرأة، نادى على أحد التجار، وهو يقول: لي جارية تشبه القمر، ليس بها عيب سوى التمتع، لم أر أحداً في عصيانها، وإلى متى أتحمل هجرانها، ولو أنه لا يوجد لها مثيل، فأنا لا أتحمل طبعها الرذيل، سعت كثيراً فإلى متى؟ والآن أردت أن أبيعها.

قالت المرأة للتاجر حذار، لا تشتريني منه أبداً، فلي زوج وأنا حرة، وأنا أستغيث بك من أجله، لم يصغ التاجر إلى حديثها، وأعطاه مائة دينار ثمناً لها. أدخلوها السفينة بصعوبة بالغة، وتحركوا من هناك بالسفينة في الحال. عندما شاهد المشتري

ذلك القدر رأى الوجه الفتان تدله في عشقها في الحال.

وبينما تتقاذفهم أمواج البحر فتن قلبه، وتغلبت عليه الشهوة، فهم بالمرأة فسقطت صائحة: أيها الناس أغيثوني، الغوث، إنكم مسلمون وأنا مسلمة ومؤمنون وأنا مؤمنة، إنني حرة وزوجي على قيد الحياة والله شاهد على صدقي الآن، لكم أمهات وأخوات أيضاً ولكم كذلك بنات أبكار، لو أن شخصاً أراد بهن مثل هذا السوء لاضطرب حالكم دون شك، إذا لم ترضوا عن هذا الأمر فلماذا ترضونه لعاجزة مثلي؟! إنني غريبة وسيدة فقيرة وذليلة وضعيفة وعاجزة بائسة ومسكينة، فلا ترهقوا هذه الروح المحترقة أكثر من هذا فلليوم غد منتظر.

ولأن تلك المرأة كانت طيبة القلب حسنة الكلام؛ فقد احترق قلب أهل السفينة عليها، واتفق أهل السفينة جميعاً، وراعوا المرأة ورقوا لحالها، لكن كل شخص كان يرى وجهها، كان يتمنى عشقها بمائة قلب، حتى صار أهل السفينة مرة واحدة، عاشقين لها ولهانين بها، تحدثوا عنها كثيراً مع بعضهم بعضاً، وأخفوا عنها ذلك العشق طويلاً، ولأن كل قلب كان مفعماً بالشوق إليها، فقد عقدوا جميعاً اتفاقاً، بأن يقبضوا على المرأة فجأة، وأن ينالوها جميعاً عنوة، عندما علمت المرأة بأمر هؤلاء الأشرار، امتلأ البحر بدماء كيدها، وتحدثت قائلة: يا عالم الأسرار، احفظني من شر هؤلاء الأشرار، ليس لي في العالمين أحد سواك، فانزع عن رؤوسهم هذا الهوس، إن كنت ستميتني ذات يوم، فالموت أفضل من هذه الحياة، خلصني أوأمّني اليوم، فلا طاقة لي في هذا الاحتراق، ومهما عذبتني، لن تجد مني تبديلاً، عندما قالت ذلك غابت عن الوعي، وتلاطم عباب البحر بسببها، اشتعلت النيران من تلك المياه المحترقة، فأضاءت البحر، وفي لحظة انقلب أهل السفينة، دفعة واحدة بين النيران، وصاروا جميعاً رماداً في الحال، ولم يبق عنهم جميعاً إلا المال، وهبت ريح عاتية، أوصلت السفينة إلى إحدى المدن.

ألقت المرأة الرماد من السفينة، وصنعت لنفسها ثوباً مثل أثواب الرجال، حتى

تتخلص من العشق، وتصبح قوية الشكيمة كالرجال، تجمع كثير من أهل المدينة، فرأوا غلامًا مثل القمر، جالس في تلك السفينة ومعه أموال طائلة، فسألوا الشمسي الوجه عن حاله قائلين: هل جئت بكل هذه الأموال بمفردك، قال لهم: إذا لم يحضر الملك لديّ، فلن أروي قصتي لأي شخص، فأخبروا الملك بأمره قائلين: وصل اليوم غلام فاتن في الحقيقة، أحضر بمفرده سفينة مملوءة بالأموال، ولا يبوح بسرّه، وهو يريدك لكي يشرح لك حاله، ويقص عليك قصة السفينة وأمواله، تعجب الملك وتوجه إليه، وجاء إلى قمر زمانه.

سأله الملك اللبيب عن أمره، فقال: كان عددنا كبيرًا، جلسنا في السفينة وقطعنا طريقًا طويلًا، وطوينا الليل والنهار، وعندما رأني أهل السفينة، استبدت بهم الشهوة، فمالوا إلى عشقي، فرجوت الحق أن ينجيني، فحقق لي رجائي، ودفع عني شر زمرة الأشرار، اشتعلت النيران وأحرق الجميع، ونجاني الله وأنقذ روحي، انظر فهذه علامة على ما حدث، اختفى الناس وبقي الرماد، ولقد اعتبرت مما حدث، ألا أهتم بأموال الدنيا، فخذ هذا المال الطائل، ولكن لي عندك طلب واحد، أن تقيم لي اليوم على شاطئ البحر، معبدًا مهيبًا للعبادة، وأن تقول للصالح والطالح، ألا يكون لأحد شأن بي، أقبع هنا ما بقي لي من عمر، وأعبد الله آناء الليل وأطراف النهار بصدق، عندما سمع الملك والجند حديثه، ظهرت لهم كراماته ومقاماته، فأيقنوا جميعًا، بضرورة تنفيذ طلبه فورًا وأقاموا له معبدًا، يماثل الكعبة في بنائه، دخلته المرأة وانشغلت بطاعة الله، وقضت عمرها قانعة بالحياة، وعندما اقتربت منية الملك، استدعى الوزراء والجند، وقال لهم: أرى أنه من الصواب، أنه عندما أودع الحياة، يكون هذا الشاب الزاهد عندئذ ملكًا عليكم وقائدًا من بعدي، وحتى تستقر أحوال الرعية بحكمه، نفذوا أيها القوم هذه الوصية، قال هذا ثم فاضت روحه الطاهرة، وورّي جسده تحت التراب.

اتفق كل الوزراء، واجتمع الرعايا والأمراء، وتوجهوا إلى الشاب وأطلعوه

على السر، وباحوا له بوصية ملكهم وبالأمر، قالوا له: أي أمر تريده، تستطيعه لأن الملك قد تحقق لك جميعه، لا شك أن المرأة لم ترغب في ذلك الأمر، فقالت: كيف يمكن للزاهد أن يصير ملكاً؟ قالوا: لتكون أنت أيها الزاهد، فاختر الملك ولا تتذرع بالحجج، قالت لهم المرأة عندما أعيثها الحيلة، يلزمني زوجة جميلة كالقمر، حتى تكون شريكتي في الحلال، لأنني أعاني من الملل بسبب الوحدة، قال العظماء: أيها الملك، اطلب فتاة من أي واحد منا، قالت المرأة: أرسلوا لي مائة فتاة، ولكن أرسلوهن جميعاً بصحبة أمهاتهن، حتى أشاهد كل واحدة منهن، وأختار من أريد من بينهن.

وفي اليوم نفسه أرسل العظماء برغبة تامة، مائة فتاة فاتنة، ذهبن جميعاً مع أمهاتهن، وهن يتوارين من خجلهن، وبينما الجميع يترقبن اللحظة التي يحدد فيها الملك، من التي يريدها أو يتمناها، كشفت لهن المرأة عن نفسها قائلة: كيف يليق الملك لامرأة؟ ارووا هذا الكلام لأزواجكن، وخلصوني من هذا العبء الثقيل، توجهت النساء إلى الطريق حائرات، وأخبرن كبار القوم بالأمر المراد، كل شخص كان يسمع بالأمر كبيراً وصغيراً، كان يتعجب من أمر المرأة كثيراً، أرسلوا لها امرأة مرة أخرى قائلة: لأنك الخليفة والعظيمة، فعيني ملكاً علينا، وإلا فاحكمي مثل الرجال، فاخترت واحداً وافق عليه الجميع، ثم انشغلت بأمرها، تنازلت عن الملك برغبتها، ولم تحرك ساكناً من أجله.

وأنت يا بني من أجل الخبز، تطوف الآفاق، لم تتحرك امرأة من أجل الملك، فابحث عن مثيل لها بين الرجال، طبقت شهرة المرأة الآفاق، وعلا نجمها، لم يكن لها مثيل في إجابة دعوتها، امرأة ليس لها قدرة الرجال، كثير من المقعدين استعادوا بدعواتها، القدرة على المشي وتحركت أقدامهم، ذاع صيتها في العالم، ولم يعلم أحد حقيقتها.

عندما عاد زوجها من الحج، لم يجد لها أثراً، وألف القرية خربة، ووجد أخاه قد

صار ضريراً بائساً، لا تتحرك له يد ولا قدم، فقد أصبح مقعداً كسيحاً، استولى عليه ذنب المرأة ليل نهار، وأرقه عذاب الجحيم والنار، كانت روحه حيناً تحترق من حق أخيه عليه، وحيناً تلتهب من دائه الذي لا دواء له، سأله أخوه عن أمر المرأة، فتحدث أمامه قائلاً: لقد زنت المرأة مع زنجي، وشهد قوم -ويا للعجب- على الذنب، وعندما سمع القاضي منهم هذا الكلام، حكم برجمها في التو والحال، فرجموها عندئذ بذلة، فاهتم بنفسك فقد أفضى الأمر بها إلى الهلاك.

عندما سمع الرجل المكلوم هذا الكلام، تألم جداً من فسادها وموتها بامتهان، فأخذ يبكي ويلطم نفسه، واعتزل الناس وحزن ونال من جسده، ولكن عندما لاحظ أخاه على هذا النحو من الذلة والضعف، لم يجد مفرّاً من الحديث والبحث، فقال له: أيها المقعد، سمعت أنه الآن في المكان الفلاني، توجد امرأة مشهورة مثل الشمس، دعاؤها مستجاب عند الحق، أبصر كثير من العميان بدعائها، واستعاد كثير من المقعدين قدرتهم على السير، إن أردت أن أحملك إلى هناك، ربما أعادتك تلك المرأة إلى السير، سعد قلب الرجل فقال له: أسرع، لقد ساءت حالتي، وربما أدر كنا النجاة، وكان لذلك الرجل الطيب حمار، فثبته فوقه وتوجه به.

وذات ليلة وصلا بالصدفة إلى طريق، يوجد فيه الأعرابي، ولأن الأعرابي كريماً، فقد استضافهما في تلك الليلة، تحدث إليهما الأعرابي قائلاً: إلى أين تتجهان؟ قال الحاج: لقد سمعت أنه في المكان الفلاني، توجد امرأة زاهدة تدعو الله، وأن كثيراً من العميان والمبتلين، نجوا بتعويذها ودعائها الكريم، وأخي هذا مريض، ابتلي بالشلل والعمى أيضاً، احمله إلى تلك المرأة، ربما استطاع السير ثانية ورد إليه بصره، قال الأعرابي عندئذ: منذ مدة جاءت امرأة تقية إلى هنا، واتهمها غلامي زوراً، فأصيب بذنبها بالشلل والعمى، سأحضره الآن معكم، ربما شفي بفضل الدعاء أيضاً.

ساروا وقطعوا منازل عديدة، ووصلوا إلى تلك القرية البعيدة، حيث كانوا يعدون المشنقة للشاب، واختاروا هناك وثاقاً، وثاقاً يليق بتلك القافلة، وكان ملكاً للشاب



الظالم، وكان الشاب -يا للعجب- قد أصبح مقعداً، لا يرى ولا يتحرك، قال بعضهم إلى بعض: حاله مثل حالنا، فلنا نفس البلاء، وقد ابتلينا بنفس الداء، لذا أصبح هذا المكان مناسباً لنا، وكانت للشباب أم على قيد الحياة، عندما شاهدت هذين المقعدين، سألت عن عاهاتهما، فقصوا عليها القصة في الحال، وبكت الأم طويلاً قائلة: أنا أيضاً لي ولد مثل هذين الشخصين، سوف أتي معكم ونهضت، وأحكمت وضع ابنها فوق الدابة.

سار الثلاثة معاً في الطريق، حتى وصلوا عند المرأة وقت السحر، وعندما بزغ الصباح وقت السحر، وخرجت المرأة الزاهدة من الخلوة، شاهدت زوجها من بعيد، فسجدت لله من فرط سرورها، وبكت المرأة طويلاً وهي تقول: كيف أستطيع الآن أن أخرج من الخجل؟ ماذا أفعل أو ماذا أقول لزوجي؟ فأنا لا أستطيع أن أظهر له وجهي، وعندما لمحت الأشخاص الثلاثة يتقدمون من بعيد، أدركت أنهم أعداؤها الثلاثة، قالت في سريرتها: يكفي أن زوجي قد أحضر معه الشهود واصطحبهم، هؤلاء الثلاثة المذنبين، أيديهم وأرجلهم تشهد عليهم، عندما أقابل الثلاثة ماذا أفعل؟ ماذا أقول يا إلهي؟ وشهادتهم تكفيني. تقدمت المرأة، وألقت نظرة على زوجها، ولكن بعد أن وضعت برقعاً على وجهها.

قالت لزوجها: قل ماذا تريد؟ فأجابها ذلك الرجل الصالح التقى، لقد جئت إلى هنا من أجل الدعاء، فعندي مبتلى بالعمى والشلل، قالت له المرأة: هذا الرجل مذنب، لو أقر بذنبه، سوف ينجو من هذا الداء العضال، وإلا سيقتى أعمى ومبتلى إلى ما شاء الجبار، فسأل الحاج أخاه قائلاً: لأنك عاجز ومضطر أقر بذنبك حتى تنجو وتبرأ، وإلا سوف تظل قريباً للبلاء، قال أخوه آلام وداء مائة عام، أفضل عندي من البوح بهذا الأمر.

تجادلا طويلاً وفي النهاية، أقر بما حدث من البداية إلى النهاية بخجل، ثم قال: قد تحدثت عن جرمي وأنا منتظر، إذا أردت فاقتلني الآن، وإن أردت فاعف عني، عندما

فكر أخوه برهة، ومع أن ما حدث كان شديد الوقع عليه، قال في سريره: ربما أكون قد فقدت زوجتي فلأنقذ أخي الفاسد الآن، وعفا عنه. فدعت له المرأة، وشفى من بلائه في ساعة واحدة، عادت إليه القدرة على السير، واستطاع الحركة، ورد له بصره.

عندئذ طلبت من غلام الأعرابي قائلة: افصح عن ذنبك، قال لها الغلام: لو قتلتني لا أستطيع البوح بجريمتي، فقال له الأعرابي: أفصح فأنت اليوم آمن مني، لقد عفوت عنك إلى الأبد، فلماذا تخاف وبما تتحجج؟ فباح بالسر قائلاً: لقد قتلت طفلك في المهد، لم يكن للمرأة ذنب في هذه الجريمة، ولقد ابتليت بسبب فعلي الشؤم. عندما أيقنت المرأة بصدقه، دعت الله في الحال، فتحقق له الإبصار وكل ما يريده، وتقدمت العجوز بولدها، فأقر بذنبه أيضاً، وقال للمرأة: كانت هناك امرأة أنقذتني، ونجنتني من المشنقة وحررتني، اشترتني تلك المرأة وأنقذتني، فبعثها. دعت له المرأة فصار ذلك الشاب مبصراً في لحظة، واستعاد قدرته على السير أيضاً.

بعد ذلك طلبت من الجميع الخروج، وطلبت من زوجها البقاء، ثم رفعت النقاب عن وجهها أمامه، فصدرت عنه صيحة بعد أن عرفها، وغاب عن وعيه، وعندما استعاد وعيه، تقدمت منه المرأة الطيبة القلب، وقالت له: ماذا حدث لك؟ بحيث صحت فجأة وسقطت. قال لها: كانت لي زوجة، اعتقدت الآن أنك هي، إنك تشبهينها تماماً، بحيث لا يمكن القول إن هناك فرقاً بينكما، أنت مثلها في الحديث والهيئة والطول والسير، ولو لم تكن ووريت في التراب، لقلت إنك هي أيتها التقية.

قالت له المرأة: أبشر أيها الرجل، فلم تخطئ تلك المرأة ولم ترتكب الزنا، تلك المرأة هي أنا، وقد سلكت طريق الدين، ولم أقتل من الرجم، ولم أمت، نجاني الله من بلاء شديد، وألحقني بفضله بهذه الزاوية، والآن نشكر الله مائة مرة كل لحظة، أن حقق لنا هذا اللقاء. سجد الرجل على الأرض، وتحدث قائلاً: يا صاحب العزة! كيف يتأتى للساني شكرك؟ فلن يقوى قلبي ولا روحي على ذلك.

وخرج ونادى رفاقه، وقص الحكاية بخيرها وشرها، تلاقت الصيحات والآهات،

وارتفعت حتى عنان السماء على كل لسان، وخجل الغلام والأخ والشاب، لكنهم سعدوا أيضًا، لأن المرأة أخجلتهم في البداية، ثم منحتهم المال، وتركتهم، وجعلت زوجها ملكًا، ومنحت الوزارة للأعرابي وعندما أُرست ذلك الأساس المفعم بالسعادة، انشغلت هناك أيضًا بالعبادة.

## المقالة الثانية (٩٥٩ - ١١٨٢)

قال له الولد: إن لم تكن الشهوة، ولم تتحقق الخلوة بين الزوج والزوجة، ما تعاقبت الذرية في العالم، ولا بقي نظام في الكون بأسره، ولو لم تكن هذه الحكمة وهذا النظام، لما كان هناك ترتيب لبساط الملك، نعم، يجب أن يتناسل ألف شخص وشخص، حتى تستقيم لقمة واحدة في الفم، وبحكمة مسخر الأمور في العالم، أجاز هذا الأمر من الأرض حتى السماء، خلق الأرض من دخان وسط الفلك، وما كان ليخلق شيئًا غير جدير بالوجود، لو لم تُعرف الشهوة، لما وجدت أنا ولا أنت في الدنيا، إنك تعيب الشهوة على الرجال، فأخبر قلبي بسر هذا الحال.

## إجابة الأب (٩٦٨ - ٩٨٢)

قال له الأب: إياك أن تعتقد، أنني أنكر الشهوة عليك تمامًا، ولكن لأنك اخترتها من العالم دون سواها، أجبتيك على هذا النحو أيضًا، اعلم أنه من بين مائة عالم للأسرار، لا تعلم أنت شيئًا إلا عن الشهوة، لذلك أحدثك عنها في الخلوة، حتى تبعد عنها خطوة، وطالما يمكن الوصول إلى رفقة عيسى، فمن يستهويه تقليد الحمار؟ لماذا تشترك مع الحمار في الشهوة؟ بينما يمكنك الوجود مع عيسى في الخلوة، لأن هذه الشهوة ليست أكثر من لحظة واحدة، فالأفضل منها خلوة أخرى خالدة، ولأن السلوك يمنحك الخلود، ابتعد عن اللذة الفانية أي عن الشهوة، الخلوة

الناجمة عن الشهوة، ليست مرغوبة مطلقاً، والشخص الذي لا يدرك هذا السر ناقص. ولكن إذا ما تجاوزت الشهوة غايتها، يتولد منها عشق لا حد له، وعندما يفيض العشق، تظهر المحبة وعندما تصل المحبة إلى حدها أيضاً، تفنى روحك في المحبوب، فاترك الشهوة فهي ليست مرغوبة، فأصل كل شيء يتعلق به القلب هو المحبوب، إن قتلت في طريقه عاجزاً، أفضل كثيراً من أن تصبح أسيراً للشهوة.

### ١ - قصة المرأة والأمير (٩٨٣: ١٠٣٣)

كان لأحد الملوك أمير فضي الصدر، وقع القمر في الشرك من طرته، ولم يكن أي شخص يرى وجه ذلك الأمير، إلا ويتعلق قلبه بوجهه القمري، هكذا كان أعجوبة الآفاق، فالآفاق كلها عاشقة له، وكان حاجباه ولهما شكل القوس، حاجبين على باب سلطان الروح، إذا ما نظرت عين إلى سهام أهدابه، اختارت التضحية بقلبها فداء لمذهبه، من كان يرى حاجبيه الأسرين، ولا يضحى بقلبه فداء لذلك القوس؟ تنتظم في فمه ثلاثون جوهرة، تأسرهم الشفتان الياقوتيتان الناضرتان، كان عارضه مفتيلاً للعشاق، فقد كان في جماله مثل المحراب، وقد هوت نونته برؤوس الرجال، عندما ألقى بالكرة في الميدان برجولة.

وحدث أن تدلّعت امرأة في عشق ذلك المعشوق، ودمى قلبها واحترق، ولأن هجره سلب تلك الحائرة وجودها، وجعلها مسكينة، فقد اتخذت مثل النار من الرمال مأوى لها، وأخذت تنوح على ذلك القمري طول الليل، وتريق دمها تارة وتتاوه تارة أخرى، وإذا ما ذهب القمري إلى الصحراء ذات يوم، كانت المرأة المسكينة تتبعه في الطريق، وتجري أمام جواده مثل الكرة، وهي تسحب غدائرها كصولجانين، وتتطلع من الخلف إلى وجه ذلك الفاتن، وتشر الدمع في الطريق كالقطر، وكانت تنال كثيراً من أذى الحراس، ولا تصيح أو تحتج، وكان الناس يتجمعون، لمشاهدة ظهور تلك المرأة أمام الرجال، وقد احتار كل الرجال من أمرها، وظلت المرأة المسكينة ضالة بائسة.

وفي النهاية عندما تجاوز هذا الأمر الحدود، ضاق قلب الأمير بهذا العبء، فقال لأبيه: حتام يظل هذه الاستجداء؟، خلصني من عار هذه المرأة، عندئذ أمر الملك المعظم قائلاً: اسحبوا هذا الحصان إلى الميدان فوراً، واربطوا شعر المرأة في ساقيه وقودوا الجواد في حركة دائرية سريعة، حتى تتمزق تلك الشؤم إرباً إرباً، وينتهي فعلها هذا من العالم، ليسحبها الحصان في الطريق مثل الفيل الثمل، لا يمكنها النظر إلى الأمير المترجل، وذهب الملك والأمير إلى الميدان حيث تجمع هناك خلق كثيرون، ودميت قلوب الجميع ألماً على المرأة، فصار التراب دامياً مثل الجلنار.

وعندما ألقى بها الجند، ليربطوا شعرها بساق الحصان، سقطت المرأة أمام الملك حائرة، ووقعت على الأرض متوسلة، وقالت له: لأنك ستسحلني أخيراً بذلة، لي طلب واحد قد تنفذه لي، قال لها الملك: لو كان طلبك هو، أن أعفو عنك فهدفي هو القضاء عليك، وإن قلت لا تسحلني من غدائري، فلن أريق دمك إلا تحت أقدام الحصان، وإن قلت أمهلني لحظة، فلا يمكن أن أمهلك لحظة، وإن أردت مجالسة الأمير، فلن تري وجهه لحظة أيضاً، قالت له المرأة: إنني لا أريد النجاة، ولا أطلب الأمان للحظة أيضاً، ولا أقول أيها الملك التقي، لا تسحلني تحت أقدام الحصان، لي يا ملك العالم لو أمكن طلب آخر بعيد عن هذه الرغبات الأربع، وهو طلب خالد، وكاف لي، قال لها الملك: قل لي ما هو؟ إن تجاوزت عن هذه الطلبات الأربعة، يتحقق لك ما تريد.

قالت له المرأة: إن كنت تريد اليوم، أن تسفك دمي تحت أقدام جواد بذلة، فما أريده يا مولاي هو أن تقيد شعري في ساق جواد الأمير، وعندما يقود الأمير جواده ليسفك دمي. ويسحلني ذليلة تحت حوافر جواده، أصير قتيلة ذلك القمر، وأظل حية دائماً في هذا الطريق، نعم إن أصبح قتيلة المعشوق، أعل إلى العيوق بنور المعشوق، إنني امرأة وأنت رجل ولا حيلة لي أمامك، دُمي قلبي وكأن روعي قد فارقتني، والآن حقق هذا المطلب اليسير لامرأة بائسة مثلي، فرق قلب الملك من صدقها وحرقتها،

ماذا أقول فقد صار التراب طينًا بدمعها، عفا عنها وأرسلها إلي إيوانه، فوهب روحًا جديدة إلى العاشقين، فتعال أيها الرجل إن كنت رفيقنا، وتعلم العشق الحقيقي من امرأة، وإن كنت أقل من النساء، فاخفض رأسك، وإذا لم تكن أقل شأنًا من المخنث، فاستمع إلى هذه القصة.

## ٢ - قصة العلوي والعالم والمخنث (١٠٣٤: ١٠٥٣)

كان علوي وعالم ومخنث، يحملون البضائع المختلفة إلى بلاد الروم، فقبض القراصنة على هؤلاء الثلاثة فجأة، وقادوهم بذلة أمام أحد الأصنام حيث قال الكفار للثلاثة: يجب السجود للصنم، وإلا أرقنا دماءكم جميعًا، ولن نمهلكم بل سنقضي عليكم الآن، فقال الثلاثة للكفار، يجب أن تمهلونا ليلة واحدة، فيجب إمعان الفكر ليلة، ربما اعتدنا عبادة الأوثان، منح الثلاثة الأمان تلك الليلة، ليعيد كل منهم حساباته. تحدث العلوي، وقال: لا مفر، يجب التمنطق بالزناز أمام الصنم، فمن اليسير أن يشفع لي جدي يوم القيامة، وتحدث العالم وقال: أنا أيضًا لا أستطيع التضحية بروحي وجسدي معًا، إن سجدت للصنم، ينهض لي شفيع من علمي الديني، وقال المخنث: إنني ضال حائر سوف أظل بلا عون أو شفاعة، لكما شفيع وليس لي، فلا يليق بي هذا السجود، إن قطعوا رأسي مثل الشمع، فأني خوف؟ لن أسجد لصنم؛ ففي هذا هلاكي، فلن أسجد أمام صنم، ولو فصلوا رأسي عن جسدي دون اكتراث.

بينما هانت روح الاثنين ظهر المخنث رجلًا في الموقف نفسه، أمر عجيب ففي وقت المحنة استحق المخنث المدح لرجولته، إن أشباه قارون لا يتضح لهم هذا الطريق بينما الشجعان يتوسلون بالنمل، إن كنت أقل من المخنث في عشق المحبوب فلست أقل من نملة في هذا السبيل.

### ٣ - قصة سليمان مع نملة (١٠٥٤: ١٠٧٣)

مر سليمان مع ما له من مكانة عظيمة، على مجموعة من النمل، كانت قد تقدمت كلها للعمل، حيث خرج في لحظة آلاف مؤلفة منها، وكان من بينهم نملة تؤدي عملها باجتهاد منقطع النظير، وتعمل في تل من التراب أمام منزلها، كانت تحمل التراب ذرة ذرة، مثل الريح حتى تنتهي من التل، فنادها سليمان وقال: أيتها النملة، إنني أراك ضعيفة لا حيلة لك، إذا تحقق لك عمر نوح وصبر أيوب، لما انتهى عملك، لا يتأتى لأحد له مثل ساعدك، أن يزيل هذا التل، فكيف يتأتى لك؟ تحدثت النملة قائلة:

أيها الملك، يمكن السير في هذا الطريق بالهمة، لا تنظر إلى أساسي وبنيتي، ولكن انظر إلى كمال نيتي، هناك نملة غائبة عني، ألفت بي في شباك العشق، وقالت لي: إن نقلت هذا التل المملوء بالتراب من هنا، ونظفت الطريق، حينئذ ألقى بصخرة هجرك من الطريق، وأحقق لك الوصال، والآن أنا مشغولة بهذا الأمر، ولا أعلم شيئاً سوى حمل التراب، ولو انمحي هذا التراب، يمكنني تحقيق وصالها، وإن هلك روح في هذا السبيل، لا أكون مدعية وكاذبة، يا عزيزي تعلم العشق من نملة، وأدرك الإبصار من العمى، والنمل ولو أنه أسود فاحم، لكنه من سالكي الطريق، لا تنظر إلى نملة بعين الاحتقار، ففي قلبها وجد أيضاً، في هذه الطريق لا أعلم أي حال هذه، التي جعلت الأسد يعاقب بسبب نملة.

### ٤ - قصة أمير المؤمنين علي مع نملة (١٠٧٤: ١١٠١)

كان علي يسير ذات يوم وقت القيلولة، فالحق الأذى بنملة في الطريقة، أخذت النملة تضرب بيدها وقدمها، فأصاب علي الهلع بسبب عجزها، وخاف واضطرب اضطراباً شديداً، وهكذا انقلب حال الأسد بسبب نملة، بكى كثيراً وبذل كثيراً من المحاولات، حتى عادت النملة إلى السير، وفي الليل رأى المصطفى في المنام، يقول له: يا علي لا تسرع في الطريق، فقد ظلت السماوات تلومك، يومين كاملين

من أجل نملة، ألا تدرك سلوكك، فتؤدي نملة في الطريق إن تلك النملة كانت من أهل المعنى، وكان جل عملها هو ذكر الله، فارتعد جسد علي، وأسقط في يدي أسد الحق بسبب نملة، فقال الرسول: اطمئن ولا تخف، فقد شفعت لك تلك النملة عند الحق قائلة: يا رب لم يكن حيدر يقصد، وإذا كان قد أساء إليّ فقد تراجع الآن عن ذلك. اعلم أيها الكريم أن معاناة الدين، هي التي جعلت مثل ذلك الأسد على هذا النحو مع نملة، كان الحيدر ليثاً قوياً في الشجاعة، بحيث كان يلحظ نملة فوق سراج جواده، ما أسعد روحه التي عرفت الحق! فخطا وفق أمر الحق والتزم به، إن كنت تتبع الجهل المطلق في سلوكك، فأنت مجرد شحاذ ولو كنت من الملوك، يجب النظر في الطريق، ثم التقدم، فلا يمكن السير في الطريق دون نظر، إن كنت تخطو في الطريق بلا نظر، فلن يثمر سلوكك في النهاية سوى الخسران، إن خطوت فوق العميان، فأنت تشبه الحمير، ولا تتميز عن الآخرين بالعقل.

إن كنت رجل طريق فاخط بحساب، كمن حسب الطريق من الأرض حتى السماء إن خطوت دون أي أمر، فسوف يصيبك بلاء شديد لا دواء له، ولو خطوت هنا لحظة، يجب عليك التخلص من وجودك، كل شخص تحقق له السير هنا لحظة، كأنما ذهب إلي مائة عالم، إذا ما خطوت بالسير هنا لحظة، ينكشف لك مائة عالم هناك، لو خطوت اليوم خطوة طاهرة لما لزمك السير مائة فرسخ في الأرض، وأأسفاه إنك لا ترى نفعا كبيرا، فإن رأيت لن تكف عن العمل لحظة، بكل خطوة تخطوها اليوم، تدرك نفحة مفرحة للقلب من الحضرة، ومثل هذا الأنس يمكن اكتسابه في كل لحظة، فلماذا يفقد بالكسل والتواني.

#### ٥ - قصة أنوشيروان<sup>(٨٢)</sup> والشيخ زارع الشجرة (١١٠٢: ١١١٨)

كان أنوشيروان ينطلق بفرسه كالسهم، ومن الطريق شاهد شيخاً أحذب الظهر كالقوس، كان الشيخ يغرس عدة شجيرات، فقال له الملك: ماذا تفعل وقد أبيض



شعرك مثل اللبن، ولم يعد لك سوى أيام معدودات، فلماذا تزرع الشجر هنا؟ قال الشيخ للملك: يكفيك برهاناً، أن كثيرين قد زرعوا من أجلنا، ما نستفيد منه إلى اليوم، ونحن نزرع أيضاً من أجل الآخرين، يجب أن يخطو كل شخص خطوة على قدر استطاعته، فكل عمل يلزمه نظام.

استحسن الملك قول الشيخ، فملاً يده ذهباً وقال: خذ هذا، قال له الشيخ: أيها الملك المظفر، لقد أثمرت شجرتي اليوم أيضاً، ولو أن عمري قد جاوز السبعين، إلا أنه لم يسؤك زرع هذا كما ترى، ولم يجعلني هذا الزرع أنتظر عشر سنوات، وأثمر لي اليوم ذهباً أيضاً، غمرت السعادة الملك بهذه الإجابة، فوهبه الأرض والضيعة والماء.

يجب أن تفعل اليوم أمراً، فلن يكون لك شأن بدون عمل، يجب الخطو في طريق الدين والكف عن الرعونة، إن كنت رجلاً صالحاً مثل الرجال، فلا تأنف من كنس الحمام، ولا يعتريك الخجل من قوة ساعدك هذه، فهي حجر لك في الميزان، أنت أقل من كلب فاستمع للكلام يا من تزهو على الكلب.

## ٦ - قصة الخواجة جندي<sup>(٨٣)</sup> مع كلب (١١١٩: ١١٢٧)

سأل شخص الخواجة جندي، أأنت أفضل أم الكلب؟ قل ولا تخش أحداً، فجرى مريدوه علي الفور، ليمزقونه إرباً إرباً، فمنعهم الشيخ بحزم، وقال له: إنني لا أعلم الغيب، ولم يكشف لي الأمر يا روح أبيك، فكيف يمكنني إجابتك الآن في كلمات، إن أفز بالإيمان من بين سالكي الطريق، يمكنني القول إنني أفضل من الكلب، وإن لم أفز بالإيمان مع السالكين، فيا ليتني كنت مثل شعرة فوق أحد الكلاب ما لم تسقط الحجب، فلا تمتن على الكلب بشيء، والكلب ولو أنه يوجد وسط الطريق، لكنه من مصدر واحد معك.

## ٧ - قصة معشوق الطوسي<sup>(٨٤)</sup> مع كلب وفارس (١١٢٨ : ١١٣٨)

كان معشوق الطوسي في طريقه وقت القيلولة. غائبًا عن نفسه، عندما تقدم أمامه كلب في الطريق، فأصابه معشوق بحجر فجأة دون قصد، ورآه فارس يرتدي ثوبًا أخضر من بعيد، فجاء من خلفه بوجه مغمم بالنور، وضربه سوطًا شديدًا، وقال له: انتبه! أيها الجاهل واحترس! ألا تعلم على من تلقي الحجر؟ لقد كنت معه في الأصل من مصدر واحد، ألسنت مخلوقًا مثله؟ فلماذا تعتبره أقل منك؟ إن الكلب مخلوق للقدرة الإلهية أيضًا، فلا يجوز تزيدك على كلب، الكلام مختفون وراء الحجب أيها الصديق، فاعتبر إن كان لك فكر سديد، أكثر من هذا الجلد، فالكلب ولو أنه في صورة غير مستحسنة لكن مركزه عال في الصفات، وكثير من الأسرار مختفية داخل الكلب لكن ظاهره سد لها.

## ٨ - قصة أبي سعيد<sup>(٨٥)</sup> مع صوفي وكنب (١١٣٩ : ١١٦٧)

كان صوفي يسير في الطريق عندما أصاب بعصاه كلبًا على قارعة الطريق، فأصابت يد الكلب بجرح غائر، وأخذ الكلب في النباح والجري، وتقدم من أبي سعيد وهو ينبج، ووقع على الأرض، وقلبه يموج بالمرارة. وعندما مد أبو سعيد يده، نهض الكلب طالبًا القصاص من ذلك الصوفي الغافل، فقال الشيخ للصوفي: أيها الرجل الغادر، أيقسو شخص على هذا النحو مع حيوان أعجم؟ كسرت يده فسقط ذليلاً، وأصبح عاجزًا لا حيلة له. تحدث الصوفي وقال: أيها الشيخ لم يكن الخطأ مني بل كان من الكلب، عندما جعل ثوبي غير صالح للصلاة، تلقي عصا مني، ولم يكن ذلك عبثًا. لم يهدأ الكلب واستمر ينبج ويتحرك، عندئذ قال الشيخ الفريد للكلب: سوف تسعد بما سيلحق به، سوف أنزل به العقاب أو أحكم عليه أنت بنفسك، ولا تتنازل عن ذلك حتى يوم القيامة، وإن أردت أحدد عقوبته وأعاقبه هنا من أجلك، لا أريد أن تغضب، ما أريده هو أن تسعد.

فقال الكلب: أيها الشيخ الفريد عندما رأيت ثوبه صوفيًا، آمنت أنه لن يصبني منه أذى، كيف كنت أعلم أنه سيصيبني بالاحتراق، ولو كان صاحب قباء في هذه الطريق كنت احترزت منه آنذاك، عندما شاهدت ثوب أهل السلامة، شعرت بالأمان ولم أعلم حقيقة الأمر، إن عاقبته فعاقبه الآن، وانزع عنه ثوب الرجال هذا، حتى يمكن اتقاء شره، فلم أر مثل هذا الأذى من الغوغاء، وانزع عنه خرقة أهل السلامة وهذا عقاب كاف حتى القيامة.

لأن الكلب له في طريقه هذا المقام، فزهوك على الكلب حرام، وإن اعتبرت نفسك أفضل من الكلب فأيقن أن هذا بسبب نقصك، وإن ألقوا بك وسط التراب بمثل هذه الذلة يجب عليك السقوط مقلوبًا، وطالما تتمسك بالعصيان فأنت بلا شك تتشبث بالخسران، فأني فخر لك بحفنة تراب! إنهم يقطعون سرتك عند ميلادك من أجل دفنك عند مماتك، وكل شخص يبدو أكثر حقارة في الدنيا، اعلم يقينًا أنه أكثر طهارة هناك، لذا جعل الرجال أنفسهم ترابًا، فطهروا أجسامهم وأرواحهم برجولة، وعظماء هذا الطريق، على قدر عال لأنهم تخلوا نهائيًا عن العناد.

#### ٩ - قصة أبي الفضل الحسن<sup>(٨٦)</sup> عند النزاع (١١٦٨: ١١٨٢)

عندما حانت منية أبي الفضل حسن، قال له شخص: يا من عمر الشرع بك، عندما يحرر يوسف روحك من البئر، ندفنك عندئذ في المكان الفلاني. تحدث الشيخ وقال: حذار، فذلك المكان مثنوى العظماء والأبرار، ليكن مثنوي في مكان، يوجد فيه مئات الضالين من أمثالي. قالوا له: أيها الطيب الطاهر، أين تريد أن يكون مثنواك الأخير.

قال بروح مفعمة بالوجد يجب أن يكون قبوري فوق ذلك التل، حيث يوجد هناك كثيرون من أهل الحانات ولصوص لا حصر لهم أيضًا، كما يوجد مقامرون كثيرون هناك أيضًا والكل آثمون، ادفنوني هناك معهم وضعوا رأسي عند أقدامهم، أنا جدير

بهم على الدوام أتلمس المعاني مثلهم، شأني بين هؤلاء الأئمين، ولا طاقة لي مع هؤلاء الكبار ولو أن هؤلاء القوم في غاية العصيان، إلا أنهم قريبون من نور رحمته وعندما يجد العطشان غايته في مكان، ينهل من الماء نهلاً، وكلما تتردى به الحال تتجه عين الرحمة إليه كثيراً.

### المقالة الثالثة (١١٨٣: ١٤٣٣)

قال له الولد إن الهدف من الزواج هو الفوز بالابن الصالح، فمتى يتحقق للإنسان ابن صالح، يبقى ذكره الطيب خالداً، ولو أن ابني صاحب علم، يكون شفيعي يوم القيامة، وعندما يرزق المرء بالابن الصالح يفنديه بوجوده، وكل شخص يلزمه مثل هذا الابن وتجدر به صلة البنوة هذه.

### إجابة الأب (١١٨٩: ١١٩٣)

قال له الأب: إن الابن مرغوب، ولكن عندما لا يكون الرجل ناقصاً، والشخص الحديث العهد بهذا الأمر، إذا ما رزق بأبناء، يصير ناقصاً ولا إرادة له، ويعزل عن سر المعرفة، إن أردت اتباع دين إبراهيم، يجب أن تسلم ولدك قرباناً.

### ١ - قصة إبراهيم بن أدهم<sup>(٨٧)</sup> والدرويش (١١٩٤: ١٢٠٢)

ذات يوم يسأل إبراهيم بن أدهم درويشاً صاحب وجد: ألم تتزوج وتنجب قط؟ قال: لا. قال إبراهيم: يا له من عز! فقال له الدرويش: يا رجل الرجال لماذا تقول هذا؟ وضح لي، هكذا قال إبراهيم عندئذ: أيها الرجل! كل درويش تزوج تخلف، جلس في سفينة دون زاد ولا نوم، وإذا ما رزق بابن غرق. إن أسر قلبك بابن كان ابنك عدواً جميلاً لك، وإن كنت صاحب حظوة في الأدب، عندما ترزق بابن لن تظل

هكذا، إن كنت زاهداً مخلصاً عندما ترزق بآبن فأنت عريـد كامل.

## ٢ - قصة قطة الشيخ الجرجاني<sup>(٨٨)</sup> (١٢٠٣: ١٢٣٨)

كانت توجد قطة في خانقاه العالم الصادق الشيخ الجرجاني، الذي كان قطب زمانه في المعاني، وكان الشيخ يصادفها في طريقه عدة مرات في اليوم، وقد غطوا يديها وقدميها بقطعة من الجلد بصفة دائمة، حتى إذا ما تحركت في أي وقت لا تلوث يديها ولا قدميها، لأنها كانت تارة تقضي بعض الوقت بجانب الشيخ، وتنام فوق السجادة تارة أخرى، وكانت القطة تموء أحياناً فيأني الخادم إليها، ويفك وثاقها ثم يطلق سراحها، وقد اتخذت من المطبخ مأوى لها، ولم يكن اللحم بعيداً عن منالها، فهي لا تخطف أي طعام مطبوخ أو طازج إلا ما يقدمونه لها في حينه، وكانت أمينة على الخانقاه وعلى السفرة ولم يشاهدها أحد تخطف شيئاً. وفي أحد الأيام وذات ليلة في المطبخ خطفت قطعة لحم من المقلاة فجأة، وفي النهاية وبعد أن تعقبها الخادم، عاقبها بشدة وأدبها، فلم تأت القطة إلى الشيخ مرة أخرى، وجلست غاضبة في زاوية مجاورة.

وسأل الشيخ الخادم عنها فروى له ما صدر منها، فطلب الشيخ الوفي القطة، وسألها عن سبب هذه الغلطة. ويبدو أن القطة كانت حاملاً وقت السرقة، فذهبت وأحضرت صغارها الثلاثة، ووضعتهـم أمام الشيخ على الأرض باحتجاج، ورأت شجرة هناك فمضت إليها باستياء، وقبعت فوقها يجتاحها الغضب من الخادم، وهي تنظر إليه في صمت مطبق دائم. وعندما رآها الشيخ نائرة على الخادم، تعجب وقال لقومه: لقد كانت القطة معذورة دون شك فلم تكن تبحث عن طعام لها بلا ريب، ولم يكن التصرف منها إساءة أدب وعصيان، ولكنه كان تعبيراً عن حاجتها للطعام.

إن تلح لشخص ضرورة تصر مباحة له ولو كانت حراماً، فمن أجل الصغار ينتزع الكائن الأقل من العنكبوت من فم الأسد القوت، وما فعلته القطة ليس غريباً لأن

التعلق بالصغار كان دائماً أمراً عجيّباً، طالما لم ترزق بطفل فلن يجول بخاطرك الاهتمام بصغير، قال الشيخ المحنك للخادم: إن هذه القطعة نشأت في كنف الرعاية، وقد وقفت فوق الغصن غاضبة منك، تستغفر تطاولك عليها، فرفع الخادم العمامة أمام القطعة مستعظفاً للغاية، إلا أن استعطافه لم يجد شيئاً، فلم تلتفت إليه القطعة أبداً، وأخيراً توجه إليها الشيخ وناداهما بكلمات وتشفع للصوفي وطلب منها النزول للحظات، فنزلت القطعة فجأة وأخذت تتمسح بين قدمي الشيخ، وعلت الصيحات من وسط الجمع، وارتفعت نار من كل قلب مثل الشمع، وتعاطف الجميع مع القطعة، وماجت قلوبهم بالثناء عليها، إن شغلت بمئات الأمور لن يكون كانشغالك بولد واحد، والشخص الذي ابتعد عن الأبناء، صار سيّداً طاهراً دون نظير.

### ٣ - قصة تاجر لا يدين بالإسلام (١٢٣٩: ١٢٥٦)

كان تاجر مسلم واسع الغنى والثراء تحقق له في إقليمه السيادة والجاه، وكان له ولد جميل للغاية كأنه شمع للدنيا بأسرها، اكتسب البنفسج الغدائر المسكية منه، ومنح الورد الشفاء الرقيقة الضاحكة منه، وكان إذا ما وقع النقاب عن وجهه، بزغ النهار أثناء الليل في توه، وإذا ما عقدت صنارة زلفه المسكية الأوتار ربطت الزنار لكل العشاق، ومن كثرة ثنايا جدائله، لم تكن لرأسه استقامة واحدة قط، وإذا ما حاربت أهدا به بالحرا ب أوقع العالمين بضربتين، وإذا ما داعب حاجباه أوتار القوس ظهر الرعب لأرواح الدنيا من سهامه، وكان مذهبه نثر السكر من شفّتيه، فحلاوة شفّتيه هي دار الملك، وصار ساحل العشاق من شفّته الضاحكة مثل بحر من در أسنانه.

وحدث أن مرض ذلك المتدفق بالحياة، خلاصة القول مات في ريعان الشباب، وكاد الأب أن يقتل نفسه من فجيعته عليه، فهانت عليه روحه، وفقد رشده، وأخيراً وبعد أن غسّله وطهره اعتنق الإسلام، وحمله إلى مثواه الأخير، وقال: لقد وضح الدين لنا اليوم بوفاة هذا الولد، فلا ريب أن الله ليس له ولد، فهو مبرأ عن الزوجة والنسب فلو

كان له ولد واحد ما ارتضى بفعيعتي، وقد أيقنت أن تردى الكافر ليس لهوا ولا عبثا.

#### ٤ - قصة الأب وموت الابن (١٢٥٧: ١٢٦٩)

كان لأحد الشيوخ ولد يشبه القمر، جمع بين الجمال والخلق والفضل، وكان من الأب بمثابة الروح، يعلق عليه آمالاً عظيمة، وحدث أن مات الفتى فاحترقت روح الأب عليه. ماذا أقول؟ فقد أحرق مائة كبد بلهيه، كان الأب يسير خلف النعش غائباً عن نفسه، ويبدو حائراً بائساً في حزنه، وبعد أن نثر التراب، وناح كثيراً، رفع رأسه إلى السماء بقلب مفعم بالألم، وعلى هذا النحو تحدث: يا من لم يكن لك نسب، إنك بعيد عن ألمي؛ لأن وجودك منزّه عن موت الأولاد.

لو لم يكن استغناؤه لا حدود له؛ لسمع حديث الأحران، لو كان لك مثل صلته؛ لكنك مثله بدون شك، يظل الأب يبحث عن ولده أربعين عاماً متصلة فلماذا لا يتيسر سعي الأب للحظة؟ وإن وجدت الخطوط، فهي ليست سوى سراباً، وإن ظهرت الحروف فهي ليست إلا أوهاماً.

#### ٥ - قصة لقاء يعقوب ويوسف (١٢٧٠: ١٢٩٤)

في نهاية الأمر عندما تقابل يعقوب ويوسف هذان الحبيبان معاً، قال يعقوب ليوسف: يا عيني وبصيرتي! إنك حطمت رأسي بسبب الدمع، وأحلتني في بيت الأحران وأضرمت النيران في روحي، بينما سعدت أنت في هذا الوقت الطويل، وكأنك لم تعرفني يوماً، فلماذا ارتكبت مثل ذلك الظلم، ولم ترسل لأبيك رسالة واحدة، وهو يكابد الآلام طوال هذه الفترة، وقلبه لا يعرف شيئاً عنك، فقال يوسف للخادم. أيها الهمام! اذهب، وأحضر لي تلك الرسائل، فانصرف الرجل لإنجاز مهمته، ثم أحضر آلاف الرسائل المتشابهة، وكلها مكتوب عليها بسم الله ولونها أبيض كالجليد.

قال يوسف لأبيه: يا شمع جنتي لقد رقمتها كلها من أجلك، ولكن بمجرد ما كنت أنهي الرسالة بما تحمل من شرح للأحوال والسلامات، حتى ينمحي الخط من أول الرسالة إلى آخرها، ولا يبقى عليها سوى اسم الله، وتصبح الرسالة كلها بلون الجليد، وتصير بلا خطوط ولا حروف، عندئذ كان يصل جبريل من عند الجبار قائلاً: احترس وإياك أن ترسل إليه الرسالة، فإن ترسل الرسالة إلى الشيخ يصبح الخط مثل القير، وتصر الرسالة مثل اللبن. وعذري الآن أنني أحاول هذا. وعدم إرسال الرسائل كان لهذا السبب، فعلى الرغم من أنني أردت، إلا أن الحق لم يرد، لذلك لم يتيسر لي ذلك الأمر.

إن يملكك حب ولدك، تكابد من جراء ذلك كثيرًا، وإن كان الولد كفتًا يقع مثل يوسف في البئر، ويكبل في الأسر، وإن كان الولد جميلًا مثل يوسف تكتنفك الآلام مثل يعقوب، ومن ذا الذي سيجد ابنًا كيوسف الذي حزن عليه يعقوب طويلًا، ولا يوجد أب مثل يعقوب أبدًا، فقد دمی قلبه طويلًا في غياب يوسف عنه، إن تكن ولدًا يحترق قلب أبيك في الاهتمام بك، وإن تكن أبا، يفز ولدك بكل اهتمامك، ويكفيك عبرة يا بني هذه الحكاية التي حدثت في تلك الولاية العتيقة.

## ٦ - قصة يوسف وبنيامين (١٢٩٥: ١٣٦٦)

عندما دخل بنيامين على يوسف أجلسه بجانبه على عرش ذهبي، وكان يوسف متخفيًا بنقاب أخفى شمس وجهه، فأتى لبنيامين أن يعلم أبدًا أن روحه الجميلة قابضة بجانبه؟ فظن أنه السلطان العزيز، وكيف كان يعرف أنه روحه العزيزة؟ إلا أنه لم يكن العزيز، ليس هو عزيز مصر الخالد، وعلى الرغم من أن يوسف أجلسه بجانبه إلا أنه لم يكشف السر من رهبة الموقف، وتحدث يوسف بكلام طيب ثم سأل عن يعقوب، فأعطاه بنيامين رسالة من تحت النقاب أخبره فيها عن حرقة يعقوب، وعندما تسلم يوسف الرسالة، قرر أمرًا، ثم توجه إلى أولاده قائلاً: تعالوا جميعًا، وانتبهوا! فقد



بزغ الصباح ووصلت رسالة من جدكم، ماذا أقول؟ فقد فضوا الرسالة وتناقلوها كثيراً بينهم، وحدث هرج ومرج بين الجميع من شوقهم إليه، فتعالت الصيحات والصرخات، وأراقوا الكثير من دموع الحسرة ودمائها، ولفتهم الحيرة من الأسى، وفي نهاية الأمر عاد يوسف إلي مكانه، واعتلى عرشه معزّزاً، وفي لحظات تجمع الناس ومدّوا الأخوة بين الصفوف، وهكذا أمر يوسف الملك المحبوب بأن يحضر أبناء يعقوب جميعاً، وقال لهم: ليختر كل واحد منكم أخاً ولتجلسوا كل اثنين على خوان، فجلسوا معاً كما قال، وتركوا بنيامين وحيداً. عندئذ تذكر بنيامين يوسف وحزن، فبكى طويلاً حزناً على يوسف، وتأسف كثيراً على فراقه، فسأله يوسف ملك الأحرار أيها الولد لماذا تبكي بحرقة على هذا النحو؟ فقال بنيامين: عندما بقيت وحيداً ذرفت دمع حزني وأساي، فقد كان لي أيها العزيز. أخ من نفس الأب والأم، والآن هو مفقود منذ مدة طويلة ولا يعرف أحد سبيلاً إليه، ولو كان موجوداً مع شخصي الضعيف لكان قد جلس معي على الخوان أيضاً، قال هذا، وقد ذرف الدمع مدراراً على الخوان فملأه كله بدمع عينيه، وأراق كثيراً من الدمع مما لم تشاهده أي عين من قبل. وعندما رآه يوسف يبكي إلى هذا الحد، وشعر أن قلبه يشارك روحه الاحتراق، قال له: لا تبك أيها الشاب، اعتبرني مثل يوسف الآن، وطالما أنا الملك العزيز شريك قدحك، فأني شريك أفضل لك مني، تحدث القائم على أمر الخوان عندئذ قائلاً: أيها الملك: إن هذا القدر يمتلئ بدمعه، فكيف تشرب هذا الدمع الدموي؟ أمن الجائز أن تأكل الخبر والدم، فقال يوسف آنذاك: اصمت قدمي يغلي بسبب هذا الحزن، كأن قلبي قوي أمره من هذا الدم، ويمكن له إيجاد مثل هذا الخوان الممدود بالدم، هو يتيم وأنا أراعاه بمشاركته أحزانه.

فقال أولاد يعقوب إنه صغير، وإن كان محبوباً، إلا أنه يجهل آداب الملوك ورسومهم، فكيف يحسن السلوك معك؟ إننا نخشى يقيناً أن يأتي الصغير سلوكاً معيباً أمام الملك، فأجاب يوسف الطيب إن ابن يعقوب صالح وكفاء، الشخص الذي له

أب مثل يعقوب كل ما يصدر عنه يكون طيبًا، ثم قال آنذاك: ويحك يا بنيامين لماذا امتنع وجهك هكذا؟ فقال بنيامين: إن يوسف قتلني بفراقه، وجعل لوني يمتنع من شوقي إليه، قال يوسف: إن كان لونك قد امتنع، فلماذا اضطربت غدائك المسكية؟ قال بنيامين: لأنني لا أم لي فقد اضطربت غدائري وحياتي، فقال يوسف آنذاك: وكيف حال الأب؟ يقولون إنه فقد أحد أولاده. قال بنيامين: إنه ما زال أعمى، وبقي وحيدًا بعد غياب يوسف، واضطربت النيران في روحه، وجلس في بيت الأحزان، ومن كثرة الدمع الدموي الذي أراقه من عينيه؛ بقي في دوامة من الدماء والدماء، وعندما يتذكر يوسف يحتضنني آنذاك، ماذا أقول عن كيفية بكائه بحرقة في تلك الساعة من اللوعة، فلو أن حجرًا كان حاضرًا آنذاك، لصار مثل الدماء في التو واللحظة، وعندما علم يوسف بأمر يعقوب، ابتل نقابه بالدمع، والذي كان يخفيه من حسرته، حتى جاء رسول البلاط إلى يوسف قائلاً: أظهر وجهك، فإلى متى تعذبه وكأنك أسد تنشب مخالبك في رأسه، وعندما ابتل النقاب من دمه سقط في نهاية الأمر عن وجهه.

الحاصل عندما شاهده بنيامين كأن روحه الطاهرة قد فارقت، واضطربت بحار قلبه، فأطلق صيحة، وغاب عن الوعي، وعندما أفاق بعد محاولات عدة سأله يوسف: أيها التقى، ماذا حدث لك ففقدت وعيك؟ ولفك الحزن، وشملك الاضطراب، فقال لا أعلم من تكون؟ كأنك يوسف ولو أنك العزيز، لقد اخترتك عوضًا عن يوسف، وكأنما رأيتك قبل ذلك، بالله إنك تشبه يوسف، فإن كنت هو لماذا تعذبني؟، أنا وحيد لا حيلة لي، ولا أعلم وأنت تعرف، فلتتحدث فورًا.

الشخص الذي يعتبر هذه القصة خرافة لا يعمل فكره، داخل حجاب روحك معرفة كنت على صلة بها قبل ذلك، فإن عدت إلى معرفتها ثانية لحظة واحدة، سبقت بذلك أهل العالم، وإن اغترب قلبك عنها، فأنت غريب ليس لديك سوى الترهات، ولو لم يكتسب قلبك المعرفة لما ازدهر عملك قط، الشخص الذي يشتم ربح المعرفة يعتاد القرب من الحضرة ويظل حاضرًا في تلك الحضرة دائمًا لا يهتم

بشيء سوى حضوره، ولأن الحق معه فهو خالد أيضًا، وظلاله لا تبعد عن الشمس.

## ٧ - قصة شاب يوم الحشر (١٣٦٧: ١٣٩٦)

يُروى أنه في يوم القيامة، يدخل شاب ويطلب الرحمة من الله، والشاب ذنوبه لا حدود لها، لكن قاضي الفضل رفيقه، ويسرع به الملائكة؛ ليلقوا به في عذاب السعير، فيأتي هاتف من الحضرة في الحال: لماذا تتجهون به إلى هذا الطريق؟ يقولون جميعًا: نسرع به حتى نلقي به إلى الجحيم، يأتي الهاتف مرة أخرى ولكن بطريقة غامضة إننا -ويا للعجب- راضون عنه، لن يجوز لكم الاستماع إلى هذا فسوف يتحقق له المثل في حضرتنا، ولن يكون الملائكة قد سمعوا هذا الكلام، ولن يكونوا قد شاهدوا مثل هذه الكرامة أبدًا، فيصمت الجميع من هذه الهيبة، ويرتعدون، ثم يغيبون عن الوعي، ويجيء الهاتف للشاب: أيها المضطرب لماذا تقف؟ اهرب منهم، يقول الشاب: يا إلهي في مثل هذا المكان حيث لا بداية لهذا الوادي ولا نهاية، أين أستطيع الهروب من القيامة؟ فهنا لا سبيل إلى الهروب، فيأتي الهاتف: أيها الثمل! تعال، واهرب إلينا، وتحرر من الجميع، فيقول الشاب: ليست لدي هذه القدرة، فوجودي ليس سوى عجز، إلا إذا تدخلت بفضلك؛ وأدخلتني حجاب الأسرار، فيلبسه الله من كرامته، ويخفيه عن أهل القيامة، ويصله بمقر أسرار، ويمكنه من خلوة مشاهدته.

وعندما يسترد الملائكة وعيهم لن يجدوا الشاب أمامهم، ويبحثون عنه طويلاً ولا يجدونه، ويسرعون مهرولين من كل صوب، يقولون للحق: أين صار خصمنا؟ أفنى في العالم الباقي؟ لقد بحثنا في الجنة والنار الآن، ولا نجد له أثرًا، يئسنا منه، يا إلهي أنت تعلم أين صار، إذا لم نخبرنا، فقدنا أرواحنا، فيأتيهم الهاتف بأن ذلك من حكمتنا وأنه دخل سراي عصمتنا، ولأنه مائل في حضرتنا فلا شأن لكم به، الآن هو ينعم بالمعرفة الأبدية، ويجب عليكم الابتعاد، عندما تكون العناية رفيقة منذ القدم فلا مجال هناك للأغيار، إنما تسلط شمس العناية على النبي منذ البداية في سبيل الهداية،

إن وهبت لك عناية الله تتحول كل عيوبك إلى إخلاص، وتكشف لك معرفة نفسك ولا يبقى لك سوى المشاهدة.

#### ٨ - قصة أخرى عن يوم الحشر (١٣٩٧: ١٤١٤).

هكذا رُوي في الأخبار: أنه في اليوم الذي تقوم فيه الساعة، يدخل شاب مزداناً وحوله آلاف من ضاربي الشياطين، يفسحون له الطريق من كل صوب، فيفسح له الخلق الطريق، ثم يأتي الأمر الإلهي إلى الخازن من الجبار أن أنزله في القصر الفلاني، فينزلونه في ذلك القصر البهيج، والحدود جميعهن يصحن شوقاً إليه، ويكون لذلك القصر الجميل طاقة يظهر منها آلاف الأبواب والنوافذ، وحيثما ينظر الشاب يشاهد ربه، وتفتح آلاف الأبواب كل لحظة، فيظهر له عالم من وراء كل باب، ولكن في كل عالم يغص بالرجال والنساء لا يرى سوى ربه.

كل العالم يتمنى وصاله، ولكن كل ذلك وهم محال، فلا تصل لأي شخص رائحة من هناك، ولا تفوز كل عصا بكرة من هناك، يجب أن يكون القلب باكيًا محترقًا من الحق، وأن يكون اللسان سائلًا عن طريقه خائفًا، إذا ما أصبح مذهبك وأنت حي أن تخاف وتسال دائماً، ويستغرقك هذا الفكر تماماً، ويستولي هذا المذهب على مدينة قلبك بأسرها، حتى يمكن أن تتنسم رائحته لحظة واحدة ولكن عن طريق مشام الروح، يكون عمرك الحقيقي هو تلك اللحظة التي تتمتع فيها بروحك بحضور الحبيب، وإن كان عمرك لا حدود له فأمامك مائة حجاب في كل لحظة.

#### ٩ - قصة الدرويش والمجنون (١٤١٥: ١٤٣٠)

سأل درويش المجنون: كم يبلغ عمرك الآن يا ولدي؟ فأجابه ذلك البائس، إن عمري ألف وأربعون عاماً، فقال له: ماذا تقول أيها الغافل؟ هل ازداد جنونك أيها الجاهل؟ فقال: الألف عام هي اللحظة التي ظهر لي فيها وجه ليلي، والأربعون

هي عمري وهي لا قيمة لها، ولكن تلك اللحظة هي عمري كله، وتقدر بألف عام، لأنني طوال الأربعين سنة كنت مع نفسي، لذلك فهذا العمر لا طائل تحته، لكن تلك اللحظة تساوي ألف عام، لأنها انقضت مع ليلى، بعيداً عن نفسي.

آلاف الأعوام تعتبر لحظة هناك، ماذا أقول، فهي تعتبر أقل من هذا هناك، من يدرك الوجود الخالد ينمحي العالمان في ولايته، انظر أيها الصديق ما هو حال الوجود؟ إنه ساجد بجميع ذراته، والوجود ليس الكثير ولا القليل فسوف ينمحي داخله كل شيء، مرحى بالوجود العظيم، الذي فنت داخله ذوات كل الموجودات، وإذا ما انمحي الرجل هنا صارت عيوبه منافعاً، ولو تشبث خلق العالم جميعاً بأذياله فلن تصل يد إليه لحظة واحدة، ولأنه لا يوجد هذا الشخص ولا يوجد أثر له فمن يستطيع أن يحيط به برهة.

#### ١٠ - قصة المجدوب (١٤٣١: ١٤٣٣)

سأل شخص مجذوباً يعاني من الحمى أتعاني من الحمى؟ فتعجب المجدوب الواجد، وأجابه إن مت فمن تأخذه الحمى الآن.

#### المقالة الرابعة (١٤٣٤: ١٧٣١)

قال الولد لأبيه: لا يزال قلبي حائراً يفتقد أميرة الجان، ولأن وصال تلك الفتاة عزيز المنال فلتصف لي ماهيتها، إنني لم أرها، وفي فراقها أنصهر كالشمعة شوقاً إليها.

#### إجابة الأب

قص الأب هذه القصة أمامه فأظهر عروساً من حجاب الأسرار

## ١ - قصة حكيم هندي (١٤٤٠ : ١٥٣٦)

كان لشخص في بلاد الهند ولد يجمع بين صغر السن ورجاحة العقل، وعلى علم وافٍ بكل العلوم بحيث كان يميز الجميع فيها، ومع ما كان له من باع طويلة في كل علم إلا أن شغفه بعلم التنجيم كان قد بلغ مداه، حيث يوجد وصف ملك الجان وإشارة لجمال ابنته، فهم بفتنة تلك المعشوقة. وأي عاشق تيسر له عشق جنية؟! وكان يجد حكيم في مدينة أخرى بعيدة مشهور في التنجيم والطب، لم يكن يسمح لأحد بدخول منزله فلم يكن له أنيس أبدًا في بيته، وكان يقيم بمفرده؛ حتى لا يقف شخص آخر على علمه، وينفرد هو به، وذات يوم قال الولد لأبيه: فلتحملني إلى ذلك الشيخ المحبوب، يقولون إن ملك الجان يأتي إليه ومن ثم ابنته أيضًا، وقلبي يود رؤيتها فهناك أشاهد وجه الحبيب، حتى أَلَم بمختلف العلوم، ولا أموت كحيفة مهمومًا بالدنيا. قال الأب: ليس له زوجة ولا ابن، والناس يتطلعون إلى معرفته وهو لا يسمح لأحد بذلك، فكيف تأمل فيه كثيرًا؟ إنه يخشى إذا ما وجد شخص سبيلًا إليه، أن يطلع على علمه وحكمته، قال الولد: اتركني هناك وأنا أعلم حيلة لهذا الأمر.

الحاصل توجه الأب مع الولد، وأوضح له الولد حيلته قائلاً: اذهب إلى ذلك الحكيم الهندي، وانزع عنه خوفه، واكتسب عطفه، وقل له: لي ولد أصم وأبكم وأنا فقير يسير الحال، فاقبله مني ثوابًا لآخرتك، واحمل عني هذا الحمل الثقيل، حتى يعيش في خدمتك، ويفعل ما تأمره به، يشعل لك النار حينًا، ويحضر الماء حينًا آخر ويعد لك ثوب النوم بأدب، وإذا ما تركت المنزل يحافظ عليه، ويؤدي لك خدمات متلاحقة، وهو ماهر للغاية، لكنه أصم وأبكم. فلا تخيب رجائي على أي حال، فهو إذا ما قيمته تدرك أن وجوده مثل عدمه، أطلال الأب الحديث أمام الحكيم حتى قبله في نهاية الأمر، وامتحنه الحكيم في الحال حتى يدرك أنه أصم وأبكم، فأعطاه دواء مخدرًا عندما تناوله الولد سقط في الحال، وخرج الأستاذ لعمل طبي فقفز الولد من مكانه ووقف، وأدرك أنه اختبار له وأن الدواء سوف يفقده الوعي تمامًا، فأخذ يتحرك

داخل الحجرة مثل الريح ليؤدي مهمته بإحكام: كان يتحرك ويسرع حتى لا يبقى شيئاً من الدواء يخدره، وعندما جاء الأستاذ؛ وفتح الباب بدأ الولد في النوم ثانية، وأخذ يتصنع ما يصدره النائم من أصوات، بحيث لا يبدو مسترخياً ولا مضطرباً، وما إن تقدم الأستاذ، وجلس حتى وجه إلى قدم الولد مخزاً بقوة، فقفز الولد من مكانه ثم وقع، كان يصرخ ببؤس مثل الأبكم، وكانت الأصوات التي يصدرها تدل على بكمه، وأثناء صراخه سأله الأستاذ ولكن على حين غرة: أيها الولد ماذا حدث؟ لم يحر الولد جواباً فكان أمراً صائباً يدل على ذكائه، وعندما أتم الأستاذ المحتال الامتحان أيقن أنه أصم وأبكم.

ماذا أقول؟ فقد مكث عشر سنوات متصلة في ذلك المنزل على هذا النحو ليل نهار: إذا ما خرج الأستاذ من المنزل، يتناول كتابه ليحفظه، وعند وجود الأستاذ في المنزل يسترق السمع لكل ما يقوله الأستاذ عن كل علم، أخذ الولد يتعلم تلك الأقوال، ويكتبها عندما يوجد في المنزل بمفرده، فصار أستاذاً في كل علم بحيث لم يعد في حاجة لأستاذه. وكان يوجد صندوق مقفول يخفيه الأستاذ تحت سائر، لم ينزع خاتمه، ولم يفتح، ولم تقع عين شخص عليه، قال الولد في نفسه: من الواضح أن ما أبحث عنه موجود هناك، ولكن لم تكن لديه الجرأة على فتحه، فقرر التذرع بالصبر.

وحدث أن مرض أمير المدينة، فجاء شخص إلى الأستاذ المشهور قائلاً: لقد عرض شيء لرأس الأمير؛ سقط على أثره، وذلك الشيء يتحرك أحياناً كحيوان ولم يتيسر لأحد معرفته، فلو أدركه الأستاذ نجاً، وإلا فسوف يموت اليوم عاجزاً، ولم يكن الولد على علم بذلك المرض، وبمجرد أن انطلق الأستاذ في الطريق، انطلق الولد وارتدى عباءة حتى يمكنه مراقبة المشهد، القصة عندما ذهب الأستاذ إلى الملك، وقف الولد فوق مكان عال. وكان يوجد في تنوء خارجي برأس الملك ورم بداخله حيوان، حلق الأستاذ شعر الملك كله، وشق الجلد ووجد بداخله سرطاناً متحرراً، وقد نشب مخالبه داخل غشاء آخر. فأحضر الحكيم آلة في الحال، حتى يفصله عن

الغشاء، ويبعده بالآلة الحديدية، وكلما أدخل الآلة الحديدية أكثر كان السرطان ينشب مخالفه أكثر داخل رأس الأمير، والأمير يصرخ من الجراح التي تسببها له مخالف السرطان ومن آلام جبهته، وكان التلميذ يرى كل ذلك من أعلى وعندما نفذ صبره، تكلم قائلاً: يا أستاذ العالم! إنك تعالج هذا القيد المحكم بالحديد، ولكن إن عالجت بالكي من الخلف؛ فسوف تخرج المخالب من رأسه، وما إن علم الأستاذ بحقيقة الأمر حتى أسلم روحه كمدًا.

وعندما مات الأستاذ، استدعوا الولد، وأجلسوه بإعزاز مكانه، ففضى على الحيوان بالكي، وصنع مرهمًا من الأخلاط اللازمة. وعندما شفيَ الملك من الألم أطلق عليه اسم حكيم بالهندية (سرتابك)، ومنحه ذهبًا كثيرًا، وأنعم عليه بخلعة، ومنحه منزل الأستاذ وأدواته. قدم الصبي، وفتح الصندوق، وهناك رأى وصف وجه المعشوق، حيث كان يوجد كتاب في علم التنجيم، قرأه كله، فصار أستاذ الإقليم.

وفي النهاية تملكته الرغبة في تلك الفاتنة التي سلبت قراره آناء الليل وأطراف النهار، وفي النهاية رسم خطأ، وجلس في منتصفه، وصار الخط يتحلقه من كل صوب، قرأ العزيمة وبعد أربعين يومًا ظهرت معشوقته الفاتنة، صنم يخرس لسان الفصيح عن وصفها، ماذا أقول؟ فوصفها محال، عندما تفحصها كلها اتخذت مكانها داخل صدره، فتعجب من ذلك، وقال عندئذ: كيف وجدت سبيلًا إلى داخلي؟ أجابته القمر الحسناء لقد كنت معك منذ اليوم الأول، أنا نفسك وأنت تبحث عن نفسك فلماذا لا تنير عقلك؟ إن نظرت إلى العالم، تجده حافلًا بوجودك وتأنس بنفسك في الداخل والخارج، قال لها الحكيم: إن للنفس شرورًا فتلك الشؤم حية وكلب وخنزير، وأنت جمال الأرض والسماء، لا تشبهين بهذا الحسن نفس أي شخص، قالت له البجنية: إن كنت أمارة أكن أسوأ من الخنزير والكلب مائة مرة، ولكن عندما أصير مطمئنة<sup>(٨٩)</sup> فليس لأحد أن يظن بي تلك الظنون، فإن صرت مطمئنة، عندئذ يأتيني خطاب «ارجعي» من الحضرة، والآن أنا نفسك أيها الفريد



إذا أغواني الشيطان، يطلق عليّ أهل الإيمان أمانة<sup>(٩٠)</sup> وربما يسلم شيطاني<sup>(٩١)</sup>، فإن أسلم شيطاني تنصلح كل الأمور هنا، مثل سالك الطريق الذي تحمل كثيرًا من الآلام حتى تغلبت روحه على نفسه، الشخص الذي يريد معرفة سر الروح من الحبيب ما أكثر الآلام التي يراها في هذا السبيل.

والآن يا ولدي الشيء الذي بحثت عنه كله داخلك وأنت متردد في الأمر، إن كنت مجددًا ورجلاً في طريق الحق، فأنت الكل، ومقيم في نفس المنزل، لقد ابتعدت عن نفسك فجأة، وأنت تبحث عنها في هذا السبيل، أنت معشوق نفسك، فعد إلى نفسك، ولا تخرج إلى الصحراء، وعد إلى الوطن، فحب الوطن إيمان طاهر ومعشوقك قابع داخل الروح الطاهرة.

### ٣ - قصة ملك في ثوب متغير (١٥٧٨: ١٥٨٥)

هاجم جيش إحدى البلاد ففر الملك سرًا من المدينة، وتوجه إلى مدينة أخرى وبذل ثيابه؛ فلم يتعرف عليه الخاصة ولا العامة، وصادفه أحد معارفه، فقال له: لماذا تبدو كشحاذ؟ فلتقل لهم: إني ملك لماذا تجلس ذليلاً حائرًا، قال له الملك: لي مريدون كثيرون فإن بحث لهم بسري يمزقونني إربًا إربًا، من لا تتوافر له عين سلطان لا يتيسر ذهابه إلى السلطان، إذا ما بحثت عن قرب الملك دون بصيرة، تنقلب حينئذ داخل دماء روحك.

الأشخاص الذين تحيا قلوبهم بذكر الله، يبصرون بعين الآخرة، إن تحققت لك مثل هذه العين أيضًا، ترى كل شيء بعين الآخرة، فعينك الظاهرة من رسوم الغوغاء لأنها لا تتقيد قيد أنملة بالرسام، لكن الرسام قد دأب على إخفاء رسمه دومًا؛ لأن جمال وجهه لا حدود له، فضياؤه حجاب لجماله، ولو أن جمال الشمس جلّي إلا أن نور وجهها بعيد، إن استلت الدنيا سيفها، يتجه أصحاب البصيرة إلى السلطان، أي شأن لك بالسيف وجلة الجند لا تنظر إلا إلى الملك، كل شيء تراه أمامك

وخلفك يجب الابتعاد عنه، وعن نفسك، عندما يسقط الرسم من أمامك يمنحك الرسام المطلق قربه.

#### ٥ - قصة بائع الحطب والسلطان محمود<sup>(٩٢)</sup> (١٦٩٢: ١٧٣١)

عندما كان محمود في طريق عودته من الصيد، وبصحبه خمسون فارساً، أقاموا خيمة في الطريق، وبينما هم يضعون الصيد فوق النار للشواء، رأى الملك شيخاً ضعيفاً في الطريق، يحمل حملاً ثقيلاً من الحطب، فذهب إليه محمود على سبيل الشفقة، وقال له: ما ثمن هذا الحطب؟ تحدث الشيخ قائلاً: أيها الأمير! أبيع بوزن شعيرتين من الذهب، خذه بشعيرتين، وكان مع محمود كيس به مائة دينار من الذهب، كل قطعة فيه أثقل من شعيرتين، فتح محمود الكيس، وجلس أمام الشيخ، ووضع له ديناراً في يده قائلاً: أيها الشيخ هذه القطعة تساوي وزن شعيرتين، إن أردت خذها وامض، فقال الشيخ: إنها أثقل من وزن شعيرتين، ولا يوجد ميزان فكيف يمكن وزنها؟ فوضع له محمود قطعة أخرى في يده، وقال له: انظر! إنها تساوي شعيرتين، أجابه الشيخ: إنها أكثر من شعيرتين، ويمكن معرفة ذلك بحكم العادة، فأعطاه قطعة أخرى، وقال: كيف تكون هذه؟ قال: هذه أيضاً أثقل، وظل على هذا المنوال يعطيه قطعة قطعة، والشيخ لا يزال يعتقد أن كل قطعة أثقل من الشعيرتين.

الحاصل، عندما أعطاه ما بداخل الكيس كله، تضايق الملك من هذا الأمر، فألقى بالكيس إلى الشيخ قائلاً: ضع الذهب داخل الكيس، فهذا أفضل، واحمله إلى المدينة حيث يوجد ميزان، وخذ ما يوازي الشعيرتين، ثم أحضر الباقي في الحال إلى حاجب السلطان، ولم يكذ الشيخ يأخذ الذهب من الملك حتى انطلق الملك بالفرس من أمامه، وفي اليوم التالي اعتلى الملك العرش، وجاء الشيخ التعس إلى البلاط، وما إن شاهد الشيخ الملك، حتى انقبض قلبه، وارتعد جسده من الخوف، وأيقن أن الملك الذي أمامه، هو الشخص الذي قابله بالأمس، وعندما رآه الملك قال: أجلسوه فوق

كرسي أمام الملك، فجلس، وقال له الملك: أيها الشيخ، قص عليّ ما فعلت، قال أيها الملك المفدى، لقد نمت ليلة أمس جائعاً حتى طلوع النهار، قال الملك لماذا؟ قال الشيخ: لأنك لم تتم بيعك لي آنذاك، إنك اعتقدت أنني سيد، وتركتني جائعاً ليلة أمس، قال له الملك: اذهب واحتفظ بهذا الذهب فكله لك.

فتكلم الشيخ قائلاً: أيها الملك، إنك منحتني الذهب بيسر، فلماذا لم تمنحه لي بالأمس؟ وكنت تستطيع ذلك، عندما كنت تضعه في يدي قطعة قطعة، قال له الملك: لأنك ناديتني أميراً، ولم تعلم أنني السلطان أيها الشيخ، فود قلبي، أن تعرف أنني ملك العالم<sup>(٩٣)</sup>، ولأنك علمت أمر ملكي، فأني طلب لك، ينفذ فوراً.

يا عزيزي أنك الشيخ حامل الحطب في هذه الطريق، ونور الحق هو حضرة الملك، وأنت تستمد النفس في الحياة من الحق، تستمد منه كقطع الذهب واحداً واحداً، وغداً تفوز بالعمر الخالد، وتحصل على الكيس أمام الحضرة، واعلم كذلك إن كنت جديراً بالمعرفة، أن آلاف القرون من هذا العمر الغالي لا تساوي لحظة هناك ولا يجوز ترك هذه اللحظة، فآلاف القرون لا توازي شعرة واحدة منها، لو تعاني هنا وتفنى عن وجودك، تفوز بالذوق والعمر الخالد، وإن تنقيد بوجودك، تفز بالوجود فحسب، وتمت وأنت حي.

## المقالة الخامسة (١٩٨٠: ١٧٣٢)

### الابن الثاني

تقدم الولد الثاني، وقال لأبيه: إنني سوف أنقب عن الدر بتعلم السحر، إن السحر هو ما يرغب قلبي من الدنيا فلو تحقق لي ذلك، أتجول في كل بقعة وأعيش في كل مكان بسعادة، مسالماً حيناً، ومحارباً حيناً آخر، أطوف في جولاتي بالشرق والغرب،

أحول جسدي حينًا إلى طائر، وأظهر حينًا عظيمًا كالعظماء، وفي بعض الأوقات أجعل جسدي فيلاً، وفي أوقات أخرى أظهر بهيئتي الحقيقية، وأتخذ الأطوار مأوى لي كالفهود لبعض الوقت، وأعيش في اليم الهادر كالتماسيح في وقت آخر، وأرى كل صاحب جمال، وأحقق وصاله، ويتيسر لي كل ما أريد، وتمتد سيطرتي من الأرض حتى السماء، تأمل هذا المقام أيها الطبيب، وقل من يتمنى أفضل من هذا؟

### إجابة الأب (١٧٤٥: ١٧٥٠)

قال له الأب: لقد غلبك الشيطان فرغب قلبك في السحر، ولو لم يحدث لك هذا بسبب الشيطان لما ظهرت هذه الرغبة في قلبك، إن ابتعدت عن الشيطان نجوت وإلا فإنك هالك وللشيطان عابد، أليس لديك أي علم عن الله قط؟ لتطلب أمر الشيطان ولا شيئاً سواه، إنك لا تعطي كسرة خبز لدرويش من أجل الله، بل تستعيده منه بحفاء لنفاقك، فأنت سخي عند الرياء والتملق، بينما تكون من أهل الجحيم إن كان الأمر من أجل الله.

### ١ - قصة شبلي<sup>(٩٤)</sup> والخباز (١٧٥١: ١٧٨١)

كان أحد الخبازين قد سمع عن شبلي أحاديث جمة، ووصل إلى مسامعه صيته الذائع، ولم يكن قد شاهد وجهه المحبوب، لكنه كثيراً ما استبد به الشوق إلى رؤيته. وحدث أن دخل شبلي ذات يوم وقت القيلولة ووجهه مكفهراً؛ بسبب الطريق البعيد الذي قطعه، وتوجه إلى الخباز؛ ليخبره أنه أخذ رغيفاً من الخبز من دكانه. فسحب الخباز الخبز من يده قائلاً: لن أعطي لك أيها الفقير خبزاً، ولم يعطه الخبز فتركه شبلي ومضى، فنبه شخص الخباز قائلاً: إنه شبلي، فإن كنت من مريديه، فلماذا تستعيد الخبز منه؟

قطع الخباز الطريق جرياً حتى الصحراء، وهو يعض يد الندم، وألقى بنفسه على

قدمي شبلي بذل شديد، وظل يأتي بحجج مختلفة وهو يعض يد الندم، وألقى بنفسه على قدمي شبلي بذل شديد وظل يأتي بحجج مختلفة كل ساعة، واعتذر له كثيرًا، وأظهر إعزازه له متسائلًا: كيف له أن يتدارك ما وقع منه. وعندما رآه شبلي عاجزًا، قال له عندئذ: إن أردت تلافي ما حدث، اذهب، وأعد دعوة لنا غدًا، ورتب الضيافة لجمع من الناس.

الحاصل ذهب الخباز في الحال وأعد قصرًا بهيئًا، ورتب ضيافة على مستوى عال أنفق عليها مائة دينار من الذهب، ووفر فيها كل الأصناف الغالية التي لا تيسر لأحد سواه، ثم دعا أناسًا كثيرين من جميع الفئات قائلًا: إن شبلي سوف يأتي إلينا.

وفي النهاية عندما تحلق الجميع الخوان، قرأ شبلي الدعاء، وبدأ الجميع في تناول الطعام، وكان بينهم رفيق صاحب وجد، وجّه سؤالًا إلى شبلي قائلًا: إنني لا أعلم الطيب من الخبيث، فقل لي: من هم أهل السعير، ومن هم أهل الجنة؟ أجاب شبلي ذلك الرفيق إن أردت أن تشاهد أهل الجحيم، انظر إلى صاحب ضيافتنا الذي دعانا من أجل الشهرة، لم يهب رغيًا من أجل الله، لكنه أنفق علينا مائة دينار، وارتكب ذنوبًا كبيرة إلى يوم القيامة من أجل رغي خبز لم يعطه لشبلي، ولو كان منحه الخبز دون جفاء، لما كان من أهل النار، بل كان من أهل الجنة، والآن إن أردت أن تعرف أهل النار، فانظر إليه، واعتبر كل طعامه وشرابه زيفًا، وأنت إن أردت أن تكون من أهل السعير، فافعل كما فعل شبلي؛ حتى تصير رجلًا كريمًا على شاكلته، ومتى ستعبد الله بإخلاص؟ إن عابد الكلب صاحب رياء خاص، فإن أمكنك الحضور من أجل كلب، ولم يمكنك من أجل الحق، فأنت كافر.

## ٢ - قصة المصلي والكلب (١٧٨٢: ١٨٠٢)

دخل رجل طيب إلى مسجد ذات ليلة وكان ذا حظ يسير من الدين، وعزم الرجل العابد في تلك الليلة على ألا يكون له عمل إلا الصلاة حتى الصباح.

وعندما ساد الظلام، ارتفع صوت، وكأن شخصاً قد دخل إلى المسجد، وهكذا اعتقد المصلي أن من دخل شخص كامل في العبادة، فقال في نفسه: في مثل هذا المكان يأتي مثل هذا الشخص من أجل طاعة الحق فحسب، إن هذا الرجل يلحظني دون شك، ويستمع إلى صلاتي وطاعتي، فيجب أن أحتاط في صلاتي، حتى يوقن هذا الرجل بصلاحي، وظل طوال الليل حتى الصباح في طاعة الله، ولم يتوقف عن العبادة أي ساعة، كان يدعو الله، ويتضرع إليه كثيراً، يستغفر حيناً ويتوب حيناً آخر، أدى الآداب والسنن، والحقيقة أنه أظهر نفسه بصورة طيبة، وعندما أشرق الصباح الصادق وتسملت أشعة نوره إلى داخل المسجد. اختلس الرجل نظرة إلى هناك، فوجد كلباً نائماً داخل المسجد، فماجت دماء روحه خجلاً، وانهمر الدمع فوق أهدابه كال مطر، واحترق قلبه فوق نار الخجل، وأحرقت آهاته حلقة ولسانه، وتحدث قائلاً: أيها الرجل البعيد عن الأدب! لقد أديت حق الأدب الليلة لهذا الكلب، وكنت منشغلاً بالعبادة طوال الليل من أجل كلب، أهكذا سهرت ليلة من أجل الحق؟ لم أرك في ليلة أبداً تؤدي فروض الطاعة بإخلاص من أجل الله فحسب.

كثير من الكلاب أفضل منك أيها المرائي فانظر أين الكلب؟ وأين أنت؟ غرقت في الرياء دون خجل، ألا تخجل في النهاية من الله؟ عندما تسقط الحجب في النهاية ماذا تقول لإلهك عندئذ، الآن وقد رأيت مكانتي، فقدت الأمل كلية من نفسي، لن يكون لي شأن في الدنيا، وإن تحقق لي فهو جدير بالكلاب، لماذا تريد مصادقة الشيطان، والضلال صفة من صفات الكلب، اهرب من ظلم وكر الشيطان هذا، وفر من هذا السجن المليء بالجهل، ماذا تريد من الدجالين؟ وعما تبحث عند المتشبهين بالمهدي؟ لك من الأصدقاء من يشبه الأعداء، فالشوك في طريقك من بستانك، كثير من الدجالين لهم وجه المهدي، وهم سكارى بهذا الوهم، إلى متى تثق بالدجالين السحرة ألم يحن الوقت لتتعض في النهاية؟

إن من يسر سبع خطوات في إثر دجال يصبه التردّي حتى آخر الزمان. فقد رُوي

عن عالم بالأسرار أن ذلك الشخص لن يستطيع الابتعاد عن الدجال لحظة، يتبعه في كل الأحوال، ويظل في زمرة إلى الأبد، الشخص الذي يخطو سبع خطوات خارجة عن الدين، يقتفي أثر الدجال، فيخطو سبعين عامًا من المكر والتلبس -وياللعجب- على هدي إبليس، ولأن إبليس دجاله؛ لا أعلم كيف يكون أمره، ولأن دجالك شيطان ماكر؛ فقد ظهر لك بصورتين الأولى هي الدنيا والأخرى الظلم، والشخص المشدوه إلى هذا الدجال كيف يصدر عنه نفس طيب؟ ما أكثر أشباه المهدي الأطهار الذين أسرهم دجال الحياة! وما أكثر الدماء التي أراقها هذا الدجال ليس في يوم، بل في عشرة آلاف عام!

### ٣ - قصة مناظرة المسيح مع الدنيا (١٨٢١: ١٨٥٥)

تمنى المسيح التقي بعد أن رفعه الله أن يشاهد الدنيا، وذات يوم وبينما يسير والأنوار تحيط به من كل صوب، رأى عجوزًا من بعيد، دب المشيب في شعرها واحدودب ظهرها، وسقطت أسنانها كلها، غطى عينيها اللون الأزرق، وساد وجهها السواد، تفوح منها النجاسة من كل صوب، ترتدى ثوبًا من مائة لون، قلبها يملؤه الحقد، ورأسها تتنازع الشرور والفتن، وقد خضبت إحدى يديها بألوان متعددة، ويدها الأخرى ملوثة بالدماء، ويتدلى من كل شعرة من شعرها منقار صقر، وقد أسدلت نقابًا على وجهها.

عندما شاهدها عيسى قال: أيتها العجوز قولي من أنت؟ إنك قبيحة ومحتالة، فقالت له: أصدقك القول أنا الأمانة التي طلبتها، قال لها المسيح: إنك دنيا وضيعة، قالت: أنا! كيف أكون على هذا النحو، قال لها المسيح: لأنك داخل حجاب، فلماذا ارتديت الثوب الملعون؟ قالت: يحيطني حجاب حتى لا يراني أحد سافرة أبدًا، فإن شاهدوا وجهي بهذا القبح، فكيف يجلسون بالقرب مني لحظة واحدة؟ لذلك صنعت هذا الثوب المزركش؛ لأضلل به عالمًا بأسره، فعندما يرون ثوبي متعدد

الألوان وزاهياً، يختار الجميع حبي مضطرين.

قال لها المسيح: إنك سجن وضع، لماذا لوثت إحدى يديك بالدماء؟ قالت: أيها الصدر الفريد! من كثرة الأزواج الذين قتلتهم على مر العصور، قال المسيح: ويحك أيتها العجوز الثملى! لماذا خضبت يدك الأخرى بالألوان؟ قالت: كي أخدع الأزواج يجب أن أزين كثيراً من أجل جمالي، قال المسيح: عندما تقتلين الخلق، ألا تأخذك الشفقة بهم للحظة واحدة؟ قالت: ماذا أعلم عن الرحمة؟ ما أعلمه إنني أريق الدماء بالجملة، قال لها المسيح: ألا تأخذك الشفقة بالكثيرين الذين تخدعهم؟ قالت: إنني سمعت بالشفقة، لكنني لا أشفق على أحد قط، إنني أهيئ حول العالم كل وقت، حيث يقع في شراكي الخلق، أكون عائقاً لكل شخص، وأصبح شيخاً لمريدي طريقي، فتعجب عيسى منها، وقال: إنني مشمئز من هذا التلون. انظر إلى هؤلاء الحمقى الجهلاء الذين يتمنون العجوز الشريفة، لم يتعظوا من هذه الفاسقة، ولا يعتمدون على التسليم، واأسفاه! إن الخلق لم يدركوا هذا المعنى، ففرطوا في دينهم، ولم يشاهدوا الدنيا، وما إن قال ذلك التقي المعصوم هذه الكلمات حتى أشاح بوجهه عن الدنيا الشؤم.

هذه الدنيا الغادرة مثل الجيفة، وأنت مثل الكلب صرت مشغولاً بها، ولأنك أسير الكلب والجيفة، فأنت أسوأ منهما مائة مرة، وما دام هذا الكلب لا يشبع مطلقاً من تلك الجيفة، فأنت لا تشبع من هذا الكلب أيضاً، إن قيدته، استرحت منه، وإلا ظلت تعاني منه ليل نهار.

#### ٤ - قصة راهب والشيخ أبي القاسم (١٨٥٦ - ١٨٨٩)

شيد أحد الرهبان ديراً جميلاً، وقفل بابه، وفتح طاقة داخله، وظل بداخل الدير مدة، مارس فيها الرياضات المختلفة، وحدث أن مر أبو القاسم الهمداني من ذلك الطريق، وفجأة أخذ يحوم حول الدير، وظل ينادي من كل صوب، ولم يظهر له أي راهب.



خلاصة القول من كثرة صياحه أطل الراهب من أعلى الدير، وقال له: أيها الرجل الفضولي! ما هذا الإزعاج لبائس مثلي، ماذا تريد مني؟ أصدقني القول، فقال الشيخ للراهب ما أريده هو: أن تطلعني إن أردت على ما تفعله داخل الدير.

تحدث الراهب وقال: أيها الشيخ أي أمر هذا؟ دعك من هذا الكلام، إنني كنت أرى كلبًا مسعورًا داخل نفسي، يجري حول المدينة دون هدف، فحبسته داخل هذا الدير وأغلقت الباب، وقضيت عليه. وهذا الأمر حدث للكثيرين في الحياة، وقد حدث لي الآن داخل هذا الدير، لقد تركت الزوجة والابن، وقيدت كلبتي داخل سجن. وأنت قيد كلبك أيضًا؛ حتى لا يتجول حول أصحاب الوجد بصفة دائمة، قيد كلبك عن الأطماع حتى لا تمسخ غدًا.

وهكذا قال الرسول لسائل: إن مسخ أمتي في القلوب، قلبك ضحية للنفس السيئة المذهب، ولك شواهد سابقة لضحايا هذا المذهب، لقد حبستك النفس أفراسياب فجأة في غيابة الحب مثل بيزن<sup>(٩٥)</sup>، ولكن جاءت أكوان الجنية لمحاربتك. ووضع أفراسياب الحجر على فوهة هذه البئر، حجر ليس لرجال الدنيا القدرة على تحريكه. فيلزمك إذن رستم في هذا السبيل؛ ليرفع عن البئر هذا الحجر الثقيل، ويخرجك من هذا البئر المظلم، ويحضرك إلى الخلوة الروحانية، ويوجهك من بلاد الترك المليئة بمكر الطبيعة إلى إيران الشريعة، ويفسح لروحك السبيل إلى كيخسرو، فيضع كأس جمشيد بين يديك، وترى في الكأس كل شيء ذرة ذرة عيانًا، خالدًا، ماثلاً أمامك مثل الشمس، رسمتك في هذا السبيل هو الشيخ فرخش<sup>(٩٦)</sup> دولته حامل للأثقال.

للكلب المجنون عندما ينبع أثر واضح بين الناس، فاجلس مع رجل الطريق الصادق فله تأثير قوي، وكل من يراه شيخ، يتحول كل تقصيره إلى كمال وتوقير، لكنك لست شيخًا ولا مريدًا، فأنت لحظة أبو يزيد وأحيانًا أخرى يزيد، إلى متى تكون برجًا ذا جسدين تتأرجح بين الكفر والإيمان، لست رجل خرقة ولا صاحب زنار، لست هذا ولا ذاك، لكن الاثنان معًا، ابتعدت عن الإسلام بحمقك، ولم تصل

إلى المسيحية الحقيقية.

#### ٥ - قصة إسلام رجل (١٨٩٠ - ١٨٩٥)

أسلم رجل، وفاز بإسلامه. وفي اليوم التالي احتسى ذلك الجاهل الخمر، وعندما رآته أمه ثملًا، قالت له والألم يعتصرها: يا بني ماذا فعلت إذن؟ لقد أغضبت عيسى منك سريعًا ولم تسعد محمدًا، إن سلوك الطريق لشبيه المخنث غير مستحسن؛ لأن الأحمق لا يتحلى بصفات الرجال، تشدد في الدين الذي تعتقه فالتهاون في الدين عبادة أصنام.

#### ٦ - قصة عمر والتوراة (١٨٩٦ : ١٩٠٢)

أمسك عمر بجزء من التوراة، وعندما وقع بصر الرسول عليه قال له: لا يمكن العبث بالتوراة إلا إذا تحولت كلية إلى اليهودية، واليهودي الصرف يجب أن يظل على دينه أفضل من أن يصبح مؤمنًا ضعيفًا، فلا تلوث الدين في اليهودية، وإن تمسكت بدينك تكن رجلًا، وأنت لست هذا ولا ذاك، وهذا حرام فالتقص في الدين معيب، إنك لست قويًا لا في الكفر ولا في الإيمان فقل إذن في أي مقام أنت؟

#### ٧ - قصة مجوسي شيد جسرًا (١٩٠٣ : ١٩٤١)

شيد شيخ مجوسي معروف يعتنق المجوسية أبا عن جد جسرًا من أمواله الخاصة أفاد به المسافرين.

وحدث أن مر سلطان الدين محمود المظفر ذات يوم بالقرب من ذلك الجسر، فشاهد الجسر فوق نهر مواجه للطريق مشيدًا بطريقة محكمة وجيدة، فسأل محمود أحد الأشخاص قائلاً: من شيد هذا الجسر؟ وفعل هذا الخير العميم، قالوا له: شيخ مجوسي معروف. وبسبب التعصب مكث الملك هناك، واستدعى المجوسي، وقال

له: إنك شيخ، و لكن أعتقد أنك عدو للمؤمنين، فتعال، وخذ الذهب الذي أنفقته على تشييد جسرک، خذ ثمنه كله مني، ولأنك مجوسي وروحك لا تعرف الرحمة، فكيف يكون هذا الجسر الذي يعلو النهر لك؟ إن لم تأخذ هذا الذهب، فامض فكيف تظهر معي فوق الجسر!.

تحدث المجوسي بثبات قائلاً: لو يمزقني الملك إرباً إرباً، فلن أبيع الجسر، ولن آخذ ذهباً في مقابله، لقد شيدته من أجل الدين، فسجنه الملك، وأمر بتعذيبه، ومنع عنه الخبز والماء، وعندما تجاوز العذاب حده دُمي قلب المجوسي، فاستسلم، وأرسل رسالة إلى الملك قال فيها: انهض وامتط شبديز<sup>(٩٧)</sup> في الحال، وأحضر معك أستاذاً فاضلاً ليثمن هذا الجسر.

سر ملك الزمان لهذا، وتوجه إلى الجسر مع خلق كثيرين، وعندما وصل الملك إلى هناك، ومعه كثيرون. وقف المجوسي الفطن فوق الجسر، وتحدث عندئذ وقال: أيها الملك اطلب مني الآن ثمن هذا الجسر، فسوف أنهي حياتي من فوقه، وبذلك أكون قد أجبتك، انظر ها هو الثمن أيها الملك العظيم! قال هذا، وقفز في الماء فوراً. وما إن ألقى بنفسه في الماء حتى سحبه الماء وسلبه روحه وجسده، خسر جسده وروحه، ولم يفرط في دينه، ولم يضح بدينه في سبيل دنياه، ألقى عابد النار بنفسه في الماء حتى لا يتطرق الفساد إلى دينه.

أما أنت فعلى هذا النحو في الإسلام سحبك الماء إلى الأبد، لأن المجوسي صاحب وجد أكثر منك، فتعلم الإسلام إذن من مجوسي، ومن تتوافر له الجرأة في الآفاق كلها، ويحمل إلى الحق نقداً زائفاً؟ إن يوم القيامة يلزمه نقد صحيح لا زيف فيه يليق بمعيار الناقد، في تلك الساعة التي تنفصل فيها روحك عن جسدك، كيف يقابل قلبك المليء بالأصنام الحق؟ تخل عن كل هذه الأصنام الكائنة معك، فلا يمكن مقابلة الحبيب بمعبد أصنام، إذا ما شلت قدم شخص، كيف يتأتى له الصعود إلى المنبر؟ وكما لا يمكن الصعود إلى المنبر بقدم مشلولة، لا يصل القلب النائم إلى الله.

إن استيقظ شخص للحظة تدوم هذه اللحظة، على قصرها، وأنت استرحت طوال عمرك في الغفلة، ولم تر وجه الاستيقاظ لحظة واحدة، من يعاني من مثل هذا النوم الثقيل، عندما يستيقظ يموت، إنك أيها الرجل غافل عن أمر نفسك، فمن سيتولى أمرك إذن؟ احمل حملك دون عناء، وافعل بنفسك أمراً يمكن إتيانه، لأن أحداً لن يهتم بأمرك ولن يحمل حملك بدلاً منك لحظة واحدة.

#### ٨ - قصة سؤال درويش لجعفر الصادق<sup>(٩٨)</sup> (١٩٤٢: ١٩٥٩)

حدث أن سأل درويش جعفر الصادق سؤالاً بإخلاص، لِمَا زهدك هذا ليل نهار؟ فأجابه الشمع المبهج، كما إن عملي لا يؤديه شخص آخر، كذلك لا يقسم رزقي لأحد سواي، ولأن عملي لي، فيجب أن أبعد الطمع عن عاتقي، ولأن رزقي مقسوم لي منذ الأزل، فلم يعد لديّ حرص ولا طمع، ولأن الموت مكتوب عليّ، فقد خطوت تجاهه، ولأنني لم أشعر بوفاء عند الناس، اخترت الوفاء للحق بروحي وقلبي، وانصب كل تفكيري على هذا الزهد، وعندما أمنت فيه تركته أيضاً.

وأنت لا أعلم كيف تعيش داخل نطاق نفسك؟ ومتى تعود إلى ذاتك من هذا التشتت؟ رغباتي ورغباتك وهمية إذا ما أردت أن تصبح حقيقية، اتجه جهة واحدة مثل الكعبة وإن كنت منا، فلما تحيا كفصي النرد، إنك لم تخلق عبثاً، ولم تخلق مجازاً، حذار أن تضع عمرك وتفقدته في الشراب أكثر من هذا، ألا تعلم أنه في كل ليلة يسرع الصباح، ويشق لك في النوم جيب العمر، أخشى أنه عندما تستيقظ لا تجد أي نفع لك، وتصبح ذليلاً، كل عملك يبدو لهوًا، وتبدو وصلاتك باطلة، الصلاة التي أديتها بغفلة لن تجد كسرة خبز ثمنًا لها.

#### ٩ - قصة مجذوب وقيمة الصلاة (١٩٦٠: ١٩٦٧)

قالوا للمجذوب من أهل الملامة: في يوم القيامة، سوف ينادي شخص على صلاته

طوال عشر سنوات في كل مكان، فلا يشتريها أحد منه بكسرة خبز، مهما أطل في حديثه عنها للخلق، ويجيبه المجذوب لأنها لا تساوي، صلاته كلها لا تساوي الخبز، وإلا لا اشتراها خلق الوادي، ولما احتاج للتدليل عليها، لو ينسج خيالك مائة أمر لا يخطر على بالك إلا في صلاتك، وعندما تكون صلاتك مجازاً على هذا النحو، فهي في الحقيقة ليست صلاة.

#### ١٠ - قصة مجذوب وصلاة الجمعة (١٩٦٨: ١٩٨٠)

كان مجذوب من أهل السر لا يفعل أي شيء سوى الصلاة، فآلح عليه شخص كثيراً حتى جاء إلي صلاة الجماعة يوم الجمعة.

الحاصل ما إن رفع الإمام صوته، حتى بدأ المجذوب يصدر أصواتاً، بعد الصلاة سأله هذا الشخص، ألم تخف روحك في الصلاة من الحق؟، أنك أصدرت صوت بقرة على مسمع من الجمع، يجب قطع رأسك مثل رأس الشمع، قال المجذوب: هو إمامي الذي اقتدي به، واقتدائي به جائز، إنه كان يشتري بقرة في (الحمد)، فسمع مني صوت بقرة أيضاً، لقد اهتمت به في كل شيء، كل ما يفعله أفعله أيضاً.

فتقدم الرجل من الخطيب بسرعة، وسأله عن هذا الأمر بالتفصيل، فقال له الخطيب: عندما أتممت التكبير، تذكرت قرية ملكي في مكان قصي، وعندما بدأت في قراءة الحمد، جال في خاطري بقرة القرية ثانية، وأنه ليس لدي بقرة، ويجب أن أشتري واحدة، وعندئذ سمعت من الخلف صوت بقرة.

## المقالة السادسة (١٩٨١ : ٢٢٢١)

قال له الولد: حيثما وجد الناس، تزرخ قلوبهم بالأهواء، لا يتخلون عنها، ولا يخطون دون رياء، ولأن هذا متأصل في نفوسهم حتى اليوم، ولأنني لا أرى قلباً قد انتصر على نفسه، فلأحقق أنا أيضاً بالسحر قليلاً من رغباتي، ثم أتوب عنها في النهاية، ولن يلحقني ضرر كبير يا أبي.

### إجابة الأب (١٩٨٧ : ١٩٩٧)

قال له الأب: أيها المغرور، البعيد عن أسرار الحقيقة، لا تضع الحياة اليوم، فأنت تعلم أنك لن تبقى غداً، إنك تذهب إلى بابل أيها الشيخ، لتتعلم السحر من هاروت وماروت، مضت آلاف الأعوام، وهذان الملكان مقلوبان في البئر عطشى، والمسافة بينهما وبين ماء البئر، شبر واحد يا له من طريق عجيب، ولأنهما لا يستطيعان أن يسقيا نفسيهما، فأى باب يمكنهما فتحه لك، عندما يكون الأستاذان مضطربين هكذا، فماذا سيفعل تلميذهما؟.

أراك اليوم وقد صرت شيطان يقول: سوف أصبح ملاكاً غداً، ربما يسرع بك الموت إلى بابل، فهو يجري بك، وأنت ضال وغافل، ولو لم يكن موتك في بابل، لما ظهرت هذه الرغبة في قلبك.

### ١ - قصة عزرائيل وسليمان (١٩٩٨ : ٢٠٢٣)

سمعت أن عزرائيل قابض الأرواح، ذهب ذات يوم إلى إيوان سليمان، وظل يسلط نظره على شاب، كان يجلس أمامه، وما إن شاهده الشاب أمامه حتى تداعى، واستبد به الرعب، وقال لسليمان: أسرع ومر، حتى تتحرك الرياح الآن سريعاً، وتحملني من

هنا إلى مكان قصي، فقد أفرغني الخوف من الموت.

فأمر سليمان فحملته الرياح في الحال، من فارس إلى بلاد الهند، وعندما انقضى يوم على هذا الأمر، عاد عزرائيل إلى عرش سليمان، فقال له سليمان: أيها المجرد من سيف باتر، لماذا سلطت بصرك على الشاب؟ فأجابه عزرائيل عندئذ، لقد صدر الأمر لي من الحضرة: أن أقبض روحه في بلاد الهند، بعد ثلاثة أيام على حين غرة، وعندما رأيته هنا بقيت حائرًا، كيف سيذهب من هنا إلى هناك في ثلاثة أيام، وعندما حملته الرياح إلى بلاد الهند، ذهبت إلى هناك وقبضت روحه.

حسبك هذه القصة على الدوام لتعرف أن تجنب القدر محال، ماذا يتأتى من تدبير البشر، إن مآله كله إلى الفشل، انظر إلى كل شيء من منظور التقدير الأزلي، ولا تكن أحول النظر، إن عمله لا يشبه عملك، فهو إن يقطف وردة، يصبك أنت الشوك، كل من يشعر بالاثنيانية مشرك، وبلاؤنا هو أنا وأنت، عندما ترتفع الاثنيانية، تتحد الإرادة.

إن أرقق الدماء الغزيرة من كل هدب، ستجد عينيك قد أغمضت إن هممت بفتحها، لأن يدك قد قيدت أيها التعس، فماذا يتأتى منها في نهاية الأمر، لأصحاب العقول معاناة في الدين، أما أنت فسوف تجد نفسك محاطًا بالسحر، الدنيا قاطبة عين للألم والمعاناة، لذلك لم يفز في ميدانها المغرورون، لم تشعر بالمعاناة في الدين لحظة واحدة، لأنه لا اهتمام لك إلا بالمحال، إن تحققت لك ذرة واحدة من المعاناة في الدين، تكف عن التعلق بالحياة، ولكن لأن كبك لم يجرب طعنة السيف، فلن تدرك الألم أبدًا، ولا الندم.

## ٢ - قصة شاب جرح بحجر المنجنيق (٢٠٢٤: ٢٠٤٥)

كان لشاب صديق قديم، أصابه جرح من حجر المنجنيق، وبينما كان يتلوى وسط التراب ملطخًا بالدماء، وهو في النزاع الأخير، ولم يبق من حياته سوى لحظات، سأله صديقه أثناء احتضاره: قل كيف تشعر؟ أجابه: إنك لمجنون، إن يصبك حجر من

منجنيق، تعرف حال صديقك، ولكن كيف تعرف وأنت لم تصب بحجر؟ قال هذا وفارق الحياة.

وأنت ماذا تعلم عن الآلام التي يعانيتها الرجال، فهي لا يعلمها إلا الرجال، إن خبرت دائي فاصنع لي دواء، وإلا فاذهب واجلس حيثما شئت، نصيبي مثلنا جميعاً تحت الضباب، فوا أسفاه، واأسفاه! لي هناك مئات الأنواع من الآلام، كل ألم عظيم كمائة جبل، إن أقص قصة ألمي، لليم وأمام الجبل، يصير البحر مثل الحجر من الألم، ويصبح كل الجبل دمعاً مثل البحر.

وقد نقل وتواتر في الأخبار، أنه مع بزوغ الشمس كل يوم، تظهر سبعون سحابة من الغيب، بين أرجاء العالم وفي السبع سيارات، وكل قلب يمتلئ بالوجل من الحق، تمطر عليه تسع وستون من هذه السحب الآلام والمحن، ولكن كل قلب يمتلئ بالصبر من الحق، تنزل عليه كل السعادة من سحابة واحدة.

الأرض والسماء بحر للآلام، لا يغرق فيه الرجال، لأنني أأخذ منزلاً على ساحل البحر، فخوفي من الموج خالد، لقد غصت إلى بحر أيها الصديق، غرقت فيه مئات الآلاف من الأرواح، ولأن أرواحاً كثيرة تغوص في كل لحظة، فكيف يمكن مشاهدة نصف روح منها، ليس من المستغرب أن أخفي مرة واحدة، العجيب هو أن أطفو.

### ٣ - قصة مجذوب مصري (٢٠٤٦: ٢٠٥٤)

كان في مصر مجذوب، له قول في عين اليقين، قال: كل مجذوب في الطريق، يموت فجأة من حب المعشوق فلا عجب، الغريب هو أن ذلك الوجد، يترك العاشق حياً يوماً واحداً، فإن بقي العاشق حياً يوماً واحداً، يكون مثل الشمع بين الدمع والاحتراق، لن يكتسب أمر العاشق رونقاً، إلا عندما يحترق بنار الهجر مثل الشمع، لأن حرقه العاشق أكثر من مائة شمعة، فضيأوه مثل الشمعة من حرته.

وأنت لم تكن أبداً من سالكي هذه الطريق، ولم تعلم سر العشاق، ماذا تعلم عن



أحوال العاشق؟ فمكان سجوده فوق المشنقة، يجب أن يغتسل بدمائه، حتى تشاهد مكان سجوده.

#### ٥ - قصة منصور الحلاج<sup>(١٠٠)</sup> فوق المشنقة (٢١٢٤: ٢١٣٦)

عندما قطعوا يدي الحلاج فجأة فوق المشنقة بقسوة، مسح الحلاج على وجهه وساعده بقدمه من الدماء التي أريقَت من يديه، فقالوا له: أيها البائس! لماذا لوثت بدنك بدمائك؟ فقال: من عرف سرَّ العشق، يجب أن يتوضأ لصلاته بالدماء.

وأنت إن لم تتوضأ بالدم فصلاتك باطلة، اخط في جادة المعشوق مثل الرجال، ولا تخش وصمة أو عاراً من مخلوق، فكل قلب قائم بالقيوم لا يخاف لومة لائم، تعال برجولة، وتقيد بأمر الله، وابتعد عن الأغيار، وكن للحبيب، إنك تهيم حول العالم مثل الفلك، اخط خطوة أوسع من وجودك برجولة، إن سيطر عليك عشق مثل هذا العالم الوضيع، تتألم أعضائك من الخجل، ما أكثر الأسود أصحاب القوة الذين صاروا بقوة العشق مثل النمل، وأنت أقل من نملة في القوة والحيشة عندما تواجه العشق.

#### ٦ - قصة عشق المجنون (٢١٣٧: ٢١٤٩)

عندما كان المجنون يشاهد ديار ليلي، كان يتداعى ويجري، ويصير وجهه أصفر اللون كالزعفران، ويصبح شعره كالسنان، وتستولي الرعدة على أعضائه، فكأنه ثعلب أمام أسد غاضب، فقالوا له: عندما تكون بعيداً، لا يرى أحد قط من يماثلك شجاعة، فأنت لا تخاف أسد الغابة، ولا تخشى النمر أبداً، تتحول بين الجبال، وتجوب الصحراء، وبرجولتك لا تقيم وزناً لأي شيء في العالم، وعندما تظهر لك ديار ليلي تمتنع، وترتعد مثل شجرة السفيدار<sup>(١٠١)</sup>.

فقال المجنون الحزين آنذاك وهو الشخص الذي لا يخشى العالمين: انظر إلى

قوة ساعد الأسد، وكيف ألقى به العشق تحت قدميه كنملة، مهما توافر لكائن من قوة، فهي مجرد ريح أمام قوة يد العشق.

#### ٨ - قصة الأعمى والشيخ نوري<sup>(١٠٢)</sup> (٢١٨٥ : ٢١٩٨)

كان ضرير يسير في الطريق ويقول: الله، وما إن سمع نوري اسم الحق منه حتى جرى إليه متلهفًا، وقال له: ماذا تعلم عنه؟ وإن كنت تعلم فلما تبقى سجينًا؟ قال هذا وغاب عن الوعي، وكأن روحه الملتاعة قد فارقت جسده، وانطلق في وجده هذا إلى الصحراء، ووجد في طريقه مزرعة قصب، وبها قصب محصود، فأخذ يضرب بنفسه على القصب حتى مزق جسده إربًا إربًا من الجروح، وفي النهاية فاضت روحه ببؤس مع دمائه التي نزفت منه بغزارة، وعندما نظروا إليه وجدوه ميتًا ومكانه كله مغطى بالدماء، ومكتوب بدماء صدر قتيل الطريق هذا فوق كل عود قصب «الله».

هكذا يجب سماع الناي والقتل بالقصب والراحة في الدماء، عندما تستمع إلى اسم الحبيب كن بحرًا ناريًا بكل ذرة فيك، فإن لم تفن في العشق، فذلك العشق ليس إلا مجازًا. وإن كنت في العشق من أهل السر، تفدي الحبيب بحياتك بصدق.

#### ٩ - الشيخ أبي القاسم الهمداني (٢١٩٩ : ٢٢٢٠)

حدث أن غادر أبو القاسم الهمداني همدان فجأة، وفي طريقه مر على معبد للأصنام، كان الخلق قد تجمعوا حوله للمشاهدة، وشاهد فوق النار وعاء مملوءًا بالزيت كان يغلي مثل البحر الهادر، وبعد لحظة أقبل عابد، وتقدم أمام الصنم وأحنى رأسه، فسأله: يا من أحنيت رأسك، من أنت بالنسبة لله؟ فقال: عبد، فقالوا له: إذن ضع هديتك بسرعة، فوضع هديته وانطلق مثل الدخان، وجاء شخص آخر وفعل مثل الأول.

واستمر الأمر على هذا المنوال إلى أن بلغوا عشرة أشخاص، وفي النهاية تقدم

شخص آخر، رجل ضعيف وواهن وبائس، أعجب وعاجز وممتع اللون ونحيف، كأنه ميت مسجى، سأله: من تكون؟ إنك تشبه الموتى وأنت حي فقال: إنني مجرد جلد، أنا عاشق للإله نفسه، وما إن قال هذا الكلام حتى قالوا له: اجلس، فجلس مطمئنًا فوق كرسي ذهبي، واحضروا ذلك الزيت المغلي، وصبوه فوق مفرقه دفعة واحدة، فسقط الرجل المسكين فورًا، بتأثير إناء الزيت، وعندما انتهى ذلك البائس سريعًا، أحرقه تمامًا، والتراب الذي تبقى من رماده دواء لكل داء.

عندما شاهد الشيخ هذه الأحداث، هرب من الدير، وأخذ يستعيد هذه القصة في نفسه، كان يقول في سريره: أيها المشغول باللعب! إنك مثل العابد الذي جاء لحبيب مجازي، لو كانت روحك جديرة بالأسرار، لفنيت من أجل الحبيب، كن هكذا أنت أيضًا في حب الحق وإلا فلتكن جليسًا للمختئين، فهكذا كان الرجل في حب صنم وإن كنت عاشقًا لحق اليقين، افن روحك، أو اترك دينك، وعندما لا يمكنك فعل ذلك، افعل هذا.

## المقالة السابعة (٢٢٢٢ : ٢٤٨٩)

قال الولد لأبيه: إن العشق أمر رفيع، فمن ذا الذي يعلم كيفية بلوغ أوجه؟ يمكن الارتقاء إليه بقدر الجهد والوصول إلى غايته درجة درجة، وأوج العشق روح محترقة، أنى لشخص أن يدركها في يوم أبدًا؟، ويدي لا تصل إلى غصن العشق، فلماذا أظهار بوجودي هناك دائمًا، لا أستطيع نزع السحر عن خاطري، فحبيب تحقيق هذا الأمر لي، وأنا أطلع إلى ما يريده قلبي، وإن لم يتحقق لي مرادي، يُدمى قلبي.

### إجابة الأب

قال له الأب: الشيء الذي يجب أن تطلبه، هو ما يتفق مع حضرة العزة، لأنه إن لم

يكن ما تطلبه لائقاً، فلن يحقق لك سوى الضياع.

#### ١ - قصة عيسى والاسم الأعظم<sup>(١٠٣)</sup> (٢٢٣٢: ٢٢٥١)

طلب شخص من عيسى ذات يوم قائلاً: علمني الاسم الأعظم للحق، قال له المسيح: إنك لست جديرًا بهذا، فلماذا تريد أمرًا لا يتفق معك؟ أقسم له الرجل كثيرًا قائلاً: يجب أن تعلمني هذا الاسم، وفي النهاية عندما علمه الاسم الأعظم، أضاء قلبه مثل الشمع من السرور.

و ذات يوم وبينما كان الرجل يسير في الفلاة، وينطلق مثل ريح عاتية، شاهد في وسط الطريق حفرة مليئة بالعظام، ففكر ووجد أنه من المناسب، أن يستعمل الاسم الأعظم، وأن يذكره على سبيل التجربة، فطلب من ربه بحق ذلك الاسم، أن يحيي تلك العظام، وما إن تلفظ بذلك الاسم، حتى اتصلت العظام بعضها ببعض وحلت بها الروح وظهر أسد، تخرج ألسنة النار من عينيه، ونشب الأسد مخالبه في الرجل وقتله، وانتشرت أشلاء الرجل بين مخالب الأسد، فالتهمه بقسوة، وترك عظامه وسط الطريق، وسرعان ما امتلأت الحفرة التي كانت بها عظام الأسد، بعظام الرجل.

وعندما سمع المسيح ذلك ثار، وتحدث وقال لحوارييه: من يطلب من الحق شيئاً وهو غير جدير به، لا يحققه الحق له، لا يمكن طلب كل شيء طيب من الحق، فلا يمكن طلب شيء إلا على قدر الطالب، لو تكتمل لك اللياقة، يتحقق لك أكثر مما تريد، إن كان عملك هو الدعاء والنحيب، فعمله هو العطاء المحض، لماذا تتعلل وتدعي؟ فهو يغفر لمن يستحق.

#### ٢ - قصة النمرود<sup>(١٠٤)</sup> (٢٢٥٢: ٢٢٦٧)

بعد أن عاش النمرود ثمانمائة عام، ساءت أحواله، فلو أنه كان كالفيل في تكبره، إلا أن بعوضة قطعت عليه الطريق، فأيقن أن الله سلط عليه هذه البعوضة، لأنه لا

يؤمن به، فقال لإبراهيم: من الواضح الآن، أن كنوزي تتعدى الآلاف، وكلها زاخرة بالذهب الأحمر والجواهر، أمنحها لك لتدعو لي، حتى يمنحني الحق تعالى، من فضله ورحمته كملاً بنور الإيمان. عندئذ سجد الخليل، وتحدث قائلاً: أيها الملك المنزه، انزع القفل عن قلب هذا الجاهل، وحطم قيوده وافتح بابه، وامنح روحه الثملى إيماناً متجدداً، وحطم أصنامهم بفضلك.

فجاء الهاتف من الحضرة، أيها النبي لا تهتم بأمره ولا تتألم لحاله، فالإيمان بنا لا ثمن له، وجوهر الإيمان هو العطاء والبذل، إن أردنا وقدركنا، يتحول غير المسلم إلى مسلم، الواصلون الذين عرفوا استغناءه، ما غفلت أعينهم ليلاً ولا استراحت قلوبهم نهاراً، كانوا أمام مركز الأسرار مثل العميان، رؤوسهم جميعاً حائرة مثل الفرجار، لأنه ليس لأحد علم بنهايته، فلا يستشعر أحد منهم سوى الخوف والخطر.

### ٣ - قصة شخص غير مسلم مع أبي يزيد<sup>(١٠٥)</sup> (٢٢٦٨: ٢٢٨٢)

جاء شخص غير مسلم من السوق إلى أبي يزيد، وهو يعقد الزنار علي وسطه، ثم أسلم وترك الشك، ومزق الزنار، وعندما مزق المسلم الحديث العهد الزنار، بكى الشيخ بحرقة، فقال له شخص: أيها الشيخ، لماذا تبكي والمفروض أن تسعد؟ قال: لقد غلبني البكاء، فكيف يمكن بعد سبعين عاماً، أن يفك شخص عقد الزنار عن وسطه، ويحول ضره إلى نفع في لحظة واحدة، لو يعقد هذا الزنار على وسطي، فماذا أفعل؟ وكيف أسلك؟ لذلك أبكي، ولو أن هذا الزنار الذي مزقه الآن، عقد لشخص آخر، فما هي الوسيلة؟

لو أن تمزيق الزنار ليس خطأ، فلماذا لا يجوز عقده؟ كيفية الخروج من هذا الأمر تقتضي الشجاعة الفائقة، وبذل الدماء، وفقد الوجود، لو كان للروح هنا أي قدر، لما كان موت الإنسان مجرد قتل لحيوان، إن ترتفع هامتك إلى الفلك، أو تجعل وطنك داخل البئر، أو تحطم رأسك، أو تعاند، فلن تختلف نهايتك عن هذا، ولا بدايتك،

ولو حقر شأنك أو طالت هامتك، يتساوى الأمر في الاستغناء.

#### ٤ - قصة مجذوب أمام الكعبة (٢٢٨٣: ٢٢٩٣)

ظل مجذوب طول الليل حتى الصباح، يبكي ويلتاع أمام الكعبة، كان يقول بسعادة: إن لم تفتح الباب لي، فسوف اضرب رأسي على الباب بدلاً من الحلقة، حتى تكسر رأسي في النهاية، ويتخلص قلبي من هذا الاحتراق الدائم، فجاء صوت هاتف حينئذ، كانت هذه الكعبة ممثلة بالأصنام، فتحطمت كلها داخل الكعبة، فلتحطم أنت صنماً خارجها، إن حطمت رأسك من الخارج، تكون قد حطمت صنماً.

مثل هذا السر يعظم في هذه الطريق، والبحر لا يتسع لقطرة واحدة منه. عندما سمع العظيم صوت الهاتف، ووقف على الأسرار الخفية، سقط على الأرض، وسالت الدماء من عينيه، ما أكثر الأرواح التي يمكن أن تدمى من مثل هذا الحزن! إننا لا يمكننا تغيير قدره قط، لذلك وجب عليك النواح طويلاً بذل.

#### ٥ - قصة أيوب (٢٢٩٤: ٢٣٠١)

هكذا روى أن النبي أيوب، قضى عمره في بلاء شديد، تحمل الآلام من ذئاب الدنيا، وابتلي بالمرض طويلاً، فجاءه جبريل قائلاً، أيها الطاهر لماذا تصمد؟ نح بروحك الحزينة، فعلى الرغم من أنك تهلك في كل لحظة، إلا إن الحق مستغن عن ذلك، ولو قضيت عمرك صابراً، فلن تأخذ أكثر من نصيبك، القدر فرجار دائر، لا يعرف أحد مركزه، ولا يعلم قلب عن قلب شيئاً ولا روح عن روح، لكن الحياة مستمرة دون هذا ولا ذاك.

#### ٦ - قصة يوسف الهمداني<sup>(١٠٦)</sup> (٢٣٠٢ - ٢٣٢٣)

هكذا روى يوسف الهمداني الذائع الصيت، والشمع المنير ذات يوم: قال الأحرار

ليوسف: يا من أسرت قلب زليخا، لقد أصبحت عاجزة بلا صديق، تعاني من المرض بسبب بعدك عنها، سلبتها قلبها في الحياة، فهل يمكنك أن تعيده إليها، فقال يوسف عندئذ: لم أسلب قلب تلك العجوز البائسة، لا علم لي بأمرها، ولم أسع إلى عشقها، وليس لي شأن بقلبها، ولم تراودني هذه الفكرة مطلقاً، وهذا أيضاً محال لأنه قد مضى عليّ الآن عشرون عاماً، منذ أن فقدت قلبي، والشخص الذي لا يعرف سر قلبه، كيف أن يجد السبيل إلى قلب شخص آخر؟

وسأل العزيز زليخا: كيف سلب يوسف قلبك؟ أصدقيني القول، إن كنت تفخرين بقلبك، وإن كنت تريدين استعادته من يوسف. أقسمت زليخا قسماً قوياً: إنني لا أعلم شيئاً قط، لا أعلم لماذا عشق قلبي، وإن كان قد عشق ذات يوم مرة فأين ذهب؟ لأن يوسف لا يتحكم في قلبه، وزليخا أيضاً لا علم لها بقلبها، فلا هذا ولا تلك كان لهما علاقة بالأمر، لم يكن هذا معشوقاً ولا تلك عاشقة، والآن أين صار هذا القلب، ماذا أقول عن هذا الطلسم وهذه الذرائع، ما أجمل الصولجان الذي قذف بالكرة، من الشرق صوب الغرب! ثم قال عندئذ: انتبهي أيتها الكرة المسرعة، اذهبي إلى هناك حتى لا تسقطي في أعماق الأرض، وإن اعوج مسارك أيتها الكرة في الطريق، تخلدين في النار وفي غيابة الجب، ولأن سير الكرة ليس بدون رام، فالذنب ليس ذنب الكرة الطائشة، وعلى الرغم أن ذلك ليس من عملك، إلا أنه في عنقك.

## ٧ - تشبيه الأزل بالقوس (٢٣٢٤ : ٢٣٢٩)

قال عظيم: الأزل كالقوس تنطلق منه آلاف السهام كل لحظة، ومن جهة أخرى الأبد هو الهدف، ولا يمكن الهروب من هذا ولا من ذاك، وكل سهم يصوب من القوس بنجاح، يتطلب عناية قاذف السهم، وكل سهم يخطئ طريقه، تنصب اللعنة على السهم حينئذ، ولا أعلم حالاً أعجب من هذه الحال، فقد دمی قلبي، ولا أعلم شيئاً آخر.

## ٨ - قصة أبي بكر سفاله (٢٣٣٠ : ٢٣٣٦)

هكذا قال أبو بكر سفاله: يحيلونني دائماً إلى الماء، فيقولون: أجلسني في الماء وقال: لا تبتل أبداً أيها العاجز<sup>(١٠٧)</sup>، على الرغم من أنك غارق، ولكن إن ابتللت تكون من المذنبين، لا تبتل، وإن وجدت في الماء دائماً. وفي هذا الصدد ماذا يساوي أسد الغابة، من يعلم كيفية هذا الألم؟ وكيف يغرق الرجال بسببه في دمائهم بذلة؟ إن حل بك هذا الألم لاكتسبت الحياة الدماء من قلبك.

## ٩ - قصة السلطان محمود ومجنوب (٢٣٣٧ : ٢٣٥٠)

ذات يوم دخل محمود إلى مكان خرب، فرأى مجنوباً قد استبد به الوجد، كان يرتدي عمامة من النمد، وقد استغنى عن العالم بخيره وشره، ومضت فترة وبدا كأنه يعاني من ألم عظيم، فلم يعر السلطان انتباهاً للحظة، ولم ينس أحزانه برهة، فقال له الملك: ما الذي يحزنك؟ كأنك تحمل مائة جبل على قلبك.

انطلق الرجل يتحدث من خلف حجاب الأسرار: يا من ترعرت بين شتى أنواع النعيم، لو كانت لك قبة من هذا النمد أيضاً، لوجدت سبيلك إلى هذا الألم، ولكن ماذا تعلم أنت عن قسوة آلام الانفصال وسط مظاهر الملك، فالشمع ناعس هنيء مع العسل لا يعلم شيئاً في النار ولا عن المقرض، ولكن عندما يصنعون الشمع منه يصنعون من احتراقه ضياء للجميع، عندما يصير الدمع والنار تاجاً له يعلم ما سوف يحدث له.

وأنت أيضاً لا تعرف نفسك حتى هذه اللحظة، ولكن عندما تقبض روحك، سوف يتضح لك بكل نفس فيك، أنك كنت ميتاً في الحياة.



#### ١٠ - قصة شجرة مقطوعة (٢٣٥١: ٢٣٦٠)

قطع رجل شجرة خضراء وفجأة مر عليه رجل من أهل المعاناة، فقال: إن هذه الأغصان القوية التي فصلت الآن عن جمعها، هي غضة ويانة على قارعة الطريق لأنها لا تعلم بأمر البتر بعد، لم تشعر حتى الآن بالأذى، وسوف تعلم به بعد أسبوع آخر.

إنك لن تعلم بأمرك الآن، ولكن عندما يفارقك طائر روحك، فسوف ترى كان أسيرًا في الشرك بسبب الحبة التي ضحى بالجنة في سبيلها، فعندما أطعم آدم طائر روحه القمحة، خرج من الجنة الخالدة، ولكن لو لم يأكل آدم القمحة لأكل الناس بعضهم بعضًا، إن جمحت منك الطيور والحيوانات فلأنك تأكلها، ولهذا يفرون منك.

#### ١١ - قصة حسن البصري ورابعة<sup>(١٠٨)</sup> (٢٣٦١: ٢٣٨٢)

خرج حسن من البصرة ذات يوم، وقدم إلى رابعة في الصحراء، حيث يوجد كثير من الوعول والغزلان وقد تحلقت رابعة، وما إن شاهدت الحيوانات حسناً قادمًا من بعيد، حتى جفلت جميعها من أمام رابعة، وعندما شاهد حسن ذلك تأثر وأخذته الحمية لحظة، ثم سأل رابعة بصدق: لماذا لم تهرب منك حيوانات هذه الناحية، وفرت عند مشاهدتي؟ هل رأيت معي ما أفزعها؟

فاستطلعت رابعة الأمر متسائلة: ماذا أكلت اليوم؟ قال: بصل مطبوخ، كان عندي الآن أيتها التقية بصل وقليل من الدهن، أذبت الدهن وتناولته عند خروجي بشهية، وعندما علمت رابعة منه هذا الأمر أصدرت -ويا للعجب- صوت رجل قائلة: لقد أكلت من شحم هذا القطيع المسكين، فكيف لا يهرب منك؟

إن تأكل قليلاً مثل النمل، تقل وجبة دود قبرك، وإن تتناول كل يوم ثمرة واحدة

تسلم من ديدان التابوت، إن الديدان تنتظر جسدك، ويكفيها ثمرة واحدة، وها أنت تتقوى بالماء والخبز، وتملاً بطنك في نهم، وتلازم الخلاء والمطبخ أيها الرجل! ولا يضيق قلبك بهذين الجحيمين: تأتي من جحيم إلى آخر، فما إن تخرج من الخلاء، حتى تدخل إلى المطبخ، ولأنك لا تهدأ لحظة عن أنواع الطعام المختلفة، فمهما تجتهد، نفعت محض خيال.

قيل لك: طهر روحك، لكنك دائب على تعمير جسدك، يجب عليك تصفية باطنك باستمرار، وأنت لا هم لك إلا الاهتمام بالظاهر، قيل: أشعل النار في نفسك وإن أكلت لقمة اجلس، واضرب جسدك.

#### ١٢ - قصة موسى (٢٣٨٣: ٢٣٩٣)

قال الحق لموسى: يا رجل الأسرار! عندما تجلس وحيداً راقب قلبك، وإن اجتمعت بالناس، كن عطوفاً، واحفظ لسانك آنذاك، وإن سرت في الطريق، لا تنظر خلفك، وانظر موضع قدميك، وإن دعاك الناس لطعام، احذر حلقك، ففي الشغف بالطعام نقص كبير لك.

عندما يولد الطفل لا حول له، يمتلئ الثدي لبناً رزقاً له، قدّره الله للطفل، فأجراه رزقاً له في الثديين، لأن لك رزقاً دائماً مقدراً ومقسوماً، فلماذا يتصارع عليه الآخرون؟ يملكك الحرص أيها الحريص! فإلى متى تطوي طريقه؟ إن كنت عاقلاً، اترك الحرص إنك اليوم موجود، فلا تفكر في الغد.

#### ١٣ - قصة مجذوب صامت (٢٣٩٤: ٢٤١٢)

كان هناك مجذوب في بغداد، لم يكن يتحدث مع أحد، فقالوا له: أيها المجذوب البائس! لماذا لا تتحدث أبداً؟ قال: مع من أتحدث؟ لأنه لا يوجد أناس، فممن أبحث عن إجابة؟ قالوا له: ألا ترى الناس جميعاً في هذا الزمان أناساً؟ أجاب: هؤلاء القوم

ليسوا أناسًا فالإنسان هو من يكون من العظمة، بحيث لا يحمل همًّا لأمره أو لغده، ولا يهتم بتوافه الأمور، ولا يقيم وزنًا للمستقبل أبدًا، ولا يؤرقه الماضي، ولا يهتم بالفقر أو بالرزق، ولا يفكر إلا في يومه فحسب، فالاهتمام في العالمين ليس إلا شيئًا واحدًا، وما أقوله يقينًا لا شك فيه. إن انشغلت اليوم بالغد، لفقدت وجودك اليوم، فلا تحزن لأن الحياة لا صديق لها، وإن حزنت في كل لحظة آلاف المرات. السعادة في عدم الاهتمام هي الكمال؛ لأنه من المحال تقيد القلب بالبحث عن السعادة، ففي هذا المنزل وهو طوفان من الغرور لا يتأتى لأحد السرور لحظة، ولأن الأمر يسير من سيئ إلى أسوأ فالأحزان تتواتر وتشتد أيضًا، ماذا تتوقع من ذلك السرور الذي يولد الحزن وماذا ترجو من الوجود الذي يفضي إلى العدم. يجب عليك السعادة به، لا بأحد غيره وأن تعاني في سبيله، لا في سبيل غيره، إن اطمأن قلبك به لحظة فزت بسعادة الدنيا، وإن نطقت اسمه مرة جرت أسماؤه على لسانك.

#### ١٤ - قصة سؤال المجنون من ليلي (٢٤١٣: ٢٤٢٣)

سأل شخص المجنون الحزين: بماذا تتحدث عن ليلي أيها المسكين؟ فخر المجنون على الأرض وقال له: اذكر ليلي مرة أخرى، إنك تبحث لدي عن عدة معانٍ يكفيك أن تذكر ليلي، فمهما نظم من در المعاني فإنها لا تساوي قول ليلي. عندما أعدت اسم ليلي وصفتها، أفصحت عن عالم من الأسرار، ولأنه يمكن ذكر اسمها دائمًا، أكون كافرًا إن ذكرت غيرها لحظة واحدة.

إن بدأ شخص بذكر ليلي عاد المجنون إلى عقله، وإن ذكر اسم سواها صار مجنونًا، وأخذ في الصياح، إن انتهى ذكرك لنفسك، جاز لك أن تذكره، ولكن طالما بقي وجودك أمامك، وذكرته، فأنت تذكر نفسك.

## ١٥ - قصة مؤذن ومجنوب (٢٤٢٤: ٢٤٣٧)

كان أحد المؤذنين من زمرة الرجال الصالحين يقيم في مدينة إصفهان، وكان يتمتع بصوت أخاذ. وفي تلك المدينة كانت توجد قبة إلى حد يمكن للإنسان معه الاختفاء تحتها، وحدث أن اعتلى الرجل العظيم تلك القبة، وأخذ يؤذن للصلاة، بينما كان يسير في الطريق أحد المجاذيب. فسأله شخص: أيها المطلع، ماذا يقول المؤذن فوق هذه القبة؟ فأجابه المجنوب المحسن: هذا جوز فارغ ينثره من فوق القبة أيها الصديق، ولأنه لا يتأثر بالمعاني بصدق، فاعلم يقيناً أنه يماثل الجوز والقبة. وأنت تشبه الجوز من غفلتك. وأنت تحصي أسماء الحق التسعة والتسعين، حيث لا يوجد أي تأثير لاسم منها عليك، ولا خبر لديك عن واحد في المائة من التسعة والتسعين، فأني هدف لك من هذا الإحصاء؟ وأي عابد تحصيه وأي معبود؟ إنه لم يحص نعمه المؤلفة عليك، فلا تحص أنت عليه أيضاً مثل الصرافين، لأن الله قد أخفى اسمه، فكيف يمكن ذكره أبداً، إنك لا تستطيع الإشارة إلى كنهه، لذلك لا يجب أن يتحدث أحد في ذلك.

## ١٦ - قصة أبي سعيد الميهني (٢٤٣٨: ٢٤٦١)

هكذا قال شيخ ميهنة ذات يوم: ذهبت إلى شيخ جليل، فوجدته صامتاً مستغرقاً في الفكر، وقد غاص داخل بحر لا نهاية له، فقلت له: أيها الشيخ! تحدث بشيء، فالقلب يقوى بالشرح والحديث، فخفض الشيخ رأسه لحظة من الوجد، ثم قال: أيها السائل، أنت تعلم أنه لا شيء سوى الحق فعما أبحث؟ وإن لم أستطع الحديث عنه فماذا أقول؟ ولأن حق اليقين لا يمكن شرحه لذا فأنا صامت.

لأنه لا يمكن الإفصاح عنه، فلما التحدث؟ ولأنه لا يمكن إدراكه، فلماذا هذه الجلبة، ذكره ليس ورد كل لسان ولا يمكن التوقف عنه لحظة، ومثل هذا الأمر

عجيب في الطريق، ولأن المعشوق أسر للغاية، يلزم العاشق معشوقاً دائماً، يجعله حيناً في الصحو وحيناً في الفناء، فبين العاشق والمعشوق حال شرحها غير لائق بنا. إن تصر أبكما في الفصاحة تصبح جديراً بشرح الحال، لأن المعشوق من فيض أنواره كأنما هو شمس الأرض والسماء، وإن بدا المعشوق في محراب حسنه فمن دون شك يلزمه عاشق مشتاق، لأنه عندما يبدو المعشوق بدلال يجعل أعين العشاق نبع ماء، وإن لم يكن للمعشوق عاشق، لما كان جديراً بالعشق، لا يتعد العاشق عن المعشوق، فلا يعرف قدر المعشوق سوى العاشق، وجماله في يوم السوق يتضح من حرقة العشاق، لأن المعشوق يتتقى عاشقه، فالعاشق لا يدرك جذراته ولياقته.

إذا ما ارتفع المعشوق إلى العيوق لن ترى أي عاشق غير المعشوق، ولأن المعشوق يختار عاشقه، فلا يوجد عاشق أيضاً سوى المعشوق، إن صار العاشق خالداً فائياً، وإن اختفى عن العالمين أيضاً، إن كان العاشق أو لم يكن، فقلبه في يد المعشوق.

## المقالة الثامنة (٢٤٩٠ : ٢٧٢٧)

قال الولد لأبيه: اشرح لي ماهية السحر، الذي لا تهناً لي الحياة بدونه، ولماذا أهيم به شغفاً، بينما تزدريه وتحقره، أخبرني بسر السحر، ثم يسره لي.

### إجابة الأب

فتح الأب باب كنز الكلام، وقال للولد: أيها الباحث عن الأسرار.

## ١ - قصة حواء والخناس (٢٤٩٦ : ٢٥٣٦)

روى حكيم ترمذي هذه القصة، عن آدم وحواء: عندما تقابل آدم وحواء بعد التوبة، نزلا من الفردوس، واستقرا في ناحية، وحدث أن خرج آدم لأمر ما، فلاحق

إبليس الملعون بحواء، وكان له طفل اسمه الخناس، أودعه لدى حواء ومضى.

وعندما جاء آدم ورأى الطفل، غضب من حواء وسألها: لماذا أخذته من إبليس؟  
وخذعتي مرة أخرى بالتلبس، قتل آدم الطفل، ومزقه إربًا، وحمله إلى الصحراء  
وألقي به في جهات متفرقة.

وعندما خرج آدم مرة أخرى جاء، إبليس ونادى على طفله بالتلبس، فتجمعت  
أوصال الطفل، واتصلت بعضها ببعض حتى تجسم، وعندما دبّت فيه الحياة انتحب  
إبليس كثيرًا حتى قبلته مرة ثانية، بعد أن مضى إبليس، جاء آدم، ورأى الخناس في  
المكان نفسه، فأغلظ القول لحواء قائلاً: أتريدين إحراقنا ثانية؟ ثم قتل الطفل،  
وأشعل النيران، وأحرقه فيها، وألقى برماده للريح، ومضى عن حواء غاضبًا.

وجاء إبليس اللعين مرة أخرى، ونادى على طفله من كل صوب، فتجمع رماده  
من الآفاق، واتصل بعضه ببعض، وظهر الطفل فجأة، وعندما سرت فيه الروح، أقسم  
إبليس لحواء: خذيه ولا تذريه للرياح مرة أخرى، فلا يمكنني التفريط فيه، وعندما  
أعود سوف أحمله من هنا، قال هذا، وذهب وجاء آدم، فتجدد حزنه بسبب الخناس.

وبدأ يلوم حواء مرة أخرى قائلاً: إنك تحالفت مع الشيطان، لا أعلم ماذا يدبر  
الشيطان اللعين، وبهيئ لنا أيضًا، قال هذا وقتل الطفل، ثم صنع منه كلية، وأكلها هو  
وحواء بسعادة معًا، ثم مضى لعمله بقلب مضطرب بالنيران، وجاء إبليس اللعين مرة  
أخرى، ونادى على طفله، وعندما تعرف الخناس على صوته، أجابه من داخل صدر  
حواء.

وعندما استمع إبليس المكار إلى صوته، قال: لقد تيسرت لي الأمور كلها، كان  
هذفي دائمًا، أن أستقر في دخيلة آدم، ولأنني نجحت في هذا، فسوف يصير ابن آدم  
محتاجًا لي، فأنير حينًا في صدور الناس، مئات النزوات بوسواس الخناس<sup>(١٠٩)</sup>،  
وحيثما أجري في عروقه كالدم<sup>(١١٠)</sup>، مثيرًا في باطنه ألوانًا من الشهوات، وفي بعض  
الأوقات أوجهه إلى الطاعة، ولكن بالرياء لا بالإخلاص، وأزين آلاف الأنواع من

السحر، حتى أحيد بالناس عن جادة الطريق.

وأنت لأن الشيطان قد استقر داخلك، وجلس للحكم وأعد للعرش، جعل رغبتك في السحر قوية، فمالت روحك إليه، ولو لم يكن الشيطان شريكاً على هذا النحو، لما كان له مثل هذا السلطان على الرجال والنساء، وسوس للناس بالأحزان، وأشاع الفوضى في العالم، وفي كل ناحية أفسد قلباً، وفي كل مكان أغرق وردة، يقطع عليك الطريق، ويبرحك بالمعاناة، لذلك صارت عينك مثل السحاب تمطر دمًا، إن وجب البكاء على آدم ثلاثمائة عام لأنه نظر إلى حبة، فانظر كم يجب أن يريق إبليس من الدمع، وهو يعيش في كنف اللعنة والمعصية.

## ٢ - قصة بكاء إبليس (٢٥٣٧: ٢٥٤٤)

قال ذلك الفريد: رأيت في طريق البادية، جدولي ماء أسود، فتبعتهما لأعلم أى ماء ذلك، الذي ينساب بسرعة فائقة، وفي نهاية الأمر وصلت إلى حجر، حيث رأيت إبليس واقفاً على الأرض، وعيناه كالسحاب ينثران دمًا، وينساب من كل عين جدول دم، وينهمر الدمع من عينيه كالمطر، ويتحدث بحرقة، ويقول هذا الكلام على التوالي:

إن هذه القصة لم تحدث لوجه قمري، ولكن لأن حظي أسود، لم تكتب لي الطاعة، وكُبل عنقي بالذنوب، لمن حدث مثل هذا الأمر من قبل؟ لا يذكر أحد مثل هذا أبداً.

## ٣ - قصة يوسف مع بنيامين (٢٥٤٦: ٢٥٦٩)

قال عظيم: عندما أراد يوسف، أن يحقق وصال أخيه بنيامين، وأن يعبر له عن إخلاصه، وأن يجعله رفيق خلوته الخاص، وضع له الصواع في رحلة<sup>(١١)</sup> واتهمه بالسرقة. ما أسعده من عمل! هكذا قال ذلك المتبحر في الدين: هذا هو ما حدث

لإبليس من الحق. طرده من رحمته، ومن أجل هذا السر، ميزه باللعنة في الآفاق، فألبسه ثوبًا من قهره، حتى يخفيه بقهره عن أعين العامة، ووقف على باب الحضرة بصفة دائمة، ممسكًا في يده حربة من القهر.

وطالما لا تعوذ منه في البداية، لا يمكنك الخطو في الطريق الإلهي، وهو على هذا المنوال ليل نهار، ليعبد المذنبين، ومحك الاختبار الحقيقي للرجال في يده، فمن المشرق حتى المغرب تحت هيمنته، الشخص الذي يحمل إلى هناك نقودًا زائفة، يصاب بحربة من إبليس فورًا، ثم يقول إبليس لصاحب النقود، يا من سرقت مني كرة التلبس، لقد أطعت ربي آلاف السنين، فطردني في نصف ساعة.

وأنت ملائكة الغرور من ذرة واحدة من الطاعة، وتغش الحق ولا تخجل، إن لعنت في العالمين، فلن ينقص عشقي ذرة واحدة، وأنت إن لعنتك شخص، تتردى من المحنة في ساعة، فاذهب أولاً، وكن مثل الرجال رجل طريق، ثم جد بروحك أمام الملك عندئذ.

لماذا تحتقر إبليس، فهو قاطع طريق العظماء بالتلبس، اعلم يقينًا أن الأمراء أينما وجدوا، قد حطموا رقاب مائة شخص مثلك، وإن كانوا ملوكًا عليك، إلا أنهم منساقون في زمرة الشيطان، وعندما يكون متسول الشيطان هو مليكك، فأين يكون الإسلام في طريقك، الوجد لا يفارق إبليس لحظة واحدة، فتعلم الرجولة من إبليس اللعين، لأنه جاء إلى ميدان التوحيد رجلاً، فاعتبر كل شيء أصابه من قبل الحق أمرًا لا ثقلًا.

عندما لعن إبليس، بدأ التسبيح والتقديس، ولعنته تفضلك مائة مرة، يا من تتجه إلى غير الله، إن ابتعد كلب بضربة عن الباب، يظل بعيدًا عن العظام، ماذا أقول؟ فعندما سمع لعنته، رآها كلها صادرة من الحق، الشخص الذي تذوق الصفاء آلاف الأعوام، ولم يتجرع كأسًا طافحة أبدًا، أتى له أن ينسى ذلك الصفاء، بقطرة يشربها في البداية.

وعلى الرغم من أنه تجرع ثمالة اللعنة، إلا أنه لم ير بتلك الثمالة سوى الساقى،



لأنه رآه في صفاء آلاف الأعوام، فكيف يمكن أن يراه في معاناة الأغيار، نصيبه من الحضرة هو اللعنة، واسمه عند الحضرة الملعون، فلم يعتبر ذلك سيئاً وهذا حسناً، بل رآه كله نابغاً من الحضرة، لأن اللعنة كانت تشريعاً له من الحضرة، فقد قبلها بروحه، وانتهت القصة.

#### ٧ - قصة لص بترت يده (٤٦٤٢: ٢٦٥١)

حدث أن قطعوا يد لص، فلم ينبس ببنت شفة، وأخذ يده، ومضى، فقالوا له: أيها المبتلي، ماذا ستفعل بهذه اليد المقطوعة؟ قال: لقد رقت اسم الحبيب الخاص، عليها بإخلاص، والآن تكفيني هذه اليد، ما حييت، وتحرم عليّ الحياة من دونها، إن يدي لم تسبب لي سوى الألم، إلا أن اسم الحبيب عليها يزيل آلامي.

وإليس اللعين كان مطلعاً على الأسرار، وإن كان لم يسجد فلهذا السبب، فقد ضمن بهذا السر على الخلق وعلى نفسه، فلم يسجد، وبدأ الخلاف، حتى لا يرى هو ولا أهل العالم، ذلك الباب وتلك الأعتاب، ولا يتلوث شعاع من حجاب العزة، من المشاهدة أبداً.

#### ٨ - قصة غيرة القمر على الشمس (٢٦٥٢: ٢٦٥٥)

ألم تسمع أنهم سألوا القمر: ما الشيء الذي تتمناه أكثر من أي شيء آخر؟ فقال: أريد أن تتكسف الشمس، لتظل في حجاب الخلود، ويكون وجهي دائماً تحت ضبابها، وتحجب عن عيني أيضاً.

#### ٩ - قصة المجنون (٢٦٥٦: ٢٦٥٩)

قال صديق للمجنون الضال: ماتت ليلي. فرد: الحمد لله، فقال الصديق: يا عاشق الدين، إنك تتعذب بسببها، فلماذا تقول ذلك؟ فقال: لأنني لم أحقق وصال تلك

الفاتنة، وحتى لا يناله أى شخص سيئ الطوية.

#### ١٠ - قصة إبليس (٢٦٦٥:٢٦٦٠)

سأل شخص إبليس: أيها الشؤم، عندما علمت بأمر لعنتك، لماذا تمسكت بها بروحك؟ كأنما تخفي كنزاً في قلبك، فقال: إن اللعنة هي سهم الملك، والملك يصوب نظره في البداية إلى الهدف، فيحب أن يحدد البصر الهدف أولاً، حتى ينطلق السهم من القوس، وعندئذ يبدو لك السهم، فاعتبر إن كنت صاحب بصر.

#### ١١ - قصة السلطان محمود وإياز (٢٦٦٦:٢٦٨٢)

كان العظماء الذين تناول رؤوسهم الفلك، حاضرين في خدمة محمود، فالتفت ملك العالم إليهم قائلاً: ليطلب كل واحد منكم طلباً، فطلبوا جميعاً من الملك في ذات اليوم، كثيراً من المدن والأموال والملك والمناصب والجاه.

وعندما حل الدور على إياز، قال حد الحاضرين: يا محراب الحسن وقرين الفضل، ماذا ستطلب؟ قال: شيئاً واحداً، لا أريد شيئاً سواه، ما أريده دائماً في حياتي، أن أكون هدفاً لسهم الملك، إن تحققت لي هذه الرغبة، لكفاني هذا من العالم، قالوا له: أيها الجاهل، إنك لا تحكم عقلك، وتطوّه بقديمك، عندما تطلب أن تكون هدفاً للملك، لماذا تريد أن تجعل جسدك هدفاً، فتصير أسيراً للسهم إلى الأبد.

فتحدث إياز حينئذ وقال: أيها القوم إنكم تجهلون هذا السر، لو دان لي العالم بالاحترام، لكفاني أن أكون هدفاً لسهم الملك، ففي البداية ينظر الملك صوب هدفه عدة مرات، ثم يقذف بالسهم عندئذ، وعندما يصوب النظر في البداية، فمتى يصعب الجرح في النهاية، أنتم تنظرون إلى الجرح، ولكن ما أراه هو نظرة الملك، عندما تصوب نظراته إليّ، فكيف أتأثر بجراحي؟

## ١٢ - قصة شبلي (٢٦٨٣: ٢٧٠٣)

عندما غلب الوجد على شبلي، أحكموا وثاقه، وتقدمت جماعة منه، ووقفوا وسط الطريق لمشاهدته، فقال لهم شبلي الفصيح، من أنتم؟ أفصحوا لي، قالوا جميعاً: نحن معشر أصدقاءك، لا نعرف شيئاً سوى حبك، وعندما سمع شبلي هذا الكلام من الأصدقاء، أخذ يقذفهم بالحجارة فوراً، وعندما رأى أصدقاؤه الحجارة، فروا جميعاً خوفاً من الحجارة.

عندئذ تحدث شبلي، وقال: إنكم جميعاً كاذبون مدعون، ادعيتم حبكم لي، ولم تكونوا أيها الأخساء أتقياء، من ذا الذي يهرب من جرح الحبيب، أليس جرحه رحاباً له؟ عندما أصيب إبليس بجرح من الحبيب لم يهرب، لكنه جعل من جراحه مائة مرهم، وطلب من الحق أن يمهل به جرحه، حتى يوم القيامة.

اقبل بروحك كل جرح يصوبه إليك، فإن صوب جرحاً إلى روحك فإنه يصوبه بدقة، إن تتحقق لك ذرة واحدة من العشق، تفتدي جرحه بوجودك، إنك تتوهم أن جرحه بدون مقابل، إن ثمنه آلاف الأعوام من الطاعة، على الرغم من طاعته آلاف السنين، فإن لعنته كانت ثمن ساعة واحدة، لتكون قوياً لائقاً في البعد، إن لم تفز بالقبول هناك، واستمع يا عزيزي إلى قصة إبليس، واترك التلبس للحظة.

فإن اكتملت رجولتك لحظة، يحيا منك عالم في كل لحظة، ولو أن إبليس مطرود وملعون، إلا أنه موجود دائماً في حضور الملك، عندما تلعنه ليل نهار، تعلم منه الإسلام مرة واحدة.

## ١٣ - قصة موسى وإبليس (٢٧٠٤ - ٢٧٢٧)

ذات ليلة كان موسى يسير فوق جبل الطور، فلحق به إبليس من بعيد، فقال موسى لذلك اللعين: أيها الرفيق لماذا لم تسجد لآدم؟ أجابه الملعون: أيها المقبول

من الحضرة! لقد صرت دون سبب مرفوضاً من القدرة، لو كان لي سبيل إلى تلك السجدة آنذاك، لكنت كليماً مثلك، لكن عندما أراد الحق تعالى أن أخطئ في قلبي: لم يتحقق لي سوى هذا، قال له الكليم: يا من وقعت في أسر اللعنة، هل تذكر الله أبداً؟ قال له الملعون: وهل ينساه لحظة قط، عطوف مثلي؟ كلما زاد غضبه عليّ، كلما ازداد حبي له داخل صدري، إن كان بعيداً عن الحضرة بسبب اللعنة، إلا أنه كما يقول موسى حاضراً بها، إن كانت اللعنة قد أسعدته، إلا أنها ضاعفت شقاءه.

لأن الشيطان محترق على هذا النحو في الطريق، فكيف يا بني تكون أنت مريداً للعشق؟ إن رغبت في السحر اليوم، فاسعد باللعنة، وإلا فلن تتعلم، وانظر إلى هاروت وماروت، منذ متى، وهما مقلوبان دون زاد ولا ماء، مقيدان بقلب دام داخل الجب، وقد يئسا من زمانهما، إنهما كانا أستاذي زمانهما، ولهما مكانة فريدة في السحر، ولا يستطيعان أن يحررا نفسيهما، فكيف لشخص أن يسعد بذلك العلم؟ لو تمتلك سحر العالم كله، من الممكن أن تبخله عصا في لحظة واحدة، ولأن مثل ذلك السحر اختفى داخل عصا، فلا يتشبث بأذياله سوى الفشل.

لك في صدرك شيطان، ثمل دائماً برغبة السحر، فإن يسلم شيطانك، يصبح سحرك فقهاً، ويتبدل كفر كإيماناً، وتصبح من أهل الخلد إلى الأبد، ويسجد لك شيطانك دون حجة. أوضحت لك الآن السحر الحلال، ومنه يتحقق الخلود الكامل لك، ولأنه يمكن الوصول لمثل هذا السحر، يجب الارتقاء على هذا النحو، لا التردي بتلك الطريقة.

## المقالة التاسعة (٢٧٢٨ : ٢٩٩١)

### الابن الثالث

وعلى الفور تقدم الولد الثالث بكمال، وشرح لأبيه ما يجيش في صدره من آمال قائلاً: توجد كأس تظهر فيها الدنيا والأنام، أريدها بدلاً من الملك والسلطان، وسمعت أن تلك الكأس، يظهر فيها كل ما يرغب قلبك ويتمناه، فمهما وجد من أسرار خفية، تظهرها لك هذه الكأس جلية.

وأنا لا أعلم أي مرآة جميلة تلك، التي تظهر عليها صورة الآفاق، وتكشف لك بصورة جلية، كل ما عظم من أمور خفية، لو نلت مثل هذه الكأس، لخضع لي الفلك بعلوه، ولظهرت لي أسرار العالم كلها عياناً، ولبدت لي خفايا الأسرار جهاراً.

### إجابة الأب (٢٧٣٨ : ٢٧٤٦)

قال الأب: لقد تغلب عليك حب الجاه، فرغب قلبك في تلك الكأس، حتى إذا ما علمت جميع الأسرار، صرت مهيمناً على العالم بأسره، ولأنك ترى الجاه وقد ارتفع بك إلى الفلك، ترى أهل الأرض في غيابة الجب، فتزهو تيهًا وعجبًا، وتخلد إلى الكبر.

لو تمتلك كأس جمشيد<sup>(١١٣)</sup> ترى الأشياء ذرة ذرة واضحة كالشمس، وإن تجلت لك الأسرار من تلك الكأس، يكن الموت قد سلط المشار فوق مفرقك، ولن تفوز بشيء من الكأس مثل جمشيد، وتموت عاجزاً في النهاية مثله أيضاً، الحصول على الكأس يؤدي إلى السقوط داخل البئر، والسقوط في الطريق حرام عليك.

## ١ - قصة السلطان محمود والمرأة العجوز (٢٧٤٧ : ٢٧٨٨)

كان سلطان الدين محمود الفاتح، يسرع مع جنده في طريقه لإحدى الحملات، أثناء الطريق شاهد امرأة أيمًا، وقد ربطت مظلمتها فوق عصا، كانت تطلب القصاص من الظلمة، وتستجير بذلك المعين.

عندما شاهد الملك المعظم العجوز، لم يعرها التفاتًا وانطلق في طريقه، وفي تلك الليلة رأى محمود في المنام، أنه وقع داخل سرداب في بئر، وأن العجوز ظهرت له، وألقت إليه بعضاها، وقالت له: امسك بها أيها الملك، واخرج من قاع هذا السرداب وهذا البئر، فأمسك الملك بعضا العجوز، ونجا من ذلك البئر المهلك.

وفي اليوم التالي عندما اعتلى الملك العرش، كان حزينًا للغاية بسبب ذلك المنام، فرأى العجوز التعسة مرة أخرى، وهي تأتي من بعيد تطلب العدل، وتمسك بعضاها وقد احدودب ظهرها، وابتلت عيناها بالدمع مثل السحاب، فنهض الملك وناداه، وأجلسها أمامه.

قال محمود لجنده: لو لم تكن هذه المرأة ليلة أمس، لاختطف الموت روحي، فقد تعلقت بعضاها، فأنقذتني من السرداب والبئر، وإن أردتم أنتم اليوم، أن تتصروا بفضل الله الخالد، أمسكوا جميعًا بعضاها، لتكون وسيلتكم على الدوام، فتسابق الجند جميعًا، وأمسكوا بالعصا بيد محكمة، وأخذ الكثيرون يقبلون من كل صوب، من أجل العصا.

وظلت المرأة الجالسة فوق عرش الملك آنذاك، تمسك بتلك العصا في يديها، وتقبض عليها وتتوسل بها، وقد علا شأنها للغاية، وقوي أمرها من تلك العصا مثل موسى، لأنها جعلتها في الدين مثل عصا موسى.

قال لها الملك: انتبهي أيتها العجوز المسكينة! إنك ضعيفة لا حيلة لك، والخلق كثيرون، فماذا ستفعلين لتساعدينهم، بقطعة من الخشب، وأنت بهذا العجز. أناس

كثيرون يطلبون مساعدتك، وأنت لا تقدرين على كل هذه الأحمال.

تحدثت العجوز وقالت: أيها الملك، الشخص الذي أخرج محمودًا من البئر، يستطيع أن ينجي كل شخص، ولا يمكنه سماع هذا الكلام منك، الشخص الذي يسحب فيلاً من البئر، كيف يعجز أمام حفنة من البعوض.

ولأن المرأة الضعيفة هنا هي التي تمنح الجاه، وتساعد الملوك، فلماذا يجب الغرور على هذا النحو، والسرور بالمجهول، والاستسلام لصفعات كل وضع، وتحمل الضرر من كل شؤم، ومعرفة الأغيار من أجل الزهو، والترفع على كل بئس بأنا خير منه<sup>(١١٤)</sup>، ولا خير في ذلك.

وأنت بئس مثل الكافر، لأنك ما زلت متعلقًا بالخلق وبنفسك، لا تعلم ماذا ينتظرك، وجراحك بسبب ذلك الجبن، إن عقدت العمامة مثل اللام ألف، فمن الأفضل لك كثيرًا أن تربط الزنار، لن يشعر قلبك بتلك العمامة، إلا عندما يطوونك داخل النعش فجأة، رأسك يختلج بالمنافع، وعمامتك تجدر برأس النعش.

أي نفع يعود عليك من تزيين مفرقك بالقصب، ونهايتك هي طويك داخل الكفن بسرعة، اجلس سعيدًا فوق مقراضى الحرير، فجزاؤك مقراض من نار، لماذا تأسر نفسك بالجاه والمال، وتجعلهما رفيقين لك إلى آخر لحظة، إنهما لن يحققا لك شيئًا، فلماذا تخفيهما داخل نفسك كالكنز.

## ٢ - قصة بهلول<sup>(١١٥)</sup> (٢٧٨٩: ٢٨٠٩)

كان بهلول يمسك عصا في يديه، أخذ يضرب بها القبور حتى تحطمت، فقالوا له: أيها الواجد، لما تضرب هذه القبور؟ فقال: هؤلاء القوم الذين ذهبوا، نسجوا أكاذيب لا حصر لها ثم ماتوا، فحينًا كان هذا يقول: قصري وإيواني، وحينًا كان ذلك يقول: أسبابي وزهبي، وفي بعض الأوقات كان يقول فلان: ها هو زرعي وهنائي، وفي أوقات أخرى كان علان يقول: ها هي حديقتي وأملاكي.

وقد قال الله: كل هذا الادعاء والتكبر غير جائز، فالدنيا ميراث لي وليست لكم، ادعوا جميعاً امتلاكهم للأشياء، فمضوا وتركوا ما تعلقت أرواحهم به، لهذا أعيش بلا زاد ولا ماء؛ لأنهم كانوا جميعاً حفنة من الكذابين، ولأن النهاية هي ترك كل شيء فكيف توسموا نفعهم في هذا الوهم، لماذا يكثر شخص شيئاً معيناً، يجب أن يتركه بندم.

لماذا تقيد قلبك بالعالم، ونهايتك هي آجرة تُبنى لقبرك؟ للعالم بابان مثل الرباط، وما بين البابين يشبه الصراط، وإن لم تسر متبهاً فوق ذلك الطريق، تنقلب في السعير، وإن وقع ظل للأرض على القمر، يغرق القمر في الظلام، ولو كانت عين القمر مضيئة للغاية، فهي أمام الأرض ماء أسود.

لأن أمر الأرض مع القمر على هذا النحو، فماذا يفعل من يغرق في الأرض، فهي تخدم مثل ذلك النور في لحظة واحدة، وتعرف أيضاً كيف تضع حياتك هباء، فسد أمرك ولا مجال أن ينصلح حالك، فلم تعد هناك إمكانية لذلك، ترديك زائد عن الحد، وكل آفات روحك من نفسك، ينتظرك أمر تفرع منه روحك، وهو ملك يديه مهما بدا لك الأمر.

### ٣ - قصة ملك منجم (٢٨١٠: ٢٨٢٠)

عندما علم ملك كان على دراية واسعة بعلم النجوم، أنه في ساعة محددة في أحد الشهور سوف يصاب ببلاء، أعد مكاناً من الحجارة، وأقام منزلاً من الحجر الصلد، أسند حراسته إلى عدد غفير من الحراس.

وعندما دخل المنزل رأى طاقة، يتسلل منها الضياء إلى المنزل، فسدها بيديه، وبقي وحيداً في الحجرة، وحبس داخلها، ولم يعد لديه أي منفذ فبدأ يترنح، حتى لفظ أنفاسه مختنقاً.

وأنت تشبث بأصابعك العشرة، وإن كنت لا تستطيع الاحتفاظ بإصبع واحد، إن أردت أن تسلك الطريق بخطوة واحدة، يجب أن تتخلص من وجودك تماماً، وإن لم



تترك نفسك والعالم، عندما تحين منيتك، ستتركهما، وعندما ينتهي النوم والطعام، ويحين الأجل، ماذا ستفعل في نهاية الأمر؟

#### ٤ - قصة في معنى التسليم (٢٨٣٦ : ٢٨٢١)

هكذا قال ذلك النقي، لو توفي عزيز لديك تقيم له مأتمًا في اليوم الأول، وتستمر على هذا النحو اليوم الثاني والثالث أيضًا، ويظل قلبك يدمى عليه حتى اليوم السابع، وعندما ينقضي اليوم السابع، ماذا أنت فاعل في الثامن؟ لأنه يجب التسليم في آخر يوم، فلماذا تتعذب؟ اعتبر منذ البداية، لو انثنى جسدك كله والتف مثل الحية، لن يمكن الهروب إلى أي مكان، ألم تشاهد الحية أبدًا عند سيرها، كيف تسير ملتوية معوجة. ولكن عندما تتلمس طريقها داخل جحر، تتخلص من التوائها تمامًا.

الشخص الذي لا يتخلص من الاعوجاج، لن يجد السبيل إلى أي منفذ قط، وأنت أيضًا انزع الاعوجاج عن نفسك، عندئذ يستقيم لك الطريق، اتبعت الضلال بسبب عمائك، فبقيت خارج الحجاب مثل العميان، ألا ترى الخلق لا قدم لهم ولا رأس، يقفون أمام الباب جرحى بسبب العمى.

كما تستقيم الألف في الخط الكوفي، هكذا يجب أن يبدو للعين الصوفي، ما هو التصوف؟ إنه الراحة في الصبر، ونزع الطمع عن العالم بأسره، ما هو التوكل: تسليم الإرادة من النفس إلى إرادة خالق العالم، والفناء هو انتزاع القلب من الروح، والاستغناء عنه كلية.

#### ٥ - قصة شقيق البلخي<sup>(١١٦)</sup> (٢٨٣٧ : ٢٨٥٥)

كان شقيق البلخي الشيخ المدرس، يتحدث في مجلس بغداد، كان يتحدث عن التوكل بتقوى، فيصل بكلامه إلى ما بعد الأفلاك، قال للحاضرين: فيما يتعلق بالتوكل، كونوا أقوياء، ولا تفكروا في الذل، فقد توجهت إلى البادية سعيدًا، توكلت

على الله، وذهبت متحرراً من كل شيء، كان معي من أموال الدنيا وملكها درهم واحد، قابع داخل جيبي يصاحبني، وهو كل دخلي لأن قلبي يتوكل على الله، وإلى الآن يوجد ذلك الدرهم في جيبي، ذهبت إلى الكعبة، وعدت سعيداً، لأنني لم أحتج إليه.

فنهض شاب غض، وقال له: لتسمع كلمة صدق، أين كان اعتمادك على الغيب وتوكلك، وأنت تضع الدرهم داخل جيبيك؟ أين كان هذا التوكل آنذاك؟ وأنت تضع هذا الدرهم لمائة احتمال، ألم تكن مؤمناً حينذاك، وإن كنت مؤمناً، ألم تعتمد عليه. عندما سمع شقيق ذلك الكلام منه، ارتج المنبر تحته وقال: لقد أنصف، فحجته بينة، ماذا أقول؟ فالحق مع هذا الشاب، في هذا الديوان لا يتسع المجال لدرهم، لأنه لا يتسع لشعرة أيضاً.

عانى الواحد في طريقه كثيراً، والآن صار قتيله بذلة، فاتركه وسط الأرض والدماء، فلون الورد لازم له الآن، يا له من أمر عجيب ما يفعله ذلك الدرويش، فهو يلون الآفاق بلون الورد من دمائه! يا له من أمر عجيب فطالما لا يفنى الإنسان، لا يغطي جسده بثوب واحد من الحجب!.

## ٦ - قصة مجذوب وطلبه للكرباس (٢٨٥٩: ٢٨٧٢)

وقف مجذوب صاحب وجد عارياً، وطلب كرباساً من الحق قائلاً: يا إلهي جسدي عار من الملابس، وإن صبرت أنت، فلا صبر لي على ذلك، فجاءه الهاتف قائلاً: سأمنحك الكرباس، ولكن من أجل كفنك. تحدث المجذوب العاجز: إنني أعرفك يا راعي العبيد، فطالما لا يموت الرجل أولاً عاجزاً، لا تمنحه كرباساً أبداً، فيجب أن يموت الرجل أولاً مفلساً عارياً، حتى يجد الكرباس منك في القبر.

أيها القلب لو تقتل في هذا السبيل، تحيا داخل الحضرة في لحظة واحدة، لا يلزمك ثوب أيها القتيل بدمائك، يكفيك أن تكفن بدمائك، لأنك غارق وسط التراب

والدماء من القدم حتى الرأس، فابق وسط التراب، واغرق بين الدماء، كل امرأة عندما ينساب منها اللبن، يتوقف حيضها، وتختفي دماؤها، وأنت تشرب الدماء، وتعتبره لبنًا، ولأن بدايتك قامت على شرب الدماء، كانت نهايتك داخل التراب.

والشخص الكائن بين التراب والدماء، لماذا يعصي، وهو لا إرادة له، إن أردت أن تعرف كيفية أي شخص، فهو خليط من الدماء والتراب، إن أردت التحرر من الدماء والتراب، تجرع دماء قلبك، حتى تصير ترابًا، ليس لك من سبيل سوى الدمع والاحتراق، ربما يقع عليك ذات يوم ظلًا من ظلال طرته.

## ٧ - قصة مجذوب غلب عليه البكاء (٢٨٧٣: ٢٨٨٧)

كان مجذوب يبكي بحرقة، فقال له شخص لماذا تبكي على هذا النحو؟ قال وهو يجھش بالبكاء، إنني أريق الدماء، ربما يشعر قلبه بي لحظة واحدة، فقال له شخص: ليس له قلب، ومن يقول غير هذا ليس عاقلًا، أجابه المجذوب: إنه مالك القلوب كلها على الدوام، إنه يتحكم في كل القلوب، فكيف لا يكون له قلب؟ أي كلام هذا؟.

كل شيء في الحياة نابع من هناك، الحسن والقبح والإقبال والتردي من عنده، وقلوبنا أيضًا تنبض من هناك، ليست القلوب فقط بل كل شيء، إن حدث لك خير أو شر، فهما من عنده، انظر كيف أدمى جبريل التراب، وقضى على قوم السامري<sup>(١١٧)</sup> ولكن عندما نفخت روحه في مريم، ظهرت حياة العالم من روح الله<sup>(١١٨)</sup>.

فاعلم أن الخير والشر من عنده، إن كان نفعًا أم ضرًا فهو من هناك، إنك تجهل القدس الطاهر، لأنك أسير الماء والتراب، إن تحرر من هذه الخرابة، تصبح روحك مثل كنز يعمر وضاعة وجودك، وعندئذ تكون قد تخلصت من قيد جسدك، فيتصل قلبك بالحق مرة واحدة.

## ٨ - قصة أبوبكر الواسطي<sup>(١١٩)</sup> (٢٨٨٨: ٢٩١٢)

تملك الواسطي الفضول، فدخل إلى مستشفى للمجانين وقت الصباح، وهناك رأى مجنوناً ثملاً، كان يصيح حيناً ويصفق حيناً آخر، ويتحرك مثل البخور المشتعل من السرور، وهو يرقص ويقفز، شفته ضاحكة، وروحه متوهجة، ورأسه يتنازعه نشوة خمر الجنون.

اندفع الواسطي وقال: أيها البعيد عن جادة الصواب، إنك مكبل بالقيود الثقيلة، فلِمَا سرورك وأنت على هذا النحو؟ أنت عبد، فمن أين لك الشعور بحريتك؟ تحدث المجنون أمام الشيخ قائلاً: إن كانت قدماي تعاني من ثقل القيد الآن، فقلبي حر طليق، وهذا هو أصلي ولأن قلبي متحرر، فأنا متمتع بوصال الحبيب، اعلم يقيناً هذه القضية: إن قيدوا قدمي، تحرر قلبي.

ما هما العالمان؟ إنها بحر اسمه القلب، وأنت باق في البحر وقدماك في الطين، فغص داخل بحر صدرك لحظة، لتتعرف داخل نفسك على عالم مجهول، ولأن قلبك يحتوي على مئات من العوالم الخفية، فمتى تستطيع عينك أن تراها؟ هناك ترى الأرض والسماء، فأنت صورة للدنيا والآخرة أيضاً، وبما إنك تعلم أن الآخرة تظهر فيك عياناً، فلا تنظر إلى مكان لحظة واحدة، إن أردت العالم الحقيقي، يظهر لك بقدرة الله في لحظة واحدة.

الحياة تبدو أمامك من أخلاط وأسباب، وقد غسلت أقاليمها السبعة بسبعة بحار، أما في ذلك العالم فلا يخرج الطير من البيض، ولا يبنى قصر من جرانيت، ولا تولد حور من حائض، ولا يستخرج هناك العسل من النحل، ولا اللبن من العنزة، ولا الخمر من العنب، ولا تشوى الطيور فوق النار، ولا تقدم ألوان الطعام المطبوخة.

لأن الوسائل ترتفع هناك، وتنمحي تماماً، وكل ما تتمناه وتشتهيه، يتحقق لك، لا تنظر إلى نفسك بعين العقل، ولا تعتبر العالمين سوى قلب وروح، كم يخشى

وجودك السعير، إن قلبك عرش وصدرك كرسي، عندما يضيء قلبك في الدنيا بعشقه، متى تحترق بنار الجحيم؟

#### ٩ - قصة امرأة عجوز واجدة (٢٩١٤: ٢٩٢٢)

اندلعت ألسنة النيران ذات يوم في سوق بغداد، وارتفع صراخ الناس وسط النيران، وكأن القيامة قد قامت، وكانت عجوز واهنة بائسة تتكئ على عصا، قادمة في الطريق، فقال لها شخص: لا تذهبي هل أنت مجنونة؟ لقد شبت النيران بمنزلك، فقالت له المرأة: إنك مجنون، أغرب عني، إن الحق لا يحرق منزلي أبداً.

وبعد أن خمد الحريق الهائل، ظهر أنه لم يلحق العجوز أي ضرر من النيران، فقالوا لها: ويحك أيتها العجوز! قللي لنا كيف علمت هذا السر؟ عندئذ قالت العجوز الزاهدة، إما أن يحرق الله منزلي، أو يحرق قلبي، ولأن قلبي الواجد قد احترق بعشق الحق، فلن يحرق منزلي في نهاية الأمر.

#### ١٠ - قصة النار وحراقة (٢٩٢٣: ٢٩٤٠)

عندما عمل الحجر والحديد معاً، شبت منهما نار، وظهرت حراقة كانت تعيش على الاحتراق، فتحدثت النار وقالت: من تكون؟ أجابتها الحراقة: معرفة وحيبة ورفيقة، فقالت النار: عملي الضياء، وأنت سوداء فأني معرفة لك بي، أجابتها الحراقة السعيدة فوراً: إن سوادى ليس إلا من النار، لقد أحرقتني في نورك، وتدعين الآن عدم معرفتك بي، إنني حراقة مسكينة، نابعة منك، فاعزي حراقتك بلطفك، وعندما وقفت النار علي صدق إخلاصها، كفت يدها عنها في العالم.

وإن أضأت أنت أيضاً من هذا العشق، واحترقت هنا، لن تحترق هناك، وقد نصت الشريعة على أنه عندما تموت، لا تضع في قبرك آنذاك أجراً غير نبي، إن الآجر غير النبي، ولو أنه صادر من الأرض، إلا أنه آجر ناتج من النار، ولأن الطوب الأحمر آجر

ناري، فلا يليق بقبور أهل الدين.

وإن كانت شريعتك لا تجيز لك ذلك، فهي لا تجيزه بسبب النار، إن صوب المصباح بصره على الروضة، ذبل الياسمين فوراً، ومصباح باب الحق البهيج، مثله لنا كمثل المصباح للياسمين.

#### ١١ - قصة أبي علي الفارمدي<sup>(١٢٠)</sup> (٢٩٤١: ٢٩٥٣)

هكذا نقل ذلك الحكيم الروحاني، عن الخواجه أبي علي الفارمدي قوله: في يوم الحشر يعطي الحق تعالى المرء صحيفته قائلاً: انتبه واقرأها وامعن فيها، وعندما يتمعن المرء فيها ساعة أو ساعتين، لا يجد عليها شيئاً من المعصية أو الطاعة، فيتحدث ويقول: يا إلهي! إن صحيفتي بيضاء، فماذا تريد؟

فيأتي هاتف: إنني لا أسجل سيئات عشاق وحسناتهم في الصحف، لقد محا الجبار سيئاتك وحسناتك، فلا تفكر كثيراً في الجنة والنار، عندما تزول الوسائل بيننا، تصبح أنت نحن، ونحن أنت إلى الأبد، وإن لم تدرك هذا فلا بأس، كل شيء هو نحن، وأنت لا شيء قط، إن تقدمت والغرور يستبد بك، تُعطي صحيفتك، حتى تعرف نفسك، إن قدرتنا ليست محدودة، لا نحاسب حساباً عسيراً على كل صغيرة وكبيرة.

عندما يكون الإمام أمياً مطلقاً، لن يطلب الحق منا قراءة الصحيفة، وبعد هذه الأقوال عن الصحيفة، سوف يتضح لك المعنى سريعاً.

#### ١٢ - قصة مذنب يوم الحشر (٢٩٥٥: ٢٩٨٠)

رُوي عن الرسول، أن الحق يقول للمرء يوم القيامة، تعال أيها العبد! واقرأ صحيفتك، لترى ما فعلت في عمرك المديد، وعندما يقرأ العبد صحيفته كلها، لا يرى سوى المعاصي والذنوب، ولا يشاهد عليها إلا السواد، فيتحدث ويقول:

يا إلهي، إن مآلي إلى الجحيم بعد هذا العمر الخاسر، فيقول له الحق: اقرأ ظهر صحيفتك، وعندما يقرأ ظهر صحيفته، يجد كلمات مكتوبة عليها: لقد عانى من الندم وتاب، فتحول داؤه إلى دواء، وأن عالم الأسرار قد منحه مقابل كل سيئة عشر حسنات، عندما ندم على سيئته، كتب الله له عشر حسنات، وعندما يرى العبد ذلك يسر خاطره، ما أسعد العبد، عندما يتحرر!

فيقول العبد للحق: أيها القيوم المطلق، إنني لا أري كرام الكاتبين على حق، فقد ارتكبت ذنوباً أكثر من هذا بكثير، لم يسجلها لي هذان اللبيان، فقل لهما أن يسجلها لعبدك المسكين، وأن يكتبها كما كتبوا تلك، لأنه مهما كثرت ذنوبي، تمنحني عشر حسنات مقابل كل سيئة مرة أخرى، وعلى الرغم من أنني رجل آثم، إلا أنني فزت من ذنوبي بفضلك.

ضحك الرسول من هذا القول والسلوك حتى ظهرت أسنانه، ثم قال عندئذ: يا له من أمر عجيب! كيف تتأتى الجرأة لحفنة تراب أمام المالك الطاهر. وأنت يخشى عليك من الهلاك، إن علمت السر الكائن في الروح الطاهرة، فمن ذا الذي يعلم ماهية هذا السر العجيب، وما أسباب الأسرار العجيبة، لا يتأتى لك إدراك المعاني، أمام العديد من الأسرار الخبيثة.

## المقالة العاشرة (٢٩٩٢ : ٣٢٩٨)

قال له الولد: إن كان ما يشغلك هو عار الجب، فإن حب الجاه هو هدف العظماء، ومن ذا الذي غرض طرفه عن المنصب والجاه؟ ومن رأيتَه وقد أشاح بوجهه عنهما؟! ألم تر يوسف وقد اعتلى عرش السلطنة، وتمتع بالجاه بعد الجب؟

أنا لم أر إنساناً في الحياة، لا يراوده حب المال وعشق الجاه، خبرت جميع السبل كثيراً، فلم تشابه الروضة بالحمام لدى شخص، فإن تساوى الاثنان لدى شخص،

يكن حيواناً لا إنساناً، ولكن عندما يوجد إنسان عاقل، يميل إلى العز ويتطلع إلى المال، ألم يصعد عيسى إلى السماء بسبب الجاه، وبقي الملاك داخل الجب بصفة دائمة بسبب الجهل.

### إجابة الأب (٣٠٠١ : ٣٠٠٧)

قال له الأب: في هذا السجن المضطرب، يمكن أن يصير المرء من العظماء بطاعة الله، ولو أنك تهفو إلى رفعة تعلو القمر، تدركها بالطاعة وليس بحب الجاه، وقد قال الرسول: آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الجاه، ولا ريب في حب الجاه وعشق المال، ولكن لبحثك عنهما عظيم الوبال.

إن تصبح من خواص الخواص في طريق الحق، وتفزع بجاه، فأنت رجل عاص، وكأن الجاه يصعد منك دخاناً، ليس هناك أي فائدة في تداركه.

### ١ - قصة السلطان سنجر وعباسة الطوسية<sup>(١٢١)</sup> (٣٠٠٨ : ٣٠٢٧)

ذات يوم جاء الملك المعظم سنجر، وقابل عباسة في الخلو، ولم يحدث تألف بينهما، فقد جلس أمامها برهة، ثم نهض، فسألها أحد الأشخاص لماذا ظللت صامتة، لم تنبسي ببنت شفة، ولم تصغي إليه، فأجابت عباسة عندئذ: عندما وقع بصري على السلطان، رأيت عالماً مليئاً بالأغصان الحادة، وشاهدت في يدي منجلًا لقطعها، ولم أستطع اقتلاعها بذلك المنجل، فلم أر وسيلة سوى الصمت.

وأنت إن سعدت بجاه الدنيا، حرمت نعيم الآخرة، وعندما تتحقق لك الثروة والسلطة، تصير الأولى حية والأخرى بئراً، ما قلبك؟ إنه موسى في نفس فرعون، والدنيا تشبه طستًا، تضطرم فيه النيران المتعددة الألوان، لو يأمر جبريل موسى بالدخول في النار، يحسن أمرك، ولكن لو أن فرعون هو الأمر، تحترق بالنار، وتذوق عذابها الشديد.



إن كنت تطع الله أو تعصاه، فكل عضو من أعضائك سوف يشهد عليك، لا كفر لك هناك ولا إيمان، كل ما تكتسبه هنا، ينتظر هناك، تحصد ما زرعته في الدنيا، وترتدي ما نسجته فيها، تنتظر هناك حسناتك وسيئاتك، كل ما فعلته في الدنيا تحمله معك، لن تفوز بسعادة أيها الدرويش هناك، إلا بما تحمله معك من الدنيا، فإن مت في كد أو في هناء، فهذا حملك على كتفك هناك، لأن كل ذرة في العالم حجاب، فإن توافرت لك ذرة فهي لا حدود لها، اخط وكد وعان مثل الفرجار، وإن حللت هناك، لا تفكر، واعبر بخفة.

## ٢ - قصة طلب موسى من الحق (٣٠٢٨ : ٣٠٦٦)

قال الكليم زينة العالم للحق تعالى: اظهر لي شخصاً واحداً من عشاقك، حتى تضياء عيني بوجهه، فقلبي يحترق لرؤيته، فجاء هاتف: لنا في الوادي الفلاني، رجل صادق، من أهل المعاناة، وهو من خواص حضرتنا، يخطو في طريقنا ليل نهار.

مضى الكليم لمشاهدة ذلك الرجل، فشاهد رجلاً يستبد به الوجد، ويضع رأسه على نصف آجرة، ويرتدي خرقة حتى ركبته، يتحلقه آلاف من النمل والنحل والذباب، ويتجمعون حوله، عندئذ أقرأه موسى السلام وقال: اطلب ما تريد، فقال له: أسرع يا نبي الله، وأعطني شربة ماء من الكوز.

وعندما اتجه موسى إلى الكوز، فاضت روح العطشان في لحظة واحدة، وعندما أحضر موسى التقي الماء له، وجده قد لفظ أنفاسه فوق الأرض، فتعجب كليم الله، ونهض، ليعده الكفن، وعندما عاد كان أسد قد افترسه، وأكل قلبه ليشبع جوعه.

فماج قلب موسى من الألم، واشتدت غصته على ذلك الرجل، وتحدث قائلاً: يا عالم الأسرار، لقد خلقت طيناً، وتعهده بالرعاية بعناية فائقة، وعندما اشتد به الظمأ، وطلب الماء، مات دون تحقيق رغبته، نهشت بطنه، وأسلم الروح عطشاً، لم تلحق هذه الذلة بأحد قط، كيف لعقل أن يعي هذا السر، فسرك لا يراه القلب ولا تدركه الروح.

فهتف به هاتف من لدن الحق: لأننا سقيناها الماء دومًا، كان من الأفضل لذلك البائس، أن يشربه هذه المرة من أيدينا أيضًا، ومنحناه الثياب دومًا، فيكف يلجأ إلى موسى، وكيف ظهرت واسطة بيننا الآن؟ ولماذا التفت إلى الأغيار؟ ولماذا يطلب شيئًا من سوانا، وقد حظى بإعزاز من حضرتنا؟ إننا محونا وجوده إلى الأبد، لظهور الأغيار في الطريق، ولكن إن لم يُعد لنا، قيمة الخرقه وقطعة الآجر علنًا، فبعزتنا إن كان يرى قدر شعرة من عزنا، أو يشتم رائحة منا في أي ناحية.

يا عزيزي ليس الأمر سهلًا معه، فلا يكون الكلام معه إلا من القلب والروح، وعندما يستقر الكلام معه في أعماق الروح، ويمس شغاف القلب، يصعب الحديث عن الدنيا.

وعندما لا يستطيع المرء أن يسمو فوق روحه، لا يمكنه الفوز على آخر برجولة، ولا يمكن اعتباره من رجال الكون العظماء، بل امرأة عجوز عفا عليها الزمن.

وأنت لك علائق عديدة بكل شيء فأأي صلة لك بأصلك؟ ولما تأخرت عن الارتقاء إلى الفلك، وهو يزودك بمثل هذه القوة الهائلة؟ إن سلاسل الأرض جاثمة فوق قدميك، فكيف يمكن لك الارتقاء إلى السماء؟ إن اهتمامك ارتبط بزمرة من الكلاب، فمن منهم سيعلو بك إلى الأفلاك، وكيف يليق بكرام الكاتبين في القدس الطاهرة، الوضاعة الأرضية؟ والجمال المباح للعظماء، كيف يظهر لسكان المستراح؟ ليس لكل روح سبيل إلى ذلك السر، ولا يدرك كل شخص ذلك الجاه يا بني، فآلاف الأرواح تأتي إلى العالم، ولا تطلع على ذلك السر إلا روح واحدة.

### ٣ - قصة خلق الأرواح قبل خلق الأجسام (٣٠٦٧: ٣٠٩٩)

هكذا رُوي: أنه في الفترة، التي خلقت فيه الأرواح قبل الأشباح، وتراوح مدتها بين ثلاثة وأربعة أعوام، وكل عام منها مدته ألف عام، يروى أن تلك الأرواح السنية، قبل اتصالها بالأجساد الإنسانية، جمعت كلها، ونظمت في صف واحد، وعندئذ

ظهرت الدنيا عياناً، من خلف الأرواح، وعندما شاهدت الأرواح الدنيا، جرت تسع أرواح من كل عشر صوبها.

ثم تجسمت الجنة، على يمين الأرواح الباقية، وما إن رأى هذا القسم من الأرواح -ويا للعجب- الجنة، حتى اختارت الجنة تسع أرواح من كل عشر، عندئذ بدا السعير، على يسار الأرواح الباقية، وما إن شاهد هذا العدد من الأرواح السعير، حتى جفلت من الجحيم تسع أرواح من كل عشر.

وظل عدد ضئيل من الأرواح في مكانه لم يبرحه، لم ترغب في أي شيء، لم تختر الدنيا ولا الجنة، ولم تجزع وتفر من السعير، فجاءهم هاتف: أيتها الأرواح المجنونة، ماذا تنتظرون الآن هنا؟ إنكم بعيدون عن الدنيا وعن الجنة، ولم تذوقوا عذاب السعير، فماذا تنتظرون في طريقنا، أنلزمكم حضرتنا؟

فتعالت الصيحات من الأرواح، وكأن عمراً انقضى عليها قائلة: يا صاحب العرش والفرش والكرسي، أنت أكثر منا علماً، فلما تسألنا؟ نريدك أنت، وكل شيء بعدك عدم، فأنت حق اليقين وما عداك عبث.

فجاء الهاتف: إن أردتمونا، فأنتم تطلبون أنواعاً من البلاء، كثيرة كثرة شعر المخلوقات جميعاً، متلاحقة كتراب الصحراء، غزيرة كقطرات المطر، وفيرة كورق الشجر، وأكثر من ذلك، أنزل بكم كثيراً من الآلام والمحن، وأسلط كل لحظة آلافاً عديدة من الشوك الناري، على صدور الجريمة.

وعندما استمعت الأرواح إلى كلمات الحق، أطلقت الصيحات من السعادة وقالت: لتكن أرواحنا فداء ذلك البلاء، وليجر علينا كل ما تريد، نفتدي بلاءك بأرواحنا، ونتحمل في سبيلك مئات الصعاب، إلى الأبد.

ولأن له من كل روح سرّاً، فكل روح تعتقد، أنها المنفردة بسر الحضرة، والجامعة لسر معرفتها، على هذا النحو توقن الأرواح، ولكن قربه بروح واحدة<sup>(١٢٣)</sup>، وبقية

الأرواح حجاب لها، وتفتديه بوجودها.

#### ٤ - قصة زوجات الرسول (٣١٠٠ : ٣١١٧)

اجتمعت نساء المصطفى ذات يوم، وسألن الرسول: يا صدر العالم من منا أحب إلى قلبك؟ إن تفصح لنا، يطب أمرنا، قال الرسول: أيتها العزيزات يجب أن تصبرن اليوم، حتى أفصح لكن غداً عن مكنون قلبي، وأجيبن جميعاً على قدر استطاعتي. وعندما انقضى الليل وانمحي الظلام، استدعى كل زوج على حدة، وأعطى لها خاتماً في السر، فداوى جراحها بمرهم، وأخذ وعداً من كل زوج، ألا تتحدث قط مع أخرى بشأن الخاتم، وأن تحتفظ بهذا السر، ولا تسر به إلى أحد، وفي اليوم التالي، اجتمعت الزوجات أمام الرسول، ووجهن إليه ذلك السؤال مرة أخرى.

تحدث الرسول قائلاً: أقرب النساء إلى قلبي في العالم، هي من منحتها خاتماً في الخفاء، وعندما استمعت النساء إلى هذه الإجابة منه، لم تظهر أي واحدة منهن سعادتها، بل نظرت كل منهن إلى الأخرى، ولم تقف إحداهن على ذلك السر، فكل واحدة تعرف سره على حدة، ولكن كان له سر آخر مع عائشة.

إن هفا قلبك أيها السالك، إلى الخطو داخل حجاب الأسرار، فنح من قلبك واسعد بذلك، وتحرر في التراب والدم، فطالما لا تتجرع الدماء في الخلوة، لن تجد سبيلاً إلى سر المعرفة.

#### ٥ - قصة رابعة (٣١١٨ : ٣١٣٦)

أمضت صاحبة المقامات رابعة، أسبوعاً دون طعام هاجعة، لم يقر لها خلالها قرار، فكان جل عملها الصلاة والصوم للقهار، ثم أقعدها الجوع عن الحركة والنشاط الدائب، ولحق جسدها الهزال والوهن الكامل، وكانت جارة بالقرب من مقرها، قد أحضرت وعاء به طعام لها، فنهضت رابعة بصعوبة بالغة، لتشعل المصباح.

وما إن قفلت راجعة، حتى وجدت القطة قد قلبت وعاء الطعام، فذهبت مرة أخرى؛ لتحضر كوزاً من الماء، تنهي به صوم يومها، وعند عودتها كان المصباح قد خبا نوره، ورأسها قد اشتعل كالشمعة من حرقتها، وما إن رفعت الكوز إلى فمها في الظلام، لتنهي صوم قلبها الحزين، حتى وقع الكوز من يدها في التو واللحظة، وبقيت عطشى، وانكسر الكوز، فأصدرت تلك البائسة آهة من قلبها، كأنها قد أضمرت بها النيران في العالم.

كانت تقول بانكسار شديد: يا إلهي ماذا تريد من هذه المسكينة البائسة، أسلمتني إلى الاضطراب، فألى متى وأنت تدرجني داخل الدماء؟ فجاءها هاتف: إن أردت وهبنا لك الآن العالم بأسره، على أن نخرج من قلبك، معاناة السنوات الطوال، واعلمي أن الوجع مني، والدنيا المحتالة لا يتلازمان في قلب واحد أبداً، فإن لزمك المعاناة في سبيلنا، ليس أمامك من سبيل سوى ترك الدنيا، وطالما أنت في قيد وجودك فلا سبيل إلى ذلك، فالمعاناة الإلهية ليست دون مقابل.

#### ٦ - قصة بهلول (٣١٣٧: ٣٢٠٣)

ضاق بهلول مجذوب بغداد، ذرعاً بالأطفال، الذين كانوا يقذفونه بالحجارة، ويلحقونه أينما ذهب، ولما أرهقه الأمر كان يتناول الحجارة الصغيرة من الطريق، ويعطيها لهم متوسلاً: اقذفوني بهذه، ولا تدموا قدمي بالحجارة الكبيرة، فإن تجرح قدمي من الحجارة، لن أستطيع الصلاة إلا وأنا جالس.

وفي نهاية الأمر عندما أدماه إلقاء الحجارة، ولم يعد قلبه يحتمل آلامها، نزف دمًا من الحجارة والضيق، ودمى قلب الحجر من غصته، وحتى يكف أذاهم عن نفسه، ذهب إلى البصرة، وهو يعرج ببؤس، الحاصل، وصل إلى البصرة ليلاً، وأخذ يتلمس مكاناً في الطريق لينام فيه، فدخل إلى زاوية بها قتيل، كان غارقاً وسط الدماء والطين، ولم يلحظه بهلول فنام بجانبه، فتلوث ثيابه من دمائه.

وفي اليوم التالي، تجمع الخلق، وشاهدوا القتل ملقى بقسوة، وشاهدوا بهلول واقفاً بجانبه، وقد تلوث ثيابه بالدماء، وامتلاً مكانه بها، فأدانوه جميعاً واعتقدوا، أن بهلول - يا للعجب - قد فعل هذا.

قالوا له: أيها الكلب من أي جهة أنت؟ إننا لا نعرفك، قال: أنا من بغداد، وصلت إلى هنا، فنمت بجانب هذا القتل مطمئناً، ثم اتضح هذا القتل أمامي، عندما أضاء العالم وقت السحر، قالوا له: أسرعت من بغداد إلى البصرة ليلاً، لتريق الدماء، ثم قيدوا يديه بشدة وقادوه، وأودعوه لدى حارس السجن بقسوة.

كان بهلول الملتاع يقول في سريره: ويحك أيها القلب! ماذا أنت فاعل اليوم؟ لقد فررت من قذف الأطفال لك بالحجر، فاتهمت بالقتل هنا، إن كنت قد سلمت أمرك لله في بغداد، لما أصيبت روحك بالهلع في البصرة، وفي النهاية أخبروا الملك بالأمر، فأصدر أمراً بقتله دون شفقة.

وفي الحال قاده إلى المشنقة، ووضع له الرجل الظالم السلم، وعندما أراد ربط الحبل حول عنقه، رفع بهلول رأسه إلى الله، وكان يسرّ بسر، وفجأة انتفض شاب من مكانه، وأطلق صرخة وقال: إنه برئ، أنا الذي قتلت، ويجب قتلي أنا، وأنا لا أستطيع الآن تحمل هذا العبء، فكيف يمكنني احتمال وزرين فوق كاهلي.

حملوا الاثنين إلى الملك، حيث كان وزير الملك حاضراً، وكانت الرغبة تراود الملك منذ أمد بعيد، في مجالسة بهلول ولو لوقت يسير، وكان يتطلع إلى رؤيته كثيراً، لكنه لم يكن قد رأى وجهه أبداً، وعندما رآه وزيره وتعرف عليه، التفت إلى الملك بسرور، وتحدث قائلاً: أيها الملك المبارك، إن كنت تريد بهلول فيها هو، فنهض الملك بسرعة من مكانه، وأفسح لبهلول مكاناً أمامه، وقبل رأسه ووجهه بعطف وافر، ورحب به، وأجلسه بإعزاز شامل، وقصوا على الملك أمر القاتل والمقتول، ثم رويوا له قصة بهلول، فأمر ملك البصرة في الحال، بإراقة دم الشاب دون انتظار.

قال بهلول للملك: أيها الملك المظفر! لو تداوي حرقه قلبي، فمعاذ الله أن

تريق دمه، إن ترقه، لن يعلو لك شأن، فبسبب صدقه انتفض، وافتداني لما يفيض به قلبه من خير، ضحى بنفسه في سبيلي، فكيف تريق دم هذا الشاب، فاستدعى الملك أقارب القتل، وقال لهم: يجب عليكم طلب الدية، وإن أردتم قتله، يجب أن تتراجعوا عن ذلك، وهذه ليست رغبته، بل رغبتي، وإن كان عاصيًا، فقد اهتدى، لأن بهلول شفع له.

وفي نهاية الأمر، حكموا الذهب بين الطرفين، وأرضوا خصومه، ثم سأل ملك الزمان الشاب: عندما نهضت من بين الجمع، ما الذي جعلك تضحي بنفسك؟ فأنت لم تخش شيئًا، واعترفت على نفسك بسهولة، قال الشاب: رأيت ثعبانًا، لم أشاهد مثله من قبل، يفتح فاه، وينثر منه النيران، يرتعد من منظره الحجر الصلد، قال لي: انهض وقل الحقيقة، وإلا هلك الآن، فسوف أبتلعك في لحظة واحدة، واحتفظ بك داخلي إلى الأبد، حيث تحظى بعقوبة خالدة، ولا يغيثك أحد على وجه الأرض، فقفزت من مكاني من الهول والفرع، وقلت ما قلت حتى أخلص منه.

ثم سأل الملك بهلول، بماذا كنت تهمس وأنت فوق المشنقة؟ فقال: فقدت الأمل في حياتي، وأيقنت بهلاكي، فرفعت رأسي، وقلت: يا إلهي! ماذا تريد من هذا المسكين العاجز؟ لقد أعددت أنت كل هذا، وإن كانوا سوف يقتلونني الآن بذلة، فسوف أطلب منك الدية ولا أطلبها منهم، ولماذا أتعقب مجموعة من البائسين؟ أسألك أنت، فأنا لا أعرف أحدًا سواك، فروحي متعلقة بنفاذ حكمك، وما إن أسررت بهذه الكلمات إلى حجاب الأسرار، حتى نهض الشاب، وصاح بالحقيقة، فنجاني بكلامه من المشنقة، ورفع الغموض عن الأمر، ولو أن محتني من الحق تعالى، إلا أنها أثارت وجددي، وإن كانت قد أدمتني في البداية، فقد أشعرتني بحاجتي إلى مائة روح، ولأن تردي حالي صادر من تلك الحضرة، فالسير إليه يتطلب التضحية بمائة روح.

ولكن طالما ترى غير الله، ترى الشر والخير من سواه، الحب والحقد نابعان من

مصدر واحد، فاعتبر كل شيء نابغاً من هناك.

#### ٧ - قصة الشيخ بوشنجى<sup>(١٢٣)</sup> (٣٢٠٣ : ٣٢١٧)

خرج الشيخ بوشنجى إلى السوق، فصفعه تركي ظالم على قفاه، فقال له شخص: أيها التركي! ما هذه الصفعة؟ ألا تعرف من هو؟ إنه فلان وهو مثل شمس مشرقة، ووصاله لدى السلطان أفضل من العرش، وكان التركي قد سمع من قبل عن صيته، فأدرك عندئذ مقامه، فندم وتقدم من الشيخ، معتذراً مستشعراً ذنبه قائلاً: لقد ثقل كاهلي بما ارتكبت من إثم، لقد أخطأت، ولم أكن أعلم، لأنني ثمل.

أجابه الشيخ الجريح القلب، لا تهتم أيها القائد بهذا الأمر! إن رأيت هذا الفعل صادراً عنك فهذه سقطة مني، ولكنني أراها صادرة من حيث لا يوجد خطأ.

اعلم أن كل شيء مقدر منذ الأزل، ولكن لا تتوقف عن العبادة لحظة واحدة، فأنت لا تعلم أهالك أنت أم لا، ولا تعرف هل قدرت لك النجاة أم لا، لكنك تعرف أنه طالما بقيت على قيد الحياة، فسلوك الطريق أمر واجب، إنك تعرف هذا، ولا تعرف ذاك، ولا يمكن ترك اليقين والتشبث بالوهم، إن الله قادر عظيم، وعملك هو العبودية على وجه الدوام.

#### ٨ - قصة موسى والرجل العابد (٣٢١٨٨ : ٣٢٤١)

أمضى عابد حياته في الطاعة، ولم يتوقف عن العبادة ساعة، كان عمله العبادة ليل نهار، فقد أمضى حياته في عبادة الجبار، فهبط الجبار على موسى قائلاً: قل للعابد: أيها الرجل، ما هدفتك من الطاعة الدائمة، واسمك مسجل في ديوان الأشقياء.

وما إن جاء موسى، وأخبر الرجل العابد بذلك، حتى زاد من عبادته، وأخذ يضاعفها بجد واجتهاد، فأدى الفريضة الواحدة مائة مرة، فسأل موسى الرجل: إنك من الأشقياء، فلما تشغل بالك بالعبادة؟ فقال مجذوب الطريق لموسى: يا ببغاء



الطور ورجل الحضرة! لقد اعتقدت ذات يوم، أنني لا شيء، ولا شأن لي بأي أمر، عندما علمت مؤخرًا أنني في عداد الأشقياء، ضاعفت عبادتي ألف مرة، لأن اسمي ظهر بين الأشقياء عنده، فقد ارتقى أمري، كل شيء يأتي من عنده طيب وحسن، إن كان ماء أم نارًا، كل شيء يصدر عن الحضرة، زاد للطريق، خيرًا كان أم شرًا، إن أفاض الحق عليّ بنوره أو أحرقني بناره، فهو ربي الذي ليس لي عمل أمامه سوى العبودية، لا أفكر في قربه أو بعده، فأنا دائمًا في حضوره.

وعندما جاء موسى إلى الطور مرة أخرى، هتف به هاتف من أوج الأسرار: عندما رأيت هذا العابد على هذا النحو، منكبًا على الدين، لم يضعف من عبادته بسبب وعيدى، بل زاد من جده، وضاعف من اجتهاده، ولأنه ضاعف من عبادته، فقد زاد الله من سعادته، والآن أدخلته في زمرة المؤمنين، ومحوت اسمه من لوح الهالكين، ورفعته مع أصحاب الخطوة، فاذهب الآن وبشره.

ولأنك لا تعلم بسر لأولين، فلا تنكر أعمالهم ولو بدرجة ضئيلة، ولا تقر بجهلك وتعييهم، فغداً سوف تتضح الأعمال.

#### ٩ - قصة شيخ بخارى والمخنث (٣٢٤٢: ٣٢٥٤)

بينما كان أحد شيوخ بخارى سائرًا في طريقه، شاهد فجأة رجلاً سيئ الأعمال، وعندما اقترب من ذلك الفاسد، رفع أطراف ثوبه مبدئًا استياءه.

فقال المخنث: يا شيخ بخارى! لم تظهر أعмали من أعمالك بعد، فلا تغتر بأعمالك اليوم، فغداً ستتضح الأعمال، والنجاة والعذاب في علم الله، فلا صلاح لك ولا فساد لي، إنك اليوم لا تستطيع أن تحدد مصيرك، فلماذا تبعد ثوبك عني اليوم يجب عليك الانتظار، إلى أن يتحدد مصيرك غداً. وعندما سمع الشيخ هذا الكلام منه، سقط على الأرض، وقلبه مفعم بالآثم.

أيها القلب إن من شاهد أعمالك اليوم، أشاح بوجهه عنها بوضوح، لو تتفحص

دخيلتك، تتصاعد حيرتك في كل لحظة، اتبع الأمر، طالما لديك الاختيار، وابتعد عن أي شيء آخر، فسوف تمضي ساءت أحوالك أم حسنت، وكما جئت وحيداً سوف تذهب.

#### ١٠ - قصة الغزالي<sup>(١٢٤)</sup> وملحد ( ٣٢٥٥ : ٣٢٧٠ )

قال جماعة للغزالي: يريد أحل الملاحدة أن يقتلك كالشمع، فخاف الغزالي وقبع في منزله، حتى تسنح له فرصة للخروج، وعندما طالت غيبته في منزله، ضاق صدره للغاية من المكوث في المنزل، وكان هناك مجذوب من كوشهد، يطلقون عليه كوشهدي في ذلك العهد، فأرسل شخصاً إلى كوشهدي قال له: أيها المطلع على الأسرار في طريق الحق، لقد لزمت منزلي خوفاً من أحد الملاحدة، وقد ضقت بالأمر، ونفد صبري، فبماذا تأمرني أن أفعل، ربما استطعت التغلب على هذا الأمر.

ثار كوشهدي من تلك الرسالة، وقال لرسول الغزالي: أيها الرسول! قل للإمام والخواجه، إنك لست من رجال الحق، ولا حافظاً لدستوره، لقد أتى بك الحق إلى الدنيا في بداية الأمر، ولم يسألك عندما خلقتك، ولن يسألك عند موتك قط، فاسعد الآن، ولا تخف، فقد أحضرت للحياة بدون رأيك، وتخطف منها أيضاً بدون إذنك، عندما سمع الغزالي كلمات الرسالة، سر قلبه، وخرج من شركه.

لم يكن لك اختيار البداية، لذا فلن يكون لك أمر النهاية، ولأن طريقك ليس في ساحة الملك الإلهي، لن يتحقق ما تريد. فلماذا تطلب؟

#### ١١ - قصة الداعي والمجذوب ( ٣٢٧١ : ٣٢٧٩ )

كان أحد علماء الدين يدعو الله، فيرد عليه الناس بقولهم آمين، فقال مجذوب: ما معنى آمين؟ إنني لا أعرف مغزاها، قالوا له: معنى آمين، أن يتحقق، كل ما طلبه الإمام والسيد من الحق، مثل ليفعل كذا، وليكن كذا، وليتحقق كذا، فتحدث المجذوب

صائِحًا، لن يتحقق شيء أبدًا مما يطلبه الإمام والسيد من هذه الترهات، ولكن لن يكون إلا ما يريد الحق، لا أكثر ولا أقل، فلماذا تطلب بنفسك؟، لو لم يقسم الله لك رزقًا، فلن يكون رزقك سوى احتراق الصدر، وإن يقسم لك، يعل شأنك، وإلا تنبت الأشواك من وردك.

#### ١٢ - قصة مجذوب يبكي (٣٢٨٥ : ٣٢٨٥)

كان أحد المجاذيب، يجلس فوق رماد على قارعة الطريق، يريق الدمع مثل الدر حينًا، ويهيل التراب على رأسه حينًا آخر، فقال له شخص: يا من قبت فوق الرماد! لماذا تبكي دائمًا بمثل هذه الحرقه؟، فقال: تفيض روحي بالوجد، وأغرق بين دمعي كالشمعة، لأنني أريد الله ولا شيء سواه، لكن الحق لا يريدني قط.

#### ١٣ - قصة مناجاة مجذوب (٣٢٨٦ : ٣٢٩٤)

كان مجذوب يسير في الصحراء، وقد استولى عليه الوجد، فكان ينظر إلى السماء، ويقول بقلب ملئ: يا إلهي! إن لم تكن حرفتك العشق، إلا أنني أعشقتك دائمًا، وإن كنت لا تكن لي حبًا كبيرًا، فأنا لا أعشق أحدًا سواك، كيف أشرح لك يا مضيء العالم؟ وفي كل لحظة تتطلع مئات من الأرواح إلى ذلك السر، وتهيم حوله شوقًا مثل الفراش حول الشمع، وإن كان هذا السر يدرك بدون سبب، إلا أنه يدرك أيضًا بإقبال الحظ، وإن تحققت لك ذرة من الحظ، لارتفعت بك صوب الشمس.

#### ١٤ - قصة إقبال الحظ (٣٢٩٥ : ٣٢٩٨)

قال رجل لأحد الشيوخ: أيها التقي! ماذا تفعل إن حالفك الحظ؟ فقال: إن تحقق الإقبال، يقل لي ما يجب وما يلزم، كل شخص تفيض عليه السعادة، تجعله يبدأ العمل فورًا.

## المقالة الحادية عشرة (٣٢٩٩ : ٣٥٩٠)

قال له الولد: إن تمتعت بالجاء، فلماذا يضطرب حالي، وأُضِلُّ السبيل، إنني أبحث عن الجاء باعتدال، فلا تمنعني إن سلكت هذا السبيل، فلو ضللت رغبتني في الجاء، لن يجرفني غروره كالسيل.

### إجابة الأب (٣٣٠٣ : ٣٣٠٦)

قال له الأب: الرغبة في الجاء وإن كانت ضئيلة، إلا أنها تطيل سجنك داخل الجب، لو تتطلع ثانية إلى هذا السبيل بعين الطاعة، ينقشع عنك الحجاب في الحال، ولأن حجاب البحث عن الجاء ينسدل أمامك، يحول بينك وبين الطاعة.

### ١ - قصة موحد (٣٣٠٧ : ٣٣٢٥)

كان أحد العظماء من أصحاب التوحيد، قد أمضى زمناً طويلاً في البادية<sup>(١٢٥)</sup> وحيداً، لم يأخذ دلوّاً ولا إبريقاً ولا حبلاً، ولم يحمل معه ماء ولا زاداً، وفي نهاية الأمر جاء وهو يسير مثل الغرباء، وقد وضع قطعة من الخبز في فتحة السربال، كان يشمها أحياناً، ويهيم على وجهه أحياناً أخرى، وينام في بعض الأحيان عاجزاً دون غطاء في العراء، فقال له شخص: لماذا صرت مسكيناً على هذا النحو، وقد كانت لك مثل تلك الحياة، أصرت على هذا النحو في النهاية، تشم قطعة الخبز كل لحظة؟! قال الرجل: أسلك على هذا النحو، لكي أكفر عما اقترفته، فقد كان تجردي وهماً، وكان غروري وغفلتي لا حد لهما، وكان كل ما صدر عني مجازاً، والآن وقد أدركت ذرة من المعنى، ووهبني الله التوبة من غروري، ويزيدني منها كل ساعة، كيف يكون الاهتمام بغير الحق، دليلاً على العبودية.

إن تشغل بشيء سوى الحق، فأنت قطعاً عبد لذلك الشيء، وإن نازعتك نفسك عن الحق بشيء مهما ضؤل، فهو قيد صغير في طريقك، يجب أن تنزع كل علائقك تماماً، وأن تزيد معرفتك بنفسك كل لحظة، لأنك تعرف أن موتك أمر حتمي، فلماذا لا تقصد إليه، انهض، فلست أقل من ورقة، ارتعد وامتنع وانفصل عن نفسك. إن يتحقق لك الوقوع أمام هذا الباب، تفتح أمامك أبواب العظمة، ولو تسقط أمام هذا الباب وأنت على هذا النحو من التردي، عندما تنهض تصبح شمساً.

## ٢ - قصة مجذوب ونعش (٣٣٢٦: ٣٣٤٢)

شاهد مجذوب واجد، نعشاً محمولاً من بعيد، فسأل أحد الأشخاص: من هو الميت الذي خطفه أسد الموت فجأة؟ قالوا له: أيها المجذوب الواجد، كان هذا الميت شاباً مصارعاً في غاية القوة.

قال لهم المجذوب: الشاب وإن كان قوياً في المصارعة، إلا أن المسكين لم يكن يعلم، مع من يدخل حلبة المصارعة فجأة اليوم، أوقفه منافس بالغ القدرة، وألقى به دون محابة، فقذف به وسط التراب والدماء، بحيث لا ينهض ثانية، لكن الحمد لله يمكن لهذا الشاب أن ينهض، حيثما وقع ومات. هناك توجد الحياة، بعد صعود الروح، حيث يجيء الجميع، ويواجهون الوقوع، لأنه لا مناص لأحد من الوقوع، فلا بد للجميع من الوقوع في هذا البحر.

إن لم تسقط هنا، فأنت بالروح، ولا إيمان لديك بالنهوض، ترفرف حول العالم سعيدياً، وأنت تنشب مخالبك في هذه الجيفة، إنك لم تمتلك هذه الضيعة، ولم تتبعها، وكأنك لم تشاهدها من قبل، الحياة لا تلزم أي عاقل، فهي تنهي حياة المرء في لحظة، لماذا ارتبطت روحك بالعالم، وهذا العالم سوف ينتهي في لحظة؟! إن كنت رجلاً، فالحياة الحقيقية هي، أن توجد هناك حيث الخلود في الآخرة.

### ٣ - قول للرسول ﷺ عن الرضيع (٣٣٤٣: ٣٣٥٩)

هكذا قال الرسول للصحبة، عندما يولد الطفل من أمه، يكون وجهه متجهًا إلى الأرض، يظهر عجزه للغاية، ويظل يبكي، ولكن عندما يرى ضياء الدنيا، ويشاهد سعة الأرض، وامتداد السماء، لا يطلب العودة إلى رحم أمه مرة أخرى أبدًا، حيث يلفه الظلام، والشخص الذي تخلص من هذا العنق الضيق (الدنيا)، ذهب إلى صحراء الآخرة الشاسعة، ومثل هذا الشخص، مثل الطفل الذي خرج من رحم أمه إلى الحياة، مثل ذلك الطفل الذي يأتي إلى الدنيا، ولا يريد أن يعود إلى داخل البطن لحظة واحدة، كل شخص رحل عن الدنيا إلى الآخرة، كان حاله كحال الطفل كما ذكرت لك.

أيها القلب! إن روحك ليست متعلقة بالدنيا، فاشعل النيران في وجودك إن كنت رجلًا. إن لم يسلك قلبك الطريق، فكيف ستسلكه داخل جسدك، إن كان السابقون استطاعوا سلوك الطريق، فأيقن أنه يمكن لروحك سلوكها، أقم خلوة داخل دير قلبك، وانطلق منها صوب الحق، وإن أدت عملاً روحانيًا، ولا تظهره واخفه، ومارس رياضاتك مرتديًا الحرير لا النمد، فذلك عمل الحمار، وليس من العقل في شيء، وليس من الجائز أن تبدل ثيابك، فأمر الله ليس بالعمامة ولا بالقباء، وإنما تجاوز عن الثياب إن استطعت، وبدل روحك مثل الرجال.

### ٤ - قصة حسن وحيب (١٢٦) (٣٣٦٠: ٣٣٧١)

كان حسن يسير برفقة حبيب، حتى وصل الرفيقان إلى جيحون، وعندما نظر حسن بجانبه لم يجد حبيب، فأخذ يتلفت حوله، حتى وجده على الجانب الآخر من النهر، فأدرك أنه فاز بمقام أعلى منه، فقال له: يا حبيب، يا رجل الحضرة! لقد تعلمت مني سلوك الطريق، فكيف مرقت فوق النهر؟ وكيف وجدت السبيل إلى هذه الكرامة؟

قال له حبيب: أيها الأستاذ المطلق، وهبت هذه الكرامة في طريق الحق، لأن دأبي كان درء الصدأ عن قلبي، وكان عملك دائماً هو جعل الورق أسود.

وأنت إن جلوت مرآة قلبك مثل الرجال، يعكس القمر لك مرآة من الشمس، قلب بعيد عن التشبيه وعن التعطيل<sup>(١٢٧)</sup> مبرأ من كل تفسير وتأويل، يفنى حيناً في القدس والطهر تماماً، ويشعر حيناً بقيد التراب، يعيش بين السكر والصحو، ويتحقق له الكمال بهما.

#### ٥ - قصة شبلي (٣٣٧٢ : ٣٣٨٨)

كان شبلي يحضر مجلساً ذات يوم، فسأله شخص: يا وضاء العالم! قل من هو العارف؟ فقال: هو الذي إن يجتمع أمامه العالمان، يتغاض عنهما بهذب واحد، لأنه فاز بدرجة أعلى منهما.

وسأله آخر ذات يوم مرة أخرى، من هو العارف؟ يا أستاذ الأسرار! قال: إن العارف عاجز، لا يتحقق له قوة بعوضة أبداً، فنهض أحد الحاضرين، وقال: يا وضاء العالم، في اليوم الفلاني تحدثت عن العارف بذلك النحو، والآن تقول هذا اليوم، إنك تتناقض في طريق دينك، أجاب شبلي آنذاك بوضوح: أيها السائل! لم أكن أنا نفسي ذلك اليوم، ولكنني اليوم عاجز، فلن أجيبك بأفضل من هذا أبداً.

الشخص الذي يرى جمالاً في جهة ما، لا يتحقق لرؤيته الكمال، يجب رؤية الحسن والقبح معاً، وإدراك مقامَي الصحو والسكر على حد سواء، ولكن إن رأيتها كلها متصلة، فأنت ترى حسنه كله في ترابط، وإن رأيت سوءاً فهو حسن، لأنه من عند الله، إن تنظر إلى المنزل والسقف معاً، تجد دنيا العشق وقفاً عليك.

أيها القلب، للمعشوق علامة في روحك، انثر عليها الدمع من عينيك وأبدره دُرّاً، فإذا ما جلس فوق عرش قلبك، وألقى بكل قيوده، جب الآفاق من سعادتك به، حيناً في صحوك وحيناً في سكرك، وانظر إلى الآفاق، وادرك معرفتها، فأنت في

كل لحظة تدرك عالمًا بذاته، ولكن إن تجمع الخلق حولك بالآلاف، فإنهم يصوبون إليك السهام من الجهل، عندما يكون معشوقك حاضرًا معك، إن تأوّهت، فأنت بعيد عن الطريق.

## ٧ - قصة أبي يزيد والمحتال (٣٤١٠: ٣٤٣٠)

كان أبو يزيد وضاء العالم، يمر على الصرافين ذات يوم لعمل ما، فشاهد أمامه في الطريق أحد المحتالين، وقد بدا أنه اقترف كثيرًا من الذنوب، حيث كان شخص يقيم عليه الحد، ويجلده بقسوة بالغة، والدماء تنزف منه بغزارة، وعلى الرغم من تلك القسوة، لم يكن المحتال يتأوه، بل كان يضحك، ويقول بسعادة: ليتهم كانوا يضربوني دائمًا على هذا النحو، ويطعنونني بسيف ناري، فتعجب الشيخ من ذلك العرييد، وظل واقفًا هناك.

وعندما انتهوا من إقامة الحد عليه، سأله البسطامي في الخفاء، لقد جلدت طويلاً، ونزفت كثيراً، ومع ذلك بقيت مثل الورد ضاحكاً متفتحاً، لم تتأوه، وتغلبت على دمك، لقد احترت في أمرك، اعلمني عن سر هذا الأمر؟ وكيف يمكن البقاء وقت المحنة بمثل هذه السعادة؟

فقال المحتال المنبوذ عندئذ: كان معشوقي أيها الشيخ موجوداً من بعيد، كان واقفًا على ناحية من الطريق، لا يفعل شيئاً سوى المشاهدة، وعندما رأيته واقفًا في الطريق، لم أشعر حينئذ بالألم، متى كنت أرى جراحاً بعيني في تلك اللحظة، وإن جرحت مائة جرح!؟ وكيف لا أثبت، والمعشوق واقف من أجلي!؟

عندما سمع الرجل الفريد هذا الكلام، فاضت الدماء من عينيه، وقال في سريره: أيها الشيخ التعس، تعلم طريق الدين من المحتال، كل أمورك في الدين معوجة، فانظر كيف تكون أنت، وعلى أي نحو يكون هو، يجب أن تتعلم الدين من هذا المحتال، فإن تعلمته، يجب أن تتعلمه على هذا النحو، يوجد كثيرون من أصحاب



التسليم في الدين يتعلمون من أقل عبد.

#### ٨ - قصة ابن مبارك<sup>(١٢٨)</sup> (٣٤٣١ : ٣٤٤٤)

كان ابن المبارك يسير في الطريق، في الصباح الباكر، وسط الجليد والرياح، فشاهد غلامًا، يرتدى ثوبًا واحدًا وكان جسده يرتعد من البرد، فقال له: لماذا لا تفتح سيدك في هذا الأمر، حتى يهيئ لك ملابس أخرى، قال الغلام: ماذا أقول لسيدي، إنه يرانى دائمًا، ولأنه يراني بوضوح فماذا أقول؟، ولأنه يعلم حالي أفضل مني فماذا أطلب منه؟.

عندما سمع ابن المبارك هذا الكلام، تدفقت الدماء إلى مفرقه، وأطلق صيحة، وفقد رشده، كأنه صُعق، وعندما عاد إلى رشده، تحدث قائلاً: ظهر لنا مرشد، ألا يا سالكي طريق الحقيقة، تعلموا من هندي الطريقة هذا!

من يعلم ما تخفي الصدور، وفي أي قلب من قلوب الخلق تكمن محبة الله، القلب الذي يستشعر محبته، يطوي طريقه في نفس واحد، كل قلب فاز بنفحة من محبته، يسرع ببذل روحه في لحظة واحدة، مثل ذلك الحبشي الذي أدرك محبته، فأدرك عمره الضائع في لحظة واحدة.

#### ٩ - قصة حبشي (٣٤٤٥ : ٣٤٥٩)

جاء حبشي إلى الرسول قائلاً: لقد قررت التوبة الآن، ولو فزت بالعفو، وقُبلت توبتي، يكون لي شفيع مثلك يا رسول الله! قال الرسول: إنك تبت، فاعلم يقينًا أن الله قد غفر لك.

عندئذ قال الحبشي مرة أخرى، لقد كنت ضالًا وسط ذنوبي، ربما لا يتقبل الله ذنوبي، ويكون قد شاهدني غارقًا في تلك الآثام، قال الرسول: ألا تعلم إذن، إنه لا يخفى على الله شيء، لقد اطلع على ذنوبك كلها، إلا أنه سترها بكرمه.

عندما سمع الحبشي هذا الكلام، أصدر آهة فجأة من قلبه الدامي، وما إن انطلقت تلك الآهة من قلبه، حتى اقتنصت طائر روحه، وسقط أمام المصطفى فوق الأرض، مات تقيًا، وذهب إلى الحق طاهرًا، وطلب الرسول من أصحابه الصلاة عليه قائلاً: أسرعوا أيها الصحابة جميعاً! وابكوا على قتيل الحق، غريق الخجل والحياء، وكبروا عليه، الشخص الذي يقتل بسبب الحياء والخجل، إن مات، صار جسده توتياً، وإن شمنت أي ذرة من ثراه، لوجدتها مثل مائة بحر يهدر بالخجل.

#### ١٠ - قصة عروس وزوج شهر (٣٤٦٠: ٣٤٩١)

أراد رجل وصال عروسه الفاتنة، فوجد منها تمنعاً وصدوداً، وعندما شعر الزوج بابتعادها عنه، أيقن أنها قد فقدت عفافها، صار جسدها من العرق مثل ماء الورد، وبدلاً من أن تمزق ثوبها كالورد، مزقت روحها، وعندما وقف الرجل على مدى خجل المرأة، وشعر بإشرافها على الهلاك كمدًا وحنناً، دمی قلبه لحالها، وتجاوز عن عارها.

قال لها: لن يصح إيماني، إن لم أخف شرك وأحفظه، لن تعلم أمك بهذا الأمر، ولن يتأتى لوالدك الاطلاع عليه، وابن آدم لا يخلو من العيوب، فإن صادفني عيبك، أستره، ليستر الله عيوبي، فلي نقص في ديني، يفوق نقصك، فليطمئن قلبك، ولا تفكري في هذا الأمر طويلاً، ولا تذكره ثانية أبداً.

وفي اليوم التالي وبعد انتهاء هذا الأمر، توقف ذلك الطائر الذهبي عن التحليق، استبد بها المرض، وثقلت عليها وطأته في يوم واحد، أصبح وجودها كله يصرخ ويشبه قبضة من العروق والأعصاب، وبدت عظامها وأصبحت مثل نواة التمر، وعندما شاهد زوجها وجهها مثل الذهب أحضر لها طبيياً في التو والساعة، وكيف لذرة من العلاج أن تدوايها؟ واصفرار وجهها يزداد كل لحظة.

تحدث الزوج، وقال لها خلسة: إن تقتلين نفسك، وأنت بعد في ريعان الشباب،

إن كانت رغبتك هي عدم كشف سترك، فقد سترك والتزمت الصمت، وإن كنت تتمنين عدم معرفتي بالأمر، فتخلي أنني لا أعلم به، لماذا يطبق الحزن على صدرك؟ حتى أسلمك إلى المرض على هذا النحو.

فقالت الزوجة عندئذ: أيها الزوج التقى، لا يصدر الكلام الطيب إلا من أمثالك، إنك قلت ما يليق بك، وفعلت ما يجدر بك، وتحملت عذاب روحي، دون ذنب، ولكن ماذا أفعل في هذا الخجل؟ فأنا أعلم أنك تعرف سري، ولأنك تعلم إثمي، فمتى تخدم النيران في طريقي. طالما بقيت على قيد الحياة، فلن تعرف روحي سوى الاحتراق. قالت هذا، وفارقت الحياة بسبب الخجل، اسودَّ وجهها، وانقلب حالها، لأنه غفر لها كل ما ارتكبته، ولم يعد لديها ما تخشاه، فأسلمت الروح.

إن كانت قطرة واحدة قد غرقت في بحر الكل، فلماذا تهيل التراب على مفرك بسبب هذا الفكر، لا تكن في سعيك مثل قطرة شريدة، فالأولى بالقطرة، اتصالها بالبحر، أنا وأنت خلقنا من نطفة، ماذا كان يحدث، إن لم تكن النطفة، ولماذا ولدت؟ إن كنت ستموت هكذا بذلة، إن عدم وجودك أفضل من موتك (غافلاً) كالشرارة، لماذا تحيا وقد استغرقك النوم؟ ولماذا يستوي مجيئك وذهابك؟

#### ١١ - قصة لأحد الحكماء أمام قبر الإسكندر (٣٤٩٢ : ٣٤٩٨)

عندما أودع الإسكندر الثرى في ذلة، قال حكيم أمام قبره: أيها الملك! لقد قمت بأسفار متعددة، ولكنها ليست كرحلتك هذه المرة، طفت حول العالم مثل الأفلاك، وانتهيت الآن من ذلك، لماذا ذهبت كما جئت؟ ولماذا جئت كما ذهبت؟ إنك لم تعلم شيئاً عن الحياة وأنت فيها، ولا تعلم ماذا تحمله إلى هناك، لماذا تلزم كل هذه القيود؟ وإلام هذا المجيء والرحيل؟

## ١٢ - قصة مجنوب (٣٤٩٩: ٣٥٣٤)

اضطرب حال أحد المجاذيب، وساء أمره يوماً بعد يوم. انقبض قلبه من الخلق، ومن نفسه، وضافت الدنيا أمامه، فتحدث قائلاً: يا عالم الأسرار! ليس لهذا الخلق سر واضح، إلى متى يستمر المجيء والذهاب؟ ألم يضيق قلبك يا إلهي بالخلق؟! ماذا أقول، وأنا لا أعرف شيئاً عن نهايتي، وعما أبحث، ولا فكرة لديّ عن بدايتي، إن دمعي الدموي يفوق ماء البحر، ماذا أقول، فهو عالم يهدر بأمواج الدماء.

تقول لي: لأن خبرت الحياة، فارشد أرواحنا بإشارة، ولأن روعي لا تدرك كنه الحياة، فكيف يبحث أحد عن شيء لدى فاقده؟ لا أعلم ما وسيلتي؟ وما قلبي؟ أو ما روعي؟ إن مسكينك هذا لا حيلة له، يعاني دائماً من الاضطراب، طفقت أبحث في كل حذب وصوب، إلا أنني لم أوفق بأي وجه، طففت حول العالم كثيراً، لهذا أصبحت حائراً على هذا النحو، منذ أن نزعت من ثدي ألسنم، وألقي بي في هذا السجن مقلوباً، عانيت الاضطراب والضلال، فتلمست كنف المربية فترة، ومن هناك جئت وحيداً متجرّداً، حيث يوجد رسم إقبالي وسعادتي، إن أفز بالوصول إلى هناك أو لم أفز، فإنني أحترق من الحيرة ليل نهار، قلبي مفعم بالألم، وروحي طافحة باليأس، وأيامي مظلمة وقمري خاسف، إن بقي قدمي في هذا المنزل، فقد ينغرس قلبي المتهالك في الطين.

بسبب العمى أدركنا ظهورنا للأسرار، وبسبب الغفلة، جعلنا الخرقه زناً، محونا عقولنا، وتمسكنا بالحماقة، تركنا الأدب، واخترنا الوقاحة، لو بقي القلب متعلقاً بهذا الخيالات، فسوف يتردى بأيدينا من جهلنا، أي فائدة من عمر لا طائل تحته، إن فزنا فيه بشيء، نزعت عنا السلامة، أيها القلب إلى متى تقتلني وإلام تصهرني؟ أنت لا تستسلم ولا تقاوم، فماذا يجب أن أفعله معك في نهاية الأمر؟ وأنا لا حاصل لي سوى الألم.

إن تتحقق لك معاناة الرجال، فاجلس برجولة، وتغلب على ذلك الألم بشجاعة، لأن ترديك يتزايد دومًا بسبب آلامك، فالإم تسحلني في الدماء، إن تشعل في النار كل لحظة كالشمع بيد، وتجلوني باليد الأخرى. إن تعثرتُ، تقل لي انهض. وإن ركضتُ، تقل لي لا تسرع. إن كنت قريبًا أو بعيدًا، طالما وجدتُ، فأنا وحيد.

أيها القلب لا علم لي عن الضيعة والضياع، فحررني من هذه الضيعة لحظة واحدة، واصنع لنفسك منزلًا مثل أبي أيوب، فإن أعدته، احتفظ به مفتوحًا، ليصير -على حين غرة- مهديًا للمصطفى، فيشارك مثلك أيها المسكين المنزل، فإن كنت كافرًا يمنحك الإيمان. وإن كنت عاجزًا، يساعدك. وعندما يتحقق لك شيخ مرشد، كن مريدًا. فأصل الرجل هو الشيخ، وإذا ما انمحي الشيخ في الحق محوًا مطلقًا، أصبح أمره هو أمر الحق بعينه.

### ١٣ - قصة حسن البصري وشمعون (٣٥٣٥: ٣٥٩٠)

كان للحسن البصري أستاذ البصرة الجليل، جار مجوسي واهن، فظل يعبد النار سبعين عامًا، ويحترف الجهل والسكر، كان اسمه شمعون، وكان يقضي جل وقته أمام النار، مثل الشمع، وعندما اشتدت عليه وطأة المرض، رق الحسن لحاله، وقال في سريره، يجب الذهاب اليوم لعيادته ومواساته، فهو وإن كان مجوسيًا بائسًا، إلا أنه في نهاية الأمر من جيراننا.

الحاصل، توجه الحسن إلى شمعون، فرآه نائمًا وسط الأرض مثنًا بآلامه، وقد اسودَّ وجهه من دخان النار، الذي ذهب بنظافة ثوبه وشعره، فتحدث الشيخ وقال: أيها المسن، اخش الله، فالإم تبعد عن جادة الصواب؟ لقد أضعت عمرك كله عبثًا، وأمضيته بين النار والدخان، وأغضبت ربك، فجعلت مصيرك الجحيم، أنك تتوهم أن النار تحميك، ولا تعلم أنك لا ترى منها سوى الدخان، فابتعد عنها، أيها الغافل، لتتحرر، إن كنت أسدًا، فلن تستغني عن الله.

لماذا تنير قلبك بالنار؟ وهي إن أدركتك، أحرقتك في الحال، إن تلك النار لا تشتمل على ذرة واحدة من الوفاء، فمن غير الجائز البحث عن الوفاء لديها، إن كان للنار وفاء لحظة واحدة، لأمنتك مرة واحدة هوينة، إنك عبدت النار طويلاً، وسوف تحرقك في نهاية الأمر، ولكن لأنني أعبد الحق بإخلاص، سأضع يدي الآن في النار، حتى تعلم أيها الآثم، أنه لا يوجد أحد سوى الحق في العالم، انظر. قال هذا، ووضع يده في النار، فلم تمس شعرة منها.

وعندما شاهد المجوسي الواهن يد الشيخ، احتار وبهت، وأشرق عليه صباح المعرفة، وأسبغ عليه الضياء كالشمع، وقال للحسن: أيها الشيخ أي أمر هذا؟ لقد انقضى الآن سبعون عاماً، وأنا أمارس عبادة النار، والآن يؤرقني التفكير في الحق، ففي هذا الوقت، وأنا على وشك الموت، أشرق الصباح في قلبي المظلم، ماذا أفعل؟ وماذا تقترح عليّ أن أفعل؟ ولم تبق لي سوى أنفاس معدودة في الدنيا.

تحدث الشيخ وقال: أيها الطاعن في السن! اعتنق الإسلام، فهذا هو مخرجك، عندئذ قال شمعون: أيها التقي، كثيراً ما تناولت على الحق بكلمات، إن ساعدتني الآن، تكتب لي رسالة وتشفع لي فيها، حتى يعفو الحق عني دون أي عقاب، ويشرفني بمشاهدة الجنة، إنني سأقر بإيماني، وأسلك طريق الله، ولكن عندما ترقم الرسالة. فكتب الحسن الرسالة، وأحسن ديباجتها، وشفع فيها للرجل.

فقال المجوسي مرة أخرى: أيها الشيخ التقي! يلزمي عدول البصرة كلهم، ليشهدوا على هذه الرسالة، لأنني أخشى غضب الله وقهره، فنفذ حسن طلب المجوسي الطاعن في السن، وأشهد العظماء علي ذلك الكلام، وأحضر الرسالة وسلمها إلى شمعون، عندئذ أسلم شمعون الصالح.

وعندما أخذ الرسالة قال للحسن: أيها الشيخ عندما يحين أجلي، وتغسلني، ضعني في الكفن، وضع الرسالة في يدي بنفسك، فليس لي أمام الحق سوى هذه الحجة، وإن كنت لا أحملها إليه، إلا تعبيراً عن خجلي. قال هذا، وفاضت روحه

الطاهرة، وتجمع كثيرون حول قبره، ثم وضعوا الرسالة في يده، وظل القوم هناك حتى الليل.

في تلك الليلة لم تغفل عين للحسن من شدة التفكير، وأمضى الليل كله في الصلاة والذكر، كان يقول في سريره: يا لك من أستاذ ماهر، أجسرت على إعطائه الرسالة بجهل؟ اجتأأت؟ وكان ذلك بسبب جهلي، ولا أعلم أكان ذلك صواباً أم خطأ، إنني أخشى من أن يجرفني التيار، فكيف أمسك بيد غريق، إنني بعيد عن ملك الحياة، فكيف أتصرف في ملك الحق؟

ظل على هذا النحو حتى السحر، وعندما أسره رسول النوم، رأى شمع الإيمان في المنام، شمعون متنعمًا في جنات الخلد، والتاج فوق رأسه في عز ملكي، ويرتدي حلة من التشريف الإلهي وشفته ضاحكتان، ووجهه مضيء مثل الشمس، صار مسلمًا في دار الملك الخالدة، فقال له الحسن: ويحك! كيف أتيت إلى هنا؟ فقال له: لماذا تسأل؟ تمنعني في الأمر، الله جعل مثواي الجنة الخالدة، وتمعني برؤيتها بفضله وإحسانه، الآن وقد أوفيت بشفاعتك، خذ هذه الرسالة ولا تقلق.

قال الحسن: وعندما استيقظت، وجدت الرسالة في يدي، وقلبي مطمئن. إن صنعت دواء اصنعه على هذا النحو، واجعل عهد الإيمان على هذا المنوال.



## المقالة الثانية عشرة (٣٥٩١ : ٣٨٣٦)

قال له الولد: لو أن الكأس حرام عليّ، فاشرح لي كنهها، وإن كان عشقها عزيزاً، فأنا لا أعلم سرها.

### إجابة الأب (٣٥٩٤ : ٣٥٩٦)

أطلق الأب لسان الماس، ونظم درر البيان، وقال للولد: لو ضاقت عليك الهداية، لكانت هذه القصة لك طوال عمرك.

### ١ - قصة كيخسرو وكأس جمشيد (٣٥٩٧ : ٣٦٣٠)

جلس كيخسرو، ووضع الكأس أمام الشمس مثل جمشيد، وأخذ ينظر إلى الأقاليم السبعة، ثم تحول إلى مشاهدة البروج السبعة. لم يخف عليه شيء من حسن أو قبح، إلا كأس جمشيد، لم تظهر له، فطلب أن يشاهدها، وأن يرى العالم كله في لحظة واحدة، فإنه وإن كان يرى العالم بأسره داخل الكأس، إلا أنه لم ير كأس جمشيد، فطفق يبحث عن ذلك السر، ولكن لم يتضح أمامه الأمر.

وفي النهاية ظهر رسم قال له: متى تستطيع أن ترانا داخلنا؟ لأننا فنيانا عن أنفسنا الطاهرة، فمن يرى صورتنا في عالم الأرض؟ لقد فنى الجسم والروح عنا، فلم يبق منا أثر ولا اسم، كل ما تراه، هو أنت، وليس نحن، فنحن لن نظهر ثانية أبداً، ولأن صورتنا قد تبدلت إلى صورة أخرى، فلما تبحث عن رسمنا، وقد صار في حكم الأزل، وكل شيء يتعلق بنا، يمكن رؤيته منه، فلا يمكن مشاهدتنا جهاً، وجودنا، وإن كان مجرد ذرة، إلا أن هذه الذرة، تضيق بوجودها إلى الآن، ولن يرى أحد أثراً منا إلى الأبد، فالشمس لا تفصح عن ذراتها.



إن كنت تبحث عن المعرفة في نفسك، فافن عنها ولا تنظر إليها، عندما شعرت عينك بهاتف موتك، ارتدت السواد، قبلك، حزنًا عليك، وإنسانا العين، وإن كانا صغيرين، إلا أنهما يسبقانك في الموت، لم يشاهدا نفسيهما أبدًا، لأنهما اختارا فناءهما، طوال وجودهما، لذلك لا يشاهدان عزهما ولا ذلهما، ولأن الموتى لا يشاهدون أنفسهم أبدًا، إن أردت الحياة في الموت، فاعلم أن كمال الحياة هو الموت..

وإن أردت إدراك الخلود، يمكن ذلك بالمحو، والآن إن أردت أن تصبح مثلنا، افعل مثلنا، واترك نفسك، وافن عنها، في هذا الحي، تلزمك قلعة من الفناء، وإلا أصابتك الجروح من كل صوب.

عندما اطلع كيخسرو على ذلك السر، نفص يديه من الملك، وأيقن أن ملكه الحقيقي ليس سوى الفناء، حيث لا دوام للدنيا. عندما رأى صحراء وجوده سدًا أمامه، وشاهد قباء المحويزين قده، ترك الملك الفاني مثل الرجال، وقرأ الشهادة ونام بين يدي الفناء، واستدعى لهراسب الذي كان يرافقه، وأجلسه بدلًا منه على العرش، وذهب إلى غار، وحمل الكأس معه، واختفى تحت الجليد، وانتهى ذكره (١٢٩).

الشخص الذي يغرق، لا يُعرف أثر له، ولا يعلم عنه ساكنوا الشاطئ شيئًا، وأنت أيضًا ما زلت أسير دوامة البحر، ولا تعلم أنك غافل، فأنت معنا مثل ثلج أمام الشمس، أو باقة ورد على سطح ماء، ولأنك جلست داخل البحر بدون سفينة، سيقول لك البحر: من تكون؟.

## ٢ - قصة حجر وطوبة (٣٦٣١: ٣٦٣٩)

كان حجر وطوبة يسيران في الطريق، وفجأة سقطا في بحر، فقال الحجر بضعف: لقد غرقت، الآن سأقص سيرتي إلى قاع البحر، لكن الطوبة فنيت عن نفسها، ولا أعلم أين ذهبت؟ وماذا حدث لها؟.

فتحدثت الطوبة الخرساء -بحيث سمع صوتها من تمتع بالمعرفة- قائلة: لم يبق

مني أثر في العالمين، ولم يبق من وجودي قدر رأس إبرة، ولا يمكن مشاهدة شيء مني لا روحي ولا جسدي، ولكن يمكن مشاهدة البحر المضيء كله، إن تصر مثل البحر اليوم، تتوهج فيه ليلاً أيضاً، ولكن طالما تتقيد بوجودك، فلن تجد روحك ولا عقلك.

### ٣ - قصة شبلي وشاب (٣٦٤٠: ٣٦٦٧)

ذات يوم كان شبلي في طريق البادية، يستبد به الوجد كالشمع، فرأى شاباً متألقاً مثل شمع المجلس، يمسك بأعواد من النرجس، ويضع غطاء رأس موشى بالقصب، ويرتدي خفه، ويزهو بثوبه الفاخر، ويسير في عزة وخيلاء، يشبه الحجلة الآمنة من الباز.

فتقدم من شبلي في ود، وقال له: أيها الشاب، من أين تجيء، بمثل هذا الاندفاع وهذا السرور؟ فقال له الشاب القمري الوجه: من بغداد، خرجت في الصباح من هناك، وأمامي الآن طريق شاق، ثم تحرك الشاب بعد ساعتين من المكان، وعندما ذهب شبلي إلى الحرم، بعض مضي خمس أيام على ذهاب الشاب، رأى شخصاً محطماً في الطريق، صار أسود اللون، واهناً ضعيفاً، تحطم قلبه، وفقد اهتمامه بحياته، وقد قص شبلي قصته على رفاقه فقال:

عندما رأيته كان ينوح بضعف، وناداني أمام الكعبة قائلاً: أتعرفني يا شبلي، أنا ذلك الشاب الغض النضر، الذي رأيته في المكان الفلاني، لقد دعاني إليه بمئات الآلاف من الإعزاز، وفتح لي الباب، ومنحني في كل ساعة كنزاً مختلفاً، ووهبني في كل لحظة أكثر مما طلبت، والآن عندما جئت بنفسِي، تحول دفعة واحدة إلى مفرقي كالفرجار، أدمى قلبي وأشعل في النار، وألقى بي من الروضة إلى الحمام، ابتلاني بالمرض والفقر، وأبعدني عن العالمين في ساعة واحدة، فلم يبق لي شيء لا قلب ولا دنيا ولا دين، وبقيت على هذه الحال التي تراني عليها اليوم.

قال له شبلي: أيها الهمام، افعل ما تؤمر به، فقال الشاب: أيها الشيخ الفريد، لمن يكون هذا النصيب الخالد؟ لا أعلم أنا الغافل هذا اللغز، فهو يقول إما أن تكون أنت أو نحن، وأنا أحترق وألتاع لهذا السبب، حيث لا يتسع المجال فماذا أفعل؟ وأنت جلست أمام عينيك، فانهض من أمام عينيك، وتحرر، لقد خلقت في الحياة من أجل نفعك، ولا أرى نفعاً لك هنا سوى الفناء، إن نصيبك من الوجود كله لا شيء، وقسمتك من خضم الحياة العدم، وإن كنت سالكاً، تَحترق طوال عمرك، فلن يقسم لك رزق سوى العدم.

#### ٤ - قصة مجذوب أمام قبر (٣٣٦٨: ٣٦٩٣)

كان أحد المجاذيب يسير وقت السحر، فرأى شاهد مقبرة أحد العظماء في طريقه، وقد تراصت الأحجار بعضها فوق بعض بصورة جمالية، فأقامت نسقاً محكمًا قويًا، وبعد أن وقف فترة أمامه، اتصل بروحه، ثم قال: إن هذا الشيخ المدفون، لا يملك شيئاً وهذا أمر خاف، فمثل هذا الرجل القوي، لا أرى لروحه العزيزة أي كسب في هذا السبيل، وسوى هذا الحجر الذي وضع فوق قبره، لم يفز بنصيب من الكون كله. فقالوا له: أوضح الأمر، حتى يتضح لنا هذا السر، فقال: إن هذا الرجل المدفون، أهمل شأن الدنيا والآخرة، فلم يهتم بالدنيا، ولم يخش الآخرة أيضاً، فقد كان مريداً لشيء آخر، ولكن ما الفائدة، فذلك الشيء من العزة، بحيث لم ولن يصل إليه شخص أبداً، وإن كان صالحاً، أم طالحاً، فقد زهد في كل شيء ولا يملك شيئاً قط.

للحياة ضر ونفع، فانظر مدى إقبالها وإدبارها، في الصباح تضع كل شيء أمام عينيك، وفي الليل تسلبك الحياة، في يقظتك تجد الدنيا تضج بالحركة والحياة، وعند نومك تصبح عدماً في عدم، فانظر إلى هذا الوجود والعدم، واعتبره كله من العدم.

ما الطريقة؟ إنها تصفية الباطن، لأنه لا يمكن المجازفة بالنفس في الخطأ، وأنت لا بصيرة لديك، فأنت دائم الخطأ، لأن الخالق قد خلقك قاطع طريق، ومهما اشتدت

معاناتك، فكيف يتأتى لك وصال المعشوق كاملاً؟ إن العاشق يظل مبرحاً بعشقه دائماً، ومفعماً بأنوار نفحات المعشوق، وكيف يتأتى وصال المعشوق لأي شخص؟ ومتى يتحقق كاملاً لمخلوق؟ هذا العلم لا قبل لنا به، وسوف تظل آلام أشواقنا ولوعتنا، من الأفضل ألا يحقق لك وصاله، حتى تظل ملتبساً به دوماً، إنك عاشق نفسك فبمن يحترق قلبك، احرق قلبك، حتى يضيئه لك، إن أدركت سر هذا أم لم تدركه، فليس لك سبيل آخر سوى هذه الطريق، افن وجودك فيه، أيها البائس، فالمجال لا يتسع لك وله.

#### ٥ - قصة مناجاة مجذوب (٣٦٩٤ : ٣٧٠٦)

كان مجذوب واجد، يفضي بسر إلى الله، فقرب شخص أذنه منه، ليعلم ذلك السر العظيم فوجد المجذوب يقول للحق: هذا هو مجذوبك، الذي ظل فترة يشاركك منزلك، ولأن المنزل لا يتسع لك معه، فيجب أن تظل أنت أو هو داخله، والآن أنا تارك هذا المنزل استجابة لأمرك، ولأنك أنت موجود فأنا ذاهب بجنون.

في هذا المذهب حيث لا يوجد سبيل سوى هذا، لا يوجد شرك وذنوب أسوأ من كلمة نحن وكلمة أنا. فاخرج يا ولدى من هذا المنزل الضيق، فحملك ثقيل وحمارك أعرج، وقد أحمالك صوب اللامكان، وأنت تمتطي براق الصدر، فأحمال العشق وإن كانت تثقل على الروح، إلا أن ميدان خلدك مؤكد، والزم هذا الباب، فربما يخلصك الملك، بقربه فجأة، وحضورك هو أصلك لا شيء آخر وما يلزمك هو الحضور ولا شيء سواه، إن تلزم الحضور في الحضرة، تصبح من الفائزين بقرب الملك.

#### ٦ - قصة السلطان ملكشاه والحارس<sup>(١٣٠)</sup> (٣٧٠٧ : ٣٧٣١)

ذات ليلة سقط جليد كثيف، فسد الطريق أمام خيمة السلطان ملكشاه، وجفلت الطيور، واختفت الأسماك من شدة البرد، ولجأ الجميع إلى أماكن متفرقة، ففكر

السلطان وقال: يا إلهي! من سيهتم بالسلطان هذه الليلة، يجب أن أذهب لاستطلع الأمر، وأرى من يلازم بابي في هذا البرد القارس.

وعندما أخرج السلطان رأسه من الخيمة، سرت في جسده قشعريرة، وشعر بلسعة البرودة، ولم ير أحدًا من الحراس في أي اتجاه، بل وجد شخصًا يلازم بابه بيقظة، يرتدي قباء من النمد، ويتفرش الأرض، ويسند رأسه على مسامير الخيمة، خفه في قدميه طول الليل، قابع في مكانه من شدة البرد والجليد، ولا أعلم هل لزمت الحضرة ذات ليلة، على هذا النحو، بسبب معاناتك في الدين؟ إن شعر قلبك بذرة من الاحتراق، لفاز ليلك بمثل هذا الإشراق.

نهض الرجل على صوت أقدام السلطان، ونادى على الملك: ويحك، من أنت؟ فرد الملك في الحال: أنا السلطان المعظم، أيها العطوف، فمن أنت أيها الرجل المتفاني، بحيث تحرس السلطان في مثل هذه الليلة؟ فتحدث الرجل قائلاً: أيها الملك إنني رجل غريب لا وطن لي، وطني ليس سوى بلاط الملك، وليس لي سبيل سوى خدمته، وطالما أنا على قيد الحياة فرأسي تحت أقدامه، قال له الملك: إنني أهبك، وأقلدك عمادة خراسان.

عندما أدرك السلطان علامة من إخلاص الرجل ذات ليلة، فاز الرجل منه بالشهرة والخلود، وإن تلزم أنت أيضًا بلاط الحبيب ليلة واحدة، تفز بالخط والإقبال، وإن تنزع الغفلة ليلة واحدة، تدرك حدود الوفاء، وتمنح خلعة خالدة من فضله، وترى كل ذرة مثل الشمس، وإن تحقق لك تلك الرؤية لحظة واحدة، ويكف بصرك، فأنت ميمون الطالع، فالعظماء الذين اتضح لهم الأمر، نظروا إلى الحياة بعين الفناء، وعندما تتحقق لك عين الفناء، يصبح السكر لك سماً، والود شوًكاً.

## ٧ - قصة هدية الشيخ أبي سعيد إلى معشوق (٣٧٣٢ : ٣٧٥٠)

أرسل شيخ ميهنة ثلاثة أشياء إلى معشوق، خلافاً وغطاء رأس وسكر، وعندما

رأها معشوق، رفضها؛ لأنه وجدها من مخلوق، وقال للخادم: قل لشيخك، لم تعد هذه الأشياء توافقتنا، أتناسب الخلال، من لا عمل له سوى تناول الدماء دومًا، إنني أتجرع الدماء دائمًا، فلتعلم أنني لا أحتاج إلى خلالك، وهل يفيد السكر، من يجب أن يتناول شراب السم دومًا من القهر، ولأن هذه المرارة لن تزول عن حلقي أبدًا، فاعرف أن هذا السكر حرام عليّ، وغطاء الرأس يليق بصاحب الرأس، أو من يشعر برأسه ولو قيد أنملة، والشخص الذي لا سربال له لا رأس له، فكيف يناسبه غطاء الرأس، أشياءك الثلاثة لك. أيتها الحياة! يكفيني شيء واحد آخر أنت تعرفينه.

الشخص الذي يدرك شمس المعرفة الإلهية، متى ينظر إلى ذرة؟ وأنت إن تدرك سر العشق، تتجه إلى المحو دائمًا، وإن ترد إدراك هذا السر الهائل، لن يلزمك رأسك لحظة، فعندما يفصلون عن الشمعة رأسها، يسود الضياء سواد الجمع، وعندما يمحي رأس القلم، يبدو جميلًا للغاية، وإلا لما بدا لأحد خط منه، إن محوت الباطل، تدرك الحق، وإن ألقيت بقيودك تفز بالمطلق، فيسلبك وجودك، حتى يتحقق لك هذا الأمر، وطالما قيد وجودك يثقل كاهلك دومًا، لا يمكنك أن تفوز بوصول معشوقك.

#### ٨ - قصة شبلي وکلب (٣٧٥١: ٣٧٦٦)

سأل شخص شبلي: من أول مرشد لك في الطريق؟ فقال: رأيت كلبًا على حافة جدول ماء، وقد أشرف على الهلاك من شدة العطش، وكلما رأى وجهه على صفحة الماء الصافي، ظنه كلبًا آخر، فلم يشرب الماء خوفًا من الكلب الآخر، ولم يجر من أمام الماء، وعندما بلغ به التعب مبلغه من العطش، وطال انتظاره عن الحد، ألقى بنفسه إلى الماء فجأة، فاختفى الكلب الآخر.

عندما اختفى وجوده من أمام عينيه، انمحي حجاب نفسه من أمامه، وما إن تلاشى

هذا الحجاب البين أمامي، حتى أيقنت أنني حجاب نفسي، ففנית عن نفسي، وعلا شأني، وكان أول مرشد لي في طريقي كلب.

وأنت أيضاً، أزل وجودك المائل أمام عينيك، حجابك هو أنت، فانزعه من أمامك، وإن يظل لك أي قدر من وجودك، فهو قيد ثقيل، كان من الأفضل لك أيها الرجل الهرم، لو حملوك من المهد إلى اللحد، لذلك أدرك موسى تلك المنزلة من الحق، لأنه سلك الطريق من المهد في تابوت<sup>(١٣١)</sup>، إن لزمك حضوره دائماً، فلا تأت مع نفسك ثانية وهذا كاف لك، لا تأت مع نفسك، تعال بدونها، وابتعد عنها فهذا الفناء نور على نور.

#### ٩ - قصة السلطان محمود وإياز (٣٧٦٧: ٣٧٨٢)

كان إياز الفضي الصدر نائماً، على أنغام البلبل، تحت ظلال الورد، وما إن علم السلطان بذلك، حتى انطلق إليه، واقترب من وسادة إياز، فرأى شمساً تحت الظلال، وقد تكثف عرقها فأضحى ماء ورد، طال جلوسه بجانب وسادة إياز، واشتد بكاؤه، ولم يسأم من النظر إليه، وأخذ يثر الورد تارة على جماله، يجري الدمع فوق وجهه تارة أخرى.

وفي النهاية عندما استيقظ إياز من نومه الهنيء، اضطرم كالنار، خجلاً من السلطان، وعندما شاهده الملك على هذا النحو قال: يا صاحب الحسن الفائق! لأنك استيقظت الآن، فأنا ذاهب، ففي تلك الساعة عندما كنت غائباً عن الوعي، كنت أعظم من كل صفة أصفك بها، وفي تلك الساعة التي رأيت فيها روحك الفياضة، لم تكن أنت لأنني كنت موجوداً، ولأنك عدت إلى وعيك، فقد فنى المحبوب، ولأنك صرت طالباً، فقد اختفى المطلوب.

لا تكن أيها الصديق حتى يكون المحبوب، فإن وجدت حُجب المحبوب، افن عن نفسك، فالفناء هو وجودنا، ولأن الفناء أفضل، فلماذا تبقى في قيد وجودك،

إن تلزمك خلوة محمود، تتحقق لك بعد فنائك، عندما يفنى وجودك، ويتحقق لك الوجود الحقيقي، تصبح محمودًا في عالم الغيب، طالما بقيت مقيدًا بوجودك، لن يخلصك بعنايته، ولكن إن فנית عن نفسك، يخلصك بها.

#### ١٠ - قصة القمر والشمس (٣٧٨٣ : ٣٧٩٨)

قال القمر: إنني في عشق الشمس، سوف أجعل الدنيا، مفعمة بالنور، خالدة، فقالوا له: إن كنت بهذا الصدق، تلزمك الحركة ليل نهار، حتى تصل إليها، وعندما تدرك قربها، تفنى فيها وتنمحي، تحترق تحت أشعتها، ويهون شأنك أمام عظمتها، وعندما تخرج من تحت أشعتها، يتلف الخلق على مشاهدة جمالك، فينبهون بعضهم البعض، ويصوبون أبصارهم نحوك، وعندما تختفي على حين غرة، يتضح من نورك السابق، أن واحدًا متيما قد فنى دون خوف، وانفصل عن بقية الأجرام، واحدًا قد احترق تحت أشعة الشمس، وأدرك الوصال بعد الفراق.

وفي الليلة الرابعة عشرة وبالرغم من جماله الفائق، يطلب العون بسبب نقصانه في ليالي المحاق، وعندما يزدان في تلك الليلة، لا يلحظه أحد لأنه يكون ذاتيًا، ولكن إن شاهده وقت تكوّنه، تجد الناس يضحكون له وهو هلال.

وأنت طالما تتقيد بوجودك، فأنت صاحب بلاء خالد، وعندما يبتعد القلب عن ترهات الشرك، يقيم في منزله الفناء، وإن تتخلص طباعك من لبن الشرك، تصل إلى التوحيد.

#### ١١ - قصة أبي يزيد (٣٧٩٩ : ٣٨١٣)

رأى ذلك الفطن في منامه ذات ليلة، أن أبا يزيد ظهر له فجأة، فقال له: يا شيخ العصر والأوان، ماذا قلت لله الواحد القهار؟ أجاب: جاءني الأمر من الحضرة: أيها السالك! ماذا أحضرت لنا معك؟ قلت للحق: أحضرت لك ذنوبًا، لكنني لم أشرك



بك أبداً، شربت قليلاً من اللبن أثناء حياتي، وفي الليل انتابني ألم في بطني كاد يزهق روحي، وفي تلك الليلة كاد الألم يقضي عليّ، فقلت في سريري: أصابني الألم من اللبن الذي شربته.

فقال له الحق تعالى: إنك تقول: لم أحضر لك شركاً إلى الحضرة، ونسيت بهذه السرعة أيها الشيخ، وأحضرت معك شركاً بحديثك عن اللبن، إنك من شركك رأيت الألم من اللبن، ومحوت خطأ في دفتر التوحيد، فلا تدع التوحيد، لأنك تجرعت اللبن بشرك.

وأنت متى تشتم روحك وردة التوحيد، ورائحة الشرك تفوح من فيك، وعندما تصل إلى كنه الحقيقة، تتوقف عن شرب اللبن بطهر. إن تبلغ الأسرار، تفز بوجوده كله، إنك لست طفلاً ولا أحولاً، لذلك اعتبر كل ما تراه وتسمعه من لدنه.

## ١٢ - قصة إبراهيم بن أدهم (٣٨١٤: ٣٨٣٦)

كان إبراهيم بن أدهم يسير في الطريق، فرأى شخصين، يريد أحدهما أن يشتري شيئاً من الآخر مقابل شعيرة من الذهب، فرفض الثاني. كرر الأول قوله: خذ هذه مني، فهي كافية لهذا الأمر، وامض عني، قال الآخر: إنني لن أماطلك، لن أعطيك بشعيرة، لن أعطيك هذا، وعندما سمع إبراهيم هذا الكلام، اكتنفته الدهشة وصار مثل طائر يرفرف بجناحيه، فكان يغيب عن وعيه حيناً، ويثوب لرشده حيناً آخر.

فتقدم رجل من بين الناس، وسأله: يا سلطان الدين! ماذا ألم بك؟ فاضطربت على هذا النحو، فقال: عندما قال: لن أعطيه هذا، قلت لنفسي، ربما قال ابن أدهم، وعندما كرر: لن أعطيه هذا بشعيرة واحدة، سمعتها لن أعطي ابن أدهم بشعيرة واحدة.

لو تصرخ كل ذرة دائماً، يسمعها القلب الوجل، لنفرض أنك لم تخبر بأحوال الرجال، ألم تسمع سيرتهم الطيبة مرة واحدة؟ إن أردت أن تكتسب كمال أحوالهم،

فافن عن نفسك، لتدرك البقاء والخلود مثلهم، حطم قيد وجودك، أيها الشبيه بالذرة إن أردت الخلود، ورغبت في إدراك مقام الشمس، ولو لم يكن لوجودك فائدة، لما كانت الدنيا منزلاً لك، كل طفل يموت صغيراً، تطويه الدنيا بسهولة، وأنت تتنازعك الأهواء، وبلاؤك ليل نهار لهذا السبب، إن أردت الكأس لتصل إلى المعرفة، افن عن نفسك في الحياة، لقد سمعت أيها العاقل عن كأس جمشيد، وعلمت أنها كثيراً ما ظهرت في الدنيا، اعلم أيها الصديق أن كأس جمشيد هي العقل، فهي اللب والإدراك الدائم، وكل ذرة في العالمين، واضحة في كأس عقلك، حيث الآلاف من الصنائع والأسرار والمعارف، وآلاف من الأوامر والنواهي والأحكام والتكاليف، كلها نتيجة لعقلك وهي كافية، وأي كأس تكون أوضح لك من هذه أبداً؟

## المقالة الثالثة عشرة (٣٨٣٨ : ٤١٦١)

### الولد الرابع

تقدم الولد الرابع صائب الرأي قوى الشكيمة، والجميع يسودهم الهدوء وتشملهم السكينة، وقال لأبيه: طالما لم يبلغ عمري منتهاه، أتطلع بشغف إلى ماء الحياة، لو يتحقق لي أنجو وأتحرر، وإلا أظل قابضاً على ريح صرصر، تحترق روحي من الشوق إليه دوماً، فتعزف نفسي عن الطعام نهاراً ويجافيني الكرى ليلاً، قلبي يستبد به هذا الخاطر، وأصبحت متعطشاً لنواله.

### إجابة الأب

قال له الأب: لأن الأمل قد تغلب عليك، طلب قلبك العمر الأبدي، إنك مشتاق لماء الحياة، لأن الأمل هيمن على روحك، فإن لاحت عليك ذرة من نور الصدق،

يصبح الأمل طوع يدك.

## ١ - قصة الإسكندر<sup>(١٣٢)</sup> والحكيم (٣٨٤٨: ٣٨٩٥)

وصل الإسكندر الروماني إلى مكان ما، حيث طفق يبحث عن المعرفة، أراد أن يتعلم الحكمة، وأن يتلمذ على أحد الأساتذة، وأنت سبيلك هو العلم، وإن كنت ملك العالم، لتصبح مثل ذي القرنين إن أردت. قالوا للإسكندر: يوجد هنا رجل، لا يوجد له مثل في الدين، يعتبره بعض الناس مجنوناً، ويعده البعض الآخر كاملاً وحكيماً، وهو يقيم أمام بوابة، ومشهور عنه اعتزال الحياة، فأرسل الإسكندر شخصاً ليأتيه به.

الحاصل: ما إن وصل الرسول إلى هناك، حتى طرده الرجل، فقال له رسول الملك: انهض، الملك يستدعيك، فلا تتكاسل، ولا تعاند، وأجبه، وإن كان ذلك ثقيلاً على نفسك، فذو القرنين هو سلطان العالم. تحدث الرجل الفريد قائلاً: إنني غير تابع لسلطان الزمان. أنا سلطان لمن يكون مليكك عبداً له، فكيف أصادقه؟ وملكك من عبيد عبيدي<sup>(١٣٣)</sup>، فلا يليق بي الذهاب إليه.

جاء الرسول، وأبلغ إجابة الرجل، فغضب الإسكندر النقي، ثم قال: إما أنه مجنون، أو ضال عن السبيل، لأنني عبد للحق، وحبيب له أيضاً. فمن يعتبر الحق تعالى عبداً له؟ لا يجروء ملك ولا درويش، على اعتباري من عبيد عبيده.

وذهب الإسكندر إلى الرجل، وأقرأه السلام، فأجابه الرجل بما يليق بمقامه. سألته الملك: لماذا اعتبرني من عبيد عبيدك، وأنت على علم بالأصول والرسوم؟ فأجابه الرجل وقال: أيها الملك! لقد وطأت العلم بقدميك، لتحصل على ماء الحياة ولا تموت، وتفوز بحياة خالدة، وهذا يسمى أملاً أيها الملك! وأنت تسلك سبيله مثل العبيد، وجمعت مئات الجيوش، لتستولي على الأقاليم السبعة، ولو تعلم فهذا هو الحصر، وأنت عبد مستعد لخدمته.

ولأن الحرص والأمل تركتهما أنا، فصار إلهك عبداً لي. وعندما يحيا قلبك بالحرص والأمل، فأنت عبد أمام عبدي. وعندما قبع الأمل داخلك طلب الخلود. لذلك طلب منك ماء الحياة، لكن حرصك كان يطلب الدنيا منك، لذلك كان يطلب منك الجيوش الجرارة، الشخص الذي يتشبث بالحياة ويخشى الموت، إن فقد حياته، فبسبب حرصه، عندما تخف على حياتك، وتقلق على روحك، تفقد حياتك وروحك قيمتهما، حياة روحك خالدة إلى الأبد، فلماذا التعلق بالروح والحياة.

سالت الدماء من عيني الإسكندر، ولسان حاله يقول: إن هذه غصة دامية. وقال: إنه ليس مجنوناً، ولا يوجد حكيم يفوقه عقلاً. لقد اكتسبت روعي الراحة والسكينة من حديثه، وهذا نصر كاف لي من هذه السفرة، وهكذا بحث الإسكندر عن ماء الحياة خوفاً من الموت. فمات في شبابه.

ولماذا تسأل عن قصة سد الإسكندر<sup>(١٣٤)</sup>، وأنت أيضاً سد لنفسك فاتركها، وجودك سد أمامك، وأنت باق مع نفسك في ذلك السد دوماً. أنت في سدك يأجوج ومأجوج، يطوق رقبتك قيد مثل عوج<sup>(١٣٥)</sup>، إذا ما انتزعت هذا الحجاب، انتزعت بذلك الطوق عن عنقك مثل عوج بن عنق، وإن حررت رقبتك، تتحرر من كل هذه الدماء التي تتجرعها، وإلا تواجهك مئات الآلاف من الحجب، وتشاهد داخلها روحاً ميتة. إن أردت أن تعبر النيران، لا تنظر إلى معبد نار الدنيا، وإن ارتكبت أقل خيانة، تظل داخل جبل النار، ولأن عبور النار هو عين الطريق، فلماذا تسأل إن كان سياوش<sup>(١٣٦)</sup> بريئاً؟

إن كنت قد أخلصت للحق لما نهشك كلب نفسك، إدبار الناس بسبب المحابة، ولو لم توجد المحابة، لاستقام الاعوجاج، ينتظرك بلاء شديد، فماذا تريد أن تقول عن نفسك في النهاية؟ الدنيا خصم، التففت حوله، فاخش الموت لأنك ميت في نهاية الأمر.

## ٢ - قصة افتضاح الخلق يوم القيامة (٣٨٩٦ : ٣٨٩٨)

قال واحد من أهل السلامة، إن افتضح الخلق يوم القيامة فلا عجب، العجيب هو، أن ينجو واحد مما اقترفه من مظالم عديدة.

## ٣ - قصة طاووس<sup>(١٣٧)</sup> (٣٩٠٠ : ٣٩٠٩)

حدث قحط في أحد الأعوام، واضطربت أحوال الناس، وتجمهر خلق العالم أمام طاووس، ليدعو الله، فتنهمر الأمطار، وقالوا له: إن الأمطار لا تسقط، فادعو الله أن يحقق رجاءنا.

فقال لهم طاووس: أيها الأعزاء إن السحاب لا يمطر عبثًا، إن لم يكن لكم مطلب سوى الأمطار، فلا غرو إن لم تهطل الأمطار، العجيب هو ألا تمطر حجارة على الناس، وتتدفق من جراء الذنوب الغفيرة، وألا يترك السحاب السماء، ويمكنك أن تتعجب، إذا لم تنشق الأرض من شؤمنا، وتبتلعنا من جهلنا.

وأنت تعتقد أنك من رجال الطريق، أي رجل طريق واهم أنت!! عندما يُنزع عنك وهمك، ينهض كلب ميت من داخل نفسك.

## ٤ - قصة الرسول في ليلة المعراج (٣٩١٠ : ٣٩٢٧)

ليلة المعراج، شاهد الرسول فجأة، بحرًا عظيمًا في طريقه، يقف الملائكة حوله في أعداد غفيرة، وينساب سيل من عيني كل ملاك منهم، فقال الرسول: أيها الأطهار، لماذا تبكون جميعًا بصورة دائمة، وبمثل هذه الحرقه، وعندما صدر لهم الإذن من غيب الغيب، بدأوا يتحدثون أمام الرسول:

منذ ظهور العالم، ومنذ خلقنا الله من نور، ونحن نبكي، على قوم من أمتك يوجدون في هذه الطريق، يتوهمون أنهم من أهل الطاعة، وهم بعيدون عن رضائه،

لا يعلمون، ومن وهمهم، يقضون عمرهم، وهم واهمون.

وأنت تعلم مالك من أعمال، فكيف تعرضها للتجارة؟ إن اهتممت بدينك لحظة، لما عانيت من التردّي في دينك كل لحظة، افعل أمراً، فقد خلقت هنا للعمل، وهناك، يواجهك الحساب، وأأسفاه، فقد صار نفعت الكثير ضرراً، انمحي طريقك، ومضت القافلة.

وأأسفاه على عمرك الذي أهدرت، أليس من الخير أن تنصفه، لماذا تطلب من الحق عمراً مديداً، وأنت لا تعلم قيمة هذا القدر منه، الشخص الذي لم يعرف قدر حياته لحظة واحدة، لا يمكنه الزهو بكنز عمره، لا تذر عمرك للرياح عبثاً، يا من أسلمت عمرك إلى رياح الحياة، فمثل هذا العمر إن طلبته لحظة، لن يبيعه أحد لك للحظة بأي ثمن.

#### ٥ - قصة رجل حريص ومملك الموت (٣٩٢٨ : ٣٩٥٦)

عاش حريص بين الألم والمعاناة، أفنى روحه، وكد واجتهد، طويلاً، ضاعف عمله ليل نهار، حتى تجاوزت أمواله ثلاثمائة ألف دينار، وتجاوزت أملاكه المائة ألف، وادخر ما يزيد على مائة ألف أخرى، بالإضافة إلى مائة ألف أو يزيد، كانت بين يدي أهل البلدة للتجارة.

وعندما رأى أمواله فاضت عن الحد، وشاهد قصره وأمواله، قال لنفسه: اجلس وتناول ما لذ وطاب إلى ما شاء الله، وحتى يفعل الله أمراً كان مفعولاً، فإن أنفقت هذه الأموال على مأكلي وملبسي، وضاق بي الحال، حينئذ أعمل، وما إن جلس لينفق الذهب سعيداً، ويغرق نفسه في المسرات، ويبدأ تنفيذ هذه الفكرة، حتى هبط عليه عزرائيل فجأة؛ ليقبض روحه.

وعندما شاهد عزرائيل قريباً منه، اسودّت الدنيا أمام عينيه، وبدأ يتحدث ويتنحب قائلاً: لقد أمضيت عمري في كد وتعب، والآن وقد جلست لأجني ثمرة اجتهادي،

أترضى أن أموت دون نصيب، وكيف لعزرائيل أن يكف عنه؟ فبدأ في قبض روحه، فقال الرجل في ذلة: إن كان الأمر على هذا النحو، ولا مناص لك من قبض روحي، معي الآن ثلاثمائة ألف دينار، أمنحك مائة ألف، إن وافقتني، وأمهلتني ثلاثة أيام وتركتني، وبعد ذلك افعل ما تشاء.

وأنى لعزرائيل أن ينصت لهذا الكلام، فقبضه مثل شمع يحترق. فقال الرجل مرة أخرى: سوف أمنحك مائتي ألف دينار، مقابل أن تمهلني يومين، إن تيسر هذا، الشاهد لم يمهله عزرائيل أيضًا، ثم عرض عليه الرجل أيضًا ثلاثمائة ألف، ليمهله يومًا واحدًا، وجادله طويلًا، ولم يتحقق له رجاؤه، وفي نهاية الأمر قال: أريد أمانًا للحظة واحدة، لأكتب شيئًا، فأمهله، فكتب كلمة، بالزنجفر من دماء عينيه، انتبهوا أيها الناس! فقد كنت أريد شراء عمري وحياتي بثلاثمائة ألف، اشتريهما لساعة واحدة، ولم أوفق في جدالي، احفظوا مثل هذا العمر إن استطعتم، واعرفوا قدره، فإن انتهى، انطلق مثل السهم من اليد، وهو لا يباع ولا يعود أبدًا، ومن أفسد عمره، كيف يمكنه تدارك الأمر في الآخرة.

## ٦ - قصة قتل ولد مرزبان (٣٩٥٧: ٣٩٧٠)

كان حكيم، صاحب كمال، اسمه مرزبان، من خواص أنوشيروان، كان له ولد جميل يشبه الشمس، دانت له كافة العلوم، وحدث أن قتله أحد السفهاء، فجأة، فأدمى روح أبيه من فجيعته فيه.

قال أحد الخواص لمرزبان، يجب أن تقتص من ذلك الكلب، فأجابه مرزبان بسرعة، ليس لإراقة الدماء فائدة في الحقيقة، أشرتكم معه في ذلك العمل؟ وأريق دم مخلوق بنذالة، لم يفعل ذلك الشرير عملاً طيباً، حتى أفعل مثله، فقال له: إذن فلنأخذ دية، قال: لن آخذ دية قط، لا أستطيع أن أؤمن ولدي، فالدية تُدمي القلب وتحرقه.

إن كان الحزن على غير جائز، فكيف لا يكون اهتمامك بنفسك خطأ، من عاش

في هم نفسه، فقد أضاع عمره، باقي لك من عمرك أسبوع أو اثنان، وما أحسن ذهابك بعد ذلك! ولنفرض إنك تبت أسبوع أو اثنين، فماذا ستفعل فيما انقضى من عمرك.

## ٧ - موعظة (٣٩٧٨: ٣٩٧١)

هكذا قال ذلك العالم الطاهر، كل من دخل حانة القمار الوضيعة، وركز اهتمامه في لعب القمار، يخسر كل ما يملك مع إحدى عينيه، ولنفرض أنه تاب، ولم يتراجع عن توبته أيضًا، ألم يفقد عينه عبثًا؟ ولو أنه يتقدم الصفوف بالتوبة، لكن متى تعود إليه عينه المفقودة؟

يا عزيزي كل نفس تخرجه من القلب، ولا توجهه لذكر الحق، اعلم أنك ستفقدته مثل عين المقامر، ومتى يمكن تدارك هذا الخسارة؟ لا تضع من يدك شيئًا، يكون من العزة بحيث لا يعود أبدًا.

## ٨ - قصة بوزر جمهر<sup>(١٣٨)</sup> (٣٩٧٩: ٤٠٨٨)

عندما غضب كسرى على بوزر جمهر، أمر بسمل عينيه، وحدث أن أرسل الروم أحجية إلى كسرى قائلين: إن وقف كسرى على هذا السر، نرسل له الخراج، وإلا تكون الحرب بيننا، ولا شيء آخر، فجمع كسرى الحكماء جميعًا، ولم يوفق أحد منهم في فهم السر، وقالوا جميعًا: هذا السر معقد، وهو من شأن بوزر جمهر، لن يعرف أحد غيره هذا السر، فأسأله عن هذا اللغز.

أرسل أنوشيروان أحد الحكماء لاستدعاء بوزر جمهر، وأعزه مثل روحه، بعدما أذاقه من ذل، ثم أطلعه على أمر اللغز في الحال، وقال له: لن يستطيع أحد سواك حله، فقال له الحكيم، أريد حَمَامًا، أسترخي فيه لمدة ساعة، وعندما تتسلل الحرارة إلى جسدي، أطلب ثلجًا، ثم اكتب اللغز فوق جسدي بالثلج، لو أن عيني مظلمة، إلا أنني سوف أحل هذا اللغز بهذه الحيلة.



الحاصل، فعلوا ما طلبه منهم، فحل اللغز، وأصاب في حله، فسعد الملك في قرارة نفسه للغاية، وقال له: اطلب مني شيئاً، فال له الحكيم: إنك كما ترى، قد أصبتني بالعمى، وسملت عيني، والآن أريد منك أيها الملك العظيم! أن تعيد لي نظري المفقود، فقال له الملك: متى أستطيع هذا؟ أنت نفسك تعرف أنني لا أملك حيلة لذلك، فقال له الحكيم: أيها الملك المعظم! لأنك لا تستطيع أن تعيد لي بصري، فلا تحتد على شخص، وخذ الشيء الذي تستطيع إعادته، إن أردت، لماذا تنتزع شيئاً، يكون من العزة، بحيث لا يمكن تعويضه أبداً.

وأنت أيضاً، كل نفس لك، جوهر غال، وأي شيء أكثر عزة من جوهرك هذا؟ فلا تبدد هذا الجوهر هدرًا، لأنك إن أردت استعادته، ماذا تفعل؟ يجب أن تتقدم كل لحظة، فإلى متى تأتي مع نفسك دائماً؟ إنك لست بنفسجًا، ولا نرجسًا، فلما عماك كهذا، وزرقتك كذاك؟ كلك مثل صوت الرعد المفاجئ، وأنت تشبه برج العقرب أحذب وأعرج.

أمامك آلاف الحجب داخلك، فكيف تسلك السبيل داخل نفسك قدر ذرة واحدة؟ إن جئت مع نفسك، فأنت غافل، وتتقدم زمرة الأشقياء، لم تخلق أبدًا لنفسك، لذلك كتب لك عمرًا مديدًا، ألا تبتعد عن الوجود أمدًا؟ ولماذا تبقى وحيدًا شريدًا؟ أيقن أنه عندما تظهر تلك المعرفة، لن يبقى الانفصال.

## ٩ - قصة طائر صحراوي (٤٠٠٩: ٤٠٣٢)

كانت أنثى إحدى الطيور تعيش في صحراء، وتضع بيضها خلال أربعين يومًا كل عام، وكانت تعشش على حدود الشام، ولا تهتم ببيضها، فبعد أن تضع بيضها الكثير في أربعين يومًا، تختفي عن أعين الناس، ثم تأتي أنثى طائر غريب، وترقد على البيض، وتظل تحتضن البيض، حتى يفقس ذات يوم، وهكذا ترعاهم هذه الأم البديلة، ولا تسمح لأحد بالاقتراب منهم.

وعندما تقوى أجنحة الصغار، يتجمعون بعضهم مع بعض، وتطير أمهم بسرعة، وتجلس شامخة فوق الجبل، وفجأة تصدر صوتاً عجيباً من بعيد، لتنادي على صغارها، وعندما يسمع الصغار صوت أمهم، يجفلون من الطائر الغريب، ويعودون إلى أمهم، وينفصلون عن الأخرى.

وأنت إن طواك إبليس المغرور يومين أو ثلاثة، تحت جناحي الوجود، فأنت معذور، وعندما تسمع خطاب الحق، سوف تنطلق صوبه، وتجفل من إبليس، كن هكذا بحيث إذا حان الأجل، يكون جسدك باقياً، وروحك قد ذهبت من قبل، إن يكن موتك قبل الأجل، يكن خلودك من الموت، وروحك مصباح في الصحراء، والجسد مشكاتها وسد لها، عندما ترتفع المشكاة من الصحراء، تخلص روحك مثل الشمس الساطعة.

توجد عجائب في قلبك تزيد عن الحصر، وإلى أن تعلم بها أمامك كثير من العمل، تقدم في الدين كل لحظة، فانفصل عن نفسك، وتعال معها، لأنك في سكرك وصحوك، تعرض عن دنياك المليئة بالآثام، وفي طريق الأسرار، تدرك حياة جميلة، عوضاً عن كل سيئة، فاسعد بكل ما يمنحه لك، وإن لم يهبك شيئاً، كن حراً سعيداً، كل ما يأتيك من هناك لا ترفضه، وإن لم تستحسنه لا تشك منه.

#### ١٠ - قصة بهلول (٤٠٣٣: ٤٠٣٨)

عندما غلب بهلول الوجد، منحته زبيدة طعاماً وحلوى، فجلس يأكل سعيداً. فقال له أحد الأشخاص: ألا تعطي منه أحداً؟ فثار قائلاً: وهبني الحق هذا الطعام الآن، فكيف يمكن منحه مثله؟ ارض بكل ما يعطيه لك، وإن حصلت عليه، صنه، فكل حكمة أثرت عن القدماء، ولا تعلمها، يليق بك أن تتعلمها.

#### ١١ - قصة موسى (٤٠٣٩: ٤٠٤٣)

سأل موسى الله قائلاً: أيها العالم الذي لا مثيل له ولا شبيهه! من من الخلق عدو

أو صديق، أكثر احتياجًا، وأكثر فقرًا؟ قال الله: يا رهين نعمتنا! هو الشخص الذي يغضب من قسمتنا، ويستغيث من قضائنا، فينتحب ليل نهار.

## ١٢ - قصة نصيحة كسرى (٤٠٤٤: ٤٠٤٦)

هكذا قال كسرى، لباربد<sup>(١٣٩)</sup>، إن أردت أن تصبح غير وجل، انزع الحسد عن قلبك فتصر سعيدًا، وارض عن الحق تصبح حرًا طليقًا.

## ١٣ - قصة مناجاة عظيم الله (٤٠٤٧: ٤٠٥٧)

كان أحد العظماء يناجي الله وقت السحر، فتحدث قائلاً: أيها القيوم! إنني راض عنك ليل نهار، فارض عني أنت أيضًا يا إلهي! ويقول ذلك العظيم: فسمعت صوتًا يقول: أراك كاذبًا في دعواك، لأنك إن كنت راضيًا عنا، فمتى كنت تبحث عن رضانا؟ وإن رضيت عنا، وبحث عن رضائنا الآن، فأنت مجنون.

صاحب عين الكمال في الرضا، بحثه عن الرضا محال، لأنه راض، إن كنت راضيًا، فعم تبحث لدينا؟ وإن لم تكن نفسك راضية، فماذا تقول؟ ارض، واصبر، واجلس ولا تصيح، أي فائدة تجنيها، فلا تجادل، واهدأ، أحيانًا تتمنى المجال، وأحيانًا أخرى تتعلق بالأوهام، ولا تستمع لذرة من الكلام، فقد اغتررت بالمحال.

## ١٤ - قصة شعبي (٤٠٥٨: ٤٠٨٢)

هكذا روى رجل الطريق شعبي: أمسك شخص بعصفور في الطريق، فقال له العصفور: ماذا تريد مني؟ وماذا تنتظر من هذه الساق والرأس والرقبة؟ إن حررتني من أسرك، أعلمك ثلاثة نصائح نافعة، الأولى: أقدمها وأنا بين يديك، أما الثانية: فأقولها وأنا أطيّر إلى غصن آمن، والثالثة: عندما أجد سفح الجبل، أقولها لك من فوقه.

فقال الصياد للعصفور: قل السر الأول، فبدأ العصفور يقدم النصيحة الأولى: لا

تتحسر أبداً على شيء تفقده، وإن كان عظيماً، عندئذ حرره الرجل كما وعده من بين يديه، فطار حتى استقر فوق غصن، ثم قدم النصيحة الثانية قائلاً: إن استعمت إلى محال، لا تصدقه طالما لم يظهر لك عياناً، قال هذا وانطلق حتى سفح الجبل، ثم قال له: أيها التعس السيئ الحظ، كان بداخلي جوهرتان كبيرتان، كل منهما تزن عشرين مثقالاً، لو قتلتنى، لكنت فزت بهما، ولكن أطلقتنى، وكان هذا خطأ.

فدمى قلب الرجل حزناً، وأخذ يعض بنان الندم، وقال للعصفور: والآن قل النصيحة الثالثة، فقد صار بحر حسرتي عميقاً. فقال العصفور: ليس لديك ذرة من الفطنة، لأنك نسيت النصيحتين السابقتين، ولأنك لم تعمل بالنصيحتين، فلماذا تطلب الثالثة؟ قلت لك لا تتحسر على ما مضى، ولا تصدق المحال أيها التقي، فحزنت جداً لما حدث، وصدقت ما قلته لك وهو محال، إن وزنى اليوم لا يتعدى مثقالين، فكيف يوجد بداخلي جوهرتان تزنان أربعين مثقالاً، وتضيئان ظلام الليل؟ والآن سوف تصاب بالجنون مني.

قال هذا وطار من فوق الجبل، وبقي الرجل بين أسفه وحزنه، الشخص الذي يفكر في المحال، تستبد به الحيرة ليل نهار، وأنت لا تستطيع الخطو حيثما شئت، فاذهب تبعاً للأوامر، واعتبر بها، وكل من يخطو بغير أمر الله، تنزع عنه رأسه، طوال حياته.

#### ١٥ - قصة نحلة نملة (٤٠٨٣: ٤١٠٢)

خرجت نحلة من خليتها، وهي سعيدة ومسرورة للغاية، فرأتها نملة وهي على هذا النحو من السرور، والتحرر من العبودية، فقالت لها: لماذا أنت سعيدة إلى هذا الحد؟ إن الأرض لا تتسع لك من السرور، أجابتها النحلة: أيتها النملة! لماذا لا يمتلى قلبي بالبهجة؟ فأنا أجلس حيثما شئت، وأختار الطعام الذي يستهويني، وأجوب الدنيا وفق رغبتى، فلماذا أحزن لحظة واحدة؟ قالت هذا، وانطلقت في طريقها كالسهم، إلى دكان قصاب، وكانت هناك قطعة من اللحم، سقطت عليها

النحلة بسرعة، وتصادف أن القصاب كان يقطع اللحم بالساطور، فشطر النحلة نصفين، فسقطت على الأرض فوراً.

وعندما علمت النملة، جاءت وحملت نصف النحلة، وأخذت تسحبها بذلة في الطريق، وهي تتحدث قائلة: كل من يزهو بنفسه يصبه ذلك، لأنه يتنقل وفق مراده. وكل من لا يجرب التردى والفشل، تكون نهايته مثلك، الشخص الذي يعيش لتحقيق أهوائه، يموت مثلك، فانظري ما آخرتك، ولأنك ابتعدت عن حدودك، فقد وضعت قدمك في الدماء بجهل.

يجب الخطو داخل الحدود، ويلزم السير وفق الأمر، يجب القضاء على الغرور والكبر، وسلوك طريق الأخلاق، والكرم، إن شعيرة واحدة من الخلق لها قوة، تماثل قوة جبل قاف، فتمسك بالبعد عن الأذى وبالصبر، فليس لك طريق أقصر من هذا.

#### ١٦ - قصة الرسول ﷺ وعبد حبشي (٤١٠٣: ٤١٢٢)

رُوي عن سلمان الفارسي: كان الرسول وضاء العالم وصدره جالساً ذات يوم، فدخل عليه عبد حبشي وجهه أزرق مثل نبات النيل: مسرعاً من باب المسجد، وأمسك فجأة برداء المصطفى قائلاً: تعال معي لحظة، وعندي مهمة يمكن تأديتها الآن، وسيدي ليس معي ليؤديها، وأنت اليوم نصير من لا نصير له. وأنا لا أحد لي، وأحتاج إلى مساعدة. كان العبد يتحدث مسرعاً، وهو يسحب رداء المصطفى، متجهاً إلى الخارج.

لم ينبس الرسول ببنت شفة، وسار معه، ولم يسحب رداءه منه، وسار معه على ذلك النحو، ولم يسأله الرسول من أخلاقه الكريمة، إلى أين تتجه بي؟ كان يسير معه مطمئناً صامتاً، حتى قاده إلى بائع قمح. تحدث العبد قائلاً: أيها السيد! إنني أتضور جوعاً اليوم، وقد نسجت الآن هذا الصوف القليل، فاعطه للبائع، واشتر لي قمحاً. فأخذ الرسول الصوف، واشترى له القمح، وأخذه، وحمله فوق كتفيه، وأوصله حتى

حجرة العبد، ثم ولى وجهه المبارك صوب القبلة، وقال: يا إلهي! إن كنت قد قصرت في هذا العمل، فلا تؤخذاني، وإن كنت قد أهملت في هذا الشأن وهذا الرأي، فاعف عني بفضلك.

لقد حمل القمح من أجل عبد، وأصبح حملاً من خلقه وحلمه، وتحدث إلى الحق بخجل شديد، وطلب منه العفو، وأنت أيها الشاب الهمام، انظر إلى الكرم، وتطلع إلى الوفاء، ودقق النظر، في خلق المصطفى، وفي هذا المقام، ماذا يتأتى من الروح والجسد، وماذا يصدر من الجهلاء، الأشقياء.

### ١٧ - قصة الفضل بين الربيع<sup>(١٤٠)</sup> (٤١٢٣: ٤١٤٠)

جاء شيخ بائس، إلى الفضل بن الربيع يطلب أمراً ما، وبسبب خجله وبؤسه، ولعجزه وشيخوخته، ووهنه، أصاب قدم الفضل دون القصد، بسن حاد في عصاه، فسالت الدماء من قدم الفضل فوراً، واضطرب حال الصدر العالي، ولم ينبس بشيء حتى انتهى الشيخ من كلامه، وأخذ المظلومة منه بلطف.

وعندما انصرف الشيخ سعيداً من أمامه، ظل الفضل متألماً من جرحه، فقال له رجل من كبار رجال الدولة: لماذا كنت يا سيدي سعيداً بجرح قدمك؟ لقد جرح الشيخ قدمك، واستمعت له وأنت صامت، وكيف يمكنك الانتظار، بينما الدماء تسيل من قدمك؟ فقال: خشيت أن يخجل الشيخ، وأن يستنكر فعلته، ويغضب من جرمه، فيتجاوز عن طلب حاجته، وقد ضعف حاله من حمل الفقر الثقيل، فلا يجوز أن نزيد حمله بذلك السر.

ما أجمل الحب والوفاء والصبر، انظر إلى الوفاء، إن كان لديك بصر، مثل هذا الفضل الذي يعادل مائة ربيع، هو من فيض الحق وليس من فضل بن الربيع، وأنت رجل لا همة لديك ليل نهار، إن كنت رجلاً، فتعلم الهمة منه، ولا تتعال أيها التراب مثل النار، ولأنك حفنة تراب، فلا تحتدم مثل النار، إن لزمك تلك الحضرة سريعاً،

لزمك في هذا السبيل تراب الطريق.

#### ١٨ - قصة بهلول (٤١٤١: ٤١٤٨)

كان شخص يمتطي جواده في بغداد، وكان في ادعائه وغروره يبدو كأنه خالق الحياة، يحيط به الحراس من كل جانب، ليمنعوا الناس من الاقتراب منه، يأمر الناس بإفساح الطريق، والابتعاد عن موكب العظيم.

فرع بهلول حفنة من التراب، ونظر إليها خلسة قائلاً: لا يجوز كل هذا الكبر من حفنة تراب، فهو وإن صار فرعون، أليس عبد الله؟ خذ العبرة من أهل السوق، فقد ألقوا جميعاً بشباكهم من أجل جيفة، عندما يكون هدف الإنسان ميتة، فأنتي له أن يتصل بسر القدس؟

#### ١٩ - قصة مجذوب وكبار القوم (٤١٤٩: ٤١٦١)

كان مجذوب يجلس على ناحية من الطريق، أثناء مرور جماعة من القوم، وكانوا من أهل الدنيا، يرتدون أفخر الملابس والعمائم، كانوا يزهون بأنفسهم تيهًا وعجبًا مثل الحجلة، ويبدو عليهم التهور والكبر والجاه والعظمة، وعندما شاهد ذلك المجذوب المتجرد، هؤلاء القوم المزهوين بأنفسهم تيهًا وعجبًا، أدخل رأسه داخل ثوبه استياء منهم، حتى يخلو الطريق من هؤلاء الغافلين.

ولما مضوا، رفع رأسه ثانية، فسأله رجل قائلاً: أيها المبرأ من العيوب، لماذا اضطرب حالك، وأحيت رأسك عندما شاهدت كبار القوم؟ فقال: أحيت رأسي، من شدة الغرور الذي شاهدته، لأنني خشيت أن يخطفني ريحه، وعندما مروا رفعت رأسي، عندما أدركت رائحتهم النتنة، لم أستطع الاحتمال، فأحيت رأسي. إذا ما استولى الغرور على أعضائك السبعة، افتضحت الدنيا منك، والأشخاص الذين يتخلصون من هذه الصفة يفوزون بالآخرة، وهم ما زالوا على قيد الحياة.

## المقالة الرابعة عشرة (٤١٦٢: ٤٦٧٢)

قال الولد لأبيه: لو أن ماء الحياة لن يحول بيني والموت، فلا أقل أن يكون شاغلي هو معرفة ماهيته، وإن كان ماء الحياة لن يتحقق لي ذات يوم، فليهدأ قلبي بمعرفته وإدراك أمره.

### إجابة الأب

فتح الأب له طريق الهداية، وقص أمامه هذه الحكاية.

#### ١ - قصة الإسكندر وموته (٤١٦٨: ٤٢٢٦)

قرأ الإسكندر في كتاب ذات يوم: أنه يوجد ماء الحياة، يسعد القلب، وأن من يشرب منه، يخلد كالشمس، ويطول عمره، وتدوم حياته، كما يوجد طبل معه مكحلة وهما من أدوات الحكماء، وقد سمعت من أستاذ مدرّس أن المكحلة وطبل هرمس<sup>(١٤١)</sup> موجودان، وأنه إن استبد مرض القولون بشخص، ودق على ذلك الطبل، زال مرضه، وإن تكحل شخص من تلك المكحلة، انكشف له العالم من الأرض حتى العرش.

وحدث أن تملك الإسكندر رغبة شديدة في الحصول على هذه الأشياء الثلاثة، فأخذ يجوب الدنيا بجيوش حرارة إلى أن انتهى به المطاف ذات يوم عند جبل، فشق الجبل عند العلامة التي قرأ عنها. وبعد عشرة أيام وجد منزلاً، ففتح بابه ووجد في وسطه طاقة بداخلها الطبل والمكحلة، فاكتحل، فانكشف أمامه على الفور العرش والفرش، وكان يقف بالقبر منه أمير، دق على الطبل، فصدر عنه صوت كالريح، ومن خجل الأمير مزق الطبل.



وعلى الرغم من صمت الإسكندر، إلا أن أمر الطبل بقي لغزاً أمامه، الحاصل توجه الإسكندر إلى بلاد الهند والظلمات -والتي تشبه زحل- من أجل الحصول على ماء الحياة، لماذا أكرر عليك هذه القصة وقد سمعتها مائة مرة<sup>(١٤٢)</sup>، وعندما عجز في ذلك الطريق المظلم ظل الجيش حائرًا، والملك أيضًا.

ثم تالّأت له قطعة من الياقوت بشدة، فتمعن فيها ذلك الحائر، فشاهد آلافًا من النمل يذهب إلى كل صوب وحذب، وكل نملة تتجه إلى ناحية مختلفة، فظن أن قطعة الياقوت ظهرت له بسبب عجزه، فجاءه هاتف: إن هذه الشمعة المتوهجة تحترق من أجل جيش النمل، ليهتدي النمل الضال بنورها إلى بيوته، فتعجب الإسكندر من تلك الحال ومن أن الياقوت مرشد للنمل.

وخرج الإسكندر من الظلمات حزينًا، ودقات قلبه تضطرب بشدة، وضاعف سرعته، فأخذ يقطع المنزلين في زمن المنزل الواحد، إلى أن وصل إلى أرض بابل، وكان مدونًا لدى الإسكندر، أنه عندما تحين منيته، يحملونه من الطريق، ويجعلون درعه وسادة له، والحديد فراشًا، ويتكون حائط منزله من الناس، وتستوي سماؤه من الذهب الأحمر.

وحدث أن مرض الإسكندر بالقولون في بابل، وأقعده الألم في الصحراء، ولم تعد لديه قدرة على قطع مراحل الطريق، فأعدوا له خيمته، ومدوا تحته درعًا جميلًا، جعلوه وسادة له، واجتمع الناس حوله، وتلاصقت الدروع الذهبية بعضها مع البعض، وعندما رأى الإسكندر نفسه على هذا النحو، أدرك حتمية موته بداء القولون، فبكى طويلاً، ولكن دون جدوى، فالموت ينتظره بدون محاباة.

وكان لذي القرنين نديم حكيم من تلامذة أفلاطون، جلس، وقال لملك العالم: لأنك وضعت الطبل الذي صنعه هرمس، بين يدي غير الأكفاء، وقعت فريسة لمثل هذا المرض، ولو لم تظهر لشخص، فمتى كنت تبلى بمثل هذه الغصة؟ لم تعلم أن أمر الأتقياء، لا يجب الإفضاء به إلى الضالين، لذلك أوديت بعالمك، لأنك لم

تعرف قدره لحظة، ومتى يعود ذلك الوقت، الذي ظهر فيه الطبل أيضًا، ولأنك لم تقدره حق قدره، أبعدته عن عينيك، ولو كان عزيزًا عليك كروحك، لحصلت على شربة من تلك العين أيضًا، ولكن لا تحزن، واستمع إلى كلمتين، هما أفضل من ماء الحياة، إن استمعت لهما:

مثل هذا الملك وذلك الحكم، ذهبا مع الريح لوضاعتهما، ومثل هذا الملك الذي عشت به، انظر على أي أساس قام حتى الآن، لماذا يكون لمثل هذا الملك أساس فهو إن وجد أو لم يوجد قبضة ريح، لذا لا تحزن فلا يفقد الإنسان شيئًا يمكن أن يودي به الريح لوضاعته، والكلمة الثانية عن ماء الحياة الذي اقتفيت أثره، إن كنت قد يئست منه الآن، ففكر ولا تتعب نفسك طويلًا، تجده العلم الدائم وليس شيئًا آخر، إن يتحقق لك ذلك العلم، فهو ماء الحياة دون شك، وقد وهبك الحق تعالى كثيرًا من العلم، ولأنك علمت الآن مت حرًا عازفًا.

عندما سمع الإسكندر هذا الكلام من أستاذه، سر قلبه، وأسلم الروح بسعادة، فلا تحزن كثيرًا أيضًا يا بني، فماء العلم، وكشف الأسرار موجود، وكلما سطع ضياؤه عليك، ينكشف العالمان لقلبك، ولو تعلم سبيل العلم وعين يقينه، لخجلت من ماء الحياة، وإن لم تصل إلى سبيل العلم وعين يقينه، لخجلت من ماء الحياة، وإن لم تصل إلى سبيل معرفته، لن تكون لك بصيرة سوى الشيطان، فتبدو كراماتك شيطانية، ويخبو كل نورك.

## ٢ - قصة النمرود (٤٢٢٧: ٤٢٦٣)

غرقت سفينة ومات ركبها السبعمائة، ما عدا امرأة واحدة، ظلت فوق لوح من الخشب، حيث وضعت ولدًا، وما إن وضعت تلك المرأة المسكينة، حتى انقلبت داخل البحر، وبقي المولود الصغير فوق لوح الخشب، والموج يتقاذفه في كل اتجاه، وجاء هاتف إلى الرياح والموج والسмок: إن الله شمل الطفل بحفظه ورعايته،

فاحفظوه حتى لا يهلك، ويصل سالمًا، فقالت الملائكة: يا إلهي! من هذا الشخص الكائن بين الموج والسمك. فجاءهم الهاتف: عندما يحين الوقت، سوف تعلمون أمر هذا البائس.

وبعد أن تقاذفته الأمواج، وقذفت به إلى الشاطئ، التقطه أحد الغواصين، وعاش الطفل معه بين الخفافيش والأسماك، وأفنى الصياد نفسه في تنشئته، وعندما شب الفتى عن الطوق، واعتاد الخروج، وبينما هو سائر في الطريق ذات يوم، وجد ياقوتة في مكحلة، تجعل العقل مبهورًا من فرط غرابتها، وبمجرد أن تكحل من الكحل الطاهر، رأى العرش والكرسي والأفلاك عيانًا، وعندما أجرى الكحل في عينه الأخرى أيضًا، شاهد كنوز العالم، فكان يرى آلاف الكنوز تحت الثرى، ويشاهد جليًا من الأرض إلى ما وراء القمر.

وكانت الملائكة جميعًا يقولون: أيها الطاهر، أي عبد هذا الجدير بكل هذا الإدراك، فجاء إليهم الهاتف من غيب الغيب، إن هذا الشخص العظيم هو النمرود، الذي سيدعي الألوهية، ويخرج عن طاعتنا بصور شتى، ويحاربنا طويلاً.

انظر كيف أعزه الله ورعاه في هذا السبيل، وكيف سيمرد عليه فجأة، ليس لأي شخص في العالمين مهما كان، معرفة بالأسرار الإلهية، إن انشغالك بالبحث عن العلة، لن يثمر إلا ظهور المعلول نفسه، وإن لم يكن هناك شك في وجود العناصر الأربعة<sup>(١٤٣)</sup>، إلا أن اعوجاج الفكر قد صدر عنك، لا عند واحد من الأربعة، ادخل إلى هذا البحر وتعال مقلوبًا، وتخلي عن الطباع والعلل، إنك لست أعلى من الفلك، فتعلم منه، فهو يأتي مقلوبًا ليل نهار.

لماذا تسأل عن أمر الدنيا من الذرة حتى الشمس، إن الله قادر على أن يجعلها كأن لم تغن بالأمس<sup>(١٤٤)</sup>، فصل المجرات عن الفلك، وثبتها وهي تراب من ذرات، والفلك جواد مسرج للدنيا، والشمس فوقه سرج ذهبي، وعندما يحين فناء العالم، تظلم الشمس مثل الليل، أتعرف كيف يظهر سرج الفلك آنذاك، يظهر هذا السرج فوق مركبه معكوسًا

من الغرب، فتشرق الشمس معكوسة، إيداناً بخلود سرج الفلك هذا.

أصدر آهة محرقة من روحك الدامية، فلا علم لديك عن الليل أو النهار، لتسعد بليلك، فأني نفع لك من هذا الليل السعيد؟ وأنت لم يشرق صباحك أبداً!! إن أردت أن تسعد ليل نهار، لا تذكر ما حيتت الليل والنهار، ولكن إذا بقيت داخل نفسك، لن تجد سوى قلب جريح، يجب أن تفنى عن نفسك من الوجد، وتخلص من وجودك، وتبتعد عن أمر نفسك، فطالما تتقيد بوجودك، ترى خرقتك زانراً.

### ٣ - قصة منح الصدقة إلى الفقراء (٤٢٦٤: ٤٢٧٢)

قال أحد العظماء، هفت روحي، وتمنيت طوال عمري، أن تصل مني صدقة إلى درويش، دون أن يراها أحد. وعندما جرى هذا الكلام على لسانه، هتف به هاتف في الحال:

يجب عليك إن كنت صاحب يقين، ألا ترى الصدقة التي تمنحها، فإن لم تر تلك الصدقة على الإطلاق، لن تفكر فيما سيعم عليك من فائدة، إنك تبدو مثل جيفة سيئة، فأنت بلاء لنفسك ميتاً وحيّاً، إنك لن تطلب الحياة، إن علمت أن الموت أفضل لك منها، إن كنت أكثر علماً وأعمق بصيرة، لقللت من هذا الغرور.

### ٤ - قصة اللقمة الحلال (٤٢٧٣: ٤٢٨١)

قال لي رفيق: إن فلاناً يأكل قوته من حلال، يأخذ الجزية من اليهود، ويعيش على دخلها، فقلت له: أنا لا أعلم بحاله، ما أعرفه هو أنني من العار، بحيث يجب أن يطلب مني، مائة يهودي مشتت الجزية.

إن نحيت الغرور جانباً، ستري كلاباً عديدة صادرة من نفسك، وجودك وفناؤك في طبيعة واحدة، الأول جحيم والآخر جنة، إن بقي أثر من ذلك الجحيم، تظل كلاب نفسك متعلقة به، وإن اغتسلت في اليوم مائة مرة، فصلاتك غير جائزة.

## ٥ - قصة الشيخ والمرأة العجوز (٤٢٨٢: ٤٢٩٢)

جلس شيخ من شيوخ الطريقة ذات يوم، أمام المحراب ورأسه يمتلئ بالوهم والخيال. فدخلت امرأة عجوز من باب المسجد، وكانت محدبة الظهر، طاهرة القلب، وقالت له: إنك هالك لا محالة تأتي الفواحش، وتدعي الطهر، تملكك الغرور من رئاستك للأصحاب، فغادر أيها السيد المحراب، أحرقت نفسك بنار العشق أيها العزيز! وإلا فأنت زاهد مبتدئ، وطلب الاحتراق من الزاهد حرام، فالزاهد لم يكمل الطريق، وهو بعد لبنة نيئة.

والعاشق مثل الشمع يحيا بين الاحتراق والدمع؛ لذلك فهو يجد شتات نفسه في الدمع والحرقة، لهذا يمضي ليله بين الدمع والاحتراق، حتى يتم محو وجوده أثناء النهار أيضاً، وعندما تصل دموعه وحرقته ومحو وجوده إلى الأوج، يصير اسمه قتيل المعشوق، ويصبح رفيقاً مؤنساً داخل الحجب، ولا يعود لها شأن بأي شخص.

## ٦ - قصة عمر بن الخطاب والشاب العاشق (٢٤٩٣: ٤٣٠٦)

خاض الفاروق حرباً، وانتصر فيها، فأخذ يطلب من كل أسير كافر أن يقرأه الشهادة؛ لينجو من القتل وإلا قطعت رأسه فوراً<sup>(١٤٥)</sup>. وكان بين الأسرى شاب وهب قلبه للمعشوق، أحضره أمام الفاروق، فقال له عمر: أقر بدين الإسلام، قال: أنا عاشق بئس، قال له عمر مرة أخرى: الإيمان سوف يحرر رقتك، أجابه: وماذا يعرف العاشق؟ طلب منه عمر الدخول في الدين للمرة الثالثة، فأقر بعشقه مثل المرتين السالفتين، فأمر عمر، فقتلوه، وألقوا به فوق التراب بذلة.

وعندما عاد عمر إلى المصطفى، أسر شخص للرسول بما حدث. وعندما سمع الرسول ما حدث للرجل، قال لعمر والألم يعتصره، أسمح قلبك يا عمر بمثل هذا العمل؟ فقتلت عاشقاً بمثل هذه الذلة؟، فالعشق قد قتل العاشق، وهذا ليس خطأ،

وقتل المقتول مرة أخرى ليس جائزًا، والقتل من الحق أمر طيب، وما أسوأه عندما يكون منك! فهذا جحيم، وذاك نعيم. لا يجدر بك أن تقتل نفسك، فهذا القتل لا يجمل إلا به.

## ٧ - قصة الدرويش وطلب الطوفان (٤٣٠٧ - ٤٣٢٣)

سأل شخص أحد الواصلين في الطريق، ما الرغبة التي تريد تحقيقها في هذا الطريق؟ فقال أتمنى أن يأتي طوفان، يجرف أهل العالم، فلا يبقى للخلق أثر، وتفنى الديار وتندثر، فحتام يظل الخلق أسرى أوهامهم، معزولون عن الحقيقة بالبدع والشرك، لا يشعرون بالوجل من الحق لحظة واحدة، فمن الأفضل ألا يوجد هذا العالم.

قالوا له: إن جاء الطوفان، فسوف تنتهي حياة الخلق البائسين، وإن هلك أهل الأرض، فسوف تفنى أنت معهم أيضًا، قال: إن حدث الطوفان، أود أن أكون أول الهالكين، وإن تحقق هذا الطوفان، أتمنى أن أكون أول شخص يجرفه، قالوا له: اذهب، ودبر حيلة، وألقي بنفسك في البحر، حتى تتحرر من وجودك، وتحقق رغبتك.

قال: من المعروف، أن كل ما يصدر مني، يكون بإرادتي، وهلاكي بيدي ليس شيئًا طيبًا، إلا إن عزم الحبيب على هلاكي، لأن ما يصدر عن المعشوق لائق، وكل ما يصدر عن العاشق لا طائل تحته.

إن لم تكن صادقًا في العشق فأنت لست عاشقًا إلا لنفسك، على ذلك النحو، يجب أن يكون كمال عشق الأحبة، لأنه مهما طال العمر، فهو يسرع بنا، كل نفس تبوح بسر عن معشوقك، كما ستعلم مما قاله (المجنون) آنذاك.

## ٩ - قصة سؤال المجنون (٤٣٦٢ - ٤٣٧٨)

هكذا قال المجنون ذلك الفريد، أنصفتني شخص واحد في حياتي، أما الآخرون، فكانوا حفنة من الأشقياء، يلومونني على عشقي، وكان ذلك عندما جاءتني امرأة ذات يوم، وشاهدت ما أنا عليه من حرقة ولوعة، ووجدتني غارقاً وسط التراب والدم، ورأسي مقلوباً مثل الفلك. فقالت لي: من أجل ماذا أصبحت على هذه الحال تجلس بين التراب والدم؟ فقلت لها: عندما رأيت ليلي، منحتها عقلي، واخترت الفضيحة، وأصبحت من عشق وجهها على هذه الحال، لا قلب لي ولا دين.

قالت لي المرأة: أيها المجنون الواله، إنني جئت الآن من عند ليلي، وإن كان جمالها لن يحقق لك الوصال أبداً، فيجب أن يتردى حالك أكثر من هذا، وأن يتزايد ذبول قلبك الحزين، فليس من اللائق أن يكون هناك عاجز مثلك في الدنيا، بسبب عشق مثل تلك الفتاة، بل أن تصير من عشق وجهها، مثل شعرة من ثنايا شعرها، لقد رأيت فيها الرجولة الكاملة، وسمعت منها كلاماً حكيماً.

إن حديث العشق والقلب أمر عجيب، فقد اتحدنا معاً، وصارا شيئاً واحداً، والكلام عن العشق والقلب مهيب للروح، إن قلته فوق المشنقة، فذلك مكانه، دمي قلبي أيها الساقى! كما تعلم، فلا تفصح بحديث القلب، وما عدا ذلك أنت تعرفه.

## ١٠ - قصة ثعلب (٤٣٧٩ - ٤٤٠٠)

سقط ثعلب في شباك وقت السحر، ففكر في حيلة قائلاً، إن يجدني الصياد على هذا النحو، يأخذ جلدي إلى الدباغ في الحال، فأظهر نفسه كالميت، ومدد جسده، خوفاً على حياته. وعندما جاء أحد الصيادين، اعتقد أن الثعلب مات، ولم يستطع أن يغض الطرف عنه، فقطع أذنه في الحال قائلاً، ربما استفيد منها في أمر ما، فقال الثعلب في نفسه: لا تحزن، وتغاض عن الأذن ما دمت على قيد الحياة، وأقبل صياد

آخر وقال: والآن لأستفد أنا أيضًا من لسانه. وعندما اجثت الصياد لسان الثعلب فجأة، لم يحرك الثعلب ساكنًا، خوفًا على حياته. ثم أتى صياد ثالث، وقال: إنني أحتاج أيضًا إلى أسنانه أكثر من أي شيء آخر، ولم يحرك الثعلب ساكنًا، حتى اقتلعوا أسنانه بمشقة بالغة. فحدث الثعلب نفسه قائلًا: إن نجوت، فلا أهمية للأسنان ولا الأذن ولا اللسان. فجاء شخص آخر وقال: لاختر أنا نزع قلبه، لعلاج بعض الأمراض.

وعندما سمع الثعلب اسم القلب من بعيد، أظلمت الدنيا في عينيه فجأة، كان يقول في نفسه، لا عبث مع القلب، الحيلة الآن لا تفيدني، قال هذا وبعد حيل عديدة، انطلق من الشرك كما ينطلق السهم من القوس.

حديث القلب حديث عجيب للغاية، فهو يتسع للعالمين، يجدر بك أن تخدم هذا الحديث في دمائي، ولا تتحدث بما تعلم عن القلب مرة أخرى، لأن القلب قد ذاب، فبماذا أتحدث عنه؟ وماذا أقول للغافلين عنه؟ قلبي هناك حيث يوجد المعشوق، وأنا متى أصل إلى هناك؟ ومتى يتيسر لي ذلك؟، ضاع قلبي وفقد مني، فلم أعد أعرف شيئًا عنه ولا يعرف هو شيئًا عني، ولأنني أجهل قلبي دائمًا، فمتى تظهر لي إشارة من الحبيب.

## ١٢ - قصة محمد بن عيسى (٤٤١٤ - ٤٤٢٨)

كان محمد بن عيسى الذي اشتهر باللطائف، بين ندماء الخليفة، يمتطي جوادًا مسرجًا، ويزين رأسه بتاج مرصع، وغلمانهم يركبون حوله، وأهل بغداد جميعًا يقفون لمشاهدته، وفي كل ناحية يتساءل شخص: من يكون هذا الذي يتجمل، وتحيط به مظاهر الأبهة على هذا النحو؟

وكانت امرأة عجوز تسير في الطريق، وتمسك عصا، فقالت: إنه في بلاء، أبعدته الحق عن حضرته، وطرده من أمامه، فهو إن لم يكن قد أبعدته عنه؛ لما كان شغله بهذا العبث. سمع محمد هذا الكلام بفطنة، فترجل عن جواده بتواضع، وقال: أنصفت العجوز، فالأمر على هذا النحو الذي جرى شرحه على لسانها، قال هذا، وسلك



طريق التوبة، ونزع من قلبه حب المال والجاه تمامًا. عندما أيقن بترديه، اعتكف داخل زاوية، وصار من رجال الدين.

وأنت كثيرًا ما مارست السيادة في الخفاء، ألا تعلم كيفية الخضوع؟ إن كنت لا تستطيع التحكم في نفسك بأي قدر، فلن يمكنك منح شعيرة إلى درويش، عندما لا تستطيع التحكم في نفسك، فكيف يمكنك التحكم في شخص آخر؟

### ١٣ - قصة السلطان محمود ومجنوب (٤٤٢٩ - ٤٤٤١)

اتفق لمحمود مجالسة أحد المجاذيب، فأغمض المجنوب عينيه، فتضايق السلطان، وقال للمجنوب: لماذا تغمض عينيك؟، قال المجنوب: حتى لا أرى وجهك أيها الملك. فثار محمود، وقال له: ألا تجيز لقاء ملك العالم؟ قال المجنوب: هو كذلك، لأن الغرور غير جائز في هذا المذهب، فالخطأ كله أن ترى غير الله، قال له الملك: أنا صاحب الأمر في العالم، وحكمي نافذ عليك.

قال له المجنوب: فكر فيما سأقوله: لأن أمرك غير نافذ على نفسك، فلا ينفذ على شخص آخر أيضًا، وحتام ترهقني بالذرائع. ألا تخجل من هذه السيادة، التي سعت إليها طوال عمرك، وهي لا تساوي شيئًا، الشخص الذي يملك زمام نفسه، هو الناجي لا الهالك.

من يحسن قوله، وتخلص نيته، لا يجد الاغوجاج إليه سبيلًا، فهناك من يظهر نفسه على نحو يخالف حقيقته، وهذا إن أشار عليك بنفع فهو ضرر، ولأنك تعلم أنك أعوج، أيها المرائي، فلماذا تدعي الاستقامة؟

### ١٤ - قصة خشونة الكليم ونعومته (٤٤٤٢ - ٤٤٥٩)

كان لدى أحد الدراويش كليم، عرضه على رجل، لبيتاعه منه، فقال له الرجل: إنه خشن الملمس، ملمسه يشبه القنفذ، ثم اشتراه الرجل بثمن بخس، عندئذ أقبل مشتر،

وقال للرجل: هل لديك كليم أملس؟ فقال عندي، فاحضر ذهبك.

وبعد أن أحضر المشتري الذهب، بسط له الرجل الكليم أمامه، وقال له: إنه كليم لا مثيل له، نعمته كالحرير.

وكان أحد الصوفية يرقب الرجل، ويتابع شراءه للكليم، وبيعه إياه، فأطلق الصوفي صيحة وقال: أيها الفريد! أجلسني داخل هذا الصندوق (السحري)، حيث يتحول الكليم إلى حرير، ويصير الخزف درًا خالصًا، وأنا في جوهرى أشبه الخزف، فلعل حالي يتحسن في صندوقك.

وأنت إن لم يتغير حالك، فلن يحقق لك عمر كسوى الوبال، لأنك تمضي حياتك في الظلام، فأنت مثل حيوان ولا تعلم، قيد أعضائك بقيد الدين، وافعل ما يميله عليك إن أردت أن تكون على النحو المطلوب، لا تنظر، ولا تسمع، ولا تقل، إلا بما يقتضيه الدين، حتى لا تموت كافرًا أيها المسلم، ولأنني لا أرى موتك على طريق الهداية، فأنا أخشى موتك كافرًا للغاية، هذا المحراب والإيوان من أجل الاعتبار، وأنت لا ترى سوى الشهوة مثل الحيوان؛ كيف يلحقك الخسران دائمًا، في السوق الذي تنعم فيه الأرواح.

#### ١٥ - قصة امرأة كانت تطوف بالكعبة (٤٤٦٠ - ٤٤٧٠)

كانت امرأة تطوف بالكعبة، فاختلس رجل النظر إلى وجهها، فقالت له المرأة: إن كنت من أهل السر، فلم انشغلت بي الآن؟ إنك لا تعلم أيها الضال، عمن ابتعدت في مثل هذا المكان، ولو كان لديك أثر لرجولة، لما كنت تهتم هنا بامرأة، لقد جئت إلى هنا من أجل النفع، ولم تأت للخسارة، أتطلب الذنوب لنفسك بهذه الحرارة يوم السوق؟ ألا تخجل من الله؟ رب العالم يرى دائمًا، وأنت غائب عنه، وهو حاضر معك.

ولأن الله مطلع عليك لحظة بلحظة، فلماذا تنحرف عن الطريق مثل الحية، ولأن الحق معك في كل مقام، فلا تخط أي خطوة إلا في حضوره، وإن خطوت بدونه

خطوة واحدة في الطريق، يلفك الندم ويستبد بك الأسى آنذاك.

## ١٦ - قصة السلطان سنجر ومهستي<sup>(١٤٦)</sup> (٤٤٧١ - ٤٥١١)

كانت الشاعرة مهستي الطاهرة الجوهرة، من المقربات إلى السلطان سنجر، وعلى الرغم من أنها لم تكن على قدر كبير من الجمال، إلا أن السلطان كان يميل إليها، وذات ليلة كانت في بستان رادكان، جالسة مع السلطان سنجر، وعندما انقضى هزيع من الليل، توجه الملك سنجر إلى مخدعه، وانصرفت مهستي أيضًا، إلى خيمتها الخاصة.

وكان لسنجر غلام ساقى، بلغ من الجمال أعلى مراتبه، واقرن جماله بالفتنة، وكان مقربًا من السلطان. وذات ليلة، استيقظ السلطان من النوم، وطلب الغلام، فلم يجده، فأخذ يبحث عنه، وفي منتصف الليل، ألقى بالعباءة فوق ظهره، وأشهر سيفه الهندي.

وما إن جاء إلى باب تلك الخيمة، حتى رأى فجأة، مهستي برفقة القمر، ورأى الغلام جالسًا معها، وقد تعلق قلب مهستي بذلك القمري، فكانت تعزف على الصنج، والعشق يملأ جوانحها، وهي تترنم بأشعار جميلة، وتشدو كالثلثة: أحتضنك بجانب الروضة، فما يلزمني الليلة هو أمير الخلق البهي. وعندما اطلع سنجر على أمرهما، انطبع الشعر في ذهنه، وقال في سريره: إن دخلت الليلة، إلى هذه الخيمة بغضب وسيفي في يدي، لفقدنا صوابهما، فأتحمل وزر هذين البائسين، ووقف مترددًا، ثم مضى بسرعة، وعاد إلى خيمته.

وبعد مضي عشرة أيام، أقام السلطان حفلًا بهيجًا، وجلست مهستي تعزف على الصنج أمام السلطان، وتغني ألحانًا بصوت شجي عال، وكان الغلام واقفًا أيضًا، يمسك بالأقداح، وهو يطرق بنظره إلى الأرض، وجال في خاطر السلطان ذلك الشعر الليلي، فطلبه منها دون اكتراث.

وعندما سمعت مهستي ذلك الشعر من الملك، سقط الصنّج من يدها على الأرض، وسيطرت الرعشة على جسدها، مثل ورقة، ثم غابت عن الوعي، وعقلها يغوص في الحيرة. وجاء الملك، وجلس بجانب فراشها، وأخذ في نثر ماء الورد فوق وجهها، وعندما ثابت المرأة إلى رشدها مرة أخرى، عادت إلى سيرتها الأولى خوفاً من سنجر، وبعد أن استعادت وعيها للمرة العاشرة، لم تفصح عن سرها بأي حال، فقال لها الملك: يا عدوة نفسك، إن كنت تخافين مني، فأنت آمنة.

فقالت له مهستي: إنني لا أخشاك ولكن هذا الشعر كان وردي ذات ليلة، فقد ظلمت أكرره طوال الليل، أجهر به حيناً، وأكف حيناً آخر، فإذا بي أجده يتردد أمامي والدنيا تضيق من حولي، يبدو أنك كنت طوال تلك الليل مختفياً، وتعلم أمري، إن تعاقبني أو تسامحني، فلن يسمح لك قلبك أن تعلن سري، وإن تقتلني وأنا في عنفواني، تنجني من يد الوجود، خوفي الشديد هو، من السلطان رزاق العالم، لأنه معي دائماً لحظة بلحظة، وانظر أي عمل لي في كل لحظة! ولأن الحق قد قدر أسراري منذ الأزل، فماذا أقول الآن، وماذا أفعل؟

وأنت لأن الحق يراك دائماً ليل نهار، كن مثل الشمعة اضحك سعيداً واحترق، ولا تخرج نفساً من قلبك دون شكره، ولا تصدر نفساً وأنت غافل عن ذكره، إن تجتهد في شكره، تحقق كل ما تصبو إليه، من الوجود الإلهي.

#### ١٧ - قصة محمود وعدد أفياله (٤٥١٢ - ٤٥٢٣)

قال محمود أسر الاعداء لولده ذات يوم: أيها الابن الحصيف! انظر كم عدد أفيالي الآن، فأنا لا أعرف عددهم الآن، فأحصاهم الولد، وقال له: عددهم يا مولاي ألف وأربعمائة فيل، فقال له الملك: أذكر أنني لم أكن أمتلك عنزة واحدة، والآن، وإن كان شأني قد ارتفع حتى العرش، فهذا ليس مني، هذا بفضل الله.

إن فاضت عليك نعمة الحق، فلا تتوانى عن شكر المنعم<sup>(١٤٧)</sup>، وعندما تدوم نعمة

الله عليك، ففضاء لحظة دون شكر الحق جرم وأي جرم!!

إن قصر نفسك في الشكر، يجب أن يحل قلبك هذه المشكلة، فعندما تميل نفسك إلى التقصير دائماً، ينشغل قلبك بالتعلق بالأسباب، وعندما تسلك نفسك بك الطريق، ينحو قلبك إلى الزهد، الصالح يحسن، والطالح يسيء، فكل نفس تطفح بما فيها.

#### ١٨ - قصة عيسى واليهود (٤٥٢٤ - ٤٥٣٥)

دخل عيسى الطاهر إلى أحد الأحياء، فأخذ اليهود يقذفونه بالشتائم، وكان عيسى الطاهر المحتد، يدعو لهم بوجه بشوش، فسأله شخص: ألم تتضايق؟ فتقابل شتائمهم بالدعاء، قال له المسيح: كل قلب له روح يخرج منه مكنونه.

وأنت لك مكنون في بحر روحك، تهدر أمواجه منه، ولكن طالما أنت على قيد الحياة، لا يظهر مكنون باطنك، ومحك روح الرجال، في ذلك الزمان، عندما يصير الأعمى صاحب بصيرة.

يجب أن تفكر في الغد من اليوم، ويجب أن يحترق قلبك خوفاً منه، ويجب أن تموت كل لحظة مائة مرة، وإلا فلن تستطيع عبور هذا الوادي، وإن أمطرتك السحب بالنيران يجب أن تثبت سعيداً، حتى إذا ما أسلمت الروح، تأتي سعيداً، أي تأتي أكثر حرارة من النار.

#### ١٩ - قصة لص تحت المشنقة (٤٥٣٦ - ٤٥٤٩)

قُبض على أحد اللصوص فجأة، وحُمل إلى المشنقة، فطلب ببؤس شديد وعجز أن يمهله، ليؤدي الصلاة تحت المشنقة، وبعد أن فرغ من الصلاة، سجد وأخذ يستغيث بالله قائلاً:

يا إلهي في مثل هذا الوقت، وهنا، حيث يحيط بي البلاء، انظر كيف يسלט سيف قهرك، إلى وجهي فوق المشنقة في نهاية الأمر، انظر كيف أسجد أمامك الآن، على

الأرض بقلبي الطاهر، لقد أسرت حائراً مثلي بقهرك، وقد استغيث عن روحي من حبي لك، هكذا أنا كما شرحت وكذلك أنت، والآن أسلم روحي، وما بعد ذلك يدخل في علمك.

إن تجد بروحك فجد بها على هذا النحو، وإلا فأنت تبدد عمرك، إن تضطرب دماؤك خوفاً من قهره، فلا تنس لطفه أبداً، اطو الطريق بخفة، فالروح المثقلة ليست من سالكي الطريق، واسلك بحبور، فالحزن ليس من الطريق، الدنيا عروس لا تستحق التأبين، مباهجها العديدة لا تساوي لحظة حزن واحدة، لأن الفلك سوف ينزلك عن جوادك، فاركب وأنت مسرور.

## ٢٠ - قصة فارس ومجنوب (٤٥٥٠ - ٤٥٦١)

امتطى أحد المجاذيب مركبة خشبية، وأخذ يجري بها، كأنه يمتطي جواداً مسرجاً، ويشير مثل البلب الشجن في أنحاء الدنيا، بفمه الذي يشبه الورد الضاحكة، فسأله شخص: يا رجل الحضرة! لماذا تجري بهذه السعادة في الطريق؟ قال: أريد أن أجوب ميدان العالم، ممتطياً جوادي لحظة، حتى إذا ما قيدوا يدي بالقوة، لا تهتز شعرة واحدة مني.

إن تحقق لك العمل في هذا الميدان؛ فخذ نصيبك برجولة، لأن الماضي والمستقبل لا علم لأحد بهما، فعمرك الحقيقي ليس سوى الحاضر، فلا تبدد ثروتك وتقرضها للرياح، فلم يؤسس أحد بناءه على المجهول، ووجه عمرك للعمل كنقطة، ودر حولها آلاف المرات مثل الفرجار، واسعد بفكرة ابن الوقت، ولا تهتم بالمستقبل والماضي مثل العاطلين، وإن ظلت تدور حول نفسك، فأنت هالك لا محالة.

## ٢١ - قصة قائد وقلعته (٤٥٦٢ - ٤٥٧٢)

شيد قائد قلعة عالية في مكان ما، لإحكام الأمن وتشديد الحراسة، وحدث أن مر

مجنذب، فاستدعاه القائد، وقال له: انظر إلى هذه القلعة، كيف تطاول الأفلاك في رفعتها، وكيف تمنع البلاء عن الأكابر، وتدرأ الخطر عن العظماء.

وعلى الفور قال له المجذب: إنك رجل تعس، وعندما يحل البلاء من السماء، وتحتمي في القلعة، ستجد نفسك في مواجهة البلاء أيضًا، فبلاؤك هو نفسك، فلا تبحث عن بلاء آخر يا عزيزي.

خلاصك الكامل في هذا السبيل، من نفسك ومن بلائها، عندما تسلك وتكابد، لن تتعلق بالأسباب، وإن سقطت عن السير في الطريق، تستغيث كل شعرة فيك.

## ٢٢- قصة السلطان محمود والمظلوم (٤٥٧٧ - ٤٥٨٨)

بينما كان محمود يسير ذات صباح، اعترض طريقه مظلوم، يستغيث به، كان يصيح، ويقطع عليه الطريق، ثم أمسك بعنان جواده، وعندما أمسك بالعنان، ضربه ملك الزمان بالسوط على يده، فسحب الرجل يده من الألم، ووقع في الطريق بذل وخضوع. وعندما رآه الملك عاجزاً على هذا النحو، عاد أدراجه إليه، فسأله شخص: أيها الملك عندما كان ذلك المظلوم يمسك بعنانك لم تتوقف، والآن لماذا عدت أدراجك إليه؟

فقال له الملك: كنت ثملاً آنذاك، عندما أمسك عناني بيد واحدة، والآن كل شعرة من هذا المظلوم بمثابة يد قوية، لا أستطيع مقاومتها، ولأنني أرى أيدي كثيرة تقبض بعناني، فكيف لي أن أخلص جوادي منها، وأنا أسير بين هذه الأيدي، ولا أعلم كيف يمكن التخلص منها؟

ولأن سلوك هذا الطريق أساس الرجل، فلا يسلكه إلا من كان من أهل المعاناة والترف لا يعتد به في هذا الطريق، لذا لا يتعلقون بعنان الملك، ويجب على الشخص أن يعاني كثيراً حتى يتلمس طريقه للسلوك، فالشخص الذي يعيش في ترف وبذخ، كيف تفتح الأبواب أمام روحه.

سأل شخص المجنون: كيف حالك؟، إنك تبدو مسكينًا عاجزًا، فقال: إنني مثل حمار عجوز، يمتلئ بدنه بالجراح من أثر الأحمال الثقيلة، وعلى الرغم من أن جسدي ضعيفًا واهنًا، إلا أنه يحمل طوال اليوم الأحمال الثقيل، وإن أراحوني بعد عناء طويل، وخلعوا ثوبي عن ظهري لحظة واحدة، يأتي آلاف من الذباب المؤذي، لينهش جراحي، فأقول يا ليت هذا المسكين، ما رأى مثل هذه الراحة والعز أبدًا.

إن كنت من سالكي الطريق، فمن المحتم أن تقابل كثيرًا مثل هذه الأمور دون إرادتك، ولأن سلوكك لم يبلغ أوجه، تثير هذه القصة ضحكك، ولأنك مشغول باللهو والعبث، فكيف ستعلم بأمر السلوك أبدًا، من يجب أن يسلك الطريق في رأيي، هو من أقام مآتمه مائة مرة، ومن عاش بالحق، وفنى عن نفسه، من مات قبل موته، وليس من بقي في زمرة الخاسرين، إن لم تصبح عاشقًا، وتجذب بروحك، لن تدرك سر السلوك. والمرء الذي يرفل في النعيم والدلال، يتخلف عن السالكين العاشقين.

## المقالة الخامسة عشرة (٤٦٧٣: ٤٩١١)

### الابن الخامس

تقدم الولد الخامس تغمرة الأنوار، وقال لأبيه: يا بحر الأسرار! أريد مخلصًا ذلك الخاتم الذي ميز ملك سليمان، فخضع له الجان والشيطان، وسير له بساط الملك<sup>(١٤٨)</sup>، وبسبب ذلك الخاتم لا من غيره انكشفت له رموز النمل، وتعلم منطق الطير<sup>(١٤٩)</sup>، فإن تحقق لي ذلك الخاتم، خضع لي الفلك على الرغم من علوه هذا.



## إجابة الأب (٤٦٨٠:٤٧٠٢)

قال الأب: أي شأن لك بالملك، إنه وإن تحقق لك فان، يمكن السعي نحو الملك الآخر، لا نحو هذا الملك فتسعى لخلودك بدلاً من فنائك، ربما كنت في ملكك ظالماً تجيز المظالم، فتواجهك يوم القيامة نملة، لماذا اتسم ملكك بالبطش؟ والدنيا خصم وأنت تقتفي أثره؛ حتى توفر لنفسك رغيماً من الخبز ذات يوم، والحياة كلها حسرة أبدية فهي حفنة من تراب أو قبضة ريح، فلا تغتر بملك الريح والتراب، فمن تعلق به كان مصيره الهلاك، ولمن تكون الحياة ذات قيمة ونهايته الموت بعجز! تجرع الحياة المليئة بالدواء الإلهي ولا تقتل نفسك بسم الملك، فأني نفع جناه رستم، وقد تحطم قلبه وأي فائدة ترجى من تناول الدواء بعد أن مات ابنه<sup>(١٥٠)</sup>!

فاطلب يا بني ملكاً آخر حيث يجب التضحية بالولد<sup>(١٥١)</sup>، فالملوك الذين وجدوا في الحياة، ووجهوا آمالهم إلى الفلك الدوار، لم يكن لديهم سند قوي في الملك، وإن استندوا إلى قطعة من الجلد، فاستراحوا جميعاً تحت الجلد<sup>(١٥٢)</sup> وأسموه الدرفس الكابيانى، وكيف لا تتعد عن ملك يقوم على قطعة من الجلد؟، فإن يقيم ملك على درفس من الجلد أمكن أن يقوى أيضاً بحذاء، وإن يكن لي ملك أصله من الجلد وأفتخر به، يحق لي أن أخجل.

عندما تنكشف الأسرار فما أكثر الحديد الذي يصبح شمعاً، وفي هذا المجال حيث يدهش العقل إن وجدت جبال، تصير كالعهن المنفوش<sup>(١٥٣)</sup>، ولأن ملك الدنيا هو الحياة فحسب، عندما تدقق النظر؛ نجد أن الملك هو الآخرة. وويل لأدم وقد أدرك سر العشق، فأعرض عن ملك الخلد بسبب حبة قمح واحدة، إن أردت اكتساب الملك الخالد، يكفيك قرص واحد من العالم مثل الشمس.

## ١ - قصة للسلطان محمود في الصيد (٤٧٠٢: ٤٧٢٦)

عندما كان محمود في طريقه إلى الصيد، انتحى جانبًا عن جنده، فشهد قرية مقربة منه، يتصاعد الدخان من إحدى أرجائها، فانحرف بفروسه نحوها، وهناك وجد امرأة عجوزًا، تجلس أمام نار، فقال لها: لقد قدم إليك ضيف للخليفة، فماذا تنضجين فوق هذه النار، أيتها العفيفة! فأجابته العجوز عندئذ: أنضج ملكًا لي أيها الملك.

قال لها الملك: قولي أيتها العجوز البائسة أتمنحيني هذا الملك، قالت: لا أبدًا، إنني أنضج ملكًا لنفسِي، فكيف أبيع ملكي بملكك؟ إنني لا أشتري ملكك أبدًا، فملكي أفضل من ملكك كثيرًا، إن ملكك يقبع وراءه عالم من العداء، أما ملكي فلا تكتنفه أي أحزان، فكفاني هذا من ملك!! وعندما أمعن الملك في ملك العجوز، انتحب على ملكه طويلًا، وفي نهاية الأمر أخذ حفنة من ملك العجوز، ومنحها كيسًا من الذهب، وانصرف.

لأن الشعيرة الواحدة سوف تخضع للحساب أيها الغني! فليس هناك ملك أفضل من ملك العجوز، فرستم وإن كان صاحب كمال إلا أنه تطلع إلى ملك زال، ما الطريقة؟ إنها إدراك مخاطر الطريق، والسير بخفة لتجنب المشقة، والشعب باليسير، وغض الطرف عن الملك والحشم، ولا يوجد اليوم ملك بلا زوال، فعمًا تبحث حيث لا كمال؟ ولا يمكن تحقيق الكمال في هذا العالم، فطالما نحن في قيد أنفسنا فلا مفر من النقص.

يتزايد القمر في البداية خلال أسبوعين، ثم يتناقص في أسبوعين أيضًا، ويتحقق له الكمال بين مسيرتيه في ليلة واحدة، ثم يتجه إلى الزوال، والكمال الذي لا يتحقق إلا في ليلة واحدة، البحث عنه ليس من مذهبي، لقد علمت الآن من هذا المثال أنك تتجه إلى الزوال، وإن اكتملت كالقمر، فمالك إلى زوال وإن كنت عزيزًا أو ذليلًا، ولأن ملك الدنيا زائل فكيف تستقيم أمورك هنا، في هذا الزوال.

## ٢ - قصة الشيخ والعنقاء (٤٧٢٧: ٤٧٣٧)

كان أحد الشيوخ الواصلين يسير في الطريق، فوقع بصره على طاق عال، وعلى قمته تمثال من الجص لطائر العنقاء، وقد أطلق جناحيه، فتحدث الشيخ وقال: أيها الطائر الغادر! أعدت مرة أخرى إلى هنا دون حياء، تظل كل شخص بجناحيك فترة ثم تجلس فوق قصر آخر، لا يتأتى ظلك لأحد، فشيمتك الزوال، وإن كنت تحقق الخلود للحياة، لما كنت تخطر على العقل، وتلوح للروح!

الدنيا كلها تبدو مثل سراب والحياة تتوالى كمنام، لقد سقط حمارك بقوة وسط الطين، ولأن الحمار علامة على الحظ في تفسير المنام، فإن كان الحمار حظاً لمرء هنا، فبدون شك يبدو أمر الدنيا سيئاً للغاية، إن كان غربال أو هامك من الماء فكل ما تراه أضغاث أحلام.

## ٣ - قصة السلطان سنجر (٤٧٣٨: ٤٧٤٧)

قال الغزالي لسنجر: أيها الملك! إن حالك لا يخرج عن أمرين، إن كنت يقظاً، فأنت لن ترى شيئاً حتى تغمض عينيك، وإن كنت نائماً، لا ترى شيئاً من هذا الملك حتى تفتح عينيك، فالأم الزهو بالملك والفرح به؟ وإلا تفتح عينيك وتغمضهما؟ إنك لن ترى آثاره في عالمك ولن تدرك شيئاً أقل من العدم.

وأنت إن كنت ملكاً مثل يزدجر<sup>(١٥٤)</sup> فنهايتك هي القتل في الطاحونة، وإن لم تكن تعلم بأمر تلك الطاحونة، فالحظ نظرة على هذا الفلك المنحني، فبمجرد أن تنقلب داخله تستقر في النهاية تحت حجر الطاحونة، والكل سواء فوق هذه النار، سواء أكان بخوراً أم عشباً، وعندما ينتهي اليوم، فالجميع سواء، الملك والمسكين.

#### ٤ - قصة محمود وسَمِيَّه (٤٧٤٨ : ٤٧٦٨)

كان محمود يشق طريقه في الفلاة بصحبة جنده، تحيط به مظاهر الملك، وبينما كان يسرع بجنده في كل صوب ليحصل على صيد من الصحراء، شاهد شيخاً محدباً بئساً حافي القدمين، عاري الرأس، يغطي الغبار وجهه، ينزع الأعشاب، ويتأوه، ويسلك طريقه بين الأشواك، فتقدم الملك إلى الرجل، وقال له: أخبرني يا عزيزي ما اسمك؟ فقال: اسمي محمود، ولأن لي اسمك، فهذا يكفيني.

قال الملك: لقد انتابني الشك فأنت محمود، وأنا محمود، أنت محمود وأنا أيضاً محمود، وكيف لنا أن نتساوى؟ أجابه الشيخ قائلاً: أيها الملك! عندما نموت نحن الاثنان، نبتعد عن الدنيا بمسافة ذراعين في بداية الأمر، وعندئذ نتساوى معاً، نتساوى، وإن كنت أحقر منك، أتساوى معك عندما أموت.

وأنت تعتلي العرش سعيداً، فدعك منه لأن هذه الدنيا ستصنع لك نعشاً من خشب عرشك، ماذا سوف تفعل بالملك في الحياة؟ إنك لن تستطيع أن تسعد لحظة، ولن يمكن المضي في الطريق وحيداً، ولن يستقيم لك أمر دون جند، ولن تتجرع الماء دون أن يتذوقه أحد قبلك، ولن تنام ملء جفونك دون حراسة، فلماذا تتعلق بالملك هكذا؟ وأنت لا تهناً فيه بكسرة خبز، إن كان عرشك العاجي يطاول السماء، وإن كان تاجك يفوق تاج أنوشيروان، فإن نصيبك من مثل هذا التاج والعرش لن يكون سوى التراب، أي ملك هذا؟ وأي ملك أنت؟ إنك لن تتفوق على أمير الأجل، يكفيك كل يوم قطعة من الخبز وإن بحثت عن قطعتين حرام عليك.

#### ٥ - قصة السلطان محمود ومنظف الملابس (٤٧٦٩ : ٤٧٩٠)

بينما كان محمود ملك العالم، يسير في طريقه، شاهد منظفاً للملابس، وهو يحمل مجموعة من أقمشة الكرباس، فقال له: ما ثمن هذا الكرباس؟ أجابه الرجل: يا ملك

الملوك! يكفيك عشرة أذرع فقط من الكرباس في هذا السبيل، ولأنه يكفيك عشرة أذرع منها؟ فلماذا تسأل عن قيمتها كلها؟ وما إن سمع الملك ذلك، حتى بكى تأثراً. ثم شاهد رجلاً فقيراً يقطع الآجر في الطريق، وقد لفحت الشمس وجهه، فصار مثل الفحم، وملاً الصحراء كلها بالآجر، فقال له الملك: ما ثمن هذا الآجر؟

قال الرجل: يكفيك عشر منها، ولأنه يكفيك عشر من هذه المجموعة، فلماذا تريدها كلها؟ البقية حرام عليك، أكثر من عشرة أذرع من الكرباس وعشر من الآجر وبال عليك سواء كنت صالحاً أم طالحاً، إن هذين الشيئين هما نصيبك من الدنيا عندما تمضي عن هذا الكبر والغرور، وإن اعتبرت بهذا الأمر، فاعتبر الدنيا دخاناً، وتجاوز عن سوء طويتك، وأمعن عقلك، واترك الملك، وهى أمرك، ولأنه ليس أمامك من الملك سوى لحظة، فاعمل، فربما لا تواتيك هذه اللحظة أبداً.

وعندما سمع الملك ذلك قال: إن أقوالهما قد جعلت وجودي يتداعى، وبكى طويلاً حتى فقد وعيه. وبعد ذلك أعز الرجلين كثيراً، ومنحهما ذهباً وفيراً، وعندما جاء إلى المدينة روى هذه القصة.

ولأن نصيبك من الحياة هو الآجر والكرباس؛ فماذا سوف تفعل في دار الميتة هذه؟ لو ملكت قوة بهرام أمام الفلك، فأنت في الآخرة بهرام كور<sup>(١٥٥)</sup>، ولو تلالأت أنوارك خلف الحجب مثل الياقوتة، تصبح مثل بهرام جويين<sup>(١٥٦)</sup>، ولو كنت داخل التابوت، فاحذر يا صاحب القبر من القبر، ولا تفقد حيثيتك تحت الأرض، واسلك الطريق حتى لا يجعلك هذا الفلك الغادر أسيراً لنفسك.

## ٦ - قصة الحكيم وذى القرنين (٤٧٩١: ٤٨٠٩)

شاهد أحد الحكماء ذا القرنين في الطريق، فقال الحكيم: رجل الحضرة، كم طفت حول العالم، وأثرت من اضطرابات في الدنيا قاطبة؟ فقال الإسكندر، سخرت نصف العالم، وبقي نصف، وأنا ذاهب الآن لاختضاع النصف الآخر.

قال له الحكيم: ليس هذا هو الإنصاف، يجب أن تسلك الطريق، ولأنك تعلم أنه لا مناص من موتك، فاسلك الطريق المستقيم مثل العلماء، فحتي وإن لم تكن كالأسد إلا أنك عندما تتجه إلى القبر تصبح نملة، ووجودك في الدنيا قصير، ومكوثك في القبر يمتد إلى مئات الآلاف من الأعوام، فلماذا تقيم عشك في الدنيا؟ من الأفضل إقامة منزل في القبر، وإن شيدت إيواناً عظيماً مثل كسرى، فلن يسلم من الكسر في النهاية. ألا ترى الكواكب تجري على مفرق الفلك، تتحرك فائهة في حرقه من هذا المنزل إلى غيره ليل نهار؟ ولأنها تعرف أنها ليست سوى امتداد الفلك؛ لذا لا تهدأ لحظة في منزل واحد، والملك وإن كان يمنح مكانة متميزة، إلا أنه يموت في موقعه أيضاً. وأنت أيضاً، إن أقمت منزلاً في هذا السبيل، تموت داخله فجأة مثل دودة الحرير، إن أحمالاً تثقل كاهلك أيها المجنون! وفي النهاية، يتهدم المنزل فوقك، فلا تسعد بعشك، ولا تضق بخرابتك، لأن سعادتك لن تدوم، ولا شقاؤك، فالحزن يمضي، والسرور يذهب أيضاً كالريح.

## ٧ - قصة الملك والخاتم (٤٨١٠: ٤٨٢٥)

كان يوجد ملك تقي خضع له ملك العالم، ولم يكن له نظير في الحياة بأسرها، وامتدت سيطرته على الدنيا قاطبة، فامتد ملكه من الأرض حتى السماء، وساد حكمه الشرق والغرب، وكان لدى الملك حكماء يعيشون في كنفه.

وهكذا قال الملك -ويا للعجب- لهم ذات يوم: يكتنفي القلق، وتتأجج في قلبي رغبة عجيبة لا أعلم لها سبباً، فاصنعوا لي خاتماً طاهراً بحيث عندما يجتاحني الغضب، وأنظر فيه أسر، وينتهي غضبي، وحينما أكون سعيداً بإقبال الحظ، وأنظر إليه يملؤني الغضب أيضاً، فطلب الحكماء مهلة.

جلس هؤلاء المفكرون العظماء، وقدحوا أذهانهم، وأعملوا فكرهم، وتجرعوا دماء الحسرة، إلى أن عقدوا اتفاقاً، وعزموا على أمر، وهو أن يكتبوا على الخاتم

هذه العبارات الموجزة: يمضي هذا أيضًا سريعًا في نهاية الأمر، ولأن مُلك الدنيا زائل، فكل من فاز بمُلك الآخرة حيّ، إن أردت هذا الملك، افده بذلك الملك، واقتد بإبراهيم بن أدهم.

#### ٨ - قصة إبراهيم بن أدهم والخضر (٤٨٢٦: ٤٨٥١)

كان إبراهيم بن أدهم قد جلس في خيلاء والغلمان تحيط به، وهو يضع التاج المرصع فوق رأسه، ويرتدي ثوبًا مذهّبًا، عندما دخل الخضر إلى إيوانه دون استئذان على هيئة جمّال، فارتعد الغلمان من هيئته، كما فزع كل من رآه، وعندما لمحّه إبراهيم، قال له: من أذن لك أيها المسكين بالدخول؟ فقال الخضر: لأنني رأيت المكان مناسبًا لي، وجدت هنا رباطًا فنزلت فيه.

فتحدث إبراهيم بن أدهم قائلاً: هذا قصر السلطان المعظم، لماذا تدعوه رباطًا أيها الغافل؟ هل أصابك الجنون أيها الرجل العاقل! فتحدث الخضر قائلاً: أيها الملك لمن كان هذا المكان مقرًّا في البداية؟ قال إبراهيم: كان فلان أول من أقام هنا، وكان ملكًا هنا، ومن بعده فلان ثم فلان، والآن أنا ملك العالم.

فقال له الخضر: إن لم يكن الملك يعلم، فهذا المكان رباط وليس شيئًا آخر، لأنهم يجيئون ويذهبون في هذا المكان باستمرار، والجلوس في الرباط مسموح به، لقد مضى قبلك ملوك كثيرون أتقياء وأخساء، وسوف يجيئون أيضًا في طلب روحك ويخطفونك من هذا الرباط القديم، فأَي فائدة لك من هذا الرباط القديم ومن وجودك هنا؟

وعندما سمع إبراهيم ذلك، تداعى وكأن هذا الحديث قد سلبه قراره، وانطلق الخضر، وجرى إبراهيم في إثره، وأنّى لإبراهيم أن يتخلص من شباك الخضر، وأقسم إبراهيم له كثيرًا قائلاً: أيها الشاب الكريم اقبلني الآن، إن أمكنك هذا، لقد زرعت بذرة في قلبي في الخفاء، فاروها الآن وامنحها الحياة، قال هذا، وانطلق في إثره، وصار رجلًا من رجال الطريق، استغنى عن رباط الدنيا العتيق، وبدل الملك بحياة

الدراويش. العظماء الذين انكشف لهم سر الفقر، واشتروا الفقر الصوفي بالملك، تحرروا من رسوم الملك، أي تحرروا من المسكنة. وإن كان الملك في الدنيا هو الحكم، لكن إن أمعنت النظر، تجد أصله هو الفقر.

#### ٩ - - قصة محمود والدرويش (٤٨٥٢: ٤٨٦١)

بينما كان محمود في طريقه مع جنده في الصحراء، مر على أحد الدراويش، وأقرأه السلام، فرد الدرويش عليه دون اكتراث، ومضى، فقال الملك الطاهر العنصر لجنده: انظروا إلى هذا المسكين المتكبر.

فقال له الدرويش: إن كنت فطنًا، فلماذا تطلق عليّ هذا الاسم؟ وأنت المسكين، لقد نزلت في أكثر من مائة مدينة وعشر، وشاهدت المساكين أيضًا في كل مسجد، ولم أر مسكينًا مثلك في العالم؛ لأنه لا يخلو مكان من ظلمك، فقد قرروا ما يوازي شعيرة أو نصف شعيرة على كل مبنى من أجلك لأنك مسكين، ولم أر أي سوق أو دكان يخلو من استغاثات منك، والآن إن كانت قد تحققت الرؤية لبصيرتك؛ فانظر من منا نحن الاثنين هو المسكين.

#### ١٠ - قصة سنجر وركن الدين أكاف (٤٨٦٢: ٤٨٧٩)

حدث أن ذهب سنجر التقيّ إلى ركن الدين أكاف في خلوته، فتحدث إليه الشيخ آنذاك قائلاً: أيها الملك ألا يلحقك العار من هذا الملك؟ ألم يجعلك الملك في كل الأحوال تأخذ شيئاً من امرأة عجوز تطهي بعض البصل.

قال له الملك: أيها الشيخ أنا لا أعلم كيف آخذ من البصل! قال: أيها الملك إن العجوز الواهنة تنسج الحبال بدماء قلبها، وعندما تبيعه بثمن بخس، تشتري دهنًا وبصلًا وحبًا آنذاك، وعمالك يعرفون كل شيء عن البصل والدهن والحطب وغير ذلك، فكيف لا تعلم أنك تأخذ من خضراوات السوق ومن الدهن والحطب أيضًا، وتطلب



جزية عن وعول المراعي واحداً واحداً، لذلك فالفقر أفضل لك كثيراً من هذا الملك.  
أدرك ملك الآفاق حقيقته، ووجد نفسه يأخذ الزكاة من بصل العجوز ودهنها،  
فدمى قلب سنجر من الخجل، وانسابت دماء دموعه، ومضى، وأصبح المسكين في  
طريقه، مثل ملك وملك الدنيا مستجدٍ لتراب طريقه، وصار المسكين الذي لا يملك  
شيئاً أمامه كأنه يملك كل شيء، والملك الذي لا تقل كنوزه عن آلاف مؤلفة، أصبح  
وكأنه لا يملك درهماً واحداً.

لا أهمية للفضة والذهب في هذا السبيل، ولا قيمة إلا لصاحب الهمة العالية، لقد  
عجز أحدهم عن امتلاك درهم واحد، إلا أنه غص بصره عن كنوز الدنيا كلها.

#### ١١ - قصة خطاب وكيس الذهب (٤٤٨٠: ٤٨٩٣)

عندما كان أحد الأتقياء ينزع الأعشاب من الأرض، خرجت صرّة من الذهب،  
فأخذ الرجل يضرب على رأسه بيديه من الحزن، وخاطب الحق قائلاً: لقد جعلتني  
تعيساً فكيف أطلب منك شيئاً أحترق به؟! فتهبني شيئاً من حضرتك يحرقني في  
الحال؟ إنني لا أريده، إنني أريد منك العدل لا الظلم، يلزمني العشب لا الدراهم.  
وأنت إن توافرت لك الهمة كالرجال اجعل نفسك رجلاً بهمتك، فإن أملت  
في الذهب والفضة من مولاك منعتك روحك دائماً بوجلها، ولماذا يجب البحث  
عن الذهب والفضة ومآل روحك إلى التسليم، اترك الفضة والذهب، وحافظ على  
روحك فالروح تفضل الفضة كثيراً.

لقد أدرك محمود الشهرة الفائقة لأن روحها مالت إلى الفقر، وأنت لزمت  
الحرص في الملك، لما ذكرت خلقه أبداً، ولأن السلطان أصبح على هذا النحو من  
الفقر فأنت أيضاً يمكنك أن تصل إلى حال الفقر، فالملوك الذين أدركوا سر الفقر  
لجأوا إلي ظل عجوز.

## ١٢ - قصة السلطان محمود والمرأة العجوز (٤٨٩٤: ٤٩١١)

ذات يوم سلك محمود وضاء الوجه طريقاً بعيداً عن جنده، وفي الطريق صادف امرأة عجوزاً، تتكى على عصا، وقد اكدوب ظهرها، وتحمل كيساً في عنقها، وتتجه إلى الطاحونة سائرة على قدميها، فقال لها الملك: إنك خائفة القوى وحملك ثقيل، ولا يمكن حمله، هاتي الكيس، فهو محكم القفل، وضعيه فوق جوادي، وتحرري منه، وما إن وضعت العجوز الحمل فوق ظهر الجواد حتى انطلق كالريح.

وعندما ابتعد جواد الملك عن العجوز، قالت للملك في الحال: لو لم تقف لي أيها الملك اليوم، لما وقفت معك غداً في ذلك الهول العظيم، فعندما يسرع جوادك في انطلاقه، لا أستطيع أن أصل إلى غباره، ومهما قدت غداً من جياد، لن تلحق بغباري أيضاً. فماذا ستفعل؟ فلا تسرع أيها الملك؛ لأننا سوف نكون معاً غداً في الطريق. فدمى قلب الملك من كلام المرأة، وسحب عنانه، وسار بجانبها.

إن تحققت من سر الوفاء لازمك التوفيق مثل محمود، فهذا هو الكرم والعهد والوفاء وذلك هو التقوى والتسليم والرضا، وإن فزت برائحة من تلك النافجة، فزت بالكرة من الأفلاك التسعة، وإلا غرقت في الندم، ولا تنهض منه حتى القيامة، وأنت أيها المسكين، تعلم الإحسان وتعلم الدروشة من مثل هذا السلطان.

## المقالة السادسة عشرة (٤٩١٢: ٥١١٤)

قال الولد لأبيه: إنني لم أر شخصاً أبداً زاهداً في الملوك، ولا أعرف إنساناً على وجه الأرض لا تراوده أحلام الحكم، ولا يمكن الاستغناء عن كمال الملك، فمن أجل الملك يجود المرء بروحه. وما أحسن ما قال ذلك الحكيم الذي يشبه المشتري، إذا ما تحقق الملك يوماً واحداً، فهو شيء طيب!

## إجابة الأب (٤٩١٧:٤٩٢٢)

قال له الأب: إن ملك الدنيا أصله غير ثابت وفان، إنك اخترت هذا الملك لأنك لم تسمع بملك الآخرة، وإن علمت به تصبح ملكاً على العالمين، والعظماء الذين انكشفت لهم عوالمهم، متى اشتروا ملك الدنيا بشعيرة واحدة، فعندما كانوا يشاهدون الملك الخالد كانوا يتحررون من ملك الدنيا.

## ١ - قصة ابن هارون الرشيد (٤٩٢٣:٥٠٣٠)

كان لزيدة ولد من هارون يعيش في عزلة، بعيداً عن العالم، ولم تكن أمه تخرجه من باب القصر، وقد تفانت في رعايته مثل روحها، وعندما تفتحت مدارك عقله للغاية، رغب قلبه في طلب المعرفة وتعلم الحكمة، فقال لأمه: هل العالم هو هذا القصر؟ أم توجد أماكن أخرى عديدة خارجه، إن كان هناك مكان آخر اذكره لي حتى تتسنى لي مشاهدته، فاحترق قلب أمه عليه للغاية، وقالت له: أيها العزيز! الميمون الطالع! سوف أرسلك الآن خارج القصر، وأبعث بك إلى الصحراء والبيادي، ثم هيات له حماراً مصرياً<sup>(١٥٧)</sup> وأمرت له بغلام وعشرة من الخدم، فخرج معهم بمفرده حتى يستطلع أمر العالم.

ولم يكن ذلك الفريد قد شاهد العالم؛ فتعجب من أحوال الدنيا، وتصادف أن شاهد نعلماً كان يحمله بعض الناس في الطريق، والجميع يبكون، ويبتحبون من حوله، وقد أدمى البكاء أكبادهم. فسأل الولد أحد الخدم: هل الموت حق على الجميع؟ فأجابه الخادم: إن جسد كل كائن حي لا مفر له من الموت، وليس للموت عام وخاص، ولم يمكن لأحد الخلاص منه، فقال له الولد إن كان ينتظرنى مثل هذا الأمر؟ فلماذا لا تحزن روحي على نفسها؟ ولأن الحجر سوف يذوب بالموت؛ لذا يجب الذهاب والعمل من أجل هذا الأمر الحق.

أصبح الموت أمام الولد مثل أسد داخل كمين، وفي الليل عندما عاد أدراجه إلى أمه، كان قد فقد سعادته وحبوره، لم يغمض له جفن طوال الليل من هيبة الموت، وكان يرتعد مثل ورقة في غصن مكسور.

وفي الصباح هرب من المدينة، ترك حياة النعيم، بسبب رهبة القهر، وظل يحوب الفلاة والبيادي وحيداً يتقلب بين التراب والدماء، وكان هارون يبحث عنه كل لحظة ولم يجد له أثراً عند أحد.

ويروي أحد الأتقياء: عندما كانت هناك بعض أعمال البناء في منزلي، توجهت من المنزل إلى السوق وبحثت عن أجير. فوجدت شاباً نحيفاً نحيلاً أصفر الوجه، يعتصره الألم، يضع الفأس والقفة أمامه، وقد سلبه الوله وجوده، فقلت له: أيمكنك القيام بأعمال البناء؟ قال بفتور: يمكنني. قلت له: إنك تلزمني، فانهض. قال الشاب الكريم: فلتنطلق، فأنا أعمل يوم السبت فحسب، إن أردتني، ففي هذا اليوم، وإلا فلا، ولأنه كان يعمل يوم السبت، فقد اشتهر باسم السبتى. وصحبته معي إلى المنزل، فعمل بجهد كثيرين.

وفي الأسبوع التالي، ذهبت إلى السوق، وبحثت عنه طويلاً في كل مكان، فقالوا لي: هو مجذوب، يجلس دائماً في الخرابة الفلانية. فذهبت إلى هناك، ورأيت في ذلك المكان الخرب بعيداً عن خلق العالم، ملقى في ضعف وعجز شديدين، يحيط به الموت والذلة، فقلت له: إنك مريض بائس، وأنا أستطيع العناية بك، تعال إلى منزلي أيها الرجل اليوم، فإنني لا أرى أحداً مهتماً بأمرك، فلم ينبس ببنت شفة، ونهض، ونفذ ما طلبته منه.

وعندما وصل إلى منزلي، كان قد بلغ به الإعياء والضعف كل مبلغ، وأصابه مرض عضال، وظهرت عليه علامات الموت، فقال لي: أيها الصديق، لي ثلاثة طلبات يجب أن تنفذها بإخلاص، فقلت له: اطلب ما تريد يا صاحب السر الإلهي.

قال لي: بعد قليل سوف تحلق روحي، وتحرر من غيابة جب هذا السجن، عندئذ

اربط حبلاً في عنقي، وألقني على وجهي، ثم اسحلني في الاتجاهات الأربعة، وقل: إن هذا العمل عمل صاحب دين، وهذا هو جزاء من عصي الجبار، فالشخص الذي يعصي الجبار، ينقلب أمره هكذا، ويذل على هذا النحو. الشيء الثاني: لديّ كليم قديم طاهر، اجعله كفني، وأوسدني به التراب؛ لأنني أدت فوقه فروض الطاعة لأمد طويل، ربما ينفعني في التراب. الشيء الثالث: خذ هذا المصحف، واعلم أنه كان لعبد الله بن العباس، وكان هارون يحتفظ به، ويخفيه عن أعين الآخرين، فاحمله إلى هارون في بغداد، وقل له: إن من سلمني هذا المصحف، يقرؤك السلام، ويقول لك: انتبه، ولا تمت وأنت غافل مثل الجيفة، لأنني مت من الغفلة والوهم، ولم أخبر الحياة، فمت كالجيفة، وقل لأمي: لا تنسيني في الدعاء في أي مكان، قال هذا، وتأوه، ثم أسلم الروح. عفا الله عن أسلم الروح على هذا النحو.

فقلت في سريري، يجب إحضار الجبل حتى أنفذ الوصية الآن، وربطت الجبل في عنقه، وسحلت وجهه فوق الأرض بذلة، وفجأة سمعت هاتفاً يقول: أيها الجاهل! البعيد عن الطريق، ألا تخجل من جهلك المطلق، وتفعل هذا بأحبابنا، أتضع الجبل في عنق ذلك الشخص الذي أسلم له الفلك رقبته، ماذا تريد من قتل معاناة الطريق هذا؟ لا تحزن فإننا قد غفرنا له.

وعندما استمعت إلى هذا الهاتف الجليل، ارتعشت يداي من الهيبة، وقلت لنفسي: أيها الغافل! اترك هذا الأمر، وانهض، فهذا الجبل عبث، فاستدعيت رفاقي، وقصصتهم عليهم أمر الدرويش، فجاءوا جميعاً بقلوب طاهرة، وكفنوه بالكليم، وأوسدوه الثرى. وبعد أن فرغت من أمر الشاب، أخذت المصحف، وانطلقت في طريقي.

وقفت أمام باب هارون وقت السحر وانتظرت، حتى قدم أمامي، فأظهرت له المصحف، فأخذه بسعادة، وقال لي: من أعطاك هذا المصحف؟ قلت له: شخص أجير شاب نحيف، نحيل، ممتقع الوجه، وعندما قلت: ما أعجبه من أجير! انهمرت الدموع من عينيه كالسيل، وبكى طويلاً، حتى فقد وعيه، وبعد أن تمالك نفسه قليلاً،

قال لي: أين هو ذلك السرو الباسق؟ قلت له: لبيق الله هارون، وما إن سمع هذا، حتى تعالت صرخاته، وفقد ذلك العالم النجيب رشده، فأراق الدمع، وتعالَت صرخاته بصورة لم يشاهدها أحد من قبل، كان صوت آهاته يعلو حتى الفلك، وجنده يراقبونه من كل ناحية، ثم قال: ماذا قال لك عني، وماذا فعل؟ قبل أن يسلم الروح؟

قلت: قال لي آنذاك يجب أن تقول لأمر المؤمنين: استمع إلى كلام هذا الدرويش الأجير، حذار أن تغتر بهذا الملك، اجتهد في ذلك، واعمل بنصيحتي، ولا تمت مثل الجيفة، وسط مظاهر الملك، إن تمت مثل الجيفة، أيها الفريد! تظل على هذا النحو، إلى الأبد، إلام تظل مكبلاً بالدنيا؟ اخط في طريق الدين، لتسعد، فالدنيا حجاب روحك بينما الدين شمع إيمانك، إن تفز بملك العالم بأسره، يتخلى كله عنك، عندما تموت، أنت رجل منعم ترعرعت في العز والدلال، فتعلم الخلق من جمال، والآن قد أفضيت بوصيتي، أنا ذاهب وإن كان يسعدك أن تستمع لمثل هذه النصيحة في وقت كهذا.

تجددت أحزان هارون، وتزايدت، واستبدت به الحيرة، ففقد قراره، ثم سحب الدرويش إلى غرفته، وأجلسه خلف ساتر، وجاءت زبيدة خلف الساتر؛ ليقص عليها الدرويش عليها ما حدث.

وهكذا يروي الدرويش: عندما وصلت في حكايتي إلى قولي: ألقيت به على الأرض، وأخذت أسحله، ارتفعت صرخات النسوة من خلف الساتر، وأخذت تتلاطم مثل أمواج البحر، وقالت زبيدة إنني أستغيث منك، وليقتص الله لي منك في نهاية الأمر، جعلت فلذة كبدي يذوق الذل، ولم تخش ما يحق بوجهه؟ ألم تعرف ابن الخليفة، فألقيت بالحبل في عنقه، أسفي عليك أيها الغريب وعلى ولدي! أسفي على نور عيني وشمعة روحي! رحل عنا فجأة مثل الريح، وأحرق أرواحنا، لوعتي عليك أيها الفاتن المدلل، كنت مثل كنز في أرضي.

ثم طلبت زبيدة معرفة مكان قبره، وشيدت له ضريحاً مهيباً، ومنحت الرجل ذهباً

كثيرًا، بينما أجزل هارون العطاء له أكثر، وصار الرجل من الأثرياء، وإن كان لديك تساؤل، فقد مضى هو أيضًا الآن.

وأنت ماذا ستفعل بالملك؟ وهو بلاء أكيد لروحك في النهاية، إن كنت ملكًا وصاحب سيادة، سرعان ما تترك منزلك بذلة، فلماذا تجس في منزلك بغفلة، ثم تضطر إلى النهوض منه، ولماذا تربط قلبك بشيء تكون نهايته دائمًا ترديك؟ ولماذا تجمع شيئًا بقدر كبير، لن تأكل منه شعيرة واحدة؟ أبدًا إن كنت عدوًا للملك، فكن مثل الولد، وإلا فكن الأب هارون في الملك، أخبرتك عن حال الولد، والآن أحدثك عن أبيه.

## ٢ - قصة هارون وبهلول (٥٠٣١: ٥٠٦٨)

ذات يوم وبينما كان هارون يعبر الطريق مر بجانب بهلول المجذوب، فناده قائلاً: يا هارون البائس! فغضب هارون منه للغاية، وقال لجنده: من هذا المجذوب الذي يناديني باسمي في الطريق؟ فقالوا له: إنه بهلول أيها الملك! فتقدم هارون من المجذوب، وقال له: ألا تعرف آداب احترامني وأنت لا شأن لك باسمي مجردًا؟ إن كنت لا تعرفني أيها المجذوب، أريق دمك الآن على الأرض.

فأجابه الرجل المفعم بالمعاني: إنني أعرفك جيدًا، فأنت إن زلت قدم عجوز في الشرق على حجر، أو تصدع جسر في مكان ما، وتسبب في جرح قدم عنز، تسجل عليك هذه الذنوب، وإن كنت في الغرب، فاخش الله أيها الجاهل! لأنك أنت الذي سوف تُسأل.

فانتحب هارون طويلًا من كلامه، وقال له: أأست مدينًا بشيء؟ قل لي حتى أؤديه عنك كله. فأجابه بهلول التقى: كيف تؤدي ديني عني؟ وأنت نفسك لا تملك شعيرة، أموالك هذه هي أموال الناس، وكل ما في خزانتك ليس لك، فاذهب وأعد الأموال إلى الناس؛ فقد أمرت أن تمنح الناس أموالهم.

ثم طلب هارون النصيحة من بهلول. فقال له بهلول المجذوب على الفور: يا من تعلقو بهامتك في الدنيا علامة أهل السعير جلية عليك، فامح عن وجهك تلك العلامة، وإلا فقد أوضحت لك، وأنا ذاهب كما ترى.

فسأله الخليفة مرة أخرى: إن آل مصيري إلى الجحيم، فأين تكون قد ذهبت كل أعمالك الدينية؟ فقال له بهلول: انظر، إنك ترتكب أفعال أهل النار كل شهر وكل عام، قال هارون: وإن كنت صاحب فضل؛ لأن نسبي يتصل برسول الله؟

قال له: ألم تر عند سماعك القرآن أنه لا أنساب بينهم<sup>(١٥٨)</sup>، قال هارون مرة أخرى: ويحك أيها البائس! إنني لم أفقد الأمل في الشفاعة<sup>(١٥٩)</sup>، قال له: ليست هناك شفاعة دون إذن الله، فماذا تريد مني؟ عندئذ قال هارون لجنده: واصلوا سيركم لقد قتلنا وأنتم لا تعلمون.

حيث لا ملك هنا ولا مالك فنجاتك أن تفنى بنفسك، لأن الحجر يدوم مئات الآلاف من السنين، وأنت لا تبقى، فماذا سوف تفعل في تأخيرك هنا، حيث يبقى الحجر مدة أطول منك. أيها القلب! لا تهتم بالفلك الدوار، وماذا ستفعل في بحر الدم هذا؟ ما أقبح المذاق الجميل لقدرها المليء بالدهون وقد اتخذ من الموت غطاء ذهبيًا له!

يجب الخطو صوب الفلك، ووضع الرأس داخل هذا القبر الدموي، لأن هذا القدر المغلي مليء بالدماء، فلا تضع إصبعك داخله، بل اختف برأسك فيه، ومهما زادت ثورة هذا القدر لن تحصل على لقمة، دون سم ولا حصي. للفلك دائمًا شفق دموي؛ لأنه تجاوز عن التاج، واكتفى بالدماء. انظر إلى خلق العالم، يتصارعون بعضهم مع بعض، وقد ولدوا جميعًا، من أجل الدفن في التراب، كل تراب الأرض دماء سوداء. تراب خلق لا جريرة لهم، مثل سياوش. إن كنت لبيبا، تراه عيانًا، وتشاهد دماء مائة سياوش من كل ذرة فيه.



### ٣ - قصة سليمان والآنية (٥٠٦٩: ٥٠٨٩)

ذات يوم، كان سليمان يبحث عن آنية يشرب فيها الماء دون غصة، بحيث لا تكون تلك الآنية مصنوعة من تراب ميت مدفون. بحثوا كثيرًا عن ذلك التراب، فلم يجدوه -ويا للعجب- مهما بحثوا عنه. حتى جاءه أحد الجان وقال: سأحضر هذا التراب من تراب الموتى الأطهار، وغاص الجني في قاع البحر، واختفى داخل أعماقه، ثم أخرج التراب من قاع البحر، وحوله إلى طين، وصنع منه آنية. وعندما ملأ سليمان الآنية بالماء، حدثته الآنية عن نفسها قائلة:

أنا فلان بن فلان اشرب الماء، لماذا تسأل عن كنهه؟ فمن هنا حتى ما بعد القمر أجساد الناس أكثر مما تطلب، وإن أردت آنية، لا تكون من تراب هذا أو ذاك فهي ليست في الأرض، وإن امتلكت آنية أو تنورًا اعلم يقينًا أنها من تراب القبور.

ما أسعد حفنة التراب التي تشكل، ولكن لتصير آنية للماء، فهي أفضل من الحفنة التي يصنع منها التنور؛ لأنهم يوقدونها بالقوة كل ساعة. انظر إلى القبور لتدرك المعاناة، وطف بالعالم، تجده عالم أموات، الجميع أسرى للتراب والدماء أسرى داخل الطريق بعيدين عن خارجه، لو أن بصيرتك من روح طاهرة، فانظر إلى أرض القبور، من أي تراب هي، وإن تدقق النظر، تجد كل ذرة من ترابها كأنها حشرات مائة عالم، لأن القبور هي أول منزل للآخرة فانظر أي صعوبة في الوصول لآخر منزل، إن أردت الفوز بصفاء الآخرة اجلس في القبور متى استطعت، فالقلب يحيا من رؤية الأموات، ويزيد من رصيدك في الآخرة.

### ٤ - قصة الدرويش والملك (٥٠٩٠: ٥١٠٤)

غضب ملك على أحد الدراويش؛ فطرده من عنده بقلب مفعم بالألم، وقال له: لن أمهلك لحظة واحدة تبقى فيها داخل حدود ملكي، فمضى الرجل، خالي الوفاض،

من أمام الملك، وذهب إلى المقابر، وأقام هناك حُرًّا.

وعندما علم الملك، بذلك أرسل له فوراً قائلاً: ألم آمرُك أيها البائس، أن تخرج من حدود ملكي، وأنت تعاند؟ أتريد أن أريق دمك؟، فأجابه: لقد قبلت هذا، وخرجت من حدود ملكك، أليست القبور أول منزل للقيامة حيث يبدأ العذاب؟ أليست أول منزل للحشر؟ وهي ليست ضمن ملكك، بل من ملك الآخرة.

مثل المرأة عندما يحضرها ألم المخاض، يقول الناس عنها: إن هذه المرأة بين الحياة والموت، إحدى قدميها في الدنيا والأخرى في الآخرة. وأنت أيضاً أيها الجاهل، طالما وجدت في الحياة، فوجودك يتعلق بنفسين، إن توقف نفس، لا يصدر الآخر، وينتهي أثرُك من العالم، فلا تصح، ولا تنح، واسترح، فالطائر الذي ترك الشرك، لا يعود إليه أبداً. ولأن جسدك شرك لطائر الروح، لماذا تجعل من هذا الشرك مقبرة له؟

#### ٥ - قصة شاب وامرأة جميلة (٥١٠٥: ٥١١٤)

تزوج شاب من امرأة فاتنة يعجز العقل عن وصفها، كان جمالها آية للعاشقين، وشفتاها دواء لروح العطشى، ماذا أقول؟ فقد ماتت تلك العروس شبيهة القمر، كانت موفورة الصحة، لكنها ماتت أثناء الولادة.

الحاصل عندما أوسدها زوجها التراب، وأهال الثرى فوق شمس وجهها، كان معه زجاجة من ماء الورد، كانت زوجته تعطر بها قدميها، فسوى قبرها بها، ولكن بعد أن عدله بدمعه الدموي.

لماذا اهتمت تلك الحسناء بشيء وجب عليها المضي عنه مضطرة؟ ولماذا عطرت قدميها في العرس وهي سوف تتركهما؟ ماذا أقول عني وعنك؟ وأأسفاه وأأسفاه على مجيئنا وذهابنا! وأأسفاه!

## المقالة السابعة عشر (٥١١٥: ٥٣٩٩)

قال الولد لأبيه: أنت تعلم أن الملك تهفو إليه القلوب سواء أكان محمودًا أم مذمومًا، حيث يعيش العظماء المبرزون والحكماء الماهرون على عطايا الملوك دائمًا. وأنا لم أر جمعًا ولا نفرًا في غنى عن بلاطهم أبدًا.

### إجابة الأب (٥١١٩: ٥١٢٤)

قال الأب: يا عزيزي إلى متى تجادل؟ وتبحث عن المُلك الفاني بغفلة؟ إن المُلك لا يدوم طويلًا، فلا تثقل كاهلك بأعباء العالم، إنك لن تستطيع احتمال حملك فحسب، فكيف تسرع بأحمال أهل العالم؟ إن الموت في الفقر صعب، فكيف تموت عن الملك في نهاية الأمر؟ إنني أتعجب! فحتمًا تطلب الملك وأنت تدرك زواله!

### ١ - قصة الخراف والقصاب (٥١٢٥: ٥١٣٩)

هكذا قال أمير من أصحاب المعاناة: إنني لا أعجب كثيرًا من أمر الخراف، التي يسوقونها بذلة؛ لقطع رؤوسها بقسوة، لأنها لا عقل لها، ولا تدري أنهم يسوقونها إلى نهايتها، لكنني أتعجب من ذلك القصاب، وهو صاحب العقل والعلم والفكر، فكيف يعلم أنه سوف يذبح فجأة في هذا السبيل أيضًا، ويجلس سعيدًا آمنًا هكذا، ولا يحرك ساكنًا.

الطفل الذي تحتضنه الدنيا داخل بطنها، وجوده يستند إلى العدم، انظر إلى الدنيا كم من الأطفال قتلت داخل بطنها منذ آدم، البعض تلو الآخر، كثير من الأمراء سقطوا كالنمل، وكثير من الأقوياء أودعوا القبور، ليست للدنيا ذرة من الفطنة، فهي ليست سوى قاتلة لأبنائها كما قتل رستم سهراب.

ماذا أقول؟ لقد أخطأت كالثمل إنها عجوز شمطاء كلها مكر وحيلة، تربيك؛ لتلتهمك، وتسلب هذا السيف على عنقك بالقوة. لا تجعل دورة الفلك تصفحك، فهي إن صفعتك على قفاك، تعودك الصفع حتى تسمن، وتؤكل.

## ٢ - قصة الباز وطائر منزلي (٥١٤٠: ٥١٦٧)

ثار باز على أحد الطيور المنزلية، فقال له عندئذ: يهتم الناس بأمرك في المنزل، ولا يدعونك لحظة دون ماء وحب، يحمونك من الأعداء دائماً؛ حتى لا يجد عدو إليك سبيلاً، وأنت تهرب دائماً من الناس، فلماذا سوء عهدك؟ الناس يوفون دائماً لك، وأنت لا تعرف سوى النكران، لا تتألف مع الناس برهة، ولم أسمع عن صاحب جفاء مثلك، أما أنا إن أرسلني الناس مائة مرة لمباشرة مهام جمّة، أحقق عهدهم، فأحلق سريعاً وأعود إليهم على جناح السرعة أيضاً، لا وفاء للطائر المنزلي فهو يميل إلى العزلة.

عندما سمع الطائر المنزلي هذا القول، تحدث قائلاً: أيها الباز الجاهل، إن تهبط في طرقات السوق العديدة، لا ترى بازاً واحداً مقتولاً ومعلقاً، وإنما ترى مائة طائر مقطوع الرأس، معلقاً من رجله ممزق الصدر، إن كان وفاء الإنسان على هذا النحو فإنني أتجنبه، على وجه اليقين، مثل هذا العهد وذلك الوفاء في الحياة الأفضل منه الموت إلى الأبد، فإن كانوا يربونني الآن، فهم يحسنون تربيتي؛ لقتلي، فإن اعتبرت هذا وفاء، فالجفاء أفضل منه، وكثير من الكراهية أفضل من هذا الحب وذلك الوفاء. وأنت أيها الفلك الدوار تدير الطاحونة على دماء الرجال منذ القدم، ما أعجب أمرك أيها الفلك الغادر! تلقي داخل الشرى، بمن أحسنت رعايته، أيتها الحياة، ماذا ستكون نتيجة رعايتك لنا إلا تجرع دماءنا، لا يعلم أحد بأمر تجرعك الدماء، لأنك تخفي أمرك داخل الأرض، وفي أعماق البئر.

أيتها الحياة، لأن حياتك ممات، فانتظار الوفاء منك، طمع في الموت، في البداية

تلقني بي وسط الفتنة من جفائها، وفي النهاية تلقني بي في القبر، عند وفاتي، لا أعلم،  
إلى متى تظل هذه الحياة؟ ولماذا تظل دورة النهار والليل؟

كتاب عجائب الأفلاك السبعة يجعلني أجول في دمائي مائة مرة، طفت حول  
العالم أقصاه إلى أقصاه في كل وقت، ولم أعرف له بداية من نهاية، فهو مثل كرة لا  
رأس لها ولا قدم، لذلك لا أعرف له رأسًا من قدم، ولا قدمًا من رأس، لأن الروح هنا  
يُخفى أمرها عنها، فكيف لها أن تدّعي العلم؟

### ٣ - قصة مبصر الأرواح (٥١٦٨: ٥١٨٣)

اشتهر أحد العرافين بقدرته على كشف ما يجري داخل القبور، فما إن يصل أمام  
قبر حتى يرى ما يجري داخله. وأراد أحد العظماء أن يختبر مقدرة هذه؛ فصاحبه إلى  
قبر عمر الخيام، وقال له: ماذا ترى داخل هذا القبر؟ أخبرني أيها المبصر الطاهر،  
فأجابه الرجل العزيز قائلاً: هذا الرجل يعاني من العذاب، وعندما توجه إلى تلك  
الحضرة كان يدعي العلم، والآن وقد صار جهله عياناً، فإنه يتصبب عرقاً من خجل  
روحه، وهو باق بين الخجل والندم، وأصبح يعاني من التقصير بعد التحصيل، وها  
هو قد دق حلقة باب السماء السابعة، فأني له أن يزعم العلم هناك؟

حيث تغمض النهاية والبداية، لا يدرك أحد رأساً للحياة من قدم. الفلك مثل كرة،  
إن أمضيت عمرك تلهث وراءها، لن تجد لها أبداً رأساً ولا قدمًا. من يعلم كيف أسير  
في هذا الوادي المنكر؟ وكيف اجتازه من قدمي حتى رأسي؟

طفت العالم مرات عديدة ولم أر وسيلة، فصرت لا حيلة لي، العالم كله يلفه  
الآلم، ويحيط به الأسف، فإن سنح وقتك فهو سيف أيضاً<sup>(١٦٠)</sup>، وهذا الفلك أمامي  
مثل صندوق الساعة، لن يترك اللعبة باختياره.

#### ٤ - قصة أمر الدنيا في نظر مجذوب (٥١٨٤: ٥١٩٤)

سأل شخص أحد المجاذيب: كيف ترى أمر الدنيا؟ فقال: أرى هذه الدنيا المليئة بالآلام والأحزان مثل لوح من الشطرنج، تزدان صفوفه أحياناً، وأحياناً أخرى تختلط بعضها ببعض. يحملون واحداً من منزله، ويقدمون آخر مكانه، ويجتمعون في بعض الأحيان على الملك من الأنحاء المختلفة، وينحونه بمهانة تامة، ويستمر الأمر على هذا النحو حتى يفضون هذا اللوح المزخرف.

حياة اللهو واللعب تبعدك عن جادة الطريق، وحياة الآخرة تهبك الضياء، حيث يدرك قلبك الخلاص الأبدي من لعب الزمان، غرتك حياة اللهو واللعب، فانشغلت بالمال والملك والأوامر، أنت باز فررف بجناحيك، وطر عن شرك لعب الأطفال هذا.

#### ٥ - قصة أمر الحق في رأي مجذوب (٥١٩٨: ٥٢١٠)

سأل شخص أحد المجاذيب: أيها المجذوب! ما العمل الذي يؤديه الحق؟ فقال: إن ميدان الحياة مثل لوح الأطفال، إن كنت قد رأيته، يكتب الحق فوقه أحياناً، ثم يمحوه تماماً أحياناً أخرى، ينظر إليه طوال الحياة ولا عمل له، سوى الإثبات والمحو.

الغوث من الخلق! وأواه من الزمان! ويا ويلاه من صورة لوح الأطفال! الحناء التي تخضب بها النساء أيديهن، وإن كانت تمنحهن الجمال، الأفضل عدم تعلق القلب بها؛ لأنها لا تمكث أكثر من عدة أيام، فالحناء التي تزول سريعاً، لا يجمل وضعها على يد ولا على قدم، والأصباغ التي تصنع من النوشادر يسري السم منها إلى قلبك وروحك.

إن كانت مباحج الحياة لا حصر لها، إلا أنها زائلة مثل الحناء، انظر إلى المصطفى

خير رجال العالم، وكيف كان أسلوبه في الحياة؟ وكيف افتخر بالفقر في الملك؟ وارتدى قباء المسكنة، ومد مئات الأسمطة بالطعام للجوعى، ونصب خيمة عظيمة لملك الفقر، وأهال التراب فوق ملك الدنيا، فغطى الأفلاك بمتاع من التراب، فتحقق له كمال الملك بالفقر، ولا أعلم أي قدرة هذه كانت له.

## ٦ - قصة جهاز فاطمة<sup>(١٦١)</sup> (٥٢٦٨ : ٥٢١١)

روى أسامة أن الرسول أمره قائلاً: استدع لي أبا بكر وعمر، وبعد أن جاء أبو بكر وعمر، طلب الرسول الزهراء أيضاً، وقال لها: أريد أن تحضري أمامي كل ما لديك من جهازك، لأصحبك إلى الحيدر اليوم يا نور عيني يا بهجة قلبي!

مضت فاطمة، ثم أخرجت من حجرتها طاحونة يدوية من الحجر، كما أحضرت قطعة قديمة من الحصير، مصنوعة من سعف النخيل ومسواكاً، وخفّاً معطراً، ومع هذه الأشياء أتت بآنية من الخشب، ووسادة من جلد البقر المتين، وكان معها أيضاً ملاءة بها سبع وصلات. وقد وضعت جهازها كله، ووقفت تنتظر.

حمل الرسول سيد البشر الطاحونة فوق كاهله، ثم رفع أبو بكر الحصير وأمسك عمر بالوسادة ومضى. عندئذ ألقت فاطمة قرّة عين الرسول بالملاءة القديمة على رأسها، ثم تنعلت الخف وأمسكت بالمسواك في يدها.

ويروي أسامة: عندئذ أمسكت بالآنية، وحملتها في يدي، وسرت في طريقي، وعندما وصلت أمام حجرة الحيدر، لم أكن أرى شيئاً من غزارة الدمع الذي غطى وجهي. فقال الرسول: أيها الرجل التقى لماذا تبكي بمثل هذه الحرقّة؟ قلت له: يتمزق كبدي، وتدمع روحي، من فقر الزهراء، أكون جهاز ابنة سيد العالمين، على هذا النحو؟ انظر ماذا يمتلك قيصر وكسرى؟ وماذا يمتلك النبي من دنياه؟ قال لي: يا أسامة هذا القدر كثير أيضاً، لأن الموت محتم.

لأن قدمك ويدك ووجهك وجسدك وروحك لن تبقى، فأيقن أن هذا لن يدوم

أيضًا، ولأن العروس فلذة كبد الرسول على هذا النحو، فماذا تتوقع أنت؟ سمعت ما كان من أمر الرسول، وأنت تريد أن تجمع الدنيا، لأن عمل الدنيا هو تجرع دمائك، فلماذا تجمع ما يثقل كاهلك؟ لو تحقق لك الكمال مثل الشمس، فمآله إلى الزوال، الشمس وإن كانت تضيء العالم، وتجلس على عرش السلطنة كل يوم، إلا أن السماء بوجهها القمري، تجعلها تنكس رأسها على الأرض كل ليلة.

لو لم تكن هذه القبة الزرقاء، لما أصاب أحد اعوجاج ولا حزن، الفلك محدب من رأسه حتى قدميه، لن تجد استقامة في أي ناحية منه، ولأن الدنيا اكتسبت الاعوجاج منه، لن تجد استقامة فيها لحظة، والفلك دائر على دماء الرجال، وقد تعلقت حلوق الرجال في حبل دلو، والأرض مرتكزة على ثور، لكن الفلك لا يهدأ أبدًا، لا أعلم ماذا حدث، حتى يجري الفلك، والثور واقف، الفلك يهدف إلى روحك، لأن أقدام ثوره معك، والأرض قائمة على ثور، وهي تتربص بك الدوائر، لأن ثورها دائمًا، في بيدرك.

لماذا تنام طويلًا بين الثيران؟ ألق باللباد فوق الثور، وامض، وكأن الأرض قد استقرت فوق ثورها، وصولجان الأفلاك، يدرك دوره تبعًا، انظر إلى الأفلاك، إنها تشبه دين زرادشت، وقد تكاثفت جميعًا على قتلك، ولكن انظر بعين القلب أيها الضال، لأنك ازددت تعلقًا بها، ولا يوجد سبيل إلى الفلك المعوج، فإلى متى تتعلق بمثل هذا الحبل، إن عشقت الفلك طول عمرك، فهو مثل الخياط لا يخطط شيئًا دون أن يمزقه في البداية، هذا القرص الناري أشعل التنور، ولا تجد فوق خوانه كسرة خبز طيبة.

كيف يمكن لك استخراج الياقوت بمساعدة القمر، وهو يختفي كل شهر، من يعلم أي لعبة يدبرها، هذا الفلك الدوار في كل لحظة، أيها الفلك! إن العمر بضعة أيام متفرقة، فاطوها واطوها، ألا تصاب بالحيرة مرة من تجرع الكؤوس المتلاحقة مثل الريح، إنك لم تفعل عملاً طيباً أيها الفاسد، لذلك تتلمس قوة الأسد لساعديك.



اجعل غطاء رأسك طستًا من الدماء، اسحبه دومًا، والزم الصمت، لماذا تحتال دائماً، وليس لك من عمل سوى القتل، الفلك العتيق مثل طفل يبلغ ستة أيام، يلقي بك من أعلى إلى أسفل على حين غرة، وأنت أيها البائس الذي تبلغ الستين، خدعت بهذه الأيام الستة، ولا تعلم أنك مثل طفل يبلغ ستة أيام، وإن هذه الأيام الستة قد حادت بك عن الطريق، فإن كنت اليوم شيخًا واهنًا، لكنك في القبر طفلًا للآخرة.

إلى متى تفتخر بقوة الأسد، وأنت ضال، وإن كنت عظيمًا، إنك مثل طفل، لا جسد لك ولا قوة، قماطك هو كفن مهد قبرك، صار شعرك كالقطن أيها الفريد، والزم من سوف يجعلك مثله، الحياة مثل النار أيها الشيخ العاجز، وأنت مثل القطن، والنار والقطن لا يجتمعان أبدًا، لأن النار المستعرة لا تتوافق مع القطن، فلا تهيم أيها الشيخ حول الشباب.

#### ٧ - قصة الشيخ والشابة (٥٢٦٩: ٥٢٨٦)

أحضر شيخ فتاة شابة، ولم يحقق مراده منها، وظل الشيخ يراودها عن نفسها، فلم تطاوعه، وتآلف معه تألف الخمر واللبن. وكان للشيخ الطاعن في السن رفيق، فقال له: أيها المستغرق في الفكر! قل لي ما هو حالك مع المرأة؟ أنت شيخ، وهي شابة وهذا أمر شائك. قال: أنا يائس منها، فكلما أردت تقبيلها، تقول لي: لا أستسيغ تقبيلك، فالقطن يلزم فم الموتى، لماذا تريد تقبيلي كل لحظة، وتضع شعرك وهو مثل القطن في فمي؟ اذهب وانزع قطن الغفلة من أذنك، تجد المشيب قد سرى في رأسك، وأنت غافل، إن نزع القطن من أذنك، ترى شعرك مثل القطن، وتجد أن ظهرك قد احدودب مثل القوس من الكبر، وأن رأسك قد ثقلت مثل السهم من الذنوب، اطلب اليقظة من الحق قبل الأجل، وابحث عن اليقظة لأنك ثمل بالغفلة.

اترك كل ما تملك مثل الرجال، فلماذا تكون مثل النساء مع الفلك الدائر؟ إن وجدت رأسك بين الورود، فلماذا تغسلها؟ إنها لن تسقط بثقلها وسط الطين، انزع

حجاب التراب عن هذا المكان الخرب، وارتد ثوبًا من أثواب الرجال، حتى تصير خرابة الكفر والأسباب، معمورة بالدين، وهذا هو إقبالك، إن مت مشرّكًا، فأواه عليك! حيث يكون عليك دمًا بكل كيانهم، فالشخص الذي أمضى عمره مؤمنًا، كيف يموت كافرًا في النهاية؟

#### ٨ - قصة الدرويش وأبي بكر الوراق<sup>(١٦٢)</sup> (٥٢٨٧: ٥٢٩٨)

ذات ليلة رأى أحد العارفين بالله في منامه، أبا بكر الوراق، يبكي بحرقة بالغة، فقال له: يا رجل الدين، لماذا تبكي بمثل هذه الحرقة؟ فقال: كيف لا أبكي، ولا أفزع من الردة؟ اليوم عندما جلست في هذا المكان، نظرت برهة إلى القبور، فلم أجد واحدًا من كل عشرة دفنوا اليوم، فاز بالإيمان، فما أشدها من حرقة! فكيف يمكن أن يرتد إلى الكفر، شخص أدى حقوق دينه لمدة سبعين عامًا، والآن بكائي وانتحابي لهذا السبب، ماذا أقول؟ فعملي اليوم هو هذا.

يا عزيزي إن الأمر صعب، ولكن الناس غافلون، كل من يرهب سوء العاقبة يتسلل إلى قلبه في كل لحظة وجل آخر، فيبقى بين الكفر والإيمان من الخوف، فلا يسمي نفسه كافرًا ولا مسلمًا، يجلس بين الكفر والدين بائسًا، حتى يتضح هذا الأمر في النهاية<sup>(١٦٣)</sup>.

#### ٩ - قصة الشيخ والقبر (٥٢٩٩: ٥٣١٧)

عندما حانت منية أحد الشيوخ، وكان قد تجاوز الستين من عمره ويناhez السبعين، قال له شخص: أيها الذهاب إلى العالم الآخر، أين أدفئك؟ حدد لي مكانًا، فقال: أنا مضطرب الإيمان، ولا أريد أن أدفن بين المسلمين، لأنني ليس لي نور المسلمين، فأني شأن لي بقبور أصحاب الدين؟ ولا أريد أيضًا أن أجاور اليهود، لأن الرسول قد تحاشاهم، وليكن قبري بين هذه وتلك، فأنا لست من هؤلاء ولا من أولئك، ليست

لي مكانة في الإسلام، ولا في اليهودية أيضًا.

مثل هذا الرجل يجب أن يكون بين هذا وذاك، حتى تتضح مكانته، وأنت لم تتقدم خطوة في هذا السبيل، فأين كنت طوال ذلك الوقت؟، ليس لك عمل هنا، عملك هناك، فهناك تتغلب على عقبات كثيرة، فليس ثمة عقبات أمامك هناك، حيث لا سبيل للفكر أبدًا، إنني أخشى من هذا الوادي الوعر الذي لا نهاية له، وأخافه للغاية.

في ذلك الوادي حيث تشعر الروح بالوجل، ويليق بالروح أن تدمى، وحيث يموج بحر داخل الروح، لا بداية له ولا نهاية، وقد تدمى آلاف الأرواح في هذا السبيل، ولكن لا يعلم أحد عنها شيئًا، فمن يعرف وكل قلب مثل سراج، يرسل إشاراته إلى رأس صاحبه، في كل لحظة تتزايد أحزاننا، من ذلك الطريق الذي ينتظرنا، ومصباح نور الإيمان على قارعة الطريق، فماذا تفعل إن خبا نوره فجأة.

#### ١٠ - قصة سفيان الثوري<sup>(١٦٤)</sup> (٥٣١٨: ٥٣٤٥)

عندما كان سفيان الثوري شابًا، احدودب ظهره، وصار مثل القوس. فقال له شخص: يا إمام الآخرة، لماذا احدودب ظهرك في شبابك؟ إنك ما زلت شابًا على هذا الحدب، وتحذب ظهرك على هذا النحو، ليس جائزًا الآن، ماذا حدث؟ اشرح لنا الأمر، ووضحه لنا، وبينه، وأخبرنا به، فقال سفيان: كان لنا أستاذ، دائب السعي والعمل في الطريق، وعندما حان أجله، ذهب إلى فراشه، فرأته بائسًا، يعاني من اضطراب شديد، وتموج الدماء داخله كموج البحر، وروحه وقلبه يضطربان فوق نار الخوف، وفوق كل هذب من أهدا به مئات من قطرات الدمع، ترتعد روحه داخل جسده المرتعش مثل الورقة، ويمتلئ قلبه باليأس أمام الموت، قلت له: أيها الشيخ، ما هذه الحال؟، قال: الإيمان في زوال، أدमित قلبي مدة خمسين عامًا، والآن وقد سلط عليّ سيف الموت، جاءني هاتف: إنك مرفوض لدينا، فابتعد عن هذا الباب؛ لأنك غير جدير بنا.

وعندما سمعت هذا منه محوت وجودي، فخرج صوت تكسر العظام من ظهري، وما إن قال تلك الكلمات آنذاك، حتى صار ظهري على هذه الصورة. على هذا النحو كان نصيب أستاذي، فكيف لتلميذه أن يأمل في دينه؟ وعندما بدت لي نهاية أستاذي، نفضت يدي من تلمذتي عليه.

لا أعلم كيف تتحقق الحرية للمصباح الكائن في مهب الريح، فالسراج الذي تتخاطفه الرياح، اعتبره كأنه لم يكن، ومصباح روحك قد خمد فجأة، ولن تجد سبيلاً إليه، ومهما بحثت واجتهدت لن تجد له أثراً قط، فلا تقم مأتماً للمصباح المطفأ، ولا تتأسف على قلبك المفعم بالأحزان.

مرحى للكلب البعيد عن الحزن! بينما ابن آدم هذا مسكين، إن لم يكن هناك حساب ينتظر الإنسان، لما حزن أحد عليه، عش بالعلم مرة واحدة، وممت عن الجيفة الدنيوية، ونقب عن وادي الصامتين هذا، وإن علمت عنهم شيئاً فاقتد بهم، اليهودي الذي سلك الطريق، وجد سبيله إلى خوان المصطفى، إن حدث لك أيضاً هذا الأمر بسرعة، فلست أقل من اليهودي في هذا المعنى.

#### ١١ - قصة إسلام يهودي (٥٣٤٦: ٥٣٩٩)

عندما كان أحد الشيوخ المعمرين في الشام، يقرأ في التوراة، ويصل إلى اسم الرسول، كان يمحوه أو يمزق الورقة، وفي اليوم التالي يفتح المصحف، فيجد اسم الرسول مكتوباً، فيبدأ في محوه مرة أخرى، وفي اليوم التالي يجده مرة أخرى. وذات يوم، انقبض صدر الرجل وقال في سريره: لا أستطيع إخفاء الشمس بالطين، ربما يكون الزعيم الذي ظهر على حق، فيجب الذهاب إلى المدينة، كان قلبه يهدر مثل البحر شوقاً إليه، لكنه كان يخفي شوقه كما يخفي الجبل جوهره، أحضر ناقة ومضى، وجاء إلى المدينة مباشرة، وصل المدينة وقت الظهيرة، وهو لا يعرف طرقها ولا دروبها، وعندما وصل أمام مسجد الرسول، ظهر أنس فجأة، فقال الشيخ لأنس:

أيها الجوهر الطاهر! دلني على الرسول، قاده أنس وهو يبكي إلى داخل المسجد: وشاهد اليهودي الجميع وقد لفهم الحزن، وشملتهم الحيرة، ورأى الصديق وهو يجلس في المحراب مطرقاً حزيناً، والصحابة يلتفون حوله.

فاعتقد ذلك الرجل الهرم، أن الصديق هو الرسول، فقال له: يا رسول الحضرة المختار، يقرئك السلام هذا الشيخ الضال، وعندما سمع القوم اسم الرسول، أخذوا يتخبطون مثل طائر مذبوح، وانهمرت الدموع كالمطر من الأعين، ما أغزره من طوفان فجره الصحابة! وتعالى الصرخات من وسط القوم، كأنما ظهرت مائة شمعة من كل قلب.

لم يحرك الغريب ساكناً، بينما كان قلبه يموج بالألم، من شدة حزنهم، وقال لهم: إنني رجل غريب، يهودي ولا معرفة لي بشريعتكم، ربما نقطت بشيء غير لائق، كان يجب ألا أنطق به، وإلا فلماذا إذن تبكون بهذه الحرقه؟؟ إنني لا أعرف مراسم دينكم. فقال له عمر: ليس هذا البكاء، لأنك أسأت بشيء، ولكن اليوم هو اليوم السابع أيها الرجل البائس، لرحيل الرسول عن الدنيا، وعندما سمعنا اسمه جرى على لسانك، جرحت كل القلوب من الحزن مثل روحك، فنحن ننصهر أحياناً شوقاً إليه، وتتجمد أطرافنا أحياناً أخرى لفراقه، وأسفاه على الشمس المضيئة للعالم! وقد صرنا ذرة من دونه اليوم، واولاه على ذلك البحر الأعظم، الذي أصبحنا من دونه أقل من كل قطرة! عندما اتضح الأمر للشيخ، مزق ثوبه حسرة عليه، وأراق من عينيه أمطاراً غزيرة، تشبه ما يمطره السحاب في فصل الربيع، وتجدد مأتم الأرواح الملتاعة ذلك اليوم، وترددت بين جنبات المسجد، واشوقاه! وواويلاه! الحاصل، عندما هدأت حدة الانفعال، وحكم العقل، وتوارى اندفاع القلب، قال اليهودي: حققوا لي أمنية، واحضروا لي ثوباً من أثواب الرسول، فإن لم يتحقق لي رؤية وجهه، أستطيع أن أشم رائحته ولو مرة واحدة، فقال له عمر: يمكن طلب الثوب، ولكن يجب الاستئذان من فاطمة، فقال علي: من يستطيع الدخول إليها؟ لقد أغلقت الباب على نفسها،

وتختلي بنفسها، طوال هذا الأسبوع، فحسرتها تفوق الجميع، وهي لا تفصح بشيء عن حزنها، ولا تستريح لحظة واحدة من لوعتها.

فتوجه الصحابة جميعاً في تلك المحنة وذلك الحزن، إلى سيدة نساء الجنة، وما إن دق أحدهم الباب حتى رد صوت، لقد ذهب يومنا وحل ليلنا، من يدق الباب على يتيمة مثلي، جالسة فوق كليم ممزق؟ من يقرع الباب على أسيرة مثلي، قابضة فوق حصير قديم؟ من يدق الباب على حزينه مثلي، وقد فتح الموت كميناً لروحي؟

فقصُّوا عليها القصة كلها، فقالت لقد صدق الرسول، ففي تلك الساعة التي كان يسلم فيها روحه إلى الحق، أخبرني همساً بهذه الحال قائلاً: سيأتي عاشق لنا من الطريق، لكن ذلك التقى لن يرى وجهي، اعطه هذا المرقع، فهذا كافٍ له، وأبلغيه سلامنا بإخلاص.

وعندما سلموه المرقع، ارتداه، وما إن تسللت رائحته إلى مشامه حتى استبد به الحال، فقد أدرك رائحة صدقه، وأسلم، وطلب الذهاب إلى قبر المصطفى، فصحبوه من هناك إلى القبر، فاضطرم قلبه، وقبع الطاهر هناك، إلا أن الوجد استبد به من ثرى المصطفى العاطر، فسقط وفاضت روحه الطاهرة، أسلم ذلك الشيخ الحزين الروح بذلة، ووجهه فوق قبر الرسول. وأنت إن كنت عاشقاً، فاسلك على هذا النحو في المذهب، ومت هكذا مثل الشمع شوقاً إلى المعشوق.



## المقالة الثامنة عشرة (٥٤٠٠ - ٥٦٨٣)

قال الولد لأبيه: لأن الخاتم عزيز المنال، فاشرح لي كنهه؛ ليسعد قلبي بمعرفته، وإن لم يتحقق لي الفوز به.

### إجابة الأب

فض الأب الخاتم عن حقة العلل، فتناثرت اللآلئ، وروى هذه القصة.

#### ١ - قصة بلقيا وعفان<sup>(١٦٥)</sup> (٥٤٠٥ - ٥٤٢٨)

ذهب بلقيا يصحبه عفان، من أجل الحصول على خاتم سليمان، من غار يقع وسط البحار السبعة، والطريق إليه غاية في المشقة، وفي الطريق ظهرت لهما جنية على هيئة حيّة، تحدثت إلى عفان قائلة:

إن جمعت ماء الأغصان في المكان الفلاني، ومسحت به على قدميك، تجري فوق سطح الماء، كعدّاء في الصحراء، فتوجه الرفيقان إلى ذلك المكان، ومسحا بالماء على أقدامهما، فانطلقا فوق سطح الماء، مثل السهم، وفي النهاية تحقق للشغوفين مرادهما، ووصلا إلى البحار السبعة.

وهناك ظهر لهما غار هائل، يفوق الجبل رفعة وهيبة، وهذان الرفيقان وإن كانا صديقين، إلا أنهما لم يكنا رفاق غار، وكان يوجد أمام الغار لوح ممدود، ينام فوقه شاب في سعادة وهناء، يضع في إحدى أصابعه خاتمًا، حجمه أكبر من المشتري، وتحت اللوح حيات نائمة، وقد تجمعت في دائرة بحيث أصبحت خافية.

وبمجرد أن رآهما الشاب استيقظ، وتنفس في الحال فنثر النيران، فخاف عفان

من صوته، فقد وضع أذاه، وقال لرفيقه: لا تتقدم، ولا تنخدع، احترس، وفكر في حياتك، ولا تقامر بها بسبب حب سليمان، فإن مت، ماذا تفعل بملكه؟ لم يتعظ بلقيا بكلام عفان، وانطلق أمام عرش سلطان الأنام.

وعندما هم بنزع الخاتم، تحول الخاتم إلى ثعبان أسود، ففزع عثمان من الخوف، وعندئذ أدرك أنه علم بالسر، وجاءه هاتف من حضرة الإيمان: إن لزمك مُلك سليمان، اقنع، فذلك هو الملك الخالد، الذي يحويه قرص الشمس تحت ظلاله، وسليمان كان يحفظ مثل ذلك المُلك، بقوة القناعة.

## ٢ - قصة سليمان<sup>(١٦٦)</sup> (٥٤٢٩: ٥٤٤٧)

ذات يوم، كان سليمان في الطريق مع جنده، فوق بساط الريح، وفجأة جال الملك في خاطره فقال: أي الملوك مثلي في العالم اليوم، فاهتزت ناحية من البساط بشدة، وفي الحال تحدث سليمان مع الريح قائلاً: أيتها الريح لماذا فعلت هذا بالبساط، بمن كنت ستلقين على الأرض؟ فقالت: لست أنا المذنبة يا سليمان، ابعد عن قلبك هذه الفكرة، لدي أمر من الحضرة يقول: عندما يحفظ سليمان قلبه، احفظي بساطه، وإذا لم يحفظ، لا تطيعي أمره، ولأنك فكرت لحظة في المُلك، زل طرف من بساطك عن مكانه.

يجب أن تتصف بالقناعة دائماً، حتى لا يزول عنك الملك، لأن لب الملك ومكنته، لن يتحققا بشيء سوى القناعة، والفقر أساس القناعة، فأنت ملك إن افتخرت بفقرك، وإن أردت ملك العالم أيضاً، فلا تتكبر، واقنع في الحياة.

والقناعة هي الخاتم الذي امتلكه سليمان، وعن طريقه امتلك العالم، ذلك الملك كان له قوة النار المضطربة، بحيث جعل إبراهيم الخواص<sup>(١٦٧)</sup> يقنع بصناعة السلال، ومملكة الشمس عظيمة، لأنها اكتفت بقرص واحد من الآفاق كلها، وملك القمر ذو مهابة واحترام، لأنه سعد بوجهه فقط، إن خطواتك تتعثر، فعماً تبحث؟ الملك حيثما



وجد، ملكه هو، فماذا تريد؟ إن لم تفز بملك، فأنت ملك العالم، وهلاك روحك يظهر كل لحظة من هذا الشؤم (الملك).

### ٣ - قصة المأمون والغلام<sup>(١٦٨)</sup> (٥٤٤٨ : ٥٤٨٨)

كان للخليفة المأمون غلام، جمع بين الفنون والطرائف، جماله يشبه الشمس في حسنها، وقد تاق الناس جميعاً إلى وصاله، ولشّية طرته شرك عنبري، وكأنها استولت على الهند بأسرها بين ثناياها، نعم، فلو لم تكن طرته تمتلئ بالثنايا، لما كان نثارها نافجة المسك، وماذا أقول عن حاجبه الذي يشبه القوس؟ فقد كان قوساً لطرة معشوقة.

وأراد المأمون منذ زمن طويل، أن يختبر مكنون قلبه، وأن يتأكد هل عقله قائم على عهده؟

وحدث أن جاء قوم ذات يوم من البصرة إلى بغداد، بقلوب مفعمة بالألم والاحترق قائلين: لينصفنا أمير المؤمنين، إننا نستغيث من أمير البصرة، لقد تحملنا مظالم عديدة ارتكبتها، لم نر أو نسمع من قبل عن مثلها، وإن لم تقتص منه، فسوف نشور عليه.

أمرهم المأمون خفية: أن اختاروا غلامي هذا الآن، ربما قبل تقلد هذه الإمارة؛ فيعينكم على أمركم، عندئذ طلب القوم من الملك: أن اجعل هذا الغلام ملكاً علينا، فسوف نرضى جميعاً بحكمه، ونتخلص من ظلم ذلك الأمير.

عندئذ نظر المأمون إلى غلامه، ليرى مدى التزامه، وقال المأمون لغلامه: ماذا تقول في هذا المنصب الآن؟ إن قبلت التوجه إلى تلك الناحية، سأكتب لك فرماناً في الحال، فوقف الغلام صامتاً، وقلبه يتمزق شوقاً لإمارة البصرة.

عندئذ قال المأمون: لقد اتضح لي ادعاءه. وفي الحال، وفي مكان قصي، كتب

إلى عامله رسالة بيديه: عندما يصل غلامي إلى هناك، ومعه رسالة باسمي، يجب أن تُزين المدينة والأحياء والسوق، وكل أنحاء البصرة، ثم يحضر شراب الورد وبه سُم، ويقدم له، وبعد ذلك يحمل إلى الطريق، ويسحل في كل ناحية، وينادي المنادي: إن كل من يفضل المُلك على المالِك، جزاؤه أسوأ من هذا مائة ألف مرة.

وأنت خلقت الحق من أجل نفسه، وأوجدك لترجو قربه، ولا يدعك تموت جاهلاً، فقد وهبت الحياة لهدف آخر، وإن تركك تُزل، فقد وضع لك الصاع في رحلك في الخفاء، لماذا يثقل عليك هذا الذهاب، إن رب العالم يقول: إن تحضر إليّ راجلاً، أحضر لاستقبالك جارياً<sup>(١٦٩)</sup>، الله يناديك، وأنت غافل، فلماذا تظل على هذا النحو أيها الضال؟ يا رجل الحضرة! إنك لست أقل من البعير، التي تتعقب نداء الحداد.

#### ٤ - قصة الأصمعي<sup>(١٧٠)</sup> والزنجي (٥٤٨٩: ٥٥٢٤)

هكذا روى الشيخ الفريد، الأصمعي: ذات ليلة توجهت إلى البادية، وفي اليوم التالي استضافني شخص كريم، وهناك رأيت غلاماً زنجياً ملتاعاً، مقرناً في الأصفاد والقيود، يئن وينتحب بصوت خفيض، وقد ضاق قلبه فصار مثل عين نملة، وتأججت نار قلبه، فأنت على وجوده، فسألت الزنجي الجريح، لماذا كُبلت على هذا النحو بالقيود؟ فقال لي: لقد ارتكبت ذنباً، أُحبس وأُعذب من أجله، وللضيف عند سيدي حق، لا يستطيع أن يردّه، ويمكنك أن تطلب منه الآن، أن يعفو عني من أجل حق الضيافة.

وعندما مدوا السماط وجلس السيد، لم يمد الأصمعي يده إلى الطعام، فسأله الرجل الفاضل: لماذا تعزف عن تناول الطعام؟ فقال له الأصمعي: يعزف قلبي عن الطعام، من ضيقه لحال الزنجي، ولا أستطيع أن أتناول طعامي بدماء قلبي، فإن عفوت عنه أتناول الطعام. قال المضيف للأصمعي: لتحترق روح الزنجي، لقد أصاب قلبي

بجرح غائر، ماذا أقول؟ فذنبه عظيم، قال الأصمعي: ما الإثم الذي ارتكبه؟ قل لي، فأخذ الأعرابي يروي:

كان هذا الزنجي السيئ الطوية يتقدم أربعمئة من الإبل القوية، وكلها محملة بالأنقال وقت الظهيرة، كان يسوقها بسرعة فائقة في الطريق، ويحدوها فتطرب له، حتى سار بتلك الجمال على هذا النحو من القسوة، مسافة عشرة منازل دون زاد ولا ماء، والزنجي عذب الصوت يغني لها بحرقة، ويسرع بالجمال في الطريق، وظل يواصل الحُداء، والجمال ثملى من اللذة، وعندما طووا مثل ذلك الطريق في عناء بالغ واعتساف، نفق الأربعمئة جميعًا هناك، كان يغني للجمال المحملة بالأنقال، حتى نفقت من العطش، أربعمئة جمل نفقت كلها من نداء واحد، ولا يمكن أن أوضح لك مدى لوعتي عليها.

وأنت يا بني أقل من الحيوان في تحمل هذا الطريق، فكيف اعتبرك من رجال الطريق، إن كان الغلام حداء للجمال، فالنداء متواتر لك من الحق، إن الحيوان ضحى بروحه تحت أحمال العشق، الذي توسمه في الغناء، والرسالة متواترة لك من الحق، وتكون في النهاية أقل من الحيوان؟ لقد خلقك الله من أجل نفسه، واشترى منك نفسك وأموالك أيضًا<sup>(١٧١)</sup>، وأنت مشغول بوجودك، وتفوقت على الشيطان بسبب أنانيتك، منحك الحق مئات الكنوز من الوجود، وأنت تتقاسمها مع الشيطان من ثملك.

الله يناديك دائمًا، وأنت تقتفي أثر الشيطان، الله مطلع على كل أفعالك ذرة ذرة، وأنت الذي تشبه الذرة، تتشبث بأهوائك، أفسدت عمرك الطويل، ولم تعرف قدره لحظة، ولكن صبرًا، ففجأة، تسقط الحجب من أمامك في الطريق، وعندما تتضح فضيحتك أمامك، تحرق نار الخجل روحك.

## ٥ - قصة جبريل مع يوسف (٥٥٢٥ : ٥٥٤٧)

عندما ألقوا بيوسف في غيابة الجب، نزل عليه جبريل من سدرة المنتهى في الحال قائلاً:

لينشرح قلبك في محتتك هذه، فسوف تنجو من البئر، وسوف يخلصك الحق تعالى من الحزن، ويمنحك ملك مصر، ويزين رأسك بتاج من العزة، ويجتمع المصريون على بابك، وتدين لك الدنيا، وترعى في كنفك الكثيرين، ويأتي إليك بإخوتك العشرة، في ذلة لكسب العيش، فقل لي الآن، هنا في هذا البئر، عندما يقع بصرك عليهم، هل ستلقي بهم في السجن؟ أم تشنقهم؟ أم تهنيئ أمراً لقتلهم، أم تُجري دماء كل واحد منهم، بالعصا والوسط.

عندئذ قال يوسف لجبريل: عندما يأتون استدعيهم بسرعة، ولا أتحدث معهم لا عن البيع ولا عن البئر، ثم أزيح النقاب عن وجهي، فإن انحنوا أمامي، ما أقوله هو هل علمتم ما فعلتم<sup>(١٧٢)</sup>؟ ألا تندمون على أنزلتموه بيوسف من آلام؟ إن نصب هذا الشرك كاف لهم، وهو عذاب قاس لهم، فإن كانت قلوبهم قد تحجرت، فقد تتمزق مما سيلم بهم من خجل.

وأنت إن لم تفكر في مصيرك، فقلبك ميت، لأن الإحساس بالمعاناة والألم من خصائص الإنسان الحي، وأنت حديث العهد، لن يفيدك هذا الحديث، فالنار لا تضطرم إلا مع الاشتعال، فاحترق ليل نهار مثل الشمع، فالنار تظهر الضياء، إنك لم تر أي خير في الأغيار، فلماذا تنشغل بهم؟ لأن أمرك متعلق بنفسك دائماً، فسافر داخل نفسك، بعيداً عن وجودك، فإن طفت لحظة داخلها، كأنما طفت في العالم بمائة قلب، وهل رؤية عيب واحد داخل نفسك، أفضل لك من رؤية مئات الأنوار من غيب الغيب؟

## ٦ - قصة الشيخ خالو السرخسي<sup>(١٧٣)</sup> (٥٥٤٨ : ٥٥٧٧)

كان شيخ سرخسي اسمه خالو على صلة وثيقة بالخضر، وكان هناك شاب في مقتبل العمر، غض، نقي السريرة، يفيض قلبه بنور الحق، ويمضي جل وقته في ذكره، وذات مرة عندما كان الخضر ذاهباً إلى الشيخ الدرويش، اصطحب الشاب معه، وما إن جلس الشاب حتى قال له الشيخ، على سبيل التعارف: أيها الشاب ماذا تعمل؟ فرد الشاب: من هو الشاب هنا؟ فقد انقضت الآن عشر سنوات متصلة، وأنا لا أعلم شيئاً عن عقلي ولا عن جلدي للحظة واحدة، بسبب التفكير في الحبيب.

وعندما سمع الشيخ العالم هذا الكلام، قال للشاب: أيها الشاب الهمام، الواصل! إن تفكيري فيه محال، والذي أعلمه أنه مضت الآن ستون سنة، وأنا دائم التفكير في عيوب نفسي، بحيث لم أبتعد لحظة عنها، ولأنني أرى نفسي ممتلئة بالعيوب والنقائص، فكيف أرى الغيب في نجاستي، إن جمل هذا بي أو لم يجمل، فهو لا يحتمل لحظة من عاري، لو أبرز من جراء طبيعتي التنتة، هل يجوز أن يظهر لي الحبيب؟ فمع مثل هذه الجيفة، لا يتحقق إقبال لهذا الأمر.

إن لزمك الطهر، تطهر، وإلا تجرع الدماء، والزم التراب، ماذا ستفعل في النهاية بهذه الرئاسة؟ إنك مثل شمس تشرق في نجاسة، تطهر أولاً ثم انظر، ولا تسلك الطريق بالجهل، واحذر البثر. الشخص الذي تكتنفه النجاسة، يبحث عن قرية ماء، ويتلمس الجفاف وسط بحر التراب.

فأثر هذا الكلام في قلب الشاب للغاية، وبدا وكأن روحه قد فارقت من الخجل، فارتعد، وصرخ، وسقط، وتغير حاله بدرجة لا يمكن وصفها. فقال الخضر للشيخ: أيها الشيخ التقى! لا تضربه بهذا السيف الباتر، فهذا أمر الواصلين، ولا يدركه الشباب الغض.

يجب إدراك السكر بدون شك، ويمكن إعطاء القوس حسب قوة الساعد، أنت

الآن ثمل بجاذبية العشق، ثمل حينًا، وتزهو حينًا آخر، يلزمك خمر خاص أيها المخمور؛ حتى يخلصك من وجودك تمامًا، كل ما يبعدك عن نفسك، يكون خمرًا وليس نبيذًا، إن علمت الفناء من السكر، تكن قد وقفت على حجاب الأسرار، فعندما يستبد السكر بشخص، يعرف أنه أدرك الفناء لا السكر، ولأنك لا تعرف الفناء من السكر، فلا تفتخر بالفناء وأنت ثمل.

#### ٧ - قصة يحيى بن معاذ<sup>(١٧٤)</sup> وأبي يزيد (٥٥٧٨: ٥٥٩٢)

وصلت رسالة من يحيى بن معاذ شمع الإسلام، إلى الشيخ البسطامي يقول فيها: ماذا يقول شيخ الدين في ذلك الشخص، الذي شرب شربة طاهرة ومقدسة، فاستولى الخمار على رأسه، لمدة ثلاثين عامًا ليل نهار. فوصله الرد من أبي يزيد، يوجد هنا رجل شرب كثيرًا، شرب البحر والأرض والعرش والكرسي دفعة واحدة، فعما تسأله، وهو إلى الآن يصيح هل من مزيد! وإن كنت لا تعرفه فهو أبو يزيد.

وأنت لماذا لم تتجرع الخمر؟ وأضعته، جئت متيقظًا، وتذهب ثملًا، إنك تبدو مسكينًا للغاية، فقد ثملت من كأس فارغة، والحياة زاخرة بآلاف البحار، وكلها مملوءة للخاصة من الأرواح، وحيث يمكن هنا السكر من قطرة واحدة، كيف يمكن تجرع البحر بأكمله، إن كنت ثملًا بعشق مبهج للقلب، فمت تبعًا للأمر واحترق، وإلا فسرك مثل المخمورين، وأي شأن للثملة بالسلوك، سر وفق الشريعة إن كنت صاحب مقام، فإن ثملت لن تستطيع الخطو، فكل عاشق لا يسير وفق الشرع، وتجتاحه الآلام، لا دواء له.

ماذا أقول لك؟ يا لك من معاند! فأنت في العشق، لست رجلًا ولا امرأة، في هذا المجلس، لا تسع إلى الموت، إلا بقلب محترق له موات الشمع، يسلبك وجودك، فلا يستقيم العشق مع العافية أبدًا.

## ٩ - قصة السلطان محمود والمشعوذ (٥٦٣٨: ٥٦٤٥)

كان محمود يسير في طريقه تحيط به مظاهر الملك، عندما صادف في طريقه أحد المشعوذين: فقال له الملك: أيها المحتال القاطع للطريق! أراك وقد جلست هنا، على الأرض وسط الطريق، تمارس الشعوذة أمام الملك، فقال له الرجل: يا ملك العالم، اذهب لشأنك، ماذا تريد من هذا العمل؟ لن تتلازم الشعوذة مع الطبل والعلم، تتلازم الفراشة والشمع.

فتجرد واحترف هذه الحرفة، وإلا فلتظل كما أنت، ففي هذا المنزل حيث لا يجد شخص قلبه ولا روحه، يمكن إدراك الكمال من العشق.

## ١٠ - قصة أبي سعيد ولاعب القمار (٥٦٤٦: ٥٦٦١)

توجه شيخ مiehنة إلى الصحراء فجأة، فصادف في طريقه مجموعة من الشباب الغض، كانوا يسرون معاً، على نمط واحد، وقد ربط كل منهم إزاراً من الجلد حول قدمه، وحملوا واحداً منهم، على أعناقهم بسرور، والتف حولهم كثير من الدهماء، فسأل شيخ الزمان، من يكون هذا الرجل؟ فقالوا:

هذا الفريد هو أمير المقامرين، وهو خبير في حرفته: فسأله الشيخ وضاء العالم، من أي شيء حصلت على هذه الإمارة اليوم؟ فأجابه العرييد الذي لا يؤدي الصلاة: لقد اكتسبتها من العشق، فأطلق الشيخ صيحة عالية، وقال: أتعلم من ذا الذي يتحقق له سر العشق؟ إنه أمير، وصاحب سيادة في الحياة، فالعشق لا يمكن الإمساك به، إنه بلاء فجائي، وكل الأسود الذين سلكوا الطريق، كانوا ثعالب في دنيا العشق، فاتجه إليها، وانظر جيداً، واحترس، فهنا يمطر البلاء، فاحذر.

إن امتلكت رأساً، جُذ بها، وأسلم جسدك لفناء روحك، فيسلم لك هذا المذهب، وإلا فأنت ناقص ولا صلاة لك، إن عملت مثل رجال الطريق، فلا تحمل معك إبرة

كعيسى، وإن لم تحمل معك سوي إبرة<sup>(١٧٧)</sup> فهذه الإبرة هي حجابك، لا أكثر ولا أقل.

## ١١ - قصة المجنون وليلى (٥٦٦٢: ٥٦٨٣)

سنحت الفرصة للمجنون ذات يوم، وتحققت له مجالسة ليلي، فرجته ليلي قائلة: أيها العاشق، تحدث عن مكنون قلبك، فتحدث المجنون وقال: أيتها الشبيهة بالقمر! في عشقك لم يعد لي بحر ولا بئر، ولا يعد لكبدي طاقة على الاحتمال، وجفاني الكرى أثناء الليل، ولأن عشقك ذهب بصوابي، لم يبق لي الآن سوى روعي، وهي رهن إشارتك، فإن أردت روعي، ها هي أمنحها لك، أيقني أنني سوف أمنحها لك، فتحدثت ليلي بشجاعة: كيف أمتلك رويك؟ أحضر لي شيئاً آخر، فأعطى المجنون إبرة لليلي قائلاً: هذا هو الشيء الوحيد الذي امتلكه من الكونين الآن، هي أملاكي في إقليم الوجود بأسره، وليس لي سواها سوى العوز، لقد احتفظت بها، لأنني كنت كثيراً ما أسقط في الصحراء، حيث كنت أهيّم، لأبحث عنك أيتها المحبوبة، فيصيني الشوك في قدمي مثل الورد، فكنت أخرج الشوق من قدمي، بهذه الإبرة وأنا واقع في الطريق.

عندئذ قالت ليلي للمجنون: كنت أريد أن أختبرك، وقد تحقق هذا لي الآن، لو كنت صادقاً في العشق، لما احتجت إلى هذه الإبرة، وإن كنت تهيم على وجهك من أجل حسناء مثلي، ويدخل في قدميك شوك أيها الولهان، فأخراجه بإبرة ليس جائزاً، فإن تخرجه يخالف بذلك شرط الوفاء، فالشوكة الواحدة هي كمال لا حد له، وهي المرشد الدائم لطريق الوصال، ونزعها بإبرة شيء مؤسف.

وويل للعاشق إن لم يحترق، وعندما تصاب قدماك بشوك من أجلنا، اعتبره وردة داخل قبائك، وتعلم قليلاً من شجرة الورد في هذا السبيل، فهي تنبت الشوك عاماً كاملاً على أمل طرح الورد، ودخول الشوك في قدميك بسبب ليلي، أفضل من مائة وردة تمسك بها في يديك من الأغيار.



## المقالة التاسعة عشرة (٥٦٨٤: ٥٩٣٣)

### الولد السادس

تقدم الولد السادس بقلب مفعم بالأسرار، والدرر تتساقط من ماس لسانه، وقال لأبيه: ما أريده دائماً، أن تكون حرفتي صناعة الكيمياء، فلو وجدت سبيلي إليها، يصبح لي طلاب كثيرون فيها، وإن أدرك هذه السعادة يتحقق لي الدين، لأنه عندما تيسر الكيمياء، يتحقق الدين، فأشع الأمن على الدنيا من ذاتي، وأحول الفقراء إلى أغنياء بنفسي.

### إجابة الأب (٥٦٩١: ٥٦٩٦)

قال له الأب: لقد غلبك الحرص، لذلك رغب قلبك في تعلم الكيمياء، ماذا ستجني بها لدنيا البلاء، ولدار المكر ومقر العداء، الدنيا عجوز ذات سبع سماوات، سلطت سماواتها السبع من أجل صيدك وقنصك، ولا أراها استراحت من حرصك، فاسترح، وأنت مثل طائر وقع في الشرك. وغذاء طائر الحرص هو التراب، وشبعه الخالد منه.

### ١ - قصة حيوان حريص (٥٦٩٧: ٥٧١٢)

روى عطاء الخراساني، أنه يوجد حيوان يماثل في قوته مائة جبل، يعيش خلف جبل قاف، ويستقر هناك، حيوان قوي وضخم وهلوع، لا عمل له إلا التهام الطعام، أمامه سبع صحراوات مليئة بالأعشاب، وخلفه سبعة بحار ممتدة، يجيء كل صباح في وقت محدد، ويأتي على أعشاب السبع صحراوات، وعندما يجرد الصحراوات

السبع، يشرب البحار السبعة دفعة واحدة، وبعد أن ينتهي من تناول الطعام، لا يغمض له جفن لحظة واحدة ليلاً، تراوده المخاوف والأفكار متسائلاً: ماذا سألتهم غداً؟ لقد أتيت على الموجود كله، فماذا سأفعل غداً؟ وفي اليوم التالي، يعمر الله المكان من أجله، يُنبت له الصحراء، ويملاً البحار مرة أخرى.

لأن حرص الإنسان شديد للغاية، أسماه الحق تعالى هلوغاً<sup>(١٧٨)</sup>، إن ذرة من النيران المضطربة، إذا ما أمسكت بحطب تشتعل وتقوى، وإن كان لديك ذرة من الحرص اليوم، فمصيرك في النهاية الاحتراق بها. وإن تحققت لك المعرفة الكاملة، لصيبت الماء فوق النار المتأججة. وإلا فأنت لا صاحب صحو ولا صاحب سكر، وسوف تخلد في عبادة النار، وإن كان لديك قدر صغيرة من الحرام، ينتظرك عذاب خالد جزاء هذه الصغيرة.

## ٢ - قصة عيسى (٥٧١٣: ٥٧٤١)

كان روح الله، الشمع البهيح، يمر بالقرب من المقابر ذات يوم، فترامى إلى مسامعه صوت آهات مكتومة يصدر من أحد القبور. تأججت نيران قلبه من حرقتها، فدعا عيسى الحق تعالى، فأحيا صاحب الصوت في الحال كشبح، شيخ أحذب الظهر مثل القوس، أقرأ عيسى السلام، وسكت برهة. فقال له المسيح: من أنت أيها الشيخ؟ متى فارقت الدنيا؟ وفي أي زمن عشت؟

عندئذ قال الرجل: أيها البحر المفعم بالأسرار، أنا حيان بن معبد، على مثل هذه الحال من الذلة والهوان، مت أيها الطاهر، وأودعت الثرى، منذ ألف وثمانمائة عام، ولم أسترح من هذا العذاب لحظة، ولم أمهل دقيقة واحدة، فقال له المسيح: أيها الميت البائس، لماذا أنزل بك العذاب الشديد هكذا؟ قال له: هذا العذاب الأليم، من أجل دائق من مال يتيم، فسأله المسيح: هل مت على كفر، حتى تعذب مثل هذا العذاب من أجل دائق واحد؟ قال: مت على الإسلام، وتحملت مثل هذا العذاب

لسنوات طويلة، عندئذ دعا له عيسى الطاهر، فنام هائئًا مطمئنًا في قبره.

أيها المسلمون إن كان هذا هو الإسلام، فلا أعرف أي دين ذلك الذي أراه، إن كانت لديك شعيرة واحدة من حرام وعن طريق غير مستقيم، فعذابك ألف وثمانمائة عام، وإن كانت كل أموالك حرام، فماذا أقول؟ فالعقوبة خالدة، يا عزيزي إنك عديم الوفاء! اهتم بمصيرك، لأنك لاه، إنك معدم فاعل بهامتك، وألق عن كاهلك سيئات أعمالك، إن عيسى الطاهر لن يدعو لك، وسوف تحاسب حسابًا عسيرًا في قبرك.

ألا تعلم أي أمر تفعله في حياتك، سوى اكتناز الذهب، ألا تعلم يا من تجتهد لجمع الفضة، إنك تبيع عمرك الذهبي بغفلة، فلا تجمع الذهب فهو مثل الزئبق أمام الحرارة، وأنت سرعان ما تختفي مثله، لذلك فأكثر الذهب يوجد في باطن الأرض، لأن هلاك أكثر الناس بسببه.

والبخيل في حرصه على الذهب، أشد من أحجار الجبال التي يستخرجون منها الذهب، فالحجر يمنحك الفضة بضربة إزميل واحدة، بينما السفلة لا يعطون دانقًا بمائة ضربة من الإزميل. أحسن إلى الناس دائمًا من كنوزك العديدة، ولكن احتفظ بالقليل برجولة، الشخص الذي يمنح الخبز، أفضل كثيرًا ممن يصدر الأوامر، لكن الموت تحت أقدام الفيلة، خير من إحسان البخلاء.

### ٣ - قصة أنوشيروان (٥٧٤٢: ٥٧٤٩)

هكذا قال أنوشيروان العادل: إن تمت بجرح سيف حاد لقاتل، خير لك، من عطاء مشيع لخسيس، ولا تتصارع مع أهل الدنيا، لأنها جيفة وحولها حفنة من الدود، فأهل الدنيا والرياسة، كلهم مثل الدود الكائن في النجاسة، والذهب والفضة والنجاح ومظاهر الأبهة، لن تفيدك بشيء في نهاية الأمر، إن تخلص لحظة، يتحقق لك الإقبال، وإلا فأواه عليك، وكل شيء كامل في الدنيا، تأكد أنه وبال في العقبى.

#### ٤ - حديث في ذم الدنيا (٥٧٥٠: ٥٧٥٦)

هكذا أفتى أحد رجال الشرع: أن كل من يتحدث بحديث عن الدنيا، يبعد عن الجنة بمسافة خمسمائة سنة، يا له من أمر عجيب!! فإن تحدث مرتين، كيف يكون الحساب؟ كلما أطال حديثه، يزيد ابتعاده عن الجنة، والشخص الذي أمضى عمره في الدنيا، رجل قوي إن مات على الدين، إن نفسك مثل سفينة في طريق الحياة، لن تجدها ثانية في الآخرة، وماذا ينتج عن الدنيا سوى الندم، وأنت لا تعلم ماذا يتأتى منها بسبب جهلك.

#### ٥ - تمثيل في ذم الدنيا (٥٧٥٧: ٥٧٦٦)

هكذا قال أحد الأتقياء: إن عاشق الدنيا أقل شأنًا من الكلب. فالدنيا الغادرة جيفة، والكلاب تجتمع حول الجيفة، فإذا ما شبع كلب منها، يدعها ليحملها كلب آخر، لا يدخر منها أبدًا، ولا يفكر في الغد مطلقًا.

ولكن كل شخص تكالب على الدنيا، يبحث عن المزيد دائمًا، فهو مثل كرة، دائب الحركة، ليستزيد من الدنيا كل لحظة، لا يفكر في يومه فحسب، وروحه مثقلة بمخاوف مائة سنة قادمة، بينما الكلب لا يطلب أكثر من حاجته من هذه الجيفة، لذلك فهو يشرف الشخص، الذي يحترق ليل نهار بنار الحرص.

#### ٦ - حديث عباسة الطوسية (٥٧٦٧: ٥٧٨٢)

هكذا قالت عباسة: إن الدنيا مثل جيفة ألقيت داخل حمام، أكلت منها الأسود حتى شبع، فأقبلت النمر، وحملت عليها، وبعد أن أكلت النمر، وتركتها، وتفرقت. جاءت الذئاب الكثيرة والكلاب العديدة، فإذا ما بقي منها شيء يسير، أتت الغربان أفواجًا من كل صوب، والتهمت منها قدر أيضًا، حتى يبقى شيء قليل من

روثها ودمائها، فيأتي جُعَلٌ<sup>(١٧٩)</sup> ويحولها، إلى كل ناحية واتجاه بصورة عديدة، وإذا ما بقيت العظام دون لحم، تتسلط عليها حرارة الشمس، فيخرج منها قليل من الدهن، ليجتمع عليه النمل من كل اتجاه، وعندما يفرغ النمل من هذا الدهن، تبقى عندئذ عظام جافة على الطريق.

وأضافت عباسة: إن الأسود هم الملوك، يليهم النمرور وهم الأمراء، والكلاب والذئاب هم أعوانهم الظالمون، والغربان مساعدوهم، والجعل هو عمال المال في الأعمال، وإنما ذلك النمل كله هم الغوغاء.

يا عزيزي! لا أعلم ماذا يكون اسمك؟ فانظر، أي شخص أنت من هذه الطوائف؟ أيها الصديق! الدنيا كلها جيفة، ومن يتعقبها جيفة أنتن منها، والشخص الذي يتعلق بجيفة، يكون أسوأ منها مائة مرة.

#### ٧ - قول جعفر الصادق (٥٧٨٣: ٥٧٨٨)

روى أصحاب الولاية، عن جعفر الصادق أنه قال: هذه الدنيا القاتلة خرابة، وأكثر خراباً منها مائة مرة ذلك القلب، الذي يختار عمار الدنيا، حتى يتكئ على مسندها، لكن العقبى هي مقر العمار، وأكثر عماراً منها ذلك القلب، المفعم بالنور، الذي لا يطلب سوى العقبى العامرة، ويقنع بها، ولا يلتفت إلى الدنيا.

#### ٨ - قول يحيى بن معاذ (٥٧٨٩: ٥٧٩٢)

مر يحيى بن معاذ رجل الأسرار، في طريقه على قرية جميلة. وهناك قال له شخص: هذه القرية جميلة، فانطلق يحيى كالنار قائلاً: قلب الرجل الواصل أفضل من هذه القرية الجميلة، لأنه لا يعيرها اهتماماً.

## ٩ - قصة في ذم الدنيا (٥٧٩٣: ٥٨٠٢)

سأل شخص أحد علماء الفتوى، عن الشيء الذي يفضل أموال الدنيا، فقال: هو المال غير الكائن، لأن المال إن وجد، لا يُجنى من ورائه سوى الخسران، فإن رزقت بأموال من الدنيا، يعوقك ذلك عن الله، وماذا تساوي أموال الدنيا؟ وهي تبعدك عن الحق للحظة واحدة، ولأن المال يبعدك عن الحق، فمن الأفضل عدم وجوده في كل الأحوال، ولأن عشق الدنيا قطع عليك الطريق، فكيف يمكنك تحطيم الأصنام في الدين؟ كل عمرك ليل، أيها الغافل عن الطريق، ولا علم لديك بالنهار، ولا باليقظة وسرعان ما يشرق صباح يومك، فترى مع من كنت تمارس العشق، إن لم تجلس في خلوة العشق، فأنت حريف للحيات النارية.

## ١٠ - قصة الأمير والعروس (٥٨٠٣: ٥٨٤٨)

كان يوجد أمير يشبه الشمس في جماله، وكان قرّة عيني أبيه، وحدث أن خطب الملك للأمير، فتاة رائعة الحسن، كانت مثلاً رائعاً للجمال في العالم بأسره، بحيث تفوقت على جميلات رسام الأزل بجمالها.

وأقام الملك الزينات في القصر، فصار القصر كالجنة من أجل تلك القمرية، وغص القصر بحور العين، وتلألأت فيه أنوار الشمس وضياء القمر، فأصبح نوراً على نور، تقابلت شموع الوجه المعطرة، وتشابكت الشعور في تلك الليلة، وتلاطمت بحور الشعر مع أصوات الصنج، وتعالى هديرها في كل لحظة، وسرى الخجل في السموات السبع الطباق<sup>(١٨٠)</sup>، شوقاً إلى مباهاج القصر السبع.

وجلست العروس في هذا الحقل البهيج سعيدة هائلة، والجماليات الأسرات يتلففن حولها، تتطلع هي وحور الخلد، إلى قدوم الأمير إلى العرس، وكان الأمير قد جلس مع رفاقه، تغمره السعادة في مجلس خمر، وفي تلك الليلة، أسرف الأمير في

احتساء الخمر، من شدة سروره، ففقد رشده، ونهض من مجلسه، وقد فقد توازنه، بينما انشغل فكره بخيال عروسه.

ومن شدة ثملته، امتطى جواده، وسط ذلك الضجيج، وخرج من بوابة القصر، دون أن يحدد طريقه، أو يصطحب معه رفيقاً. وفي الطريق شاهد ديراً عالياً يبدو من بعيد، وينبعث من مصابيحها أنوار تضيء الطريق، فتوهم الأمير الوحيد الثمل، أنه قصر عروسه يبدو من بعيد، بينما كان المجوس قد جعلوا من هذا الدير قبراً لموتاهم، ودفنوا الموتى في كل صوب منه.

وكانت تضيء في ذلك القبر مصابيح عديدة، تضيء بها قلوب عبدة النار، وأمام القبر، كان يوجد سرير، فألقى الأمير البائس بنفسه عليه، وكان فوق السرير امرأة مكفنة، عندما لمحها الأمير من بعيد، وبسبب تأثير الخمر، اعتقد أنها عروسه، وكان الخمر يتلاعب برأسه، ولم يكن يتبين السقف من الباب، فأزاح الكفن من فوق وجه السيدة المسجاة، وأمضى معها الليلة حتى الصباح.

وجلست الشبهات بالقمر طوال الليل، ينتظرن مجيء الأمير، وعندما ظهر أمر اختفائه، أخبروا أباه بأمره، فانطلق الأب مع فرسانه إلى الصحراء، والقلق يستبد بالجميع، وفي الطريق، شاهد أركان الدولة جميعاً، جواد الأمير، من بعيد، وعندما شاهد الأب جواد ولده، توجه إليه في الحال، ثم ترجل.

وهناك شاهد الأب ابنه مع السيدة المتوفاة، وقد احتضنها بقوة في حب، وعندما شاهد الملك وجنده الأمير على ذلك النحو، كأن النيران قد اضطربت في أعماقهم، وبدأ الأمير يستعيد وعيه، فتقدم منه الملك والجند.

وفتح الأمير عينيه بصعوبة، فشاهد على الفور الخلاء والملك المعظم، ووجد نفسه يحتضن امرأة متوفاة، بينما الملك والجند يقفون حوله، فأدرك ما حدث له، وتمنى موته في الحال، واستولت الرعدة على جسده، بسبب ترديه، وكان يتمنى من أعماق قلبه الطاهر، أن تنشق الأرض وتبتلعه، ولكن ما حدث قد حدث، ولن يفيد

الخجل والندم.

ويلزماني أنا أيضًا الصبر أيها الرجل المخمور! حتى يتسلل إلى فراشك ذلك النور، وسوف تعلم في تلك الساعة، وترى، مع من أقمت في هذه الخلوة، فلتحطم الأصنام في الدين مثل إبراهيم، ولتلق بأصنام آزر<sup>(١٨١)</sup>، فعندما قصدها إبراهيم، ابتلاه إله العالم، فإن كنت ستبتلى، فسوف تنقلب بك الحياة.

#### ١١ - قصة إبراهيم (٥٨٤٩: ٥٩٠٨)

قرأت في القصص، أن النبي إبراهيم، كان لديه أربعة آلاف غلام، ولكل غلام كلب يأتمر بأمره، وتزين عنقه قلادة ذهبية. أما عدد أغنامه فتربو على الحصر. فتنبه الملائكة لأمره، وتوجسوا خيفة منه، وخشوا عليه من انشغاله بقطعانه، وهو من يقول الله عنه: إنه طاهر وعظيم، فإن كان مستغرقاً في معرفة ربه الجليل، لن يهتم بغيره، وهو الخليل.

فقال الحق لجبريل الأمين: انهض، واذكر اسمنا أمامه بسرعة، حتى ترى مدى إخلاصه في طريقنا، وتخبرنا بأمره. فظهر جبريل لإبراهيم على هيئة رجل، وقال له بصوت شجي: «القدوس» وعندما سمع خليل الله صوته، كأنه تداعى بكل عظمته تلك، فمنحه ثلث أغنامه، وقال له: يا دواء الملتاعين، قل مرة ثانية اسم حبيبي، فهذا الاسم يزيل آلامي دائماً، فقال جبريل «القدوس» مرة ثانية، عندئذ سقط إبراهيم على الأرض من غلبة الشوق عليه، ومنح تاج العظماء جبريل ثلثاً آخر من أغنامه.

وقال له: اذكر اسم الحق مرة أخرى، فليس هناك شيء يفضله، وعندما ذكر جبريل اسم الحق مرة ثالثة، انتاب إبراهيم الحال، ومنحه ما تبقى من أغنامه، ولم يكن ما تبقى كثيراً، فتقدم منه جبريل، وقال له: أيها الطاهر، أنا روح القدس على هيئة آدمي، وهذه الأغنام لا تفيدني في شيء، فهي لك أيها التقي.

لم يكن لجبريل الأمين على أي نحو، رغبة في تناول الشواء! فقال له الخليل:



ليكن معلومًا لديك، أنني لا أستعيد ما منحتة لأحد أبدًا، قال له جبريل: وأنا لا يليق بي الرعي، وأنا ذاهب الآن كما تعلم، قال له الخليل: وأنا أيضًا، وقد تركت كل هذه الأغنام.

فجاء هاتف من الحق إلى الملائكة: رأيتم كيف كان إبراهيم مالكا؟ وعندما ذكر جبريل اسمنا، افتداه إبراهيم بكل ما يملك، هل أيقنتم أنه لم يكن سوى عبد، يحيا بنا لا بالمال؟ فقال الملائكة: يا إلهي! ربما ينشغل قلبه بابنه، عندئذ خاطبه الحق في منامه، وطلب إليه التضحية بولده، وعندما أحضر ولده لذبحه، دارت الأرض مثل الفلك، وتعالّت أصوات الملائكة وصيحاتهم: إنه بعيد عن الأموال والأبناء، إلا أنه مشغول الآن بوجوده، ومهتم بحياته.

فكتب عليه في عالم الغيب، أن يُلقى به في النار لامتحانه، وعندما أحاطت به النيران من كل صوب، جاء جبريل من أوج الأسرار، أن انتبه، واطلب ما تريد، فقال له: لن أطلب منك، لأنك لا تستطيع، إن طلبت حاجة من غير الله، أكن من البعيدين عن هذه الحضرة، ولأنني لا أهتم بوجودي، فاستمع إلى كلمة حق: علمه بحالي يغني عن سؤالي.

عندئذ أدرك الملائكة مقامه الرفيع، فأطلقوا الصيحات من صدقه: يا إلهي! إنه صاحب جسم طاهر وروح نقية، تغلب على كل ما ابتلي به، وجدناه في عشقك طيعًا، وقد بردت النيران أمام حرارة عشقه، والجنة صارت سعيًا من حرارة قلبه، ما أجمل خلله التي تمسك بها! هو يستحق أن تدعوه خليلك، وهو جدير، وهو جدير بما تضيفه عليه من سمو.

وأنت إن لم تتحقق لك القدوة من دين الخليل، فليس أمامك سوى طريق آزر: وإن لم تتوافر لك الفضة والذهب، فأنت آزر والنمرود معًا، أتعجب أن النمرود وصل أمره إلى حد أن توجه إلى محاربة الحق في السماء؟ إن اعوج أمرك فجأة، يسلك قلبك طريق النمرود آنذاك، إنك تصل في غضبك وشهوتك إلى حد تحلق

معه في الجو كالنسور، كذلك تصل ثورة غضبك وحقك، بصندوق صدرك إلى الفلك، وأنت مثل النسر والصندوق معاً<sup>(١٨٢)</sup>، بتمردك في العالم، تبدو كعلم، وفي كل لحظة تتواتر سهام إنكارك، على هذا الفلك الدوار، مثل النمروذ. والآن طباع النمروذ تتقمصك، فأنت تحارب الله مثله، وأنت تشبه النمروذ في عملك، لا ترى في الخير والشر سوى ضررك ومنفعتك، بقيت مكبلاً بالاستزادة، وكل جسدك غارق في الدماء.

لقد انقضى عمرك فماذا أنت فاعل؟ إنك تجلس تزيد من ذهبك، وكل عمرك ينقضي هباء أيها الصديق، حتى يتزايد ذهبك، وعندما تبدل همة الرجولة بقطعة من المعدن، تكون أقل من النساء الحائضات. لقد اعتبر الرسول الغني ميتاً، فمن يمتلك الفضة يشبه الميت. إن كلب حرصك ولو امتلك العالم، تكفيه قطعة من العظام، لقد جعلتك هذه النفس الكافرة ثملاً، ووطأتك بأقدام الغفلة، فإن لم تشغلها بالعمل، تعزل عن العمل بسببها.

## ١٢ - قصة العلاج مع ولده (٥٩٠٩: ٥٩١٨)

قال العلاج لولده: أيها الصالح! اشغل نفسك بشيء، وإلا فأنها تعزلك، وتشغلك بمئات الأشياء غير الصالحة، واسلك بها في الطريق، أيها القوي! عندئذ يمكن التواجد في الميقات، فطالما تبقى نفسك، فهي توهمك، إن الإبطاء في منحها كمال. لو يشبع هذا الكلب لحظة، فالعجيب أن يصبح أسداً، فعندما تمتلئ بطنه لحظة، يشتاق لسانه للغيبة، فيطيل لسانه كسيف حاد، ويغتاب أهل العالم، ولا يمكن إسكاته لحظة واحدة، مهما وجهت إليه النصائح، وكل من يتناول بلسانه للغيبة، يحل به الأذى كل ساعة من الغيب.

### ١٣ - في ذم الغيبة (٥٩١٩: ٥٩٢٥)

ذكر في التوراة: أن الشخص الذي يغتاب ثم يتوب، يكون آخر شخص، يفسح له الحبيب الطريق إلى ساحة الخلد، وإن لم يتب، يكن أول شخص يدخل النار بمفرده، وإن كان سيف لسانه مثل الشعلة، يصبح مثل الرمح في اتجاه مستقيم. علامة صدق القلب، هي أن يكون أول منزل للقلب هو الصدق، في هذا المنزل، لا يوجد شراب لأرواح عظماء العالم مثل الصمت.

### ١٤ - قول في الصمت (٥٩٢٦: ٥٩٣٣)

سأل أحد الأشخاص، حكيمًا محنكًا، طاف بالعالم كثيرًا: أيها الرفيق العالم! من رأيت يستحق الحديث عنه؟ فقال: لقد طفت الأقاليم السبعة، ولم أر في العالم إلا شخصًا ونصف شخص، أما الشخص فهو من لا يتحدث في أغلب أوقاته، بطيب ولا بسوء عن أحد، وأما نصف الشخص فكان من العزة، بحيث لم يتحدث عن الخلق إلا بالطيب فحسب.

طالما يتنازعك الطيب والسيئ، فقلبك ليس بصيرًا، وروحك بعيدة عن المعرفة، ولكن إذا ما تلاشى لديك هذا وذاك، شغلت روحك عندئذ بالسر القدسي.



## المقالة العشرون (٥٩٣٤: ٦١٩٨)

قال الولد لأبيه: إن الفقر المدقع، كثيرًا ما يفضي إلى الكفر، وعندما يستقيم أمر الدنيا والدين بالذهب، يمكن طلب الكيمياء من الحق والذهب أيضًا.

### إجابة الأب

قال له الأب: عندما يلقي الذهب بظلاله عليك، يسلبك جوهرك وخصالك، فالدين والدنيا لا يستقيمان معًا، واعلم أنه لا يمكن طلب الاثنين من الحق.

### ١ - قصة الشيخ وشخص لا يدين بالإسلام (٥٩٤٠: ٥٩٦٣)

خرج شيخ تقي من أهل الأسرار، إلى السوق ليلاً، ليلتقط بعض الخضراوات من الطريق، يحفظ بها أوده ليلاً أو نهاراً. وكان شخص لا يدين بالإسلام يمتطي جواداً أسود اللون مسرجاً، ويجلس فوق السرج المرصع في الطريق، وقد أحاط به غلمان كثيرون، فصادفه الشيخ في السوق.

وما إن شاهد الشيخ هذه الحال، حتى اضطرب، وخجل من فقره وعوزة، وأخذ يخاطب الحق تعالى قائلاً: يا إلهي! أتريدني على هذا النحو، ولا تريده هو، وأنا من أحبائك وهو من أعدائك، أتريدني أن أكون على هذه الحال وهو على تلك، غير المسلم يرفل في النعيم والذهب والعز، والمسلم على هذه الحال من العوز والعجز، نصيب محبتك الاحتراق، ونصيب عدوك المحبة والإعزاز!! إنه لم يطلب منك خبزاً ولا ثوباً، فمنحته جواداً وعمامة.

عندما أسر الشيخ بهذا الأمر، جاءه هاتف داخلي: أيها المؤمن إن أردت كل شيء، بدل وضعك؛ حتى يبدل الآخر وضعه أيضاً، اعطه كل ما لديك من فقر، وخذ منه كل

ما يملك، وتحرر، أبدل الإسلام بمذهبه، واعطه الفقر، وخذ الغنى، واعمل. إن كنا قد وهبناه الدراهم والدنانير، فقد منحنك أيها الرجل الدين والمشاهدة. فاترك الدين، وخذ الدنانير، واللق بالخرقة، واربط الزنار.

عندما أدرك ذلك التقي هذا السر، غاب عن وعيه، وسقط عن الأرض، وبعد أن ثاب إلى رشده، واستعاد وعيه، أطلق صيحة وقال: يا إلهي لا أريد هذا البذل أبدًا، لا أريد هذا التحول، لقد تبت، ولن أعود إلى مثل هذا أبدًا.

وأنت أحاطك الله بصنائه الكريمة، فلا تنكر نعمائه وأياديه، إنك تتشبث بعنادك وThملك، فتعال من دون نفسك، واخلص لله، وتحرر، إن أدركت إشارة ضئيلة من السابقين، تعال، متجردًا من كل شيء من العالمين.

## ٢ - قول في معرفة الحق (٥٩٦٤: ٥٩٦٧)

قال أحد شيوخ الطريقة: منذ أن فزت بمعرفة الحق، وأنا على هذه الحال: ليس لدي إحساس بأمن ولا بخوف، وليست لي صداقة بأحد ولا عدا، الآن وقد بحث بالأسرار اللازمة، افعل أنت أيضًا ما يلزم بعد هذا.

## ٣ - قصة زبيدة<sup>(١٨٣)</sup> والصوفي (٥٩٦٨: ٥٩٩٠)

كانت زبيدة داخل هودج في طريقها إلى الحج، لأداء الفريضة المباركة. وأثناء الطريق كشفت الرياح الهودج، فوقع بصر أحد الصوفية عليها، فأخذ في الصباح والعويل، ولم يستطع أحد إسكاته.

وعندما علمت زبيدة بأمره، طلبت إلى أحد الخدم خفية قائلة: خلصني من صيحاته، مهما كلفك الأمر من ذهب، فأعطاه الخادم كيسًا من الذهب، فرفضه الصوفي ثم قبل عندما وصل إلى عشرة أكياس، وبعد أن أخذ العشرة أكياس من الذهب، توقف عن الصياح والعويل.

وعندما علمت زبيدة بما آل إليه أمر الصوفي، وأنه قد توقف عن ادعاء العشق، طلبت من الخادم أن يقيد يد الصوفي، ثم ينهال عليه ضرباً، حتى يمزق أعضاء جسده، فأخذ الصوفي يصرخ ويقول: ماذا فعلت، حتى أضرب ضرباً مبرحاً على هذا النحو؟ فقالت زبيدة: يا عاشق نفسك! ماذا تريد أن تفعل أيها الكاذب أكثر من هذا؟ إنك ادعيت عشق امرأة مثلي، وعندما شاهدت الذهب، انمحي عشقك لي، رأيته كلك صاحب دعوى، وألفيتك في دعواك دون معنى، فلزم لي امتحانك، وعندما لم تجتزه، أيقنت أنك واهن في أمرك، إن كنت صادقاً في عشقي لكنت أسباني وأملاكي، وذهبي وفضتي كلها خالصة لك، ولكن لأنك بعثني، حكمت عليك بما تستحقه همته، كان يجب التشبث بي أيها الغافل، حتى يتحقق لك الأمر.

وأنت اربط قلبك بالحق حتى تنجو، لأنه إذا ما تعلق قلبك بالخلق، تشقى وتعاني، وأغلق الأبواب على نفسك أمام الجميع، وانشغل بالله، واربط قلبك به كلية، حتى يشع نور صبح المعرفة، من سحاب الوحدة الأسود، فإذا ما أدركت ذلك الضياء، أدركت طريق المعرفة، والعظماء الذين طالوا القمر، سلكوا على هدي نور المعرفة.

#### ٤ - قصة أردشير<sup>(١٨٤)</sup> (٦٠٤٩: ٥٩٩١)

سمعت أنه كان للملك أردشير زوج، تكن له العداء، وذات يوم تملكها القهر، فحملت إليه الطعام بعد أن دست له السم، وفي طريقها إليه، وقع بصرها عليه، فوقع الآنية من يدها فوق الأعتاب، وارتعد جسدها، وامتقع لونها، فثارت الشكوك والريب في نفس زوجها، فقدم الطعام إلى أحد الطيور، فمات الطائر فوراً، وظل الملك حائراً، وفي الحال سلم الملك زوجته لأحد الموابذة قائلاً: افصل قلبها عن جسدها في التو والساعة، وأرق دمها وادفنها، وخلص قلبي من هذه الكلبة الكافرة. وكانت المرأة حاملاً من الملك الحكيم، ولم يكن للملك أبناء قط، ففكر الموبذ فقال: إن الملك ربما يموت فجأة، فتسود الاضطرابات والفتن قصره، ولأنه ليس له

وريث، فمن الأفضل أن أخفي هذه المرأة، حتى أرى ما تؤول إليه الأمور.

وبعد عدة شهور، أنجبت زوجة الملك ولدًا جميلًا كالقمر، كان وجهه يشبه الشمس التي تشرق في السماء أي وسط شعره، وبدت على محياه المعارف والعظمة والحسن، وظهر عليه الدلال وحسن الطباع، وعندما شاهد الموبذ وجه الطفل من بعيد، أسماه شابور<sup>(١٨٥)</sup> وهو سعيد.

وظل يرعاه ليلاً ونهاراً بإعزاز وكان يدلله داخل حجاب الأسرار، وعندما شب عن الطوق، أحضر له أستاذاً متمكناً، فأضاء قلبه من العلم كما تضاء النار، وسرعان ما تعلم مذهب زردشت، وعندما أتمّ تعليمه، وأكمل تدبيره، تعلم الصولجان والكرة وقذف السهام، كما بز أقرانه، وصار أستاذاً زمانه في ضرب السيف والرمح، ووصل إلى درجة لا يمكن وصفها، واكتسبت قامته بسوق السرو، ووجه يعلو سروه كقمر آسر، والعنبر في ركاب شعره، أسير لحكم ساحره الهندي، لشفتيه كأس أحمر مليء بالمدام، يتعقبه شارب النضر، إن أشار في أي وقت، يجتمع العالم تحت علمه.

وذات يوم جلس الملك حزيناً، مقطب الجبين، فسأله الموبذ: يا مولاي! لماذا يبدو ملك الملوك حزيناً؟ لا أراك مسروراً مثل كل يوم، ولا يتحمل قلبي أن يراك جالساً في هذا الاحتراق، فقال له الملك: لست من الحجر الصلد، وليس هناك مفر من موت أي شخص، وأنا حزين لأنني ليس لي ابن واحد، يحميني من جور الزمان، ويخلفني، عندما يقتنصني الموت.

وما إن سمع الرجل الفريد هذا القول، حتى انساب من عينيه سيل من الدماء، وقال للملك: عندي سرّ دفين، وهو من عجائب الدنيا، إن أمني الملك، أقله، وإلا أحتفظ به لنفسه، وعندما آمنه الملك، اطلع على تفاصيل القصة كلها.

لم يعرف الملك ماذا يقول من فرط السرور، وكيف يعبر للموبذ عما يكنه له من حبور، فقال للموبذ: أحضر مائة ولد، يشبهون جميعاً ابني شابور، يرتدون جميعاً نفس الثياب، ويكونون في نفس العمر والقوام، ويمتطون خيل متشابه وملابس رأس

واحدة، حتى تستطيع روعي، أن تجد نفسها مرة أخرى تحت حجاب الأسرار، ويمكنها أن تفرق بين الناس، بنور المعرفة، فمضى الموبذ العالم.

وفي اليوم التالي أحضر مائة ولد يسرون الخاطر إلى الميدان، الجميع يرتدون نفس الثياب، ويمتطون خيل متشابه، كما قال الملك له تمامًا، وما إن نظر ملك الآفاق إلى الجمع، حتى عرف ولده على الفور، عرفه من نظرة واحدة نظرها إليه، فناداه، واحتضنه، وأعزه، ثم عفا عن أمه فورًا، ورحم العجوز التي قاست طويلاً.

لتتعلم من هذه القصة، أن كل ذرة من الإنسان تفيض بالضياء من المعرفة، وإن لم تجد ذرة منه سبيلها إلى الشمس، يصير محجوبًا غريبًا إلى الأبد، وإن أدركت ذرة منه المعرفة، يفيض الضياء، ويتلألأ من شمس.

#### ٥ - قصة المرعين إياز (٦٠٥٠: ٦٠٧٤)

ألمت بعيني إياز آلام مبرحة، بسبب عين أهل السوء، فصارت عيناه كالدم من الآلام، وساد اللون الأحمر نرجسته، الحاصل عندما مضت عشرة أيام، امتنعت عليه الرؤية بسبب الآلام، وكما ابتلي بآلام العين، هاجمته الصفراء فأفقدته الوعي، فأخبر شخص محمودًا بأمره، فامتطى جواده وتوجه إليه.

وتقدم محمود إلى فراش إياز بخفة، وأومأ للحاضرين في الجبال، وقال لهم: حذار، لا تعلموه بأن الملك قد حضر، وبمجرد أن جلس محمود المجاهد، حتى نهض إياز على الفور فقد انجذب قلبه لمحمود، وفتح عينيه، وجلس سعيدًا، يا له من عبد جلس حرًا طليقًا! فقال له الحاضرون: لقد كنت فاقد الوعي، عجز جسدك، وخمدت روحك، وأنهكتك آلام عينيك، تتردد أنفاسك بين الحياة والموت، وما إن جلس الملك على فراشك، حتى تغلبت على الصفراء، ونهضت، لم يخبرك أحد بقدمه، ولم تكن تتوقع حضوره فكيف علمت بمقدمه؟

فقال إياز: لا حاجة لي بالسمع ولا حاجة لي أيضًا بالمشاهدة، إن روعي متحررة



من قيد الأذن والعين، وقد عرفته بروحي من رائحته، فعندما شممت رائحته بروحي،  
حييت على الرغم من أنني كنت ميتًا، ألم تر النبي يعقوب رد إليه بصره من رائحة؟  
وأنت يلزمك بصيرة من الآلام حتى تتجاوز عن آلام عينيك، وعندما تكتسب  
رائحة المعرفة، يشع نورك على الآفاق في العالمين لأن ذرة واحدة من نور المعرفة،  
تحوي ضياء مائة شمس، وعندما يملكك عشق الحق على هذا النحو تكون ذرة  
واحدة منك أفضل من العالمين، فأى سعادة يتسع لها وجودك! أن يحبك الله على  
ذلك النحو؟ العظماء الذين أدركوا الحياة، بذلوا مئات الأرواح في سبيل إدراك  
معاناتها، وجادوا بآلاف الأرواح المضطربة من أجل الاستماع إلى هاتفه.

#### ٦ - قصة جرجيس<sup>(١٨٦)</sup> (٦٠٧٥: ٦٠٨٦)

قاد الكفار العربية فوق جرجيس ثلاث مرات، لقتله وحرقه، وفي كل مرة يصير  
جسده ذرات صغيرة مثل الغبار، وتنبت الشقائق من ترابه، ووسط كل هذه الآلام  
الرهيبية يهتف به هاتف من لدن العزة: إن كل من يدعي حبنا لن يتجرع خمراً صافية  
دون ثمالة، وجزاء الأحياء يكون على هذا النحو فتسير العربية فوق أعضاء جسده،  
ويقولون له: يا جرجيس! أيها الطاهر! في أي شيء ترغب، وأنت في التراب؟ فيقول:  
رغبتي الآن أن أصير تحت العربية مرة أخرى، وأن يمزقوني إرباً إرباً في العذاب،  
حتى يأتيني الهاتف مرة أخرى، فكلما زاد عذاب روحي زاد اقتراب الحبيب.

وأنت لا تعرف قدر أحبائه لأنك رجل غافل في الحياة، فكن الشخص الذي  
يعشقه أو كن من أحبائه.

#### ٧ - قصة يوسف وزليخا (٦٠٨٧: ٦١٠٧)

ذات يوم وبينما كان يوسف الطاهر يمضي في طريقه، شهد زليخا جالسة على  
الأرض، وقد أظلمت عيناها، وكف بصرها عن الحياة، وابتليت بالمرض والعوز،

وأنهكتها المحن والمصاعب العديدة، وكانت تجتر الأسف في كل لحظة، وتندم على ما حل بيوسف أكثر من يوسف نفسه، جلست في الطريق على أمل أن يصلها ذرات من تراب أقدام يوسف، فتدرك رائحة من غبار طريق الملك، غبار ربما تتناقله الرياح.

وعندما رآها يوسف قال: يا إلهي ماذا تريد من هذه العجوز العمياء؟ لماذا لا تقضي عليها وقد أرادت تلويث سمعة نبيك؟ عندئذ هبط عليه جبريل وقال: لن ننهي وجودها، لأنها تكن حبًا لا حدود له لمن يحبنا، لأنها على عهد عشقك دائمًا. فنحن نحبها من أجلك، من قال لك اطلب موت الورد في البستان؟ وتمني هلاك أحبة الأحباء! إن قدرت لروح عمرًا ثانيًا، لأعدتها شابة من أجلك، لأنها منحتك روحها العزيزة. فإعززي لها أن تكون فداء لروحك، ولأنها تعشق يوسفنا، فمن يتمنى لها السوء؟ إن ادعت عشق ملك مثلك، فعيناها الدامعتان دليل على ذلك، ولأن هذه العاشقة معها شاهدها، فهي تزداد بهاء بك يومًا بعد يوم.

وأنت إذا ما وقفت على سر الفداء، تدرك علامة من سر العشاق، وإن لم تصلك رائحة من الفداء فليس هناك فائدة من الحديث معك، وإن لم تجد بروحك في الحال يسحب منك سيف الفداء.

## ٨ - قصة إبراهيم بن أدهم (٦١٠٨ : ٦١٣٨)

هكذا روى إبراهيم بن أدهم: كنت في طريقي إلى الحج، سعيدًا مسرورًا، وعندما وصلت إلى ذات العرق<sup>(١٨٧)</sup> شاهدت سبعين صوفيًا، يرتدون المرقع، والدماء تنزف من آذانهم وأنوفهم، يسلمون الروح وسط الآلام والبؤس، فأسرعت صوبهم، ووجدت بينهم رجلًا بين الحياة والموت، كان يلفظ أنفاسه الأخيرة، انتهى عمره، ولم يبق له سوى لحظات، فتقدمت منه ببطء، استطلع الأمر متسائلًا: ماذا حدث، اشرح لي الأمر؟

فتحدث الرجل وقال: يا إبراهيم اخش العشق، فهو سيف باتر، قتل الحجاج دون شفقة وألقى بهم في الطريق مثل كفار الروم، كانت معركته مع الحجاج، وكانت أرواحهم فداء له.

كنا أيها الشيخ سبعين شخصًا عقدنا العزم على الذهاب إلى الكعبة، جلسنا معًا قبل السفر، وتعاهدنا على التزام الصمت، واتفقنا أيضًا على عدم التفكير ساعة واحدة في غير الله، وعلى عدم النظر إلى غيره، وأجمعنا على أن نكون كالشمع في الاستقامة.

ومجمل القول: إنه عندما توجهنا إلى الطريق، تقابلنا مع الخضر عند ذات العرق. وألقى الخضر الطاهر السلام علينا، وبادلناه السلام، وقد سعدنا جميعًا برؤيته، وقلنا لأنفسنا: لقد تحقق هدفنا، لأن الخضر قد استقبلنا فقد حالفنا الحظ من هذا السفر الطيب، وعندما مرق هذا الخاطر من عقولنا، تبعه هاتف آخر قائلاً: انتبهوا أيها المعوجون دون ماء ولا زاد، كلكم مدَّعون وكاذبون، ألم تتعاهدوا وتتفقوا على ألا تنشغلوا بغيرنا، ولأنكم نقضتم ميثاقنا لحظة واحدة، واغتررتم بغيرنا من سوء عهدكم، إن لم أرق دماءكم بذلة، فلن يكون هناك مجال للصلح والمحبة، وقد أراق الآن دم الجميع، ولم يرحم دماء العشاق.

فسأله إبراهيم بن أدهم: كيف نجوت أنت من الموت؟ فقال: كان يقال لي: إنك مبتدئ لا ترى سيفنا، لأنك لم تكتمل بعد، ولأنك خبرت الحقيقة أيها الضالّ فسوف ألحقك بهم الآن، قال هذا، وأسلم الروح أيضًا، وانتهت حياته مثلهم.

أي قيمة لدماء الرجال في هذا الطريق، فهنا طاحونة تدور على الدماء، تفقد جماعة أعينها في سبيله. وتوجد مجموعة أخرى بأرواحها المثقلة بالهموم. ولأنك لم تفقد عينيك ولا روحك، فلست من هؤلاء ولا أولئك.

## ٩ - قصة شعيب (٦١٣٩ : ٦١٥٦)

عندما استبد الشوق بشعيب للقاء ربه، ظل يبكي لمدة عشر سنوات، فانطفأ نور عينيه، ثم رد الله عليه بصره لكنه بكى عشر سنوات أخرى، أظلمت بعدها عيناه الدامعتان، فأعاد الله له بصره، مرة أخرى، إلا أنه لم يطق صبراً، فبكى عشر سنوات أخرى، كف بصره على أثرها، واستمر في البكاء.

فأرسل الله له وحيًا: إن كنت دامي القلب خوفاً من النار، فقد نجيتك منها إلى الأبد، وإن كنت تنتحب وتبكي من أجل الجنة، فأنا أوعدك بالجنة والحدور والرضوان. فقال شعيب على الفور: يا صاحب الحكم الأزلي! إنني أبكي هكذا بحرقة شوقاً إليك؛ لأنني لم أعد أهتم بالنور ولا بالزنا، ولا أذكر الجنة لحظة واحدة، ولا أخشى النار، يلزمني قربك الخالد، شرحت لك آلامي، وأنت العليم بذات الصدور.

فجاء هاتف من أوج المعرفة: لأنك تبكي شوقاً إلينا، فابك الآن، وابك بحرقة حتى يحين وقت اللقاء، فقال شعيب عندئذ: يا عالم الأسرار! لا ترد إليّ بصري بعد الآن، فطالما لم يتحقق اللقاء لا شأن لي برؤية نفسي.

يا عزيزي لأنه لم يتحقق لك هذا اللقاء، فابك طويلاً، فهذا ما يلزمك طوال عمرك، ومهما ازدادت رغبتك في إدراك ذلك فأكثر منها الدمع في أعين العشاق.

## ١٠ - قصة أهل السعير (٦١٥٧ : ٦١٧٤)

رُوي أن جماعة من الأمة الإسلامية لن تشملهم الرحمة الإلهية يوم القيامة، فيأتي لهم هاتف قائلاً: أدخلوهم السعير الآن غرقى في دمائهم، وقبل أن يُحشروا في الجحيم، يطلبون من الحق أن يمهلهم لفترة قصيرة، فيأتي الخطاب من الحضرة: لن يضيرنا التأجيل، الآن قد أمهلنا هؤلاء القوم من فضلنا ألف عام بلا تعليل.

ويذكر أن هؤلاء القوم البائسين، يظلون يكون طوال هذه المدة ليل نهار، وعندما

تنتهي الألف عام، يطلبون من الحق مهلة أخرى، فيحصلون على مهلة من الحق لمدة ألفي عام ليريقوا الدماء على ما ألم بهم من خسران وآلام، وطوال الثلاثة آلاف عام وما يزيد ييكون، ويتضرجون في دمائهم، ولا يسأل أحد هؤلاء المساكين أبداً عن سر بكائهم الدائم.

وعندما سمع أحد العظماء هذا القول قال: فتكن مائة روح ظمئة مثل روعي فداء لدمعهم، فلا تعرف قلوب سوى قلوبهم الداء الذي لا دواء له من قبل الحضرة. طالما لم تصب بالداء الذي لا دواء له، فلن يتحقق لك العلاج، ألم واحد منه أفضل من مائة روح، فألمه أحسن لك من أدوية كثيرة، وإن كنت أبا عبيدة بن الجراح، لا ينصلح قلبك إلا بالجراح، ألق بنفسك عند قدمي الحبيب مقلوباً، فربما انتشلك من وسط التراب. وإن لم تستطع أن تفوز به من رأسه حتى قدميه، يمكنك الفوز بوهق عشقه.

## ١١ - قصة السلطان محمود وإياز (٦١٧٥ : ٦١٨٩)

سأل سلطان الدين المظفر محمود غلامه إياز ذات يوم، ما الشيء الذي يثير غيرتك في العالم؟ أصدقني القول، فقال إياز: أغير من الحجر الذي تحك به قدميك، قلبي يئن غيرة منه لأنه يمسح بوجهه على كعبيك، فإن تحقق لي ذلك الفوز أضع رأسي دائماً على كعبيك، وعندما يستقر وجهي على كعبيك يظل دائماً معك، وإن تحقق لإياز ملازمتك يطأ السماء السابعة.

لأن المعشوق، لا يهتم بالرأس، ولا بالعمامة فتقرب إليه، بالحيلة والمهارة، ألا تعلم كيف مكر رستم على إسفنديار، وصنع سهاماً من شجر الطرفا<sup>(١٨٨)</sup>، كل ما يمكنك عمله في الباطن افعله، واترك النوم والطعام في الظاهر، واسلك بكل حيلة ووسيلة، وامض إلى الصدق والمعرفة وأنت مشغول عن نفسك، ربما عثرت على طريق يؤدي إليه فتأنس بالصحبة وقتاً، وإن تحقق لك وصال معشوقك لحظة تدرك

حقيقتك، وتخلص من قيد نفسك، ولا تنظر أين هو وأين أنت؟ فالعجيب هو ألا يكون هناك حاجز بين العبد والرب.

## ١٢ - قصة المجنون وليلى (٦١٩٠ : ٦١٩٨)

كان المجنون يجلس ذات يوم أمام رباط بسرور، بينما تتكى ليلي على حائط محكم من الآجر، ورآهما شخص فقال: لقد تحققت أمنيته، بعد عمر طويل. أحقيقة أم خيال، هذا الذي أشاهده أمامي الآن؟ ليلي تجالس المجنون، من رآهما معاً من قبل؟ ومن شاهد هذا العز في الحياة يا إلهي؟

عندما استمع المجنون إلى هذا الكلام من الرجل، سمع منه حال قلبه المفعم بالآلام، فأطلق صيحة وقال: إن هذا ليس جديداً؛ لأن ليلي لم تبعد عن المجنون لحظة واحدة، وقد أحكم أساس الاتحاد بيني وبينها قبل العالمين.

## المقالة الحادية والعشرون (٦١٩٩ : ٦٦٣٦)

قال الولد لأبيه: بكل نصيحة وجهتها لي، حللت لي بها قيذاً، وذللت لي بها صعوبات جمة، فتبدل نحاسي ذهباً خالصاً، حديثك كله صالح فهو مفيد جداً، ورفيع للغاية، ولكن لأن الشغف بالكيمياء يراودني، ربما تحقق لي منها الدين والدنيا أيضاً، وعندما تجتمع الدنيا مع الدين يتحقق لي وصال المعشوق، فلو لم تتلازم الدنيا والدين لما كان لي تأييد من الحبيب.

## إجابة الأب (٦٢٠٦ : ٦٢١٢)

قال له الأب: رأسك يملؤه الغرور فهذه الفكرة بعيدة المنال، وطالما لا تتغاضى

عن الطيب والسيئ فأنت لست عاشقاً إلا مجازاً، إن لزمك الكمال في العشق يجب أن تمر بثلاث حالات بصفة دائمة: الأولى الدمع والثانية النار<sup>(١٨٩)</sup> والثالثة الدم إن خرجت من هذه البحار الثلاثة، يسمح لك المعشوق باجتياز الحجب وإلا واجهك المعشوق بأشواك وفيرة، وإن لم تعتبر بهذا الكلام، فإن هذه الحكاية تكفيك على الدوام.

#### ١ - قصة رابعة بنت كعب<sup>(١٩٠)</sup> (٦٦٣٦ : ٦٢١٣)

كان أمير حكيم صائب الرأي، يقيم داخل حدود بلخ، وكان بعدله وإنصافه أميراً تقيّاً، توارث آباؤه الملك عن أجداده، وكان مرهوب الجانب بقوته وجنده، اسمه كعب على اسم كعبة الدين، من رأيه اكتسبت الشمس فيضها، وحصل القمر على بهائه، ومن جوده استمد أهل الفضل الصيت وسعة الرزق، ومن عدله ساد السلام في الحال، بين الشاة والذئب في تلك الأنحاء، ومن رهبته صارت مياه البحار الهادرة، مثل نار خامدة داخل الحجر، ومن رحمته، لو وجد ذنب عظيم، كان يمحوه من خاطره في التو واللحظة، ومن قهره، كانت النار الخامدة تضطرم، وتصير مثل الفحم المشتعل تحيط بها الزرقة من كل جانب، ومن جاهه، ظلت العظمة حبيسة الجب.

ماذا أقول فقد فاق جاهه كل الحدود، ومن حلمه ثبت الجبل في مكانه لا يبرحه، واستوت الأرض فوق الثرى، تحت أقدامه، ومن غضبه مضت النار غاضبة، ولكن العين امتلأت بالدمع في قلب الحجر، ومن ضيائه اكتسبت شمس الفلك نورها، ثم أشعت على العالم ضياءها، ومن جوده خجل البحر والمنجم، وحزن الجوهر، في قاع البحر وداخل المنجم، ومن لطفه استجدى ورق الورد، لكنه اتخذ حجاباً خجلاً منه. ومن خلقه تناثر المسك في الدنيا، ثم امتد من الدنيا إلى الآخرة أيضاً. وكان للأمير التقي ولد، كان جماله موضع حديث مجالس السمر في العالم. فقد كان وجهه يشبه الشمس، وكان القمر يبدو أمامه مثل أحقر العبيد.

أسماء الملك «الحارث»، وكان القمر رهن إشارته مثل الجوزاء. وكان للملك ابنة أيضًا في إيوانه عزيزة لديه، وغالية كروحه. كان اسم فضية الصدر هذه زين العرب، سحرها العجيب، يبرح القلوب ويأسرها. اعتلى جمالها عرش ملك الحسان في العالم، وسيطرت على منجم الجمال في الدنيا. العقل أمامها يتملكه الجنون، فقد كان جمالها أسطورة في الدنيا. إن ذكرها شخص في مكان تصبح كل ذرة فيه مثل يوسف. لم يكن الهلال يشاهدها من سمائه، إلا ويجثو لها في التو على الدوام، وكأنه قوس، ولو أن رضوان رأى جبينها، لهانت عليه جنات عدن.

ولو أن طرف ذؤابتها لمس الأرض، لسرى الاضطراب في الأفلاك، لها نرجسان، كل واحدة وعاء من اللوز، ولكأنهما ساحران أوقعا طفلين زنجيين في الشرك، وكل طفل زنجي منهما يحمل قوسًا، ويقذف الأرواح بالسهم في كل صوب، وعندما لمس سهم غمزتها الوتر، جعلت قلوب العشاق هدفًا لها. وقد منحت السكر من شفيتها الياقوتيتين مذاقًا آخر، فلشفتها فعل الترياق في السكر، وثغرها تتزاحم فيه اللآلئ، وكل لؤلؤة فيه أجمل من الأخرى. وما إن ظهرت أسنانها الثلاثون المرجان، حتى صار نثارها كل روح في الوجود. شفتها الوردية كأس من الجوهر، وشرابه من زلال الكوثر.

لو شاهد الفلك كرة وجهها الفضية، لجرى مثل كرة طائشة. وصف جمالها محال، ووصفي لها ضرب من الخيال، لم يكن لإنسان لطف طبعها، فكل ما كانت تسمعه من الناس، كانت تنظمه شعرًا في الحال، تنظمه بيعضه كاللؤلؤ، وكانت عذبة اللسان في قول الشعر، وكأن لسانها استمد العذوبة من شفيتها، وقد تعلق قلب أبيها بها، فكان دائم الرعاية والحب لها.

وعندما حانت منية الأب، أجلس ولده أمامه، وأودعه الفتاة، قائلاً له: انتبه إلى رعايتها والعناية بأمرها، وعليك تحقيق رغباتها وجل مرادها، وأسعد أيامها. لقد خطبها مني مشهورون كثيرون، من عظماء وملوك. فلم أزوجها لأحد، وإن استطعت



أنت، أن تجد شخصًا جديرًا بها، فأنت تعلم ما يجب عمله. وإني أشهد الله على كلامي هذا، فلا تُغضب روحنا، وبعد أن أتم الأب حديثه الشامل، وارتضى الابن كل ما قاله أبوه الكامل، فارقت الأب روحه الطاهرة، ولست أدري لما جاء؟ ولماذا مضى؟ فكثيرا ما كد وتعب مثل الأفلاك، حتى دفن تحت التراب، إن قوس الحق ليس ملك يمين البشر، لذلك لا يعلم أحد بأمر الحياة والممات. من ذا الذي يعلم إلى متى تمتد حياته، ولماذا ينتظر الرحيل من جاء؟

عندما مضى الأب إلى الإيوان الإلهي، اعتلى الابن الديوان الملكي. وأشاع العدل والإنصاف في العالم، فوجدت الحياة فيه خليفة لأنوشيروان، أغدق الأموال على الرعية والجند، ومنح كثيرًا من القادة الطبل والعلم. وكثيرًا ما نزع الأهواء عن العقول، وقضى على الظالمين. وكان يعز أخته كروحه، في حسننها ودلالها، وذكرها الطيب.

والآن استمع إلى أي لعبة، قام بها هذا الفرجار الدوار من أجلها. فقد كان للحارث غلام فريد، يقوم على أمر خزانته. وكان اسم ذلك الشبيه بالقمر بكتاش، ولا أعلم له نظيرًا. كان أعجوبة الدنيا في الجمال، وتدلّه الناس بعشقه أمر عجيب يستحق التأمل. فقد كان جماله مثلاً للجمال، وكان الأجل حارس وصاله، فإذا ما انتابته حمرة الخجل، انتهت مهمة الورد، وتساقط داخل الطين. وإن ظهرت صورة وجهه، ارتجت الجدران. وإن استولى عليه غضب كذؤابته السوداء (الهندية)، بدا وكأنه الزنوج مجعدي الشعر، وإذا ما أسر زلفه العصاة، كان يزهرهم للريح كالنقد.

وإذا تبس حجابها، أصبحا كأنهما قوس يطلق سهامه. وكانت جاذبية عينيه تستحوذ على غنائمها من الأرواح، بسبب ذلك الشكل اللوزي الذي يتوسط وجهه، لقد هزم صف أهدابه صف الأبطال، بجرح السهام المنطلقة منها. وله ثغر كالياقوتة المثقوبة، اختفت داخله ثلاثون درة غير مثقوبة. بلى، فلو يثقب ياقوت ثغره، لما كان ذلك إلا بالماس لسانه، وأصدرت شفثاه أمرًا إلى العمر الخالد، فأدرك ماء الخضر

الروح من هذه الشفاه. ويمكن أن تروى الروايات عن أسنانه، ففي ميم واحدة اثنتان وثلاثون آية. كان يشبه يوسف في حسنه، فماذا تقول في كرة نونته، إلام أظل مجذوبًا بكرته، فعندما أبدأ الحديث عنها، تتعطل لغة الكلام.

وكان أمام القصر روضة عالية، والجنة ماثلة في أنحائها. ولم ينم البلبل طيلة الليل من العشق، وهو يشرح للوردة طريق اقتلاع الشوك. فأطلت الوردة من البرعم مبتسمة بعدوبة، في غنج ودلال شديدين، وخرجت الوردة الحمراء من قمطاها الأخضر، كأنها طفل غارق في الدماء. وجرى نسيم الصبا مثل زليخا، وقد تمزق ذيل الورد منه مثل يوسف، وهب على الصحراء مثل نسيم أخضر، فنبت العشب، واخضرت الصحراء، وأصبح للبرق والشهاب سنان حاد، وأطلق السحاب مائة عنان للمطر. وتشابكت أيدي المروج الخضراء معًا، وفي كل يد منها مئات الدرر من المطر. وأمد البنفسج رأسه لخدمتها، ولكن بعد أن قبل قدميها، وظهر الأرغوان المضرج في دمائه، وهو يتصارع بعضه مع بعض، وأمسك النرجس بكأس ذهبي، وتجرع اللبن من الأمطار كالسكر. وتساقطت رؤوس الشقائق فوق الأقدام، وأصبحت براعمها عند الوسط. ووصل من الروض آلاف مثل يوسف، وأدرك كنعان رائحة القميص، وصدحت الطيور في المروج، فسادت الجلبة في الصحراء.

وفي الصباح، موجت الريح المسكية صفحة المياه، فأصبحت وكأنها مبرد. وكان أفراسياب قد وجد ماء زره، الذي صنع الماء منه درعًا بفعل رياح النيروز. كان الغدير يتدفق بمياه الكوثر من كل صوب، بحيث يبدو ماء الخضر أمامه كرشح ضئيل له.

وكان أمام الروض طاق يطاول زحل، وقد استقر عرش الحارس أمام الإيوان، وكان الحارث متألقًا كالشمس، وهو يتصدر الحفل مثل سليمان، ووضع الغلمان أيديهم على خصورهم كالجوزاء، وكل واحد منهم ممشوق القامة كالسروة الميادة، واصطف الأتراك الأقوياء واقفين، وقد وضع كل واحد منهم يده فوق صدره للخدمة. وأطرق الندماء من العظماء والحكماء بأبصارهم إلى الأرض من الهيبة.

فشرفاء العالم بأسره تحت طوعه، ونظام العالم كله من رأيه الرفيع، والفتنة مقيدة في مهدها من تألق طالعه، والدمع محتبس في عين النار خوفاً من غضبته. فله غضب زحل، ووجه المشتري، وطلعة القمر، وفطرة عطارد، ورفعة الشمس.

وما إن صعدت بنت كعب إلى السطح، حتى بُهرت بجلال الحفل. وأخذت تجول ببصرها في كل صوب، فشاهدت ذلك القمري، وتبدى لها وجه بكتاش وعارضه، مثل سرو باسق يرتدي القباء، فشعرت بدنيا الحسن وقفا على وجهه، ووجدت كل الجمال من نصيبه مثل يوسف، إنه الساقى الواقف أمام الملك. وقد ألقى بطرته الطويلة على قدمه، واحمر وجهه مثل الجلنار، بفعل الثمل، وبدت أهدابه كشوك في عين العاشق. وتفجر السكر من النبع العذب، وانساب العرق من القمر على الثريا.

كان يقدم الشراب وهو ثمل حيناً، ويعزف على الرباب ألحاناً جميلة حيناً آخر، ويصيح بالغناء مثل البلبل تارة، ويصب الشراب من الإبريق تارة أخرى، وعندما شاهدت الفتاة وجهه بهذا الحسن، أدركت أن قلبها وقفاً على شعرة واحدة منه.

وسرعان ما اجتاحتها نار هواه، وسلبت كل وجودها. وأثرت تلك النار في روحها، لدرجة سلبت معها كل إحساس لها بها. صار قلبها عاشقاً، وأصبحت روحها متهمّة، وانعدم وجودها من رأسها حتى قدميها، تدفقت الدماء من عينيها مثل السحاب، فأجرت منه في ساعة واحدة طوفاناً كبيراً. استأصل عشقه شأفتها من جذورها، فصارت كأنها مصلوبة بأكملها، هكذا وقعت الحكيمة مسكينة، فلم تكن تعرف رأسها من قدميها، فكانت طوال الليل تريق الدماء وتنوح، وتتجدد حرقها مع كل نفس كالشمع، ومن شدة النيران التي شبت في روحها، كانت تغيب عن وعيها كثمل بكأس من المدام.

مجمل القول بعد عام اعتلتّ صحة تلك القمرية بفعل الألم والأسى، فأحضر لها الحارث طبيباً دون جدوى، فما تعاني منه تلك الفاتنة داء لا دواء له. وأنى لذلك الداء من دواء، ودواء الروح عند الحبيب.

وكان للفتاة وصيفة خاصة، واسعة الحيلة. استدرجت تلك الفتاة بحيل شتى قائلة: أيتها الفتاة! ماذا حدث لك، أصدقيني القول. في البداية لم تقر تلك القمر بشيء ألبتة، ثم انطلق لسانها قائلة: رأيت بكتاش في ذلك اليوم، بذوائب تحرق الفؤاد ووجه يضيء القلب. كان يحتضن ربابة كأنه ثمل، وأنا منه كالربابة ويدي على رأسه. عندما عزف نغمة (سبزانك) وتغنى بها، طارت الطيور على الـ(قول) والـ(آهنك)، وعندما عرج إلى لـ(سبزانك) والـ(كلزار) كان الثمل يبدو على الورود جليًا واضحًا. وبعزفه على المضراب لـ(دوراهي)، جعل أنغام المخالف تستقيم على أنغام الـ(قول) وتصبح (راست)، لو لم يوجد مخالف لـ(راست) في العالم، لعزفه على الـ(زير) والـ(بم)<sup>(١٩١)</sup>، ماذا أفعل؟ وقد صار قلبي مخالفًا، ولن يستقيم عزفي على هذا اللحن.

الآن وقد همت في الآفاق، صرت أهلاً لعزف نغمة العشاق، عندما سمعت لحنًا من ذلك الجامح، جعلت من عينيه آلة تعزف الـ«بردة»، هكذا برحني عشقه، فشمّلني بأحزان مائة عام، وسلّبني زلفه قراري، فصار ملكي إلى زوال، وقيدتني حلقة طرته من وسطي، فدُمّي قلبي، حتى توقف كبدي عن العمل، وقد اعتلت صحتي، وتدلّهمت على هذا النحو، لأنني أعلم أنني لا أستحق قدره.

لا مثيل لبكتاش في حسنه، ولا يمكن أن يفضلّه أحد في جماله، إن أمكنني الحديث عن هذا السرو، فلماذا يجب أن أتحدث عن أحد سواه، نونته تشبه الكرة الفضية، بينما تجاعيد غدائره كصولجان مسكي، وجبهته ميدان فضي، فإن اتخذت من طرته صولجانًا، فما الخوف؟ في هذا الميدان لن أحمل الكرة من ذقنه، بصولجانه الهائم، إن جعل من جديله صولجانًا، فهو يجعل رأسي مثل الكرة الطائشة، إن تجلّت إشراقات وجهه للعيان، تجعل كل ذرة مائة قمر، لقد ألقى بهلال عارضه كالهالة، فجعل الهلال ينتحب حزنًا، إن ظهرت حلقات طرته الآسرة، أسرت في كل حلقة منها مائة روح، اتشح إنساني نرجسته بالسواد، لذلك اعتكفا داخل مجلسه.

كان سحر كأسى عينيه الداميتين، يتلاعب بالعالم ويسحرهم بأهدابه، عندما أصاب سهم غمزته القلوب، توقفت الرماح والسهام، خوفاً منه، وله خط تقبع داخله أسنانه الثلاثون، وشفته صاحكتان، ينعكس عليهما لون دمائي، وقد رأيت صدفه ودره اليتيم، فتوقفت عن نعت فضيتها أمام أسنانه، فمه فستقة دقيقة ضاحكة، وقد احتوت أسنانه داخلها مثل لوحٍ لعبة النرد.

إن ضحكك ظهرت تباشير الصباح، والعظام تقوى بالطباشير، لشفته ما يربو على المائة ألف عبد، فهي تندفق حياة أكثر من ماء الحياة، استقام خط عارضه النضر، فصار ناسخاً لجميع الخطوط إلى الأبد، العالم مختف داخل فص خاتم شفتيه، والفلك قابع تحت سرج كواكبه الثلاثين، لقد ساء حالي من تفاحته، ومن هيئته الصنوبرية النارية هذه، لأننا أسرى لهذا السرو الباسق، فقد صار وجهي بلون السفرجل، وفقد نضرته، يشدني غم سهام قده كل لحظة، إلى أوتاره مثل القوس.

والآن انهضي أيتها الجارية! وانطلقى إليه، لتكوني رسول هذين العاشقين، اذهبي واشرحي له هذه القصة، وأرسي أساس عشق هذين الحبيين، أفصحى له عن هذا السر، فإن تملكه الغضب، لن يبوح قلبي بهذا السر، ويفتديه، وأشيري له أيضاً، أنه سوانا نحن الاثنين، لم يعرف هذا الأمر، رجل ولا امرأة. قالت هذا، ثم أخذت طيبة الذكر، تخط رسالة بدماء قلبها:

ألا أيها الغائب الحاضر، أين أنت؟ لماذا أنت بعيد عني في نهاية الأمر؟ عيناى تستمدان ضياءهما منك، وقلبي يأتلف بك أيضاً. تعال وضيف العين والقلب، وإلا أستل السيف، وأزهق روحي. فأنا لا أرى الآن من نعيم ملك العالم، سوى نصف روح، فلماذا لا أفنى نصف الروح هذه فيك، فإنني بدونك لست في حاجة إلى مائة روح. سلبت قلبي ولو كان لي ألف قلب، لاقتصر عملي على أن أهبها كلها لك.

إنني لا أشغل القلب عنك لحظة، لأنني لا أنزع القلب أبداً عن الحبيب. أخفي لوعة عشقك داخل روحي، ولأنني من دونك لا قلب لي ولا دين، فلم تبرحني على

هذا النحو؟ أنا من دونك وجهي أصفر كالدينار، ومن عشق وجهك وجهي معلق  
بالجدار. رأيتك، فلم أر مثيلاً لك، ولم أشاهد سرّواً باسقاً نظيراً لك.

إن تحقق لي وصالك، نجوت، وإلا سأهيم على وجهي حيثما أكون. أحمل  
بكل إصبع مصباحاً، وأبحث عنك في كل صحراء وبستان، فيما يتجلى نورك أمامي  
كالشمع، أو اعتبرني كسراج خبا نوره. وبعد أن أتمت الرسالة، رسمت صورة لها  
كالقمر. وأعطتها للوصيفة، فانطلقت بها، وتوجهت بها إلى ذلك الحبيب، قمرى  
الوجه.

وعندما شاهد المحبوب صورتها، قرأ شعرها، ظل متيماً بلطف طبعها وجمال  
صورتها. وفي ساعة واحدة فقد سيطرته على قلبه، فقد استبد به العشق، ودمى قلبه  
شجناً، ابتلعه تمساح العشق في الحال، وأجرى بحار الدماء حوله من كل جانب،  
فألف وجه الدنيا، دون وجهها، كأنه خلا من الأرض والسماء. وبدا كأنه قد فقد  
التمييز بين رأسه وقدمه، فارتدى القلنسوة على قدمه، ووضع الخف فوق رأسه، وقال  
للوصيفة، هبي أيتها الحكيمة! اذهبي إلى تلك الفاتنة، وأبلغها قولي:

لا سبيل لي لأتطلع إلى وجهك، ومن دونك، فرغ صبري، وتلاشت راحتى، وماذا  
عساي أن أفعل الآن من دونك؟ وأنا لا يمكنني تجشم هذه الآلام المبرحة بعيداً  
عنك، لقد مزقت طرتك ستري، عندما هام قلبي بعشق وجهك. فقد سلبتني طرتك  
قراري، فتعلق عمري بها، وعندما قبعث داخل روحي في السر، خفق قلبي، فحللت  
بدمائي. وإن كنت كامنة داخل روحي، فلماذا تتعطشين لدمائي؟ فيا قمرًا يختفي  
داخل السحب، لا تشرقي مثل صباحي، ولا تشهري بعصيانك السيوف مثل شمسي،  
إن أضأت عيني بقاء، أفنديك بوجودي، أيتها الحياة! إنني أموت الآن، فأدركيني،  
وإلا سيكون مصيري كما تعلمين.

انطلقت الوصيفة إلى تلك القمر، وأخبرتها بعشق الغلام لها. فقالت: إنه متدله  
بالعشق أكثر منك، ويحترق في لهيبه، إن شعر قلبك بمدى عشقه، لتعلم العشق وخبر

آلامه منه آنذاك. فسر قلب الفتاة للغاية، وانساب الدمع فوق وجهها من فرط سعادتها.

ولم يعد لتلك الجميلة عمل، سوى نظم الشعر وإنشاد الغزل ليل نهار. وأخذت تنظم الشعر بغزارة، وترسله، وأصبح لها باع وقدرة في قول الشعر، وكان الغلام كلما قرأ شعرًا لها، يشتد عشقه لها، ويزداد تيهًا بها، وعندما انقضت مدة على هذه الحال، خرجت تلك الفتاة إلى دهليز ذات يوم، وفجأة شاهدها بكتاش، وعرفها، فقد أمضى عمرًا متدللًا بعشق صورتها. فأمسك بأذيالها، وثارَت الفتاة، وتخلصت منه قائلة:

ويحك أيها الوقح ما هذه الجرأة؟ إنك ثعلب فأني عرين للأسد تقتحم؟ لا يجروُ شخص أن يحوم حولي، فمن تكون أنت حتى تمسك بذيلي؟ فقال لها الغلام: يا من أنا تراب محلتك، كيف تخفين وجهك عني؟ وإلا فلماذا أرسلت الشعر إليَّ ليل نهار؟ وأسرت قلبي بتلك الصورة الفتاة؟ إنك أوديت بعقلي في البداية، فلم جعلتيني غريبًا في النهاية؟

أجابته فضية الصدر عندئذ إنك لا تعلم ذرة من هذا السر، لقد وقع أمر في صدري، لكنه انكشف بسببك، وكيف لمائة غلام أن يفوز بما منحتك إياه. وهذا كاف لك وتام، ألا يكفيك هذا على مر الزمان، أن تكون وسيلة إلى هذا الأمر. أقمت أساسًا من العار بهذا العمل، وترديت بسببه أسيرًا للشهرة. قالت هذا ثم اختفت من أمامه.

فاشتد افتتان قلب الغلام بها مائة مرة، وقد قرأت من أقوال أبي سعيد، شيخ مiehة، أنه قال: وصلت إلى هناك، فتقصيت عن حال بنت كعب، هل كانت عارفة أم عاشقة مدلهة؟ ويقول أبو سعيد: لقد نما إلى علمي، أن ذلك الشعر الذي جرى به لفظها، من تباريح عشق معشوق مجازي، فهي لم تنظم ذلك الشعر عبثًا، ولم يكن لذلك الشعر شأن بمخلوق، فقد كان لها عهد مع الحق. وكان في معاني شعرها كمال تام، وكان الغلام وسيلة في الطريق، وظلت الفتاة العاشقة تعاني من هذه اللوعة، فكانت تقول الشعر بالتباع ليل نهار، وذات يوم، بينما كانت تتجول بمفردها في المرج، كانت تترنم بهذا الأشعار:

ألا يا نسيم السحر، هب، وأخبر عني ذلك التركي البطل. وقل له إنك قد سلبتني الكرى شوقاً إليك، ومحوت وجودي، وتجرعت دمائي. وكان الحارث في ناحية من المروج آنذاك: فترامت هذه الأشعار إلى مسامعه في الحال، فثار، وفاجأها بندائه وقال لها:

ماذا تقولين أيتها الضالة؟ أسقط في يد الفتاة العاشقة أمامه، فغيرت ذلك الشعر، وقالته على هذا النحو: ألا يا نسيم السحر، امض، وأخبر عني ذلك السقاء الأحمر، وقل له: لقد سلبت نومي بسبب الظمأ، ومنعت عني الماء، فأدميتني. وكان لها سقاء أحمر الوجه، يأتيها بإبريق الماء دائماً، فأبدلت التركي البطل القمري، بذلك السقاء الأحمر فوراً، وهكذا أوحى إلى أخيها، أنه قد أساء الظن بها.

مجمل القول، عندما مضى شهر على هذه الواقعة، جاء جيش لمحاربة الحارث، جيش عدده يربو على الحصر، يشبه دوران الفلك، ويفوق العد والحصر، جيش يموج بالسيوف والدروع، فعم العالم الضياء من سيوفه ودروعه، قدم الجيش من قمة الجبل وسفحه، فصار ثور الأرض مثل حمار تكتنفه الثلوج.

ومن ناحية أخرى وفي الوقت نفسه، خرج الحارث بجيشه من بوابة المدينة، وكان جيشه بأسره ميمون الطالع مثله، مرتفع الراية والهامة مثل رأيه، فدان النصر له كحلقة في أذنه، وتواكب الظفر مع الفتح والتوسع. وخلاصة القول التحم الجيشان، ودار القتال بينهما، وغطى الغبار الصحراء بأسرها، وتعال الصيحات حتى عنان السماء، وأصمّت أصوات الطبول العالية أذن الفلك، وفقدت الأرض ثباتها، وأصبح سافلها عاليها مثل السماء، ونبت الشقائق فوق الأرض من دماء الأعداء، وامتلاء الهواء بالطل من جراء السهام المتلاحقة، وتشابكت أنهار الحياة بالدماء، وسد القتلى مجراها، ونشب الأجل مخالفه في الأرواح بحدة، وسن القضاء أسنانه بالحدق والعداء، وظهرت علامات عديدة للقيامة، علت هامة الشيطان منها.

عندئذ تقدم الحارث الصفوف، وهو يقود جيشه الجرار، وبعد أن نظم جنوده،



تقدم كالليث، وحمل على أعدائه، فتمزق الفلك العتيد بنجومه العديدة، من سن رمحه، وعندما وجه سيفه إلى الرؤوس بعزة وكرامة، خمدت الفتنة حتى يوم القيامة، وعندما غسل جسمه من دماء خصمه الوردية، نبت ورد النصر منه. وعندما انطلق سهمه صوب الفلك الأزرق، خرج من ثقب إبرة عيسى.

ومن ناحية أخرى كان بكتاش القمري الوجه، يوجه سيوفه كل صوب، إلى أن أصابته عين السوء، ففقد توازنه على إثر ضربة سيف، وكاد هذا التقي، أن يقع في أسر الأعداء، وظهرت فتاة ملثمة في ذلك الصف، تحمل سلاحًا، وتمتطي جوادًا، تقدمت الصفوف كأنها جبل، فسيطرت هيبتها على القلوب.

ولم يعرف أحد من تكون فضية الصدر هذه، التي تحدثت وقالت: ما هذا التخاذل؟ أنا ملك يزين الفلك سرجي، والقمر والشمس راجلان في ركابي، إن أطحت بفرس، يكن مآله إلى الإعدام، وأطرحه أرضًا مثل الرجال الأشداء، والرأس التي تسلك طريق العصيان على حكم هذه الذات، أُلقي بها تحت أقدام القبيلة، فتدرك نهايتها، إن جردت سيفي عن غمده، أنزع كبد الأسد الهصور، وإن برق سيفي الذي يضطرم نارًا، تتحول ألسنة النار ووجهها إلى ماء خوفًا منه، وإن هزرت الرمح في يدي مثل الثعبان، لا يطاولني أحد في الصفوف.

وإن واجه سندان رمحي، يصير من ضرباتي المتلاحقة إربًا إربًا، ومن ضرباتي تشل قوة السندان، ولا يبقى من السندان أي أثر، وحينما يصوب طائر سهمي من الوتر، يصدر الشاء من حلق طائر الفلك. وما إن أنزع الوهق عن السرج، حتى أسقط العدو على وجهه فوق الأرض مثل الريح. إنني كالفرس في هجومي، لي أيادٍ كثيرة في الفتح، وأنا في حرب رستم، رستم في الأصل.

قالت هذا، وتقدمت كرجل مغوار، وقتلت عشرة أشخاص من هؤلاء الرجال، ثم أقبلت على بكتاش، وسيفها في يدها، وأخذته من هناك، وحملته إلى الصفوف، ووضعت بين الجند، ثم اختفت وسط الجمع، ولم يعرفها أحد من أهل الزمان.

وعندما اختفت تلك الفتاة الفاتنة في ناحية، انطلق جيش العدو مثل مياه البحر، وظل يقترب حتى تمكن من البلاد، فلم يبق على مدينة ولا ديار، عندئذ ظهر المدد للحارث، وكان خلقاً كثيراً من قبل ملك بخارى، وجاء جيش من الجبل والسهل، فدار لكثرته رأس الفلك، وما إن أدرك المدد الحارث، حتى انتصر الحارث وجيشه في الحال، وانهزم جيش عدوه، فتناثرت أشلاؤه في الطريق بذلة.

وعندما دخل الملك المدينة مظفرًا سعيدًا، طلب فارس ذلك اليوم المغوار، فلم يجد له أي شخص أثراً، وقال الجميع: لقد اختفى مثل الجان، خلاصة القول عندما ظهر زنجي الليل، وهو يضع نصف القمر فوق شفتيه، ظل قرص القمر طوال الليل، يلقي بزبد نوره مثل قرص الصابون، وظلت تلك الفتاة، تراقب الأنوار بعينين داميتين، وقد فقدت الأمل في حياتها.

وعندما انحسر غراب الليل عنها كان قلبها مثل طائر وقع في الشرك، وكان فؤادها ملثماً لما أصاب الغلام من جروح، فقد أحرق جرحه روحها في طرفة عين، لم يغمض لها جفن، ولا هدأ لها بال، ورأس معشوقها تنزف جراحه، وأنى لقلبها أن يستريح؟ فكتبت رسالة بدماء عينيها، ونظمتها رائحة الياسمين على هذا النحو، فاستمع إلى الفصيحة العاجزة:

رأس جعلته العظمة تاجاً للكبار، فلأي أمر يصيب نصل الرمح هذا الرأس، وليكن رأس عدوك عاجزاً، ولا رفع رأسه إلا فوق المشنقة، والرأس الذي لا يتحقق له السيادة، بوجودك، لا يكون تنكيسه حماقة، ورأس الذي لا تنحني رأسه على تراب هذا الباب، قسمًا بالروح والرأس أن يكون فداء لهذا الرأس، وإن واجهك الحسود المغرور ركب الرأس، اقتلع رأسه مثل الحية فإن هذا تدبيره، وإن جاورك الخصم الأهوج، فضع رأسه واجتزه أسرع منه، والرأس الذي لا يستقيم صاحبه معك، فلا كان هذا الرأس التي ينبع منه نقائصه، وإن لم يستسلم العدو ويحني لك رأسه، يشق عليه رأسه عصا الطاعة، وإن لمن يحن الرأس أمامك، فلن يبقى من رأسه قدر شعرة،

ورأسك الناظر الذي حظى التاج منه بالسمو، نالت الرياسة من نضرته كل رأس، وقد رفع الفلك المنكس هامته له، ليقتنفي أثره في كل لحظة، وإن تسببت آلام رأسي في صداع رأسك، فليكن رأسي المقطوع دواء لرأسك، لقد وضعت رأسي على الأرض أمام هذا الرأس، فليكن مئات مثل رأسي فداء لذلك الرأس.

الشخص الذي استبد به الحقد نتيجة لجراح الخذلان، إن تراجع فإنما بسبب قهرك، والشخص الذي يأكل من غصن العيش، إن أكل دون ذكرك، فهو يأكل كبده، والجاهل الذي يفتخر بحكمته، إن سك الذهب بدون اسمك، فسد عمله، ومن هفت نفسه إلى الحج، إن حج بدون أمرك، فقد أخطأ، فما الذي أصابك؟ فتضرجت في دمائك، إنك لن تجد أحداً قد برحه الحزن عليك أكثر مني، يحترق صدري طوال الليل كالشمعة، فإذا ما انقضى الليل، واجهت الموت طوال النهار، إنني مثل الشمع، أضحك دائماً من العشق، وأقيم السدود أمامي من دمعي.

أنا مثل الشمعة التي تحيا من عشق الروح، وتضحك بين الدمع والنار، إن كان لليلي أمل في النهار، لقلت لوعتي واحترافي، ولأنه لا أمل للشمع في صباح، فهي لا تتوقف عن الاحتراق لحظة.

من هذه النيران التي شبت في روحي، حلت الأمطار الغزيرة بأهدابي، ومن هذه النيران التي تتلاطم ألسنتها، من العجيب أن تتدفق المياه على هذا النحو، ماذا تريد مني، مع كل هذه اللوعة، فالحرقة تلازمي ليل نهار، لا تضرجني بالدماء وسط هذا التراب، ولا تتقاذفني مثل الفلك، إنك تعلم حيرتي، فلماذا تسلبني وجودي؟ إنك تعلم أنني ثملة، وقد ترديت على هذا النحو بسببك.

إنني لم أسفك دماء أحد، فلماذا لا أحيأ إلا وسط الدماء؟ لقد فقدت وجودي في عشقك، فلم أعد أتلمس طريقي، لي قلب مجروح، مبرح بالآلام، دخل إلى بيت الحزن، وأقل عليه بابه، إلى متى تحرق وجودي؟ وتحرقني مثل البخور فوق النار، لو لم يكن لدي أمل في وصالك، لما تبقى مني تراب ولا دخان، لقد قاومت روحي

الموت، فعاشت، لأنه يمكن الحياة على أمل وصالك، لا يقوى قلبي على ذكر اسم الهجران، وهو لم يدرك وصال الحبيب بعد، لقد بحث لك بواحد من تباريح عشقي المؤلفة، التي سلبت قراري، إن سنحت لي فرصة أخرى، سأبوح لك ثانية بما يعتمل في قلبي، وإلا، سوف أحفظ هذا السر داخل روحي.

وانطلقت الوصيفة حاملة الرسالة، ولم تزد فيها أو تنقص منها أي شيء، فوجدت رأس بكتاش مع جراحها الغائرة، مرهماً للقلب وراحة من تلك الرسالة، وانهمرت سيول الدماء من عينيه، وخط لها رسالة، تموج بكلمات العشق فقال:

أيتها الحبيبة! إلى متى تتركيني وحيداً؟ ألا تعودين مريضك؟ تعالي أيتها الفاتنة! واجلسي هويّنة، إلى جانب فراش الغرباء، مثل الأحباء، إن كانت رأسي اليوم، تعاني من جرح، فروحي تنهشها آلاف الجراح، أيتها المعشوقة! برحني الشوق إليك، فصار ثوبي كفناً يلفني، قال هذا، ثم فقد رشده.

ومضت عدة أيام، وبدأ بكتاش يستعيد سابق عهده، وشفى من جراحه، وذات يوم، وبينما كان الرودكي يسير في طريقه، ألّفت الفتاة الفاتنة جالسة هناك، فكان أن قال بيتاً له طلاوة ماء الذهب، وقالت الفتاة أفضل منه، وفي ذلك اليوم، قال الأستاذ أشعاراً غزيرة، وردت عليه الفتاة، وظل الرودكي هناك متعجباً، من لطف طبع تلك الجليلة العاشقة، وبعد أن وضح له أمر عشق ياسمينية الصدر تلك، انطلق في طريقة، فبعد أن اتضح السر أمام الرودكي<sup>(١٩٢)</sup>، توجه من هناك، إلى مدينة بخارى.

وأُسرع إلى خدمة الملك، الذي كان قد أرسل مدداً إلى الحارث، وكان الحارث قد وصل إلى الملك المعظم أيضاً، ليقدم له آيات الشكر والعرفان، وفي ذلك اليوم أقيم حفل ملكي، ماذا أقول؟ فقد بدا مثل جنة بهية. وطلب الملك من الرودكي نظم الشعر، فنهض الأستاذ وانطلق لسانه مترنماً، وكان لا يزال يتذكر شعر بنت كعب، فألقاه كله، فبعث في المجلس النشوة والدفء.

قال له الملك: أخبرنا عن قائل هذا الشعر، فهو يشبه اللؤلؤ المثقوب، وأناى للرودكي

أن يعلم بوجود الحارث، وهو نفسه ثملًا بالشعر والخمر. فانطلق لسانه، وقد أطلق الثمل قيوده قائلاً: إنه شعر بنت كعب أيها الملك! إنها عاشقة مدلهمة بغلام، وقعت في شبابه كطائر، لا وقت لديها لطعام أو لنوم، فليس هناك ما يشغلها سوى قرض الشعر، وقول الغزل، فإن نظمت مئات الأشعار المفعمة بالمعاني، أرسلتها إليه في الخفاء. ولو لم تتأجج نيران العشق في صدرها، لما حسن منها قول هذا الشعر.

وما إن سمع الحارث هذا الكلام، حتى تداعى، وإن كان قد تصنع الثمل آنذاك، ومجمل القول، عندما عاد إلى مدينته، لم يفض بالسر إلى أخته، ولكن كانت روحه تموج بالحزن والأسى، وهو يختلس النظر إليها على الدوام، حتى يعاقبها بذنبها، ويريق دمها أينما تكون.

وكانت الأشعار التي نظمها تلك القمر، قد بعثت بها إلى بكتاش كلها، فوضعها بكتاش في صندوق جواهر، بإعزاز، وأحكم إغلاقه بحيث لا يمكن فتحه، وكان لبكتاش الفضي الصدر، رفيق، اعتقد أن هذا الصندوق يحتوي على جواهر، ففتحه، وقرأ الرسائل، ثم أحضرها إلى الحارث، وقرأها أمامه، فاضطرم قلب الحارث بالنيران، من هذا الأمر، وبدأ يفكر في القضاء على أخته.

في البداية، قيد الملك غلامه الخاص بكتاش، وألقى به في غيابة الجب، ثم أمر بإحماء حمام، من أجل فضية القوام تلك، عندئذ أمر الملك أن تفصد عروق يديها، لا أن تقيدا، ثم أدخلها الملك الحمام، وسده من الخارج بالحص والآجر، وتعال صرخات سروية القد، ولكن أي جدوى من الصياح؟ ومن ذا الذي يعلم أنه عندما يفارقه قلبه، يدمى كبد الحياة حزناً عليه؟ ومن ذا الذي يذكر قصة تشبه هذه القصة أبداً؟! ولمن وقع مثل هذا الأمر أبداً؟! ومن وجد ذات يوم في الحياة، بهذا البؤس، وهذا الألم، وهذا الاحتراق أبداً!

فتعال، إن كنت عاشقاً؛ لترى اللوعة، وترى طريق العشاق، فقد أمسكت السنة النيران بتلك القمرية، ثم خمدت كل تلك النيران دفعة واحدة، نار من الحمام

المخيف، ونار أخرى من ذلك الشعر الناري، ونار من نزع الشباب، ونار من نزع  
الدماء بغزارة، ونار من تباريح العشق ولوعته، ونار أخرى من الفضيحة والحيرة، ونار  
من المرض والوهن، ونار أخرى من دفء القلب وحرقة وثملته، ومن الذي يستطيع  
أن يخمد مثل هذه النيران بأي ماء؟ ومن يمكنه السيطرة على كل هذه النيران؟

وكانت تلك القمرية تضع إصبعها في دمائها، ثم تكتب أشعارها الغزيرة، فملأت  
الجدار بما كتبه من دمائها، وسجلت أشعارًا كثيرة تنطق بآلام قلبها، وعندما لم  
يتبق لها فراغ فوق جدار الحمام، ولم يعد هناك كثير من الدم، وامتلاء الجدار كله  
بالأشعار، سقطت وانهارت مثل ناحية من جدار، وفاضت روحها الطاهرة في عزة  
وبهاء، بين الدم والعشق والنار والدمع.

وفي اليوم التالي، عندما فتحوا الحمام، كيف أصور ما كانت عليه تلك الفتاة!  
كانت تشبه غصن الزعفران، من قدمها حتى مفرقها، ولكن وهي غارقة في دمائها  
فحملوها، وغسلوها بماء طاهر، وأوروا الثرى قلبًا داميًا، ونظروا إلى جدار الحمام،  
في ذلك اليوم، فوجدوا هذا الشعر المهلك للفؤاد:

أيها المعشوق إن عيني من دونك نبع متدفق، وكل وجهي مخضب بدماء قلبي، لقد  
أودعت أهدابي للسيل، لا لقد أخطأت فقد جرفت وجودي، سلبت روحي وحللت  
بها سعيدي، لا لقد أخطأت إنك جلست داخل النار، ولأنك استقرت داخل القلب،  
فلا تدعه، لا لقد أخطأت لأنك لا ترد في الدماء، لأنك أجريت من عيني جدولي ماء،  
فقد جعلت غسلي في الحمام، وأنا في نهاية الأمر كسمكة في مقلاة، ألا تأتي إلى هذا  
الحمام في النهاية؟ على هذا النحو، كتب عليّ، أن يلقي بي حية داخل سعيدهم فجأة.  
وحتى داخل السعير، توجد أسرار، يمكن أن تكتب بين الاحتراق والنار، وأنت مني  
تعلم كيفية الكتابة، فمثل هذه القصة ينبغي أن تكتب بالدماء، وإن كان جحيمي من ذلك  
الفردوسي الوجه، فالجنة بين يدي من كل صوب، ولأن نصيبي من الحق هو جهنم،  
فقد صارت قصتي للعشاق جنة. لدينا العشق الآن ثلاثة دروب: إحداها النار، والأخرى

الدمع، والثالثة الدم، والآن أنا فوق النار، لأنني أريق الدماء حينًا، وأذرف الدمع حينًا آخر، أردت أن تحترق روحي بالنار، ولأنك كامن فيها، لا أقدر على احتراقها.

إنني أغسل بدمعي قدم الحبيب، وأودع الحياة بدمائي، وأحرق كل أهل الغفلة في العالم، بهذه النار التي أشعلها من روحي، وأغسل وجوه كل من لم يغسلوا وجوههم، بما يراق على وجهي من هذا الدمع، إن تيسر لي السبيل وسط هذه الدماء، أجعل كل العشاق في لون الورد، ومن هذه النار التي أعانيها في هذه الحرقه، يظهر لي كيفية الاحتراق في سبع من جهنم، ومن دمعي هذا وهو طوفان متدفق بالدماء، أعلم المطر كيفية الإمطار، ومن دمي هذا وهو كالبحر، أعلم الشفق الاحمرار، ومن هذه النار التي أشعلها لي الزمان، كانت جهنم تطلب مني شعله، ومن دمعي هذا جعلت العالمين بأكملهما، طينًا في الماء حتى يوم القيامة، ومن هذه الدماء سددت طريق الفلك، حتى صارت طاحونة الفلك تطحن الدماء.

أحرق بتلك النار كل رسم، سوى رسم خيال معشوقي، وأغرق الأرض بالمياه من الدموع، من هذا الألم الذي عاناه ذلك الجميل، ولأن معشوقي يسعد بحزني، فما أجمل أن تمتلئ الدنيا بدمائي! لقد تجرعت دماء روحي كاملة، فهنئًا لك أيها الحبيب العزيز! والآن أرحل عن هذه الدنيا، بين النار والدمع والدم بقلب جريح، وقد انتهت حياتي من دونك، وأنا ذاهبة عنك، فلتبق أنت إلى الأبد.

وما إن كتبت هذه الكلمات بدمائها، حتى انتهى أمرها، وفاضت روح هذه البائسة، وأسفاه! بل مئات الآلاف من الأسف والأسى، على موت درة الفرسان بهذا البؤس! أما بكتاش، فأخذ يتحين الفرصة، حتى سنحت له، وخرج من قاع البئر، فذهب خفية، واجتاز رأس الحارث، وقت السحر، ثم انطلق في طريقه، وجاء إلى قبر الفتاة، وقد ثوبه، وتناول خنجرًا، طعن به كبده، ورحل عن هذه الدنيا الفانية، وحرر قلبه من السجن والقيود المحكمة، لم يطق صبرًا من دون الحبيب الأوحده، فلحق به، وأنهى بذلك القصة.

## المقالة الثانية والعشرون (٦٦٣٧: ٦٨٦٠)

قال الولد يا والدي: ما كنه هذه الكيمياء، التي لا تطيب لي الحياة من دونها؟  
اشرحها لي حتى أطلع على كنهها، فتكف روعي عن سعيها ودأبها.

### إجابة الأب

فروى الأب أمامه هذه الحكاية، عن أفلاطون اليوناني.

#### ١ - قصة أفلاطون<sup>(١٩٣)</sup> (٦٦٤٢: ٦٦٨٧)

عزم أستاذ العالم أفلاطون، في بداية أمره، على محاولة استخراج الذهب، وصنع الإكسير، فقبع في مكان خفيٍّ خمسين عامًا، جمع خلالها قشر البيض وشعر الناس، وصنع منهما إكسيرًا قويًا، فجمع ذهبًا وفيرًا من كيمياء قليلة.

ولما سهل عليه تصنيع الذهب، تساوى لديه هو والتراب، فقال في نفسه ذات يوم: فكر أيها القلب في أن تصنع إكسيرًا من جوهرك، فقشر البيض وشعر الرأس، تحولا إلى إكسير مبهج بجهدك، ولو صنعت إكسيرًا من جوهرك، لفاق العالم بأسره، فمن قشر البيض أمكن صنع هذا، فكيف سيكون إكسير الروح؟ هل ستكون روحك أقل من قشر البيض؟ وهل يفضل شعر الرأس وجودك؟، إنك أمضيت خمسين عامًا في صنع هذا الإكسير، ولم تنم ليلاً ولا نهارًا، وظللت تفكر وتدبر، والآن إن كنت عاقلاً، اصنع الكيمياء، لينكشف لك العالمان.

وعندما عقد عزمه على ذلك، اعتزل أهل العالم ألف عام، وصنع كيمياء من جوهرة، فأفاضت نوره على العالمين، وانمحي أمامه الوجود من الأرض حتى السماء، وانكشفت له الأسرار الإلهية، وقضى ألف عام بين الأسرار، وقلبه مشغول بالمعاناة.



في الشتاء كان يمسح بدواء لديه، على جسده كله من رأسه حتى قدميه؛ فنبت له شعر غزير على أعضائه، يقيه من زمهرير الشتاء، وفي الصيف اعتاد أن يدهن، جسده كله بدواء آخر، فيسقط الشعر عنه، ويحميه من حرارة الصيف، كما كان يتناول دواءً ثالثاً، مرة واحدة كل ست سنوات، وكان إذا ما تناول ذلك الدواء، يستغنى عن الطعام طوال تلك المدة.

هكذا تمتع بصحة جيدة، وقاوم عوامل الفناء، ومع أنه كان أقوى خلق العالم، كان هذا طعامه، وهذه كسوته، طوال ألف عام.

وحدث أن ذهب إليه أرسطوطاليس<sup>(١٩٤)</sup>، وبرفقته الإسكندر، وكان أفلاطون جالساً في صمت عميق، داخل غار مخيف، تحيط به الجبال من ست جهات، وقد جلس تحت شجرة بجانب عين ماء، والوجد يكاد يمزق صدره، ومكث الإسكندر وأرسطو طويلاً، ولم ينطق الشيخ الحكيم بشيء، فقال له الإسكندر: وبعد، أرجو أن تتحدث بشيء عن الحكمة، فقد جئنا إليك نبحث عنها، فأجابه أستاذ الأيام: إن ما نملكه هو الصمت في النهاية، ولأن الصمت شيء خالد، عليك أن تتلون بلون الخلود حتى تخلد.

فقال الإسكندر: إن أردت طعاماً، أعدده لك حتى يستقيم جسدك، فأجابه رجل الرجال: أيها الملك لا تجعل جسدي مبرزاً، ولا تأكل فتناول الطعام لا يساوي صنعه، ولا يساوي ذهابك لقضاء الحاجة، عندما تكون بطني بئراً للنجاسة، لا يبقى لي علم ولا فراسة.

فقال الإسكندر: يا رجل العالم! نم بعض الوقت، لينال جسدك بعض الراحة، فأجابه الشيخ الحكيم: أمامي نوم عميق، لا يمكن التكهّن بمدته أو بكيفيته، وعمرى هو اليقظة الحالية، ولأنني أمنح في كل لحظة روح جديدة، فلا يليق أن أنام لحظة. وعندما سئم من الحديث، تركهما ومضى إلى الغار، وظل الإسكندر وأرسطو، يبكيان طويلاً من الألم والأسى.

سمعت كيف كان حال أفلاطون، وكيف كانت حكمته رائدة، إن لم تكن تعلم ما هي الكيمياء التي تنير العالم، فتعلمها من أفلاطون، لماذا تصنع كيمياء الفضة والذهب، من قشر البيض، وشعر الناس أيضًا، اجعل جسدك قلبًا، ثم أحله إلى ألم ومعاناة، فعلى هذا النحو يصنع الرجال الكيمياء.

## ٢ - قصة أبي علي الطوسي (٦٦٨٨ - ٦٦٩٦)

ينقل عظيم نقي السريرة حسن الإدراك، عن الخواجه أبي علي الطوسي، أنه كان يقول لرجل يرتدي القباء: اذهب، واترك القباء، واجتهد في الفناء، فأنت الآن في البلاء نفسه، لأن القباء يحيط بك من رأسك حتى قدميك، فتوجه إلى الطريق، وعندئذ حول نفسك كلها إلى رؤية وإلى عين، واجعل عينيك كليهما قلبًا دفعة واحدة، واجعل كل قلبك ألمًا ومعاناة يا رجل الطريق، وعندما تصير أنت من الألم الألم نفسه، تصبح الدواء أيضًا وتصير رجلًا.

لو أردت الألم لتصل إلى المعرفة، تجيز الحياة لك الموت، ولكن اعلم أن عين الألم، هو الشيء الذي لا يعلمه شخص في العالمين أبدًا.

## ٣ - قول في معنى الألم (٦٦٩٧ - ٦٧٠٤)

سأل شخص أحد المجاذيب، ما الألم بما إنك تكابده؟ فقال: الألم هو شيء لازم، كما تلزم اليد لمبتور اليد، وكما يلزم الماء أيضًا لشخص اشتد به العطش عشرة أيام، أكثر من أي شخص آخر، كذلك يلزم الله لشخص، انكشفت أمامه الأسرار، تلك هي الآلام أيها السائل، أن يلزمك شيء لا تعلمه، وتريده دائمًا، ولا أعلم أي أمر هذا وأي عمل، وكل ما يتحقق لك سواء لا شيء قط، فما تريده وما تجده يحيط به الغموض.

#### ٤ - قصة طفل في السوق (٦٧٠٥ - ٦٧٢٥)

أحضرت امرأة طفلها معها إلى السوق، فضل الطفل من أمه، وبكى كثيرًا، كان يهيل التراب فوق رأسه من الحزن حينًا، ويريق الدمع الدامي حينًا آخر، وعندما رآه الناس على هذا النحو، وخشوا أن يهلك من الخوف، قالوا له: ما اسم أمك؟ قال: لا أعلم، قالوا: يا من تملكك الجنون بسبب بعادها، كيف الوصول إلى مقرها؟ قال الطفل الضال:

لا أعرف منزلها ولا مكانها، قالوا اذكر اسم حيها، لتخلص من هذه المذلة، قال: إن روحي طافحة بالألم، ولا أعلم اسم ذلك الحي، قالوا له: إذن ماذا نفعل معك؟ إنك تحترق، ونحن نتعذب، قال: إنني ضال في الطريق، لا أعرف أمي أو اسمها، ولا أعرف حيها ولا المنزل أيضًا، لا أعرف شيئًا آخر سوى أمي، ما أعلمه أنني عاجز ولا سند لي، تلزمني هنا أمي فحسب، وما أعرفه أن روحي طافحة بالدماء، وتلزمني أمي ولا أعلم شيئًا آخر.

إن اعتصرتك الآلام من رأسك حتى قدميك، تصبح جديرًا بحضرة الوصال، وكيف لا تكون جديرًا به، وأنت في الحقيقة، مطلوب مطلق في العالمين، ولكن أنت لست أنت بل صورته، لذلك فأنت دائمًا جميل وفاتن، إن كنت جميلًا اعتبره هو الجميل، ولأنك صورة منه، فاعتبر الصورة كلها هو، لقد منحك الله هذا الحول، فلست أنت الجميل، بل هو الذي منحك الجمال، لا تنظر إلى نفسك، واعتبر الروح والجسد ملكه، لا ملكك أنت، العالمان ينطقان به، فدقق النظر، وإن كان لك بصر، لا تشاهد نفسك، بل شاهده هو.

#### ٥ - قصة يوسف والمرأة (٦٧٢٦ - ٦٧٥٢)

نظر يوسف في المرأة، وأثنى على جمال وجهه الفتان. إلا أن المرأة الباهلة،

تصورت أن يوسف يثني عليها هي. ما أقبح الجهل! فجمال يوسف يستحق التهنتة،  
أما المرأة فلها العزاء.

لو لم ينظر المعشوق في المرأة، لما شاهد جماله، وإن ارتفعت المرأة من الطريق،  
فمن كان يعلم بجماله، ولو شاهد يوسف جماله، لقطع البرتقال وجرح يده<sup>(١٩٥)</sup>،  
لأن وجهه لم يظهر له عياناً، لم تبرح روحه في عشقه، ولأنه لم يكن ينظر إلى نفسه،  
لم يتدله في عشقه، ولكن إن نظر إليه آخر، فدون شك، كان يقطع يده والبرتقال.

إن لزمك محبوب كيوسف، يلزمك أولاً عين يعقوب، حتى تنجلي مرآتك،  
وتعكس الجمال الأبدي، أزاح الله الجمال النقاب عن جماله، وجعل آدم مرآة له،  
وعندما شاهد آدم وجهه في المرأة عياناً، شاهد جمالاً خفياً متجلياً، فأثنى على جماله  
كثيراً، ولا تظن أنه كان يثني على جمال إنساني.

إن لقب إنسان نفسه بصاحب جمال، بمحض خياله، فهو مخطئ مثل تلك المرأة،  
وبعيداً عن خط دائرة الصورة، إن جلست في الخلوة مائة قرن، لترى وجهك فلن  
تراه، أرايت شخصاً استطاع أن يرى وجهه هناك؟ أو سمع أحد عن شخص يكون قد  
سمع هذا الأمر؟

إن رأيت صورتك في المرأة، فأين أنت من مشاهدة وجهك؟ فوجهك ليس باقياً  
ولا فانيّاً، فكيف يمكن رؤية وجهك؟ لأنه لا يمكن رؤية وجهك، بدون مرآة أمامك،  
فحذار أن تتأوه أمام مرآة، حتى لا ترى وجهك القمري أسود اللون.

احفظ أنفاسك هادئة داخل روحك، واكتمها مثل الغواصين، فإن وجدت ذرة  
تختلج داخلك، لن تجد أثراً لتلك الصورة، لا تقض على وجودك، ولا تنم، ولا تظل  
متيقظاً، ولا تكن في الأصل، تذكر هذا جيداً، فأنت تملك ما تبحث عنه في الآفاق،  
فافن عن نفسك؛ حتى تدركه مثل العشاق.

## ٦ - قصة أحمد الغزالي<sup>(١٩٦)</sup> (٦٧٥٣ - ٦٧٦٥)

تحدث أحمد الغزالي ذات يوم، أمام الصوفية الأبرار قائلاً: عندما جاء يعقوب من بيت الأحزان إلى مصر، للتمتع بلقاء يوسف الفاتن، أقبل يوسف نحوه مسرعاً، واحتضن أباه الحزين بقوة، عندئذ كتم يعقوب صرخة قائلاً: أين يوسف؟ أوقع في البئر؟ فقالوا له: ماذا تقول؟ إنك تحتضنه، فعماً تبحث؟ لقد شممت رائحة قميصه من كنعان، وعندما رأيته الآن، تقول إنك لم تره.

فأجاب النبي يعقوب، لأنني صرت اليوم يوسف فجأة، لقد شممت دون شك رائحة من يوسف، لأنني كنت آنذاك يعقوب، أصبحت الكل، فأين يوسف؟ لأنني وجدت نفسي، فهذا كاف لي.

إن خفضت رأسك حيناً، ستجد علامة عما تبحث عنه، ولكن إذا ما تحررت من كل شيء، لن تصبح حزيناً ولا مسروراً، فإخذونك من تحت الفلك الدوار، ويكسبونك لون الرجال.

## ٧ - قصة أبي علي الفارمدي (٦٧٦٦ - ٦٧٧٨)

هكذا قص السالكون، عن أبي علي الفارمدي أنه قال: أيها الرجل! لا تسعد بالإقبال، ولا تحزن من الخسران والتردي، ولا تعتبر قبورك غنيمة، وإن رددت لا تحلها إلى هزيمة أبداً.

فعندما لا تنخدع بالنعمة لحظة، لا تقع أسيراً لحزنك عند البلاء، وعندما يساعدونك للوصول بكل وسيلة، كيف لا تتشبث بالوسيلة؟ ووراء هذا كله، لون مختلف، وهناك تكتسب لوناً آخر، وإذا ما اكتسب ثوبك البالي هذا اللون، يتعطر العالمان من رائحتك، وإن اكتسبت هذا اللون فأنت طاهر بلا علائق، فيشمل من وجهك جسدك وروحك.

إن أدركت هذا اللون، أيها الفريد، لن يلزمك أي شيء آخر، إلى الأبد، وكل شيء يكتسب قيمته منك، فكيف تهتم بشيء آخر آنذاك؟ إنك دائماً مقيد بوجودك دون عذر، وكل ما تملكه خالد، وعندما تمحى في الألوهية بصفة دائمة، فسوف يُطلب منك، أما أنت فلن تطلب شيئاً.

#### ٨ - قصة سؤال المجنون عن ليلي (٦٧٧٩ - ٦٧٨٩)

سأل صديق المجنون عن ليلي قائلاً: هل تحب ليلي كثيراً؟ فقال له المجنون: بحق العرش والكرسي، إن كنت أحبها؟ فلماذا تسأل؟ قال صديقه: لأنك تكثر من نظم الشعر، وتعزف عن الطعام نهاراً، ويضنيك السهر ليلاً، وتعيش وسط التراب في لوعة تامة، فمن أجل من كل هذا العشق؟.

فأجابه المجنون: لقد مضى ذلك الآن، وأصبح المجنون هو ليلي، وليلي هي المجنون، ارتفعت الاثنيانية الآن، وأصبح الكل ليلي، وتنحى المجنون، مثل اللبن والخمر عندما يختلطان معاً، ويتخلصان من نقص الاثنيانية.

عندما تظهر الأحدية، لا مجال للاثنيانية، فقد حل الحبيب، فإن تمنيت وصاله بروحك، اذهب، وافن عن نفسك؛ حتى يظهر هو، افن بحيث لا تستطيع، أن تجد نفسك في الحياة مرة أخرى.

#### ٩ - قصة أبي يزيد والمسافر<sup>(١٩٧)</sup> (٦٧٩٠ - ٦٨١٥)

قدم شخص غريب لمقابلة أبي يزيد، فدق الباب بدون كلفة، وكان الشيخ السديد الرأي واقفاً وسط المنزل، مستغرقاً في التفكير، فقال للزائر: من أين أتيت؟ قال له الغريب: رجل حال وغريب، جئت من مكان قصي، من أجل لقاء أبي يزيد، فأجابه الشيخ الوضاء قائلاً: أيها الدرويش، مضى اليوم ثلاثون عاماً، وأنا أريد رؤية أبي يزيد، بحثت عنه كثيراً، ولكن لم أر له أثراً، لا أعلم ماذا حدث؟ وأين مضى؟ فقد

انفصل عني منذ ثلاثين عامًا، خمدت أنفاسه داخل ذهب وجوده، فنسيت أمره طوال ثلاثين عامًا.

من يُمحي في الذهب إلى الأبد، لا يعرف شيئًا عن نفسه أبدًا، لكن الكيمياء أبدًا هي نور الله، يقذفه داخل قلوب السالكين، فإذا ما ومض نوره على كافر ولو للحظة، تفيض أنواره على الدنيا. فعندما سطع ذلك النور، على سحرة فرعون، آمنوا بعد كفرهم<sup>(١٩٨)</sup>. وإن تلاً على امرأة عجوز، جعلها من رجال الطريق مثل رابعة. وإن برق على ضارب بالفأس، جعله مثل الخرقاني<sup>(١٩٩)</sup> عظيمًا يمتلئ بالإعزاز. وإن اتحدت ذرة منه بمعروف<sup>(٢٠٠)</sup>، عرف بالتدين وتحول إلى الإسلام.

وإن ظهر أمام الفضيل<sup>(٢٠١)</sup>، يتحول عن قطع الطريق إلى طريق الأسرار. وإن تمكن من روح ابن أدهم يصبح قلبه سلطانًا للعالمين، وإن سرى في جسد، تحول ترابه إلى قلب، وإن خفق داخل قلب، صار روحًا طاهرة. وإن أدركت روحك ذلك النور، فازت بالعالمين، بعيدًا عن الوجود، وعندما يحيل ذلك النور روحك إلى المحو المطلق، يصدر عنها «سبحاني» «وأنا الحق».

وعندما تجيء إلى ساحة الخلد بإخلاص، يصلها الخطاب من الحضرة الخاصة بإعزاز، فتكون هذه الرسالة من الملك الأوحى، إلى الملك الخالد، ولأننا نرتدى ثوب خاصيتها، فالرسالة من القدوس إلى القدوس، ولأنه يمكنك أن تخلد مثل القدوس، فاحل جسدك إلى قلب، وصير قلبك روحًا أيضًا، ولأن الروح منحتك صورتك وصفاتك معًا، فتعالى لتمنحك المعرفة أيضًا.

## ١٠ - قصة السلطان محمود والشيخ الخرقاني (٦٨١٦ - ٦٨٤٢)

عرج محمود في طريقه، على الشيخ الخرقاني وقت الصباح، وأراد أن يمتحن فراسة الشيخ، فاستدعي غلامه إياز، وارتدى ملابسه وقال: لأكن أنا الحارس، وهو الملك المفدى. وما إن نظر إليه الخرقاني، حتى قال له: إنك لست الحارس إنك

الملك، تقدم مني أيها الملك الدرويش، لقد أعزك الحق الآن، إنك يا محمود على الرغم من ملكك، إلا أن قلبك يميل إلى الفقر، وقد دان لك ملك العالم، وتريد أن يدين لك هذا أيضًا.

وأنت أيضًا ملك في ملك العالم، فلماذا تبحث عن كسرة خبز مثل الدراويش، ألم تر كيف حقق المحمود الخالد، ما أراد أن يفعله محمود؟ فأجرى بحار صفاته الخارجية عن نطاق الحصر، وخلق عالمًا يغص بالمعرفة والعارفين، ثم أظهر كل ذلك من أجل آدم، ووضعه بين يدي خلق العالم، وأحب أن يرى تلك الصفات في عبده، وأن يتجلى له فيها قائلًا له: حذار، لقد مرضت، فماذا حدث لك؟ إنك لم تعدني<sup>(٢٠٢)</sup>، طلبت الماء والخبز من بابك، ورددت دون هذا ولا ذاك، فأشتري منك أموالك ونفسك مرة ثانية، وأطلب منك دينًا، يا له من سر! وأنا مع كل هذا مشتاق لك ومحِب، فإن اشتقت لي حسن أمرك.

يا عزيزي! أنا لا أعلم أي أمر هذا؟ أي آلام، وأي عشق هذا، وأي نار؟ الربوبية استغناء خالد، والعبودية طريق العبيد، الاستغناء من صفات الربوبية، إلا أنه لازم في العبودية، يا إلهي إنه أمر جليل ولكن، لا علم لأحد بهذه الأحجية.

الإنسان في الحقيقة مثل إياز، خصه محمود بلباسه، في البداية منحك صورتك، ثم وهبك صفاته، وتسمى باسمك أحيانًا، وأحيانًا أخرى جعل اسمه لنا، ولكن لأنه ليس هناك أذن فماذا أقول؟ الله قريب. وأنت بعيد. فماذا أقول؟ كيف يمكنك الترفي إلى الحق، طالما بقيت في قيد نفسك، ولكن إن تخلصت من وجودك يمكنك اقتفاء أثره، وفي هذا السبيل، إن أردت مسك الغزال، لا تكن أقل من الغزال، وقت السحر.

### التمثيل بمسك الغزال (٦٨٤٣ - ٦٨٦٠)

قال الأساتذة المظفرون: إن الغزال يمضي مدة أربعين يومًا كاملة، لا يأكل تبنًا ولا شوگًا، بل يتناول الورد الطيب الشذى مرة أو مرتين، وعندما يمضي هذه



الأربعينية<sup>(٢٠٣)</sup> في طهر، ينهض وقت السحر، ويتنفس نسيم الصباح، ويتلذذ تلك الأنفاس داخله فوراً، فتسري تلك الأنفاس مع دماء روحها، وتتكون داخل سرتها نافجة مسكية، ومن تلك الأنفاس يظهر المسك، فيصير الخلق مريدين لتلك الأنفاس.

من يعلم في العالم بأسره ما يشبه تلك الأنفاس، التي يتحول منها الدم إلى مسك في لحظة واحدة، لأن الدم يتحول إلى مسك من النفس الطاهر، فمن الممكن أن يتحول الجسد منه إلى روح أيضاً، نعم عندما يحل نور الحق في روحك، يكتسب جسدك لون الروح في الحال، ماذا أقول؟ لا يمكن التحدث أكثر من ذلك، فليس لروحي أمر أكثر من هذا، إن صنعت الكيمياء اصنعها هكذا، ولكن وجهها في طريق الدين.

واطلبها من روحك، لماذا تسأل عنها الآخرين، اصنع هذه الكيمياء إن كنت رجل طريق، فهي الكيمياء الإلهية للروح. توجد بعد ذلك أسرار، لا يمكن التحدث عنها إلا فوق المشنقة، وبعدها توجد مقامات أخرى، لا أعرف إن كان أحد على علم بها، ولا أملك أن أدلك على هذه الطريق، فلا قانون عندي سوي الآه.

فإذا ما أذن لي شرحه، أتحدث عنه، وإلا أخفي الأسرار وراء الحجب.



## خاتمة الكتاب (٦٨٦١ : ٧٢٩٢)

حتى ولو يعلو الكلام إلى العرش المجيد، فهو أقل مكانة من شعر فريد، لا يتحدث مجاهز من العوالم العلوية، بما تحدثنا به أبداً، فقد أوصلنا الكلام إلى منزلة، يتعذر وصول شخص إليها، فأظهرت لك صحبة عيسى، وأوضحتها مثل الصباح من اليد البيضاء، ومن الحدايق الكثيرة التي بقيت تذكراً عني، أصبحت الدنيا مزدانة مثل ساحة الخلد، حيث يصل كثير من الشباب الليل بالصباح، ليسعدوا منها، والشخص الذي يفخر بأقواله، يتنفس بصفاء مثل الصباح الصادق.

إن كانت الحياة قد امتدت بالفردوسي إلى هذا العهد، لكان قد نظر برجولة وهمة إلى هذه الأشعار أيضاً، نعم فعندما تشرق الشمس، لا يبقى للصباح أي ذرة من الاحترام، ولأن بحر شعري جاء كاملاً، تفجرت آلاف العيون منه على الساحل، وشعري يشبه البحر، يتفجر منه كل لحظة، نبع ماء جار على كل ساحل، إحدى عيونه الشمس المهيبة، التي تفيض بنورها على الدنيا، وإن لم تستمد المدد من بحر شعري، لما أمنت ضربة سيفي.

يوم القيامة سوف تسود الشمس، لكن هذا الشعر الخالد يظل مضيئاً، حيث تنشده الحور الحسان في الخلد، على لحن العشق كل يوم، ولأن شعري كله يقوم على التوحيد الطاهر، فأني خوف إن قرأته في الخلد، فتحت باب الكنز الإلهي، وأسमित هذه المنظومة الهي نام (الكتاب الإلهي)، والعظماء القاطنون في السماوات السبع، ينشدون الهي نام للعطار.

فخري بهذا الكتاب عظيم، لأن الهي نام من فضل الله، حيث تتواتر لي النفحات

من الغيب كل ساعة، وتصل إلى أنفاس قراء شعري، ولأنني أرزق من الغيب، فلماذا أكون أسيراً لكل مسكين؟ وقد لان قلبي من الدرس اللدني، ولا يريد طعاماً ساخناً، إنني مثل وحشي وحيد في زاوية، يكفيني من العالم كأس من حساء حمزة<sup>(٢٠٤)</sup>، لأن وحشي هذا كان خائفاً من حمزة، فأبي صلة له بحمزة ووحشي.

إنني سجين هذه الدنيا، يكفيني منها منزل واحد، ماذا أفعل بطول الدنيا وعرضها، وبزرقة السماء وأرض الدنيا، فملكي هذا كاف، وما يعوزني هو البخور، ولأنني ملك في مُلك القناعة، فإنني أستطيع أن أفعل ما أريد دائماً.

#### ١ - قصة تلميذي المدرسة (٦٨٩٠ : ٦٩٠٨)

مرّ تقيّ عظيم في طريقه على إحدى المدارس، وفجأة شاهد طفلين، أمام أحدهما خبز وطعام، والآخر لا شيء أمامه سوى الخبز؛ فطلب الثاني من الأول بعض الطعام، لأن أمره لا يستقيم بالخبز فحسب. فقال الأول: إن تقلد الكلب، وتركض خلفي خطوة خطوة مثله، أمنحك الطعام، وإلا يكفيك الخبز المجرد، ولا شيء سواه.

فقبل الطفل ذلك الأمر، وجرى مثل كلب في الطريق، وربط له الطفل الآخر، حبلاً في عنقه قائلاً: افعل كالكلب، انبح وأسرع بالعدو مثله، خلاصة القول، فعل الطفل ما أمره به زميله، حتى جمع الطعام مع الخبز.

فقال التقي للولد: أيها الطفل الصغير، إن أدركت حقيقة الأمر، لقنعت بالخبز من زمانك، وأمنت نفسك من تقليد الكلب، وابتعدت عن الطعام، حتى لا تضطر إلى تقليد كلب.

وأنت إلى متى تقلد الكلاب؟ وتتعقب الدنيا من أجل جيفة وعظام، إن كان محمود قد منح الشاعر عدة دراهم، مقابل أخبار العجم. فإن نظمت أنت شعراً لا حد له، لن تجد درهما واحداً في حياتك، لأنه إن كان ذلك الشعر الغزير لا يساوي شيئاً، فإنه لم يساو عند الشاعر فقاعاً<sup>(٢٠٥)</sup> أيضاً، فانظر إلى همة الشاعر آنذاك، وانظر إليه الآن وقد

مضى عن الحياة، بحمد الله لي مكانة رفيعة في الدين، ومستغن عن الناس في الدنيا، كل ما يلزمني، لديّ أكثر منه، فلماذا أمد يدي إلى ما هو أكثر.

## ٢ - حديث عابد لله (٦٩٠٩: ٦٩٤٢)

قال أحد العبّاد المطلعين على الأسرار ذات يوم: إن كل شيء موجود ويلزمك، عزوفك عنه أفضل منه أيضًا، وافتقارك للأسباب في العالمين، أفضل من وجودها، وإن أضحي العالمان دارين للسلام، تنعم فيهما روحي، فهذا كاف وتام. ولأن روحي طاهرة كالفردوس، فلي مائة مشتر في قوسي.

هذه هي الجنة، وليست جليسا، هي قلب مفعم بسر العشق، وليست محرما، ولأن كل جليس أراه حجابا، فجليسي هو الكتاب في كل لحظة، ولأنني لا أرى شخصا معي، فإنني أفضي بغمي للكتاب، ولي في قرارة نفسي ألم وشجن، ينبعث منه هذا الكلام، فلو نبست بالقليل أو تفوهت بالكثير، فلماذا أبحث عن أحد، ولا أقوله لنفسي، مددت يدا حول الدنيا، فلم تواسني، على أي وجه، وإن فعلت، فقد منحني نفسا واحدا، بل لم تمنحه لي إنما منحني الأسف والأسى، إن كان للصباح جليس، إلا أنه لم يتحالف مع صديقه بصدق.

لم أر من بين العديد من الناس، شعرة واحدة من الوفاء في أي مكان، ولأنني أيضًا لا أملك ذرة من الوفاء، فمن غير الجائز البحث عن هذا الوفاء عند الغير، ولأنني لست محرما لنفسي لحظة، فمن يكون محرمي في العالم؟ لم أر رجلا من رفاق الدين، ولم ألحظ صفاء من الإخوان، كثيرا ما طفت أينما وجدت، ولا أعلم ماذا استفدت من هذا الذهاب.

أيها القلب! لقد مضى ندمائك، وذهب رفاقك وأقرانك، وأنت إلى متى يبقيك غرور المعاملة، فلتمض، فحتام وأنت تطوي اليوم والغد، انشغلت بالعالم مثل الغافلين، لو تفكر في وجودك برهة، افعل أمرا، فالوقت لديك اليوم، وأشعل نارا إن

كانت لديك لوعة، لقد نام الجميع الثمل منهم واليقظ، وأنت متى تستيقظ من النوم؟ وإلى متى تتحدث بهذه الأقوال الجوفاء؟ إن ما يلزمك هو نوم عميق.

جاء كلامك مثل إبراهيم، فلماذا كان عملك كالنمرود، عندما تستطيع أن تموت كرجل طريق، فأى حسرة أن تموت كالميتة، مضيت طويلاً حول أقوال الآخرين، فاخط في الحال إن كنت هماماً، وإن اطمأن قلبك بالأقوال، أنى لك أن تكتسب أحوال الرجال؟

فهذه الأقوال ليست أكثر من قشور، فاطلب حالاً آخر، مثل الرجال، لقد وهبت عمرك العزيز كله للكلام، فمتى تعمل؟ ولم يبلغ شعرك حد الكمال، فهو عندما تدقق النظر فيه حيض رجال، ولو تسلل إلى قلبك من المعرفة، لما كان لك شأن بالكلام، إنني أرى الشعر صنمك دائماً، فليست لك حرفة سوى عبادة الأوثان.

### ٣ - قصة أويس القرني (٦٩٤٣ : ٦٩٧٩)

سأل أحد الأتقياء أويس: يقال إنه مضى ثلاثون عاماً، منذ أن حفر فلان قبراً لنفسه، وهياً كفنه، وقبع أمام القبر، لا يكف عن البكاء لحظة، هجره الهدوء نهائياً، وجفاه النوم ليلاً، وجفت دموعه من كثرة البكاء، ولم يعرف في الدنيا أبداً، مثل خوفه ووجله. هل رأيته المرشد الطاهر؟ قال له أويس: خذني إليه.

وعندما وصل إلى هناك، وجده وقد فقد نصف روحه، فزعاً من سيف الموت، كان في ضعفه ونحوه يشبه الخلال، وصار وجهه الشبيه بالبدر مثل الهلال، تنساب الدماء من عينيه مثل السيول، قلبه دام، ولسانه مثل شعلة النار، الكفن أمامه، والقبر محفور بجانبه، وهو جالس أمامه مثل ميت.

فقال له أويس: أيها البعيد عن الأسرار! لقد جانبك الصواب بهذا القبر وذاك الكفن، إنك تعبد خيالك، وتعبد القبر والكفن، شغلك القبر والكفن، وعزلك عن الحق مدة ثلاثين عاماً، إنك ظللت ثلاثين عاماً، تعبد القبر والكفن، فقطعت على

نفسك طريق الله.

وما إن أدرك الدرويش المجذوب آفته، حتى فاضت روحه، لأنه غفل عن سر الحقيقة، أطلق صيحة، وسقط داخل القبر، وطار مثل طائر من شرك الوجود، مات وتحرر من عبادة الأوثان، مثل هذا الرجل مع زهده المتناهي، كانت له حجب عديدة من القبر والكفن.

وأنت أسدلت حجابًا من الشعر، فإلى متى يعوقك هذا الصنم عن الله، لقد حطمت كثيرًا من الأصنام المختلفة، والآن أنا عابد للأصنام أمام شعري، حطمت آلاف القيود الخشبية، وقيدى الآن من العشق الذهبي، فإن تركت قيدي أتحرر، وإلا فسوف أنقلب داخله وأموت، وكيف أتحول عن الله إلى صنم، وقد أفضيت بسري إلى الله، البلاء الذي أحاط عنقي، أعلم يقينًا أنه صدر مني أيضًا.

الكلام الكثير الذي قرأه العطار عليك، لو أنه قرأه على نفسه مرة واحدة، لنفذ من السماء السابعة، وصار أعلى من القديسين، يا لها من قصة، فمن شؤم الكلام، يأنف الكلب من الحديث مثل الناس. أيها القلب! إن مقرك ليس هنا، هنا خسرانك، وتردي جاهك، فانزع عن رأسك وجودك وجاهك، وتقيد بالدماء وأصدر الآهات.

كنت مجرد لسان زمنًا طويلًا، والآن صر أذنًا من رأسك إلى قدميك مثل الرجال، فكثيرًا ما أصاب المتكلم آفات من لسانه، وإن صمت أدرك ذهب العزة، ورأس القلم يُبرى دائمًا، لأن له لسانين داخل فمه، والميزان إن أخرج لسانه من حلقة، تحاسبه الأيام على كل شعيرة. وغدًا في يوم الحشر، سوف يشهد لسانك على محتكك، وقد ترعرع السوسن في حرية، لأنه اختار خمر الصمت، ولأنك سوف تصير مثل جبل صامت، فلا تموج بالزبد فوق شفتيك كالبحر.

#### ٤ - قصة في موت الإسكندر الرومي (٦٩٨٠: ٧٠٢٥)

بعد أن انتقل الإسكندر من الحياة الدنيا، قال أحد الحكماء: أيها الملك الميمون،

لأن نهايتك هي الاختفاء تحت الثرى، لماذا أحطت نفسك، بكل ذلك النعيم؟

وأسفاه! على حياتي، فإن عملي ليس سوى الأسف دائماً، عندما استعرضت فحوى حياتي، فقدت الأمل كلية من نفسي، فقد كنت دائماً في فكر نفسي، وفي ضررها طوال حياتي، وبقدر ما تيسر لي من علم، انقضى عمري كله في الأسوأ على أمل الأحسن، وعندما سلبت الحياة صحتي، جاءت بالمرض، وأخذت الشباب، وبدلته بالشيخوخة، ولم يعد لي جسم ولا روح؛ لذلك لا أريد أن أحيأ لحظة واحدة، ولم يعد لي من وجهة سوى الموت، لأنه لم يبق من الحياة سوى لحظات.

وعلى الرغم من أنني لم أر من الفناء شيئاً، إلا أنني لا أرى وجهة سوى الفناء، لي حيناً مآثم وحيناً عيد، فلي حيناً وعد وحيناً وعيد، كان لي قلب من ملك العالم أجمع، هلك كله فلم أعد أعلم شيئاً عنه، ما أجمل الألم المتنوع للقلب! فهو نار وهو أيضاً حياة للقلب، الغوص في هذا البحر يقين، ولكن كيف أخرج منه؟ هذا هو الخوف، لماذا ينقبض قلبي من الموت، فأنا لا شيء، ولا يحتوي قلبي على شيء قط.

انقضى عمري كله في الحكايات، فمن ذا الذي يتمنى عمراً آخر؟ إنني فقير، فقد اختل عملي، وغاصت روحي في الوحل من الحيرة، وبقيت مثل قوم موسى في التيه، وبقيت أيضاً في التشبيه من التعطيل، لم يقبلني الله، ولم يردني، بقيت بين الكفر والإيمان، والآن جلست في زاوية حائراً، مستنداً بوجهي على يدي، فلو لزمتك ألم عظيم، اجلس لحظة أمام قلبي، فلدي كثير من الحزن والغصة، كأن مائة جبل جائم على قلبي، ولي في كل لحظة مئات الآلاف من الآلام، تنسكب على هذا القلب من العالم مثل المطر، ولأن ورد عمري الغالي قائم على شوك فقد نزعت، وما زلت أكمل العمل.

ولأنه لا يمكن شرح حياتي، فقد ابتلعت أنفاسي في حلقي، وصرت أبكم، ماذا أقول؟ فما أقوله قد قيل، ولمن أتحدث؟ والخلق جميعاً غافلون. ولسان العلم يغلي مثل الشمس، ولسان المعرفة أبكم إلى الأبد. شرحت ثمل حيرتي بإخلاص،

واسترحت مثل حفنة التراب تحت الثرى، تقول لي: لا تقل، لن أقول شيئاً آخر ماذا أفعل؟ إنني أحترق إن لم أقل، يسألني دائماً عن الكلام، ولا يسألني عن لوعتي.

يا عزيزي قلت لك القصة، فلا تبخل عليّ في النهاية بدعاء، إن وصلني منك دعاء طاهر، تنعكس أنواره المتلائة عليّ داخل القبر. ولأنه لا يتحقق شيء لأحد، وإن تحقق لا يدوم، فمن الأفضل له أن يأتنس بدعاء وقت السحر دون نفاق ولا رياء، والآن اطلب الدعاء لي بإخلاص، من أصحاب القلوب في الخلوة الخاصة، وهدفي من هذا القول، ليس أكثر من الدعاء.

يا عزيزي لأن الأمر المنزه عن الغرض، لا يكون إلا من الله. ذكرت لك أحوال الرجال، فإن كنت رجلاً، لا تنس أقوالي، وإن أدركت ذرة من هذا السر ذات يوم، يتأجج صدرك بالنيران، بصورة دائمة، وإن أقمت مأتماً في هذا الأمر، يليق بك النواح، لكنك من الغفلة، بحيث تستمع إلى النواح، وتعتبره ألعوبة.

ولأن النواح لائق بالأحرار، فالسالكون مثل النائحين، فإن كنت عاشقاً يبحث عن معشوقه، أو كنت سالكاً متدلّهاً، فلا عمل لك سوى النواح، ولا اختيار أمامك سواه، إنك تبحث عن أثر من العدم، ولا تهتدأ عن هذا البحث لحظة واحدة، لأنك لم تفقد شيئاً، فعجباً لأمرك! لماذا تبحث وتنقب كثيراً؟

#### ٥ - قصة ناخِل التراب (٧٠٢٦ : ٧٠٣٢)

قال شخص لرجل ينخل التراب: إنني أتعجب لأمرك، تبحث عن شيء لم تفقده، وتعجز عن إيجادهِ، إنك لن تجد أبداً ما لم تفقده. فأجابه الآخر: الأكثر عجباً مما قلت، هو ألا أبحث عما لم أفقده، فأنألم للغاية، وهذا أمر عجيب، وأكثر عجباً مما قلته في البداية، إن ما أبحث عنه لا يمكن العثور عليه، ولا يمكن افتقاده، ولا الصمت في طريقه ولا البيان، المقصود هو: طالما لا تفنى، فأنت غير موجود، إنك لست كأيوب ولا زكريا، فلتكن كليهما.



## ٦ - قصة أيوب (٧٠٣٣: ٧٠٤٦)

قال أحد العظماء: إن الهدف من ابتلاء النبي أيوب بالمرض والغم لسنوات عديدة، كان التأوه والآهات، فعندما تأوه، نجاه المعبود. وإن زكريا عندما وجهوا المنشار إلى رأسه، جاءه هاتف: إن أصدرت صوتاً، أمح اسمك من بين الأنبياء، لا تصدر نفساً، حتى يقضي عليك المنشار.

انظر إلى عجائب الأمور، فقد طلب الحق من الأول التأوه، بينما طلب من الآخر الصمت، الأول لم يكن يستطيع التأوه، والثاني لم يمكنه الصمت فاتعظ. إن الجسم والروح مثل بحر، لا بداية له، ولا قاع، ولا وسط، في هذا البحر، لا يجوز الصمت، ولا الكلام، ولا يليق بالسكون ولا الحركة.

أيها الهمام، إن وجودك غامض؟ فكيف تسلك وأنت لا شيء، أمامك آلاف من الحجب من الظلام والنور، فكيف تطوي الطريق البعيد؟ وأمامك آلاف من الأغلال حتى القيامة؟ فكيف تسلك صوب السلامة؟ عندما يسقط الحجاب، تسطع شمس من لطف الحق، وما إن يشع ذلك اللطف الإلهي، حتى تشفى آلاف الآلام.

## ٧ - قصة الأعرابي والرسول (٧٠٤٧: ٧٠٥٨)

جاء أعرابي إلى الرسول، وقد جمع ثوبه على شيء ما، وقال للرسول: إن قلت ماذا أضع داخل ثوبي، أسلم على الفور، فقال الرسول: تخفي حمامة، تحمل صغيرها تحت جناحيها. ومن صدق الصدر العالي المدهش؛ أسلم الرجل في التو والحال، وقال للرسول: من قال لك هذا أيها الرسول؟ فقال الرسول: الحق، السلطان الأكبر.

في تلك اللحظة، تعجب الحاضرون من العرب، من أمر تلك الحمامة، ففي تلك اللحظة كانت الحمامة، تحتضن صغيرها تحت جناحيها بقوة.

فقال الرسول: أيها الصحابة والأنصار! لماذا تتعجبون من هذا الأمر؟ بحق تلك

الألوهية التي أظهرتنا في الوجود، إن الله أكثر إشفاقاً مائة مرة على كل عاص في الدنيا، من هذه الأم التي تحتضن صغيرها، والتي شعرت بشفقتها اليوم.

#### ٨ - حديث في الرحمة الإلهية (٧٠٥٩: ٧٠٦٥)

رُوي في الأخبار، أنه غداً عندما يواجه العبد، الجبار، ينادي الجبار على العبد سبعين مرة، ولا يجروُ العبد على مواجهته من الخجل، فيقول له الحق: اهدأ قليلاً، فالיום يوم المصالحة، ارفع رأسك، إلى متى تحجم عني؟ اعتبر كل سيئاتك كأنها لم تكن، يا عزيزي إن الأمر سهل مع الحق، وإن وجد الداء فالدواء مع الحق، ولأن الأمر سهل مع الحق الخالد فلا يجوز أن تستهول الأمر.

#### ٩ - قصة رؤيا أبي سهل<sup>(٢٠٦)</sup> (٧٠٦٦: ٧٠٧٤)

ذات ليلة، في وقت السحر، رأى أبو سهل الصعلوكي في منامه فجأة، أن أبا سعيد أقبل من بعيد، والأنوار تسطع من وجهه، فتضيء الدنيا، وتتعطر الأرض من شذاه، فسأله أبو سهل: أيها الشيخ الفاضل! حدثني بما فعله الله معك، لأنني أحترق خوفاً من عقابه، فأجابه أبو سعيد:

الأمر مع الحق أسهل مما يعتقد الضعفاء من الناس، إن أيدك لطف الله، تزدهر الدنيا ببهائك، وإن شغلت بمائة عسيان، وقمت بطاعة واحدة، يتحقق لك القبول.

#### ١٠ - قصة الرسول وامرأة فاسقة (٧٠٧٥: ٧٠٨٨)

قص الرسول هذه القصة: كانت امرأة ساقطة خارجة على الدين، أعمالها السيئة كالطين، وذات يوم كانت تسير في الصحراء، فشاهدت بئراً في طريقها، بجانبه كلب يلهث من شدة العطش. فأشفقت عليه، وتوقفت عن سيرها، وجعلت من خفها دلواً، ومن ملاءتها حبلاً، وأخرجت الماء، وسقت الكلب. فأكرمها الله في الدارين، وقد

رأيتها ليلة المعراج كالمقر وسط جنة عدن.

وهكذا كان ثواب المرأة الفاسدة التي سقت الكلب، لا حد له. وأنت إن أرحت قلبًا للحظة واحدة، فثواب ذلك لا يسعه العالمان؛ لأن القلب الذي يهتم بغيره، يكون ثوابه أكبر من العالمين.

اقض على وجودك، وافن بهمة حتى تدرك الرفعة في الفناء، الأنانية أصابت إبليس باللعنة، وتزيده على الإنسان أصابه بالغرور، إن تطهرت من إبليسك، تصبح مثل آدم من تراب طاهر، وإن كان إبليس قد قال: أنا خير منه، إلا أن أمله خالد في رحمة الله.

#### ١١ - قصة شبلي وإبليس (٧٠٨٩: ٧١٢٣)

كان شبلي الإمام التقي يمر في عرفات، ذات يوم، فوقعت عيناه على إبليس فجأة، فقال لذلك اللعين: أيها المعلنون من الحضرة، إنك لا إسلام لك ولا طاعة، فلماذا تمر بين هذه الجماعة؟ ألم يدم كبذك من هذا اليوم الأسود؟ أما زلت تأمل في رحمة الحق؟

وعندما سمع إبليس الحزين هذا الكلام، تحدث، وقال: يا شيخ العالم! لقد عبدت الحق مئات الآلاف من الأعوام بين الخوف والرجاء، وأرشدت الملائكة إلى الحضرة، وأوضحت السبيل إليها لكل عاص، وكان قلبي مفعماً بعزته، وأقررت بوحدانيته، فإن كان قد طردني من حضرته على الرغم من كل هذه الأعمال، دون سبب، فحتى لا يجرؤ شخص من خلق الله على التساؤل عن سبب الطرد.

وإن كان سيعفو عني ثانية دون سبب، فما وجه العجب في عدم إفصاحه عن هذا السر؟ لأنني طردت من رحمته دون سبب، فسوف يعيدني إلى حضرته بلا سبب أيضاً، لأنه ليس هناك علة وكيفية في إرادة الله، فلا يجوز إذن قطع الأمل من الحق، عندما نفذ حكم قهره، وطردني، فليس من العجب أن يعيدني ثانية إلى فضله.

إنني لا أعلم ولا أعرف يا إلهي! فأنت تعلم، وأنت تعرف ما تريد، تقرب واحدًا وتحيطه بإعزازك، وتطرد آخر بحرقه شديدة، ليس بسبب طاعة الأول، ولا إثم الآخر. فلا مناص لأحد من حكمك، بحقك أيها المبرأ عن الشبه، يا من تُفني الخلق في ساعة واحدة، تتجاوز عن إثمي ووضاعتي، وانظر إلى هذا الحقير، بفضلك، ولا تسحلني بذلة تحت أقدام فيل قهرك بينما، فلا يحتوي قلبي على جرأة نملة، وليس لي قوة صدر نملة فلا قبل لي بفيل قهرك.

لقد انتابني الحزن، فاسعد قلبي إما أن تقتلني، أو تحرر رقبتني، إن أسأت فإلى نفسي، قد تعاظمت ذنوبي مع أفضالك لي، إن كنت قد فعلت خيرًا أم شرًا فأنت تعلم أنني فعلته لنفسي، إنك في غنى عن حسناتي وسيئاتي فتجاوز عنهما، ويسر لي أمري، إنك كنت مكبلًا بالحسنات والسيئات إلا أنني لن أتحدث عن الخير والشر والشر والخير، إن تهب الحظ فجأة، فلتهبه الآن بلا سبب أيضًا.

لأنك منحتني وجودي دون سبب، فأغرقني في وجودك دون سبب أيضًا، إن راحتك لا علاقة لها بعذابي، لذلك فلا علة لعفوك، لا تمزق الحجاب عن أفعالي، وتجاوز عنها.

ألا يصير الكافر الذي يؤمن مؤمنًا، من أول يوم؟ وبشهادته يغسل نبع السعادة قلبه من سنوات الكفر المديدة، يا إلهي! إن كنت قد جئتك داميًا، اعتبرني آمن الآن فحسب، وعدني تائبًا مثل ذلك الكافر، واعتبرني مثل مسلم حديث العهد بالإسلام.

## ١٢ - قصة ربط أبي يزيد للزنار (٧١٢٤: ٧١٤٩)

عندما كان البسطامي في النزاع الأخير قال لرفاقه: أيها القوم الصالحين، احضروا لي زنارًا الآن؛ ليربطه هذا المسكين المجذوب. فتعالت صيحات القوم قائلين: لا صلة لك بالزنار، فكيف يجتمع لك يا سلطان الأسرار العرش والزنار؟ فعاد أبو يزيد، وطلب الزنار من أصحابه، ولم يستطع أحد تلبية طلبه. وفي نهاية الأمر ألح الشيخ

وأصر، ولم يعرف أحد حلاً لهذا الأمر، فقالوا جميعاً إن كان القدر قد كتب على الشيخ الشقاء فلا جدوى.

وأحضر له أحدهم الزنار، فربطه، وانهمر الدمع من عينيه، ثم مرغ وجهه بالأرض، وانتحب بروح محترقة وقلب ملتاغ، ونثر الدماء من عينيه التي تمطر دماً، ثم مزق الزنار، وتحدث قائلاً:

أيها القيوم المطلق! بحقك وأنت الخالد الحق، الآن مزقت قيد الزنار، فاعتبرني مجوسياً طوال هذه السنوات السبعين، بل مجوسياً تاب في هذه اللحظة، وأصبح بفضلك صاحب سر، أنا ذلك المجوسي، وقد تبت الآن، وإن كنت قد تأخرت، إلا أنني تبت، قال هذا، وقرأ الشهادة، وبكى بحرقة كبيرة.

إن كنت قد خرجت على حدود الطاعة، فاعتبرني آمنت الآن فحسب، لأنك يا إلهي تعلم أنني لا شيء، فماذا تنتظر من عدمي هذا؟ آلام قلبي لا حصر لها؛ لأنني أحييه بالمال والملك، إن قلبي خرب ومحترق فكيف تطلب خراجاً من مكان خرب؟ إن طلبت العجز، فهو يربو على الحصر، وأنا لا أعرف أحداً عاجزاً مثلي، ولا يعلم بغصتي أحد سواك، وأنت تعلم، ولا يعلم عداك.

لماذا أتحدث؟ فأنت تراني دائماً وعمن أبحث؟ فأنت حاضر معي كل لحظة، أنت ترحم، إن طلبت منك أم لم أطلب، وأنت تعلم إن شرحت لك أم لم أشرح، لأن الأغلال قد قيدتنا نحن البائسين فماذا نستطيع؟ ونحن على هذا النحو من البؤس، ولأنه لا نفع من الخلق ولا ضرر فلتشمل برحمتك العصاة.

### ١٣ - مناجاة إبراهيم بن أدهم (٧١٥٠: ٧١٦٢)

وقف إبراهيم بن أدهم أمام الكعبة، وأخذ يقول للحق: يا مالک العالم! اعصمني، واغفر ذنوبي، وامح آثامي التي اقترفتها. عندئذ هتف به هاتف، إن هذه العصمة التي تطلبها من الحضرة، هي نفسها التي طلبها مني الخلق جميعاً، فإن حققت لكم جميعاً

رجاءكم، لبقيتم جميعاً معصومين، فتحرموا من رحمتي. وإن عصمت الجميع إلى الأبد فلمن أغفر يوم القيامة.

إن بحار الرحمة آلاف لا حصر لها، لكن عبدك خائف، فلا أعلم ما نهاية حرمانني؟ وما طريق عقلي التائه؟ ليس لي في الدنيا سوى نصف روح وآلامها ولسان يشرح حالتي.

إنني لم أر من العمر سلامة، ورأيت أذى كثيراً، ولم أر نفعاً، إنني راض بالموت من هذه الحياة، وإن منحتني النجاة بعد ذلك، فأنت قادر، إنني غارق من مفرق رأسي حتى أخمص قدمي، فلا يوجد مجال لجرح آخر في كل لحظة.

#### ١٤ - قصة صوفي أمام دكان<sup>(٢٠٧)</sup> (٧١٦٣: ٧١٨٧)

وقف أحد الصوفية أمام دكان وقلبه مفعم بالألم والأسى، وطلب صدقة من صاحب الدكان، فلم يجبه إلى طلبه، فأطال الوقوف أمام الدكان، فتحدث صاحب الدكان وهو مستاء قائلاً: إنني لن أعطيك شيئاً إلا إذا أصبت بجراح، إن جرحت نفسك، اطلب مني النقود وإلا، فابق على هذا النحو.

وعلى الفور خلع الصوفي ملابسه، وقال له: انظر إلى جسدي، لن تجد مكاناً واحداً من رأسي حتى قدمي لا تدميه الجراح، قل لي أين أجرح بعد ذلك؟ فإنني لا أجِد مكاناً بلا جراح، وإن وجد بي مكان لا أثر للجروح فيه، لا تكون عين السوء جريرة منك آنذاك، فأنا لا أدخل من الجروح من قدمي إلى رأسي، فامنحني شيئاً تهبني به الراحة، إن جسدي الآن كله جروح، وقد حل الدور على روحي الآن.

يا إلهي! إنني مثل ذلك الصوفي المستجدي، لا يوجد مكان على جسدي لا تكتنفه الجراح، وحيثما تبحث، وتدقق النظر، فمن رأسي حتى قدمي يكتنفه الجروح، اللحظة التي التمس فيها الراحة هوينة هي التي تشغل رأسي فيها بالجراح، إن لم أصب بمئات الجراح كل لحظة فلن أدرك الراحة في عمري، وإن لفتني الآلام من

رأسي حتى قدمي، ومللت هذه الآلام، أكن كافرًا.

يلزمني عشقك من العالم أجمع، فليس لي وجود، لأنني متدله بعشقتك، وأسفاه! أنني لا أملك مئات الآلاف من الأرواح؛ لأنثرها تحت أقدام عشقتك، مثل المطر. عندما ترامت كلمة هو إلى مسامعي، صرخ وجودي كله بها. رأيته فمحوت وجودي، وبقيت بك، وفنيت عن نفسي، إن ظلت على هذا النحو، فهذا هو الكمال. وإن عدت إلى نفسي، فهذا هو الزوال.

يا إلهي! خذ بيد هذا العاشق، وخلصني من هذا السجن المحزن، في تلك الساعة عندما تصعد روعي إلى حلقي، لن يبقى لي أي أمل في الدنيا، فامنح جسدي ضياء اللحد، وامنح قلبي المعرفة الأبدية. وعندما يزول ملك وجودي، لا تحرمني من بحر وجودك.

#### ١٥ - قصة هارون الرشيد أثناء النزاع (٧١٨٨: ٧١٩٤)

عندما سقط هارون الرشيد ذلك الرجل الوجل داخل شباك الموت، نزل عن العرش، وألقى بالتاج، وهام بين التراب والرماد، ثم وضع وجهه على الأرض بذلة، وتحدث قائلاً: أيها العادل الطاهر! بحقك تعالى يا إلهي! يا من لا يزول ملكك أبداً، ارحم هذا المسكين الذليل الذي تهاوى ملكه، ووضح له مصيره من أجل قلبه الثمل المفعم بالمعاناة والآلام.

#### ١٦ - قصة الشيخ أقطع<sup>(٢٠٨)</sup> أثناء النزاع (٧١٩٥: ٧٢٠٤)

عندما دنا أجل الشيخ أقطع، بكى بحرقة شديدة على نفسه. فقالوا له: أيها الشيخ الميمون الطالع! أتخشى الموت إلى هذه الدرجة؟ فقال: إنني مشتاق للموت، ولا أمل لي من العالم سوى الموت، ولكن ما أخاف منه للغاية هو أن تغرق سفيتي هذه اللحظة، فلا أعلم على وجه اليقين هل ستسقط هذه السفينة إلى القاع أم تسلم؟ إن تغضب عليّ، تغرق سفيتي، وإلا فمآلي الجنة إلى الأبد، والآن متردد بين هذين

المقامين، ولهذا أبكي؛ حتى يتضح لي من أي فريق أنا؟ من قاد سفينته فوق اليابسة مائة عام، كيف يكون حاله، إن غرق الآن؟ لكن أمل هذا البائس هو أنه يحفظ روحه حرزاً لدى الحق.

#### ١٧ - قصة إيداع الأمانة لله (٧٢٠٥: ٧٢١٧)

اعتاد صديق عزيز أن يتلو الشهادة بصدق كل ليلة، قبيل النوم، ثم يقول للحق: يا إلهي! اكرمني، وخذ هذه الأمانة فترة مني، فأنت الأمين، ولا أمين على وجه الأرض سواك، ماذا أقول؟ فلا أمين غيرك، حتى إذا ما لزمني دواءك هذا تدركني به عند عجزتي، وعندما دنت منيته عجز عن الكلام ثلاثة أيام كاملة.

وعندما زرته، كان يلفظ أنفاسه الأخيرة، ووجدت عقدة لسانه قد حلت، ونطق بالشهادة، وما إن قال الشهادة، حتى أسلم الروح بعد أن هتف به هاتف: انتظر أيها الرجل، وخذ هذه الأمانة التي كنت تودعها لدينا، كل ليلة، في عبادتك، حتى يعلم الرجل الفطن أن الله لا يضيع أبداً عمل شخص صالح.

يا إلهي! لو أن قلبي مفعم بالأمل، فليس هذا من الطاعة، بل من شعري الأبيض، إن اعتمادي على العبادة غرور كبير، فكل ما صدر عني هو القصور بعينه، ولأن عفوك ليس له سبب، فإن عفوت عني قليلاً فلا عجب.

#### ١٨ - قصة طلب السجاوندي لعبد (٧٢١٨: ٧٢٣٨)

قال إمام الدين السجاوندي، في أحد مجالسه: يا صانعي الكيمياء! كما هي عادتي معكم لي طلب واحد منكم، أريدك أن تحضروا لي عبداً، لتخففوا عن هذا الشيخ المشقة. قال هذا الكلام مرة ثم كرره مرة ثانية، وظل يكرره حتى المرة السادسة، ثم قال لهم: لأنني شيخ عاجز يلزمني عبد مسن، لا حيلة له مثلي. وعندما سمع أهل المجلس هذا الكلام أبدوا موافقتهم فوراً، وكرر الشيخ طلبه، في المجلس الثاني،



والثالث أيضًا. ولم يأت له أحد بعبد مسن.

عندئذ، أفصح الشيخ عن شكواه قائلاً: لم أكن انتظر من جلسائي، أن أرى منهم هذا التقصير، وأن يبخلوا عليّ بعبد.

فقال له شخص: التقصير ليس منهم، وإنما من رغبتك في عبد مسن، فقد طوفنا أنحاء المدينة كثيرًا، ولم يظهر أحد مثل هذا العبد، ولم يقبل عظيم ولا حقير أن يعرض عبدًا مسنًا في السوق، فالجميع يقولون: إننا نخجل من الحق تعالى فكيف نبيع عبدًا مسنًا أبدًا؟ وإن كنا معوزين، فإن الخجل يملكنا من هذا الأمر.

وما إن سمع الشيخ هذه الكلمات، حتى نهض، وقال: لقد تحقق مرادي، فهدفي من طلب هذا العبد أن أوضح حسن العاقبة، لأنه لا يجرؤ مخلوق اليوم أن يجرح قلب عبد مسن، فكيف يبيع الله الكريم عبده الشيخ ذات يوم في الأسر، يا إلهي! إن كنت قد ذلت، إلا أنني شيخ وعبد أيضًا، وإن كنت قد قصرت في طاعتك، فلا تبغني، فقد صرت هرمًا.

#### ١٩ - قصة عبد الله بن مسعود (٧٢٣٩: ٧٢٨٠)

كان لعبد الله بن مسعود عبد ماهر وحاذق، وحدث أن قرر بيع ذلك العبد لضيق ذات اليد، فقال للعبد: أيها المغوار! اذهب، واغسل ثوبك، ومشط شعرك، حتى أبيعك بسبب عوزي، فللجسد قيمة، وإن كانت تدمي القلب.

وعندما نفذ العبد أوامره، تساقطت شعيرات بيضاء من شعره، وما إن وقع بصره عليها، حتى طفق يبكي بحرقة. وعندما شاهده عبد الله بن مسعود على هذه الحال، ووجد عينيه مثل سحب تثر الدماء، قال له: لماذا تبكي؟ ولماذا تحترق على هذا النحو؟ أعاهدك الآن على أنني لن أبيعك، فاصمت، ولا تبك، ولا تصح.

فقال العبد: إني لا أبكي بسبب بيعك لي، إنما أبكي هكذا بحرقة لأنني أفنيت

عمري عند شخص، وسرى المشيب في رأسي من خدمته، ثم تخلى عني في نهاية الأمر، لماذا وجدت عند رجل يبيعني في النهاية ببؤس؟ ولماذا أفنيت شبابي في مكان يعرضونني فيه للبيع، في شيخوختي؟ لماذا عشت في مكان لم تثمر خدمتي فيه سوى البيع؟ ولماذا أسلك في دار الأغيار مثل هذه الدار؟ فمن له مثل ذلك البلاط كيف يجد سبيله إلى بلاط آخر؟ وأنت يا سيدي، لا تصغ إلى حديثي، وبعني، وإن كنت لا أساوي شيئاً قط.

عندئذ هبط جبريل في الحال على صدر العالمين والبدر الخالد: أن قل لعبد الله: أيها الوفي! لا تستمرى هذا الألم، لقد ابيض شعره في الإسلام، ولن يكون له سبيل سوى الحرية.

يا إلهي! إن حلقة عبوديتك في أذني، فلا تبعني في شيخوختي، إن لم يكن لي، أي أمل من طاعتي، فقد ابيض شعري في الإسلام، إن بعنتي، فسوف تحترق روحي، وتشعل السعير عندئذ، وماذا تستطيع الروح الملتاعة والقلب المحترق؟ وماذا يمكن لنملة في مثل ذلك اليوم أن تفعل؟ وبحق عزتك يا عالم الأسرار لا تلق بي داخل خندق العجز، ولا تجعلني مثل الشمع بيد قهرك، ولا تحرمني من فضلك، واعتبر كل ما فعلته من خير ومن شر، لم يصدر عني، واجعلني بفضلك بعيداً عن نفسي، فكل خير وشر يصدر عني، يطوقني دون إرادتي.

إن أظهرت لي برهاناً من داخل نفسي يمكنك، لأن تفعل ما تريد، لا تجعلني مقيداً بوجودي، وابعدي عن نفسي، فقد سئمت منها، فاقض على وجودي، لا أعرف نفسي، ولا أعرف الطيب من الخبيث، ولأنك أنت موجود، فماذا سوف أفعل بنفسي؟ وبحق معرفتك بما ألم بي، انتشلني من الغرق في دمائي، واجعلني أفنى عن نفسي، ولا تأسرني داخل نفسي مرة أخرى أبداً، اعتبرني كلباً، ولا تطردني من أعتابك، حيث يكفيني من حيك قطعة واحدة من العظام، فإن أفر بعظمة من حيك، أمد الخوان حتى عنقاء الفلك.

## ٢٠ - قصة بشر الحافي<sup>(٢٠٩)</sup> (٧٢٨١: ٧٢٩٢)

كان بشر الحافي صاحب الروح الشفافة، يسير في بداية أمره ثملًا بالوجد، فعثر في طريقه على قطعة من الورق، مكتوب عليها اسم الله، ولم يكن معه إلا قليل من النقود، فدفعها، واشترى مسكًا، وفي الليل عطر رجل الطريق بمسكه العطر، اسم الحق.

وفي تلك الليلة رأى في منامه، أن هاتفاً قد جاءه قائلاً: يا من رفعت اسمي من وسط التراب، وصنت حرمته، فطهرته وعطرته، لقد جعلناك سالكا في طريق الحقيقة، ووهبناك همة طاهرة عطرة.

يا إلهي! كثيرًا ما نظم العطار العطر القول، اسمك الذكي بالعطر، وإذا كان للعطار ملاحظة في القول، فلأن اسمك كان دائمًا ذكيًا طيب الشذى، فلتشمل وجوده أيضًا بفضلك، ولتجعله ذائع الصيت ببركة اسمك، فليس أمامه من سبيل سوى فضلك، لأن طاعاته لا تساوي شيئًا.





## هوامش الترجمة

- ١ - مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَسَقَهُمُ رَبُّهُمْ سُورًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١].
- ٢ - مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].
- ٣ - الأمانة إشارة إلى الآية الكريمة ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].
- أى أن الحق تعالى أوجب على نفسه ألا ترى أسماؤه إلا في الإنسان الكامل، لكن الإنسان ظلوم جهول أي أنه قد ظلم نفسه بأن أنزلها عن تلك الدرجة، وجهول بمقداره لأنه محل الأمانة الإلهية، وهو لا يدري. انظر عبد الكريم الجيلي، الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، الطبعة الأولى ١٣١٦، ج ٢، ص ٤٨.
- ٤ - مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].
- ٥ - مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٤٥﴾ وداعياً إلى الله بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥ - ٤٦].
- ٦ - من الأحاديث التي ينسبها الصوفية إلى الرسول ﷺ هذا الحديث: (لولاك ما خلقت الأفلاك) لم أجده.
- ٧ - الفقر فخري حديث ينسب للرسول ﷺ. لم أجده.
- ٨ - إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ سورة الفتح، آية: ١.
- ٩ - إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة الصف، آية: ١٣.
- ١٠ - إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ بِعَمَهُونَ﴾ سورة الحجر، آية: ٧٢.

- ١١ - إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ سورة الشرح، آية: ١.
- ١٢ - مصداقاً لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ سورة إبراهيم، آية: ٣٧.
- ١٣ - ينسب إلى الرسول ﷺ قوله: إنه يفضل الأنبياء بست فضائل، منها التراب الطاهر: تعليقات روحاني ص ٣٢٤.
- ١٤ - إشارة إلى اهتزاز عرش كسرى ليلة ميلاد الرسول ﷺ.
- ١٥ - إشارة إلى الحديث الشريف: «مثلي ومثل الأنبياء كرجل بنى دار، فأكملها، وأحسنها، إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها، ويتعجبون، ويقولون: لولا موضع اللبنة». محمد فؤاد عبد الباقي: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، كتاب الفضائل القاهرة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م، ج ٣، ص ٩٤.
- ١٦ - إشارة إلى الآية الكريمة ﴿أَسْأَلُكَ بِدَعْوَى جَبِّكَ تَخْرُجُ بَيضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوَاءٍ﴾ سورة القصص، آية: ٣٢.
- ١٧ - مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ سورة لقمان، آية: ٢٢.
- ١٨ - مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرُسُولِي يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ سورة الصف، آية: ٦.
- ١٩ - إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ سورة النجم، آية: ٩.
- ٢٠ - مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ سورة الأنفال، آية: ١٧.
- ٢١ - مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ سورة الحجر، آية: ٧٢.
- ٢٢ - إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ سورة النجم، آية: ١٧.
- ٢٣ - مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ سورة فصلت، آية: ١١.
- ٢٤ - من رأيي فقد رأى الحق. رواه البخاري في ١٠ باب من رأى النبي ﷺ في المنام - من ٩١ كتاب تعبير الرؤيا.
- ٢٥ - مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ سورة الأنبياء، آية: ١٠٧.

- ٢٦ - مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴾ سورة القمر، آية: ٥٥.
- ٢٧ - مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ عَيْنَاهِمَا تُسَمِّي سَلَسِيلاً ﴾ سورة الإنسان، آية: ١٨.
- ٢٨ - مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً ﴾ سورة الإنسان، آية: ٥.

٢٩ - مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَتُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً ﴾ سورة الإنسان، آية: ١٧.

- ٣٠ - مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴾ سورة المطففين، آية: ٢٥.
- ٣١ - يوجد خارج منطقة الجاذبية نجم كبير أمام بنات النعش يُسمى (سماك رامح)، ورمحه نجمان كأنهما جاثيان وجالسان على ركبتيهما. يسمى سمك نظراً لعلوه، وأمامه نجم آخر من ناحية الجنوب كبير ومضيء يُسمى (سماك أعزل) أي دون سلاح، لا يوجد أي نجم قريب منه. تعليقات روحاني، ص ٣٢٨.

٣٢ - السنبلة من صور منطقة البروج، ويقال إن برج العذراء مشهور بين العامة باسم السنبلة. تعليقات روحاني، ص ٣٢٨.

٣٣ - النسران: عبارة عن النسر الواقع والنسر الطائر، وهما اسمان لنجمين. تعليقات روحاني ص ٣٢٩.

٣٤ - من الصور الفلكية صورتان باسم (هفت اورنگ) أي السماوات السبع الصغرى أو الدب الأصفر أو سرير الفلك أو بنات النعش الصغرى، الثانية: السموات السبع الكبرى أو الدب الأكبر أو بنات النعش الكبرى تعليقات روحاني، ص ٣٢٩.

٣٥ - المقصود بهم الأولياء وهم: القطب، الغوث والأخير، الأوتاد، الأبدال، النقباء، النجباء. انظر: كشف المحجوب للهجويري ترجمة د. إسعاد عبد الهادي قنديل، القاهرة ١٩٧٥٢٧٤، ج ٢٠ ص ٤٤٨.

- ٣٦ - مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴾ سورة الطور، آية: ٤.
- ٣٧ - إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴾ سورة النجم، آية: ١٤.
- ٣٨ - إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ سورة يوسف، آية: ٣١.

٣٩ - مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَتَسْتَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ فَيَذَرُهَا قَاعًا ۖ

صَفَصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿﴾ سورة طه، آيات ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧.

٤٠ - مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ مُتَكِبِينَ عَلَىٰ رُفُوفٍ خُضِرَ وَعَبَقَرِي حِسَانٍ ﴾ سورة الرحمن، آية: ٧٦.

٤١ - إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾ سورة النور، آية: ٣٥.

٤٢ - المقصود جبريل.

٤٣ - مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ سورة النجم، آية: ١٧.

٤٤ - مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ سورة النجم، آية: ٩.

٤٥ - إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ سورة النجم، آية: ١٠.

٤٦ - مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ سورة البقرة، آية: ٣١.

٤٧ - إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ سورة العنكبوت، آية: ٤٨.

وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴾ سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

٤٨ - مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ سورة الرعد، آية: ٣٩.

٤٩ - مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ﴾ سورة البقرة، آية: ١٢٧.

٥٠ - إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ سورة الإخلاص، آية: ١.

٥١ - إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ سورة الفلق، آية: ١.

٥٢ - مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ سورة فاطر، آية: ٣٢.

٥٣ - يقال: إن أبا بكر عندما أسلم، كان يملك أربعين ألف درهم، أنفقهم في سبيل علو شأن الإسلام. انظر د. فتحية النبراوي: دراسة في عصر الخلفاء الراشدين، ص ٤٦.

٥٤ - إشارة إلى قول أبي بكر في أول خطاب له بعد مبايعته بالخلافة: «قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني». انظر الشيخ محمد الخضري بك، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة الأموية، ص: ١٧٠.



٥٥ - يُقال: إن أبا بكر كان قد أوصى بحمل جنازته إلى روضة الرسول ﷺ فإذا فتح القبر من تلقاء نفسه، دفنوه هناك. تعليقات روحاني: ص ٣٣٣.

٥٦ - يُروى أن أبا بكر دخل إلى الغار قبل الرسول ﷺ وسد جميع الثقوب بداخله، فعرض نفسه لأذى الحيات عدة مرات، دون أن يصدر صوتاً حتى لا يستيقظ الرسول. تعليقات روحاني، ص ٣٣٤.

٥٧ - يقصد الشاعر الفتوحات الإسلامية التي تمت في عهد عمر -رضي الله عنه- في بلاد الروم.

٥٨ - المحتسب: الحسبة هي أمر بالمعروف، إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر، إذا ظهر فعله، وكان المحتسب يهتم بكل الأمور التي تتعلق بالنظام العام، وقد نشأت الحسبة في عهد الرسول ﷺ وسار عمر -رضي الله عنه- على نهج الرسول ﷺ كما استعمل آخرين للإشراف على النظام العام، فاستتب الأمن في عهده للغاية. انظر: د. أبو زيد شلبي، تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، الطبعة السادسة القاهرة ١٩٨٤ م / ١٤٠٤ هـ، ص ١٢٩.

٥٩ - مصداقاً لقوله تعالى: ﴿الْمَصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ سورة النور، آية: ٣٥.

٦٠ - مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ سورة التكوير، آية: ١.

٦١ - إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ سورة الزمر، آية: ٦٨.

٦٢ - إشارة إلى قول الرسول: «الحياء من الإيمان». رواه البخاري، باب الحياء، ص ١٦، كتاب الإيمان، ص ٢.

٦٣ - لقب عثمان -رضي الله عنه- بذي النورين لزوجاه من ابنتي الرسول ﷺ أم كلثوم ورقية. وقد تزوج الثانية بعد وفاة الأولى والنور الثالث لجمعه القرآن.

٦٤ - إشارة إلى أحداث الفتنة التي سبقت مقتل عثمان، عندما اجتمع عليه الثوار داخل مسجد رسول الله ﷺ، ومنعوه من الصلاة، وتطاول عليه أحدهم بعصا الرسول ﷺ التي كان يحملها عثمان في يده، ويقال إن هذا الرجل أصيب بعد ذلك بمرض الجذام. انظر د. فتحية عبد الفتاح النبراوي، دراسة في عصر الخلفاء الراشدين، ص ٢٥٤.

٦٥ - من الاتهامات التي وجهت إلى عثمان -رضي الله عنه- أنه اختص بني أمية

بالمملك والثروة دون المهاجرين والأنصار.

انظر: الشيخ محمد الخضري بك: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة الأموية، ص: ٤٠.

٦٦ - عندما هاجم الثوار دار عثمان، كان عثمان عاكفًا على قراءة القرآن، والعبادة، يصلي وبين يديه المصحف، وقد سالت دماؤه علي المصحف.

٦٧ - إشارة إلى شعر منسوب إلى الإمام الشافعي:

على حبه جنة قسيم النار والجنة وصي المصطفى حقًا إمام الإنس والجنة  
تعليقات روحاني، ص ٣٣٧.

٦٨ - إشارة إلى الحديث الشريف: أن دار الحكمة وعلى بابها، رواه الترمذي، كتاب المناقب ص ٢٠.

٦٩ - إشارة إلى العجل الذي صنعه السامري لقوم موسى؛ ليعبدوه يقول تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ سورة طه: آية: ٨٨.

٧٠ - مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَنَاقِبِ﴾ سورة آل عمران، آية: ١٤.

٧١ - مصداقًا لقوله تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ سورة ق، آية: ٢٢.

٧٢ - أورد العطار هذين البيتين باللغة العربية.

٧٣ - المقصود بالحموين عمر وأبي بكر، أما المقصود بالصهرين فهما عثمان وعلي.

٧٤ - مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ سورة البقرة، آية: ٣٠.

٥٧ - مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ سورة الإسراء، آية: ٨٥.

٧٦ - عندما جاهر أبو مسلم الخرساني بالدعوة العباسية، في عام ١٢٩ هـ، نشر رايات سوداء، ولواعين كبيرين: أحدهما اسمه الظل، والآخر اسمه السحاب. وقد ظل السواد من يومئذ شعارًا للعباسيين، وقيل أيضًا نسبة إلي عمامة ابن عباس السوداء، أو لأن النبي عندما دخل مكة كان يرتدي عمامة سوداء، أو أن رايته في «أحد كانت سوداء، بل إن بني هاشم كان تفاعل بالسواد. كما إن السواد كان زياً عند العرب، يلبسونه ليدركوا ثأرهم. انظر: د. بعد المنعم ماجد، العصر العباسي الأول. الطبعة الثانية القاهرة ١٩٧٩. ص ٣٤.

٧٧ - مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَبَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقِفَ﴾  
سورة يونس، آية: ٧٣.

٧٨ - مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَالضُّحَى﴾ سورة الضحى، آية: ١.

٧٩ - مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ سورة القدر، آية: ١.

٨٠ - مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ سورة  
يس، آية: ٨٢.

٨١ - إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ  
عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ سورة  
الأعراف، آية: ١٧٢.

٨٢ - يعتبر أنوشيروان ٥٣١ - ٥٧٩، أكبر ملوك الأسرة الساسانية، وصلت إمبراطورية  
الساسانيين في عهده إلى أوج عظمتها وتوسعت حدودها، كذلك قام أنوشيروان  
بإصلاحات عديدة داخل بلاده. وتعرفت إيران على العلوم اليونانية في عهده، ويعتبر  
أنوشيروان العادل آخر ملك تجسمت في شخصه عظمة إيران القديمة. انظر: دوره تاريخ  
إيران تأليف / حسن پيرنيا وعباس إقبال ص ٢١٨، ٢١٩.

٨٣ - الخواجة جندي: من المرجح أنه يقصد الجنيد وخاصة أن القصة تذكره كشيخ  
له مريدوه. ولم أجد في الكتب الخاصة بتراجم الصوفية أحداً باسم الخواجة جندي.  
والجنيد البغدادي هو أبو القاسم جنيد بن محمد بن جنيد الملقب بسيد الطائفة توفي  
عام ٢٩٧ هـ. ق، وهو من أقطاب التصوف المشهورين، أصله من نهاوند، وولد وعاش  
في بغداد، ويقال: إنه ذهب إلى الحج ثلاثين مرة مترجلاً. تقوم طريقته على الصحو وكان  
ملتزماً بالشريعة. انظر: تعليقات د. محمد استعلامي على غزیده تذكرة الأولياء ص ٥١٥.

٨٦ - الشيخ أبو الفضل حسن: كان شيخاً للشيخ أبي سعيد بن أبي الخير، يقال: إنه  
كلما كان أبو سعيد يشعر بانقباض، كان يذهب إلى مزاره، ويطوف حوله، حتى ينتهي  
انقباضه، كذلك كان أبو سعيد يرسل كل مريد عنده يريد الحج إلى قبر أبي الفضل، ويقول  
له: اذهب، وطف حوله سبع مرات؛ حتى يتحقق مرادك. ويقال سئل أبو سعيد عن المقام  
الرفيع الذي وصل إليه، فقال كنت أسير بجانب جدول، وكان الشيخ أبو الفضل يسير على  
الجانب الآخر، فوقع بصره عليّ، فتحققت لي كل هذه السعادة. وقد أورد العطار قصة أبي  
الفضل نفسها في الهى نامه في تذكرة الأولياء. انظر تذكرة الأولياء، تصحيح نيكلسون،

جـ ٢٠، ص ٣٣٧ وما يليها.

٨٧ - شهرته أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم البلخي. عارف مشهور توارث والده إمارة بلخ. انقلب حاله فجأة، وهناك روايات متعددة في هذا الشأن. فترك المال والجاه وذهب إلى بغداد، وساح في العراق والشام والحجاز، وكان يتعيش من العمل. واشترك في حرب الروم. وكان يتحدث العربية بطلاقة. ولم يعتن بالحكم والمال. مات ١٦١ هـ. ق.

وهو شخصية فريدة في تاريخ التصوف وحياته تشبه حياة بوذا، ولهذا كانت مصدرًا لقصص كثيرة ونوادير أمعن في الأسطورة منها في التاريخ. انظر: د. عبد الحليم محمود: إبراهيم بن أدهم شيخ الصوفية ص ٣٣: ٥٠، د. عبد الرحمن بدوي: تاريخ التصوف الإسلامي، ص ٢١٨.

٨٤ - معشوق الطوسي: اسمه محمد وكان من عقلاء المجانين، كان صاحب حال، عاش ودفن في مدينة طوس، وقد قابل الشيخ أبا سعيد وعاصره، ويقال إنه لم يكن يؤدي الصلاة، كما يقال إن أبا سعيد اعتبره سلطان العصر وقائده. انظر: جامي: نفحات الأنس، تهران ١٣٣٧ هـ. ق، ص ٣٠٩، ٣١٠.

٨٥ - هو أبو سعيد فضل الله بن أبي الخير محمد بن أحمد الميهني شاعر فارسي وشيخ من شيوخ الصوفية، ولد عام ٣٥٧ هـ في خراسان، تنقل في بداية حياته من مهنة إلى مرو إلى سرخس وأكمل دراسة علوم الدين، ثم اعتنق التصوف وعاد إلى بلده مهنة حيث اعتكف في زاوية داره، حيث مارس الرياضة الروحية. وقد نال الخرقه الأولى على يد أبي عبد الرحمن السلمي في نيسابور، ثم نال الخرقه الثانية علي يد أبي العباس القصاب، ثم عاد إلى مهنة وقد بلغ مرحلة الكشف الكامل، فمارس نشاطه كولي من أولياء الله. وحول منزله إلى خانقاه للدراویش، ثم انتقل إلى نيسابور، حيث عقد مجالس الإنشاد، وأقام حلقات الرقص والسماع، واستطاع أن يواجه أعداءه من أئمة نيسابور، وقد مات في مهنة عام ٤٤٠ هـ. انظر أسرار التوحيد، ترجمة د. إسعاد عبد الهادي ص ١٣، وما بعدها.

٨٨ - الشيخ أبو القاسم علي الجرجاني: من مشايخ صوفية القرن الرابع الهجري في طوس، كان معاصرًا للشيخ أبي سعيد، كما أدرك الهجویری مجالسه. تعليقات محمد استعلامي علي غزیده تذكرة الأولياء ص ٥٠٢.

٨٩ - مصداقًا لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ سورة الفجر، آية: ٢٧، ٢٨.

٩٠ - إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ ﴿قرآن كريم، سورة يوسف، آية: ٥٣.﴾

٩١ - إشارة إلى الحديث الشريف: «أسلم شيطاني على يدي» جزء من حديث رواه البخاري في ١٦ باب تحريض الشيطان ولقبه وفي ٥٠ كتاب صفات المنافقين.

٩٢ - محمود الغرنوي: عندما توفي ناصر الدين سبكتكين في عام ٣٨٨ هـ، كان محمود ولده الأكبر في نيسابور، فجلس أخوه الأصغر إسماعيل علي العرش، ولم يفز محمود بالعرش إلا بالحرب، وقد حقق محمود انتصارات عديدة، ساعده عليها استعدادة وقدرته الحربية الفائقة، وإليه يرجع الفضل في نشر الإسلام في بلاد الهند، فقد قاد جيشه إلى تلك البلاد سبع عشرة مرة، وعاد بغنائم وفيرة من هناك. وقد مات في غزنين بعد مرض قصير في عام ٤٢١ هـ. انظر: غلام جيلاني، غزنة وغزنويان ص ٨ وما يليها.

٩٣ - تأثرا بالحديث الشريف: كنت كنزاً مخيفاً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف. لم أعر عليه وهو من الأحاديث التي ينسبها الصوفية إلى الرسول عليه الصلاة والسلام.

٩٤ - أبو بكر الشبلي: اسمه جعفر بن يونس كما كتب على قبره في بغداد، يختلفون في أصله هل هو مصري جاء إلى بغداد أو جاء من خراسان، وقد تاب في مجلس خير نساج، وتلمذ على الجنيد، كان يعتنق المذهب المالكي، وكان يعقد المجالس كما كان عالماً وفقياً. وقد قال الجنيد عنه: لا تنظروا إلى أبي بكر الشبلي بالعين التي ينظر بها بعضكم إلى بعض، فإنه عين من عيون الله تعالى. وتوفي الشبلي عام ٣٣٤ هـ. كان من أصحاب الشطحات؛ لذلك أدخلوه المستشفى مرات عديدة. انظر: جامي: نفحات الأنس ص ١٨٠.

٩٥ - يشير العطار بذلك إلى ما جاء في الشاهنامه بأنه ذات يوم خرج بيثرن للصيد، فرأته منيثره ابنة افراسياب، وأحبته، فحملته إلى قصرها. فحبسه أبوها في جب مظلم، وسده عليه بصخرة هائلة، كان كيوان الجني قد أتى بها، من قال بحر الصين، ولا يستطيع جرها غير الفيلة، وتمكن رستم من إنقاذه في النهاية. انظر شاهنامه فردوسي، جلد چهارم من ١٠٨٩: ١١٢٩.

٩٦ - رخش: اسم حصان رستم.

٩٧ - شبديز: اسم حصان خسرو پرويز.

٩٨ - الإمام جعفر الصادق: شهرته أبو عبد الله جعفر بن محمد الملقب بالصادق (٨٠ - ١٤٨ هـ. ق) الإمام السادس للشيعة.

٩٩ - هو فخر الدين أسعد الجرجاني، من شعراء القرن الخامس الهجري، كان مقرباً للسلطان طغرل السلجوقي، ولا توجد معلومات وافية عنه، وكان من ناظمي القصص، وهو الذي نظم ويس ورامين. وقد نقل الشاعر التركي يوسف نابي هذه القصة عن الهي نامه، واستفاد من مضمونها، وترجم بعض أجزاءها، ثم سمي مثنويته خير آباد على اسم ولده أبي الخير، واهتم فيها بالمحسنات اللفظية، وإيراد التراكيب الفارسية. انظر تاريخ الأدب التركي للدكتور حسين مجيب المصري ص ٣١٢.

١٠٠ - هو الحسين بن مصور الحلاج، كان يكسب قوته من حلج الصوف. حوكم لقوله «أنا الحق» مع ثلاث تهم أخرى، وأصر على دعاويه. فقتل عام ٣٠٩ هـ بعد أن تحمل في شجاعة نادرة الآلام المبرحة التي أنزلها به قاتلوه. والحلاج يرى أن الرجل المتأله يجد في نفسه بعد تصفيتها بأنواع الرياضة والمجاهدة حقيقة الصورة الإلهية التي طبعها الله فيه، لأنه خلق الإنسان على صورته. ويصف الحلاج اتحاد اللاهوت بالناسوت أو الروح الإلهي بالروح الإنساني بأنه حلول، فالإنسان صورة الله، ومن أشهر أقواله «أنا الحق» وقد انتهت نظريته بموته. انظر: نيكلسون في التصوف الإسلامي وتاريخه؛ ترجمة أبي العلا عفيفي ص ١٣٠: ١٣٤.

١٠١ - شجرة باسقة، أخشابها بيضاء، ولا تثمر. فرهنگ عميد، ص ٦٢١.

١٠٢ - الشيخ نوري: هو أحمد بن محمد يعرف بابن البغوي لأن والده من مدينة بغشور و هي مدينة بين هرات ومرو، ولد ونشأ في بغداد، وقد صحب عدة من المشايخ المشهورين. كما رأى ذا النون، وكان من أقران الجنيد، عندما مات قال الجنيد: ذهب نصف هذا العلم بموت النوري، اشتهر في حياته بغلبة الوجد. وقد مات في عام ٢٩٥ أو في عام ٢٨٦ هـ. انظر: نفحات الأنس لجامي، ص ٧٨، ٧٩.

١٠٣ - يعتقد نيكولسون: أنه كانت هناك صلة قديمة بين الكيمياء والسحر وعلم الطلسمات، وهذه الصلة وضحت في الفلسفة الأدرية المسيحية، فقد ذكر مؤلف قبطني عن هذه الفلسفة شيء عن سر الاسم الأعظم الذي يستغني به السالك عن سائر الأسرار الأخرى. والتأثير ببعض الأسماء والعبارات من المبادئ المعروفة في علم الطلسمات.

وقد وضع تأثير هذه الفلسفة في التصوف، فذكر أن إبراهيم بن أدهم دعا به فرأى

الخضر عليه السلام، كما ذكره كثير من الصوفية كذلك كان ذو النون يستخدم الأدعية.  
انظر: نيكولسون في التصوف الإسلامي وتاريخه، ترجمة أبي العلا عفيفي ص ١١،  
١٢.

١٠٤ - النمرود: ملك بابل في عصر إبراهيم. وما ذكره القرآن الكريم عنه هو المحاجة التي دارت بينه وإبراهيم عندما أحب أن يعيد إبراهيم إلى عبادته وعبادة آلهته فيقول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ﴾ إلى نهاية الآية. سورة البقرة، آية: ٢٥٨. انظر: قصص الأنبياء، تأليف عبد الوهاب النجار، ص ٧٠: ١١٢.

١٠٥ - أبو يزيد: هو طيفور بن عيسى بن آدم بن سروشان، كان جده مجوسياً، ثم أسلم، مات في عام ٢٦١ أو ٢٣٤ هـ، ويرجح جامي التاريخ الأول، ويقول الشوشري: إن التاريخ الثاني لشخص آخر يلقب بطيفور، وأن أبا يزيد كان تلميذاً لحضرة الإمام جعفر، كما كان سقاء الإمام الخاص ومحرم أسرار.

كان أبو يزيد أشد حماسة من متصوفي عصره، وقد بين فكرة وحدة الوجود بجرأة عجيبة لدرجة أنه قال: ليس في جبتي سوى الله. وقد أسس طريقة خاصة في التصوف عُرفت بطريقة السكر مقابل أهل الصحو. انظر: فريد الدين العطار: تذكرة الأولياء، تصحيح نيكلسون، ليدن ١٣٢٢ هـ - ١٩٠٥ م، ج ١ ص ١٣٥ وما يليها. عبد الرحمن بن أحمد جامي: نفحات الأنس من حضرات القدس، تهران ١٣٣٧ هـ. ق، ص ٥٦. القاضي نور الله شوشري: مجالس المؤمنين، تهران ١٣٥٤ ش، ج ٢ ص ٢٠، ٢٣.

١٠٦ - يوسف الهمداني: يقول عنه جامي: هو الإمام العالم والعارف الرباني صاحب الأحوال الجزيلة والكرامات والمقامات الجليلة، ذهب في بداية أمره إلى بغداد، ولازم مجلس الشيخ إسحق الشيرازي، حتى ارتفع شأنه، وبز أقرانه، وبعد ذلك سلك طريق العبادة والرياضة والمجاهدة، وقد توفي في طريق عودته من هرات إلى مرو عام ٥٣٥ هـ. انظر جامي: نفحات الأنس ص ٣٧٥.

١٠٧ - هذا المضمون نفسه نسبه المعري إلى الشبلي في البيت التالي:

إياك إياك أن تبتل بالماء إياك إياك أن تبتل بالماء

تعليقات روحاني ص ٣٤٠.

١٠٨ - الحسن البصري: شهرته أبو سعيد حسن بن يسار البصري (٢١، ١١٠ هـ) من الزهاد والعلماء المشهورين في العصر الأموي. ولد في المدينة، ثم ذهب إلى البصرة

حيث أمضى حياته هناك، واشتهر بسبب زهده، كانت له حلقات للدرس في مسجد البصرة، وقد نقلت عنه أحاديث كثيرة.

رابعة العدوية: هي ابنة إسماعيل العدوي القيسي البصري، وكنيتها أم الخير، بعد وفاة والديها ظهر قحط عظيم في البصرة، وتفرقت عن إخوتها ووقعت في يد ظالم باعها. واستطاعت الهرب ثم انشغلت بالعبادة. توفيت عام ١٣٥ هـ. ق. وتعتبر رابعة أول من غرس بذور الحب والعشق الإلهيين. ويقول العطار عنها: لَمْ يَقُولْ شَخْصٌ لِي لِمَاذَا ذَكَرْتَهَا بَيْنَ الرِّجَالِ؟ أَقُولُ: يَقُولُ سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ.

والجدير بالذكر أن العطار قد أورد قصة الهي نامه نفسها حول الحسن البصري ورابعة في تذكرة الأولياء ضمن ترجمته لرابعة. انظر: عبد الرحمن بدوي: شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية. د. محمد استعلامي: زبدة تذكرة الأولياء ص ٦١ وما يليها وص ٥١٧، فريد الدين العطار: تذكرة الأولياء، تصحيح رنولدالن نيكلسون ليدن ١٣٢٢ هـ - ١٩٠٥ م، ج ١ ص ٦٤، ٦٥.

١٠٩ - إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿مِنْ شَرِّ الْأَوْسَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ سورة الناس، آية: ٤.

١١٠ - إشارة إلى الحديث الشريف: «الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» رواه البخاري في ١١ - باب صفة إبليس وجنوده. ٥٩ - كتاب بدء الخلق.

١١١ - إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ سورة يوسف، آية: ٧٠.

١١٢ - إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ سورة البقرة، آية: ٣٤. واخسؤا إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ سورة المؤمنون، آية ١٠٨.

١١٣ - جمشيد: من ملوك البشدايين، مال إلى الظلم في أواخر عهده، واستطاع الضحاك أن يقضي عليه، فبناء على أمره نشر بالمنشار. ومما يُنسب إلى جمشيد في الروايات الفارسية القديمة كأس أو مرآة كان جمشيد يشاهد فيها العالم بأسره. وقد نسبها الفردوسي في الشاهنامه إلى كيخسرو. انظر: شاهنامه فردوسي: تصحيح درويش پرورده ايران، جلدول، تهران ١٣١٣، ص ٢٣: ٣٣.

١١٤ - إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ سورة ص، آية: ٧٦.



١١٥ - بهلول بن عمرو الصوفي الكوفي، فقيه وعارف وحكيم، ابن عم الخليفة هارون الرشيد. انظر معصو معليشاه: طرائق الحقائق، تهران ١٣٣٩ هـ. ش، ج ٢ ص ٢٨٥.

١١٦ - شقيق بن إبراهيم البلخي: كنيته أبو موسى، كان من أهل الحديث، وكان سنيًا من تلاميذ الإمام زفر من قدماء مشايخ بلخ. أدرك صحبة حاتم الأصم وإبراهيم بن أدهم، وكان من أهل التوكل. ويقال إنه توفي في عام ١٧٤ هـ. وإن قبره في مدينة ختلان. انظر: عبد الرحمن بن أحمد جامي: نفحات الأنس من حضرات القدس، ص ٤٩، ٥٠.

١١٧ - إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا﴾ سورة طه، آية: ٩٦ أي قال السامري رأيت جبريل جاءك بالوحي، وكنت أعلم أنه روحاني لا يمس أثره شيئًا إلا أحياء، فأخذت قليلًا من التراب الذي وطئه، ووضعت على الذهب الذي أدبناه فلما صنعناه عجلًا، سرت فيه الحياة والصوت. ويقصد الشاعر بقضائه عليهم قتلهم لأنفسهم بعد ذلك، فكان كل إنسان يقتل من يقابله من قريب أو أخ، ثم عفا الله عنهم بعد أن قتلوا من أنفسهم عددًا كبيرًا. انظر قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ص ٢١٨، ٢٢٦.

١١٨ - إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَهَا وَأَنفَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ سورة الأنبياء، آية: ٩١.

١١٩ - أبو بكر الواسطي: اسمه محمد بن موسى، وكان يعرف بابن الفرغاني، من أصحاب الجند والنوري، وكان من علماء مشايخ قومه، كما كانت له مكانة بارزة في التصوف، كذلك كان عالمًا بالأصول والفروع والعلوم الظاهرة. ذهب في شبابه من العراق إلى مرو حيث توفي عام ٣٢٠ هـ. انظر: جامي: نفحات الأنس، ص ١٧٥.

١٢٠ - الشيخ أبو علي فارمدي، اسمه فضل بن محمد، كان شيخ شيوخ خراسان، وكان تلميذ الإمام القشيري، وقد عاصر أبا سعيد، وحضر مجالسه. وتوفي عام ٤٧٧ هـ. انظر جامي: نفحات الأنس ص ٣٦٨.

١٢١ - سنجر: كان عصره إحياء وامتداد لعصور السلاجقة العظماء حينما كانت الدولة السلجوقية تدين بالولاء لسلطان واحد، ويعد سنجر آخر السلاجقة العظام، كما يعتبر في عصره من العصور المهمة في تاريخ الأدب الفارسي، فقد رعي سنجر الشعراء والكتاب، فازدهرت حركة التأليف في عهده. وقد توفي سنجر عام ٥٥٢ هـ. انظر سلاجقة إيران والعراق للدكتور عبد النعيم حسنين ص ١٣٤.

عباسة الطوسية: من نساء خراسان الزاهدات، تاريخ حياتها غير معروف، استشهد العطار ببضع كلمات لها، عند حديثه عن رابعة العدوية في تذكرة الأولياء. تعليقات محمد استعلامي على غزیده تذكرة الأولياء ص ٥٢٨.

١٢٢ - المقصود بالروح الواحدة التي يخصها أهل المعرفة بحديثهم هو الروح المحمدي أو النور المحمدي وهي الروح الإلهي الذي نفخ الله منه في آدم، وأول الفيوضات ومبدأ الحياة ومركزها في العالم، وهي روح كل شيء وحياته، والواسطة بين الله وعباده. نيكلسون: في التصوف الإسلامي وتاريخه، ترجمة أبي العلا عفيفي ص ١٥٩.

١٢٣ - الشيخ أبو الليث قوشنجي، يقال إنه كان يسير حافي القدمين، ولد في هرات، وجاء إلى بوشنك. وقد ظهرت له كرامات كثيرة، واشتهر بالزهد والتقوى. وقد أورد العطار قصة الهي نامة نفسها في تذكرة الأولياء عند حديثه عن قوشنجي (بوشنجي). انظر جامي، نفحات الأنس ص ٣٥٠: ٣٥١ د. محمد استعلامي غزیده تذكرة الأولياء، ص ٣٥٧.

١٢٤ - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي من أئمة فلاسفة الإسلام، ولد بطوس إحدى مدن خراسان ٤٥٠ هـ، وتعلم على الإمام الجويني أكبر علماء نيسابور وخراسان، وكان أستاذه يتباهى به، وقد حظي بمرتبة رفيعة في بلاط الملوك والسلطين مثل السلطان ملكشاه ووزير نظام الملك، وقام بالتدريس في أكبر مدارس الإسلام في مدرسة نظامية بغداد، واجتمع عليه حوالي ثلاثمائة من فضلاء العلماء، كما احترمه الخلفاء. وقد ترك بغداد في قمة شهرته، وساح عشر سنوات، ترك الغزالي الفلسفة، ووجد ضالته في التصوف وحاول أن يوفق بين الشريعة والطريقة ومات عام ٥٠٥ هـ. انظر: مقدمة الدكتور بدوي طبانه على إحياء علوم الدين للغزالي - القاهرة ١٣٧٧: ١٦٥٧، ج ١ ص ٧ وما يليه.

١٢٥ - البادية صحراء تقع بين العراق ومكة.

١٢٦ - المقصود حسن البصري وحبیب العجمي: شهرة الأول أبو سعيد حسن بن يسار البصري (٢١: ١١٠ هـ) وهو من كبار التابعين والزهاد والعلماء في العهد الأموي، وكان من الموالی. ولد حسن في المدينة ثم ذهب إلى البصرة وظل بها حيث حاز شهرة واسعة، وخالف يزيد بن معاوية، كان يقيم حلقة للدرس في مسجد البصرة، حيث تتلمذ عليه الكثيرون، كما رويت عنه أحاديث كثيرة عديدة. أما حبیب فشهرته أبو محمد حبیب العجمي، وكان مريداً للحسن البصري، وتوفي عام ١٣٠ هـ. تعليقات محمد استعلامي على غزیده تذكرة الأولياء ص ٥١٦.

١٢٧ - إشارة إلى المعتزلة الذين نفوا الصفات القديمة عن ذات الله، المشبهة هم الذين أثبتوا لله صفات أزلية. انظر الملل والنحل للشهرستاني ص ٤٨، ٤٩.

١٢٨ - عبد الله بن المبارك: هو أبو عبد الله بن المبارك المروزي (١١٨ - ١٨١ هـ) من المحدثين المعروفين، أمضى عمره في السفر للحج والتجارة والجهاد، كان مبرزاً في الحديث والفقه واللغة العربية، مات قرب بغداد عند عودته من جهاد الروم، وله كتاب في الجهاد. تعليقات محمد استعلامي على غزیده تذكرة الأولياء، ص ٥٣٠.

١٢٩ - جاء في الشاهنامه أن كيخسرو تنسك، واعتزل الحياة بعد أن هبط عليه الملك، وأمره بالتهيؤ للقاء ربه، فخرج عن أمواله لأوجه الخير، وقسم الممالك بين الأبطال، وعهد بالملك إلى لهراسب، ثم غاب عن أعين الناس. انظر شاهنامه فردوسي، جلد پنجم، ص ١٤٣٦ - ١٤٤٣.

١٣٠ - يعتبر السلطان ملكشاه من أعظم سلاطين الدولة السلجوقية، فقد وصلت الدولة في عهده إلى أقصى قوتها وعظمتها، وأصبحت مدينة إصفهان في عهده من أهم بلاد العالم، ومن أشهر الأعمال التي تمت في عهده تقويم جلالی، وقد اشترك في وضعه وإصلاحه الشاعر عمر الخيام، وكان قتل نظام الملك ووزيره عام ٤٨٥ هـ وموت ملكشاه في ظروف غامضة بعده بأيام، واختفاؤهما من المسرح السياسي من أهم الأحداث التي وقعت في تاريخ الدولة السلجوقية، فقد انتهى بموتهما عهد القوة والاتحاد. انظر سلاجقة ایران والعراق للدكتور عبد النعيم حسنين ص ٨٢.

١٣١ - إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ﴾ (٣٨) أَنْ أَقْرِفِيهِ فِي النَّبُوتِ فَأَقْرِفِيهِ فِي الْبَيِّنَاتِ سورة طه: آية ٣٨، ٣٩.

١٣٢ - الإسكندر الرومي هو ابن فيلبوس الملك، سلمه أبوه إلى أرسطوطاليس، فأقام عنده خمس سنين يتعلم منه الحكمة والأدب، حتى بلغ أحسن المبالغ. استقل بأعباء الحكم بعد وفاة أبيه. ولما توفي برومية المدائن، وضعوه في تابوت من ذهب، وحملوه إلى الإسكندرية، وكان قد عاش اثنتين وثلاثين سنة، وملك اثنتي عشرة سنة.

ويقال: إنه هو ذو القرنين الملك، وليس هو المذكور في القرآن، بينما يرى البعض الآخر أن ذا القرنين المذكور في القرآن هو الإسكندر المقدوني؛ لأنه لم يعلم في تاريخ البشر من تنطبق عليه أكثر الصفات التي ذكرها الكتاب الكريم غير الإسكندر. انظر: الشهرستاني: الملل والنحل، ص ٤٤٧، ٤٥١. المصحف المفسر محمد فريد وجدي،

سورة الكهف، آية: ٨٥.

١٣٣ - أورد الهجويري قصة مشابهة لهذه القصة، ألا وهي: اتفق لفقيير لقاء ملك، فقال الملك: سلني حاجة. قال الفقير: أنا لا أسأل عبداً لعبيدي! قال الملك: كيف؟ قال: لي عبدان كلاهما سيد لك: أحدهما الحرص، والآخر طول الأمل. انظر كشف المحجوب: ترجمة د. إسعاد عبد الهادي، ج ١ ص ٢١٦.

١٣٤ - إشارة إلى الآيات الكريمة: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۚ قَالُوا يَنْذِرُ الْفَرِيقَ إِنِّي يَأْجُوجُ وَمَاجُوجُ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ نَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۚ﴾ سورة الكهف، آيات ٩٣-٩٤.

١٣٥ - يقال إن عوج كان معاصراً لموسى، وقد حاربه موسى لأنه أراد منع بني إسرائيل من العبور أثناء رحيلهم. ومذكور في الأساطير أن قوام موسى كان عشرة أذرع، وكانت عصاه بنفس هذا الطول، وأثناء عراكه مع عوج ألقى عصاه إلى ارتفاع عشرة أذرع، وبهذا استطاع أن يضرب رأس العصا بكعب قدم عوج. تعليقات روحاني ٣٤٣.

١٣٦ - إشارة إلى ما جاء في الشاهنامه: وقعت سودابة زوجة كاوس في حب ابن زوجها سياوش، وراودته عن نفسه، ولكنه رفض، فأوقعت له عند أبيه، ولكن أباه شك في صدق روايتها، وبناء على حكم الموازنة، عبر سياوش النار، ولكنه خرج منها سليماً. انظر شاهنامه فردوس، جلد سوم ص ٥٣٢: ٥٥٣.

١٣٧ - طاووس اليماني: من التابعين ورواة الحديث، كان مشهوراً بالتقوى، وكان الناس يذهبون إليه في أوقات الشدة، ليدعو لهم لأنهم كانوا يعتقدون أن الله يستجيب دعاءه. تعليقات روحاني ص ٣٤٤.

١٣٨ - بوزرجمهر (بزر كمهر): لعب بزرجمهر دوراً فعالاً في القيام بالإصلاحات الداخلية في البلاد، كان في البداية معلماً لهرمز ابن أنوشيروان، وعندما لمس أنوشيروان اللياقة والكفاءة فيه، اختاره للوزارة، وقد كثرت الروايات وتعددت حول ذكائه وفطنته، وقد قتل بوزرجمهر في عهده خسرو پرويز بناء على أمر منه. انظر: حسن پيرنيا وعباس إقبال: دورة تاريخ إيران، ص ٢١٩.

١٣٩ - باريد: كان مطرباً معروفاً في بلاط خسرو پرويز، ويذكره الشعراء كثيراً ضمن أشعارهم كمثال لجمال الألحان وعذوبتها.

١٤٠ - الفضل بن الربيع: اختاره هارون وزيراً له بعد قضائه على البرامكة وبعد وفاة

هارون، تضامن مع زبيدة ومع ابنها الأمين، وحث الأمين على أن يخلع أخاه المأمون من ولاية العهد بصفة رسمية، ويختار ولده لولاية العهد. انظر دورة تاريخ إيران: تأليف حسن پيرنيا وعباس إقبال، القسم الثاني ص ٩٦ العصر العباسي الأول: د. عبد المنعم ماجد، ص ٢٠٥ وما يليها.

١٤١ - كان اليونانيون يسمون إله المصريين بهذا الاسم، ويعتبرونه أحد ملوك مصر القدماء، ومؤلفاً لكثير من الكتب عن السحر والكيماويات والطلسمات. وقد زعم جماعة من العلماء أن جميع العلوم إنما صدرت عن هرمس الأول الساكن بصعيد مصر الأعلى. كما اعتبره البعث أنه إدريس النبي -عليه السلام- وأنه هو الذي وضع أسماء البروج والكواكب السيارة. بينما اعتقد البعض أنه شخص خيالي لم يكن له وجود فعلي. انظر: تعليقات روحاني، ص ٣٤٤. عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، ص ٢٨. الشهرستاني: الملل والنحل، ص ٣٢٩.

١٤٢ - يقصد العطار من قصة الإسكندر وتكرارها قصة الشاهنامة المعروفة: عندما ذهب الإسكندر إلى أرض الجنات حيث تغرب الشمس في عين ماء كبيرة من شرب من مائها خلد. وانتقى لهذه المهمة صاحب الأئمة الخضر -عليه السلام- وانقسموا إلى فريقين، وتوغلوا في طريق الظلمات. وأفضت الطريق بفريق الإسكندر إلى جبل شاق تسكنه الطيور البواسق. ثم مروا على الجبل الأسود، وحذرهم هاتف: من حمل حجارة ذلك المكان، ومن لا يحمل منها يندم أيضاً. وعندما خرجوا من تلك الظلمات، رأوا تلك الحجارة جواهر ويواقيت، فندم من حمل حيث لم يستكثر، وندم من لم يحمل، أما الخضر فوصل إلى عين الحياة، وفاز بالمطلوب.

ومن الواضح أن العطار أعطى للياقوتة صبغة صوفية وجعلها مرشدة للنمل. انظر: شاهنامه فردوسي، جلد هفتم، ص ١٨٨٧، ١٨٨٩.

١٤٣ - العناصر الأربعة هي: النار، الهواء، الماء، التراب.

١٤٤ - إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَرَبَ أَهْلُهَا أَنفَهُمْ فَنَدَرُوا عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ﴾ سورة يونس، آية: ٢٤.

١٤٥ - كان الرسول ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية، أوصاه بمراعاة الله، ثم قال: إذا لقيت المشركين فادعهم إلى ثلاث، ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم، وإن

أبوا فالجزية، وإن رفضوا قاتلهم. وقد التزم المسلمون بهذه المبادئ التي سنّها الرسول ﷺ في حروبهم وفتوحاتهم. لذلك فالقصه هنا لا تشير للواقع.

١٤٦ - مهستي من شاعرات القرن الخامس الهجري، يقال: إن اسمها منيثره، وقد اهتم والدها بتعليمها، كما برعت أيضًا في عزف الصنج، وعندما بلغت العشرين من عمرها، طبقت شهرتها الآفاق في ما وراء النهر وفجند وكنجه، كما وخجند. ذاع صيت جمالها وسحرها، وبعد وفاة أبيها جاءت مهستي من خجند إلى كنجه، ثم تنقلت حتى مرو وهناك دخلت في زمرة المقرّبين إلى السلطان سنجر حيث قابلت عمر الخيام، وبانتهاء أسرة السلاجقة هناك عادت إلى كنجه حيث تزوجت أحد الأمراء واستقرت هناك. نظمت كثيرًا من الرباعيات، وفاضت أشعارها بمعاني الحب والعشق. ويقول البعث إن سنجر كان يهيم بها. انظر علي أكبر شيرسليمي: زنان سنخور، جلد اول، ص ٢٥٥ وما يليها.

١٤٧ - إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ سورة إبراهيم، آية: ٧.

١٤٨ - جاء في القرآن الكريم: ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ (٣١) وَالشَّيْطَانَ كُلَّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ (٣٧) وَالْآخِرِينَ مُقَرَّبِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿ سورة ص، آيات ٣٦، ٣٧، ٣٨.

١٤٩ - كذلك ذكر تعلمه لمنطق الطير ولرموز النمل في الآيات الآتية: قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ﴾ سورة النمل، آية: ١٦.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ وَادٍ النَّمْلَ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٨) فَبَسَمَ صَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ﴿ سورة النمل، آية: ١٨، ١٩.

١٥٠ - قابل رستم سهراب الذي حال أفراسياب دون معرفة أحدهما للآخر، في إحدى المعارك ولم يعرف أنه ابنه، إلا بعد أن أجهز عليه فوسده التراب. انظر شاهنامه فردوسي، جلد دوم، ص ٥٠٢، ٥٠٩.

١٥١ - إشارة إلى ما جاء في القرآن الكريم: ﴿كَأَلَيْسَ إِنَّيْ أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّيْ أَذْبَحُ فَأَنْظَرُ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَتَابَعَتْ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيْ إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ سورة الصافات، آية: ١٠٢.

١٥٢ - الدرفش الكاوياني: عندما ثار الناس على الضحاك لظلمه، ولقتله أبناءهم لتقديم أدمغتهم لحيته، تزعم الثورة حدّاد اسمه كاوه اتخذ من جلدة الحدادة راية، وكانت راية كاوه أول راية. وتوارث ملوك إيران هذه الراية، وزينوها بالديباج والجواهر الثمينة،

وحملوها في كل حروبهم تيمناً به. انظر شاهنامه فردوسي، جلد اول، ص ٤٤، ٤٨.  
١٥٣ - إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ سورة القارعة، آية: ٥.

١٥٤ - بعد انهزام يزدجرد في موقعة نهاوند (٣١ هـ) على يد العرب، صار ينتقل بين مدن إيران المختلفة، ويطلب المساعدة من ملوك الصين، والترك، فلم يجبه أحد إلى طلبه، وفي نهاية الأمر لجأ إلى صاحب طاحونة بالقرب من مرو، ليمضي عنده الليل، فقتله الرجل طمعاً في ملابسه الفاخرة وجواهره، ويقال إنه دفن في فارس.

انظر، دورة تاريخ إيران، تأليف حسن پيرنيا وعباس اقبال ص ٢٣٧، ٢٣٨.

١٥٥ - بهرام گور من أبطال الشاهنامه، كان مولعاً بالصيد واللهو والحسان. انظر شاهنامه فردوسي، جلد هفتم ص ٢٠٧٧: ٢٢٦٠.

١٥٦ - بهرام چوبين هو القائد الثائر علي خسرو پرويز. انظر شاهنامه فردوسي: جلد نهم، ٢٦٨١، ٢٨٢٤.

١٥٧ - وردت في النص على هذا النحو.

١٥٨ - إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَشَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ سورة المؤمنون، آية: ١٠١.

١٥٩ - إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ سورة طه، آية: ١٠٩.

١٦٠ - عرف هذا التشبيه عند الصوفية، فيقول الهجويري: وقد قال المشايخ: «الوقت سيف قاطع» لأن صفة السيف القطع، وصفة الوقت القطع، لأن الوقت يقطع جذور المستقبل والماضي، ويمحو عن القلب هموم الأمل والغد. كشف المحجوب ج ٢، ص ٦١٤، ٦١٥.

١٦١ - تلقب السيدة فاطمة الزهراء: ابنة الرسول والسيدة خديجة وزوجة علي، ووالدة الحسن والحسين، لذلك تحتل مكانة عظيمة لدى الشيعة.

١٦٢ - أبو بكر الوراق الترمذي: اسمه محمد بن عمر الحكيم الترمذي، أصله من ترمذ، وقبره هناك. له كتب كثيرة وديوان شعر، وكان أبو بكر الوراق يمنع أصحابه عن الأسفار والسياحات، ويقول: مفتاح كل بركة الصبر في موضع إرادتك، إلى أن تصح لك



الإرادة، فإذا صحت لك الإرادة، فقد ظهرت عليك أوائل البركة، انظر جامي: نفحات الأنس ص ١٢٣.

١٦٣ - يتفق العطار في هذا مع المرجئة - وهم فرق عديدة - وعقيدتهم هي: أنه لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة، كذلك قالوا بإرجاء حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة، فلا يُقضى عليه بحكم ما في الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار. انظر: الشهرستاني: الملل والنحل ص ١٤٢.

١٦٤ - أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ٩٧: ١٦١ هـ. فقيه ومحدث وزاهد معروف. عندما رشحه أبو جعفر المنصور لتقلد منصب القضاء رفض، وهرب من الكوفة، وذهب إلى اليمن، ثم تنقل بين الديار حتى اختفى في البصرة. من آثاره الجامع الكبير والجامع الصغير في الحديث، وكتاب الفرائض.

انظر تعليقات محمد استعلامي على غزيرة تذكرة الأولياء ص ٥٢٢.

١٦٥ - هذه القصة إحدى قصص ألف ليلة وليلة. فروزانفر: شرح احوال ونقد وتحليل آثار شيخ فريد الدين محمد عطار نيشابوري، تهران ١٣٥٣، (ص ٢٦٧).

١٦٦ - تحدث الصوفية كثيرًا عن ملك سليمان، واتخذوه مثلاً علي عدم جدوى الملك، فيقول أبو سعيد: «لن يأتي أعز من سليمان، ولم يكن هناك ملك أعظم منه. ومع ذلك فلم يكن في قبضته سوى الريح». ويقول الهجويري: فقر سليمان في الحقيقة مثل غنى سليمان، لأن الله قال لأيوب في شدة صبره: «نعم العبد»، وقال لسليمان في استقامة ملكه «نعم العبد»، فلما حصل رضا الرحمن، جعل فقر سليمان مثل غنى سليمان. انظر: أسرار التوحيد، ترجمة د. إسعاد عبد الهادي، ص ٣٤٠، كشف المحجوب، ترجمة د. إسعاد عبد الهادي ج ١ ص ٢٢١.

١٦٧ - إبراهيم الخواص، يقال إنه من شيوخ بغداد، وكان من أقران الجنيد، توفي عام ٢٩١ هـ. اشتهر بالتوكل والتجرد. انظر جامي: نفحات الأنس ص ١٣٦، ١٣٧.

١٦٨ - المأمون: هو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد، ولد عام ١٧٠ هـ، ولأه أبوه العهد وسنه ١٣ سنة بعد أخيه الأمين، وولاه خراسان وما يتصل بها، ومنحه استقلالاً يكاد يكون تاماً. ولما توفي أبوه لم يف له أخوه بعهد، بل أراد أن يقدم عليه في ولاية العهد ابنه موسى، فأبى ذلك المأمون، وكان من وراء ذلك الحرب الفظيعة التي انتهت بقتل الأمين في ١٩٨ هـ. بويع المأمون بالخلافة العامة، واستمر إلى أن توفي غازياً بطرسوس



في ٢١٨هـ. انظر: الشيخ محمد الحضري بك: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة العباسية، ص ١٧٤.

١٦٩ - إشارة إلى الحديث القدسي: «من تقرب إليَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا». وهو جزء من حديث رواه البخاري في ١٥ باب قول الله تعالى ويحذرکم الله نفسه، ٩٧ كتاب التوحيد.

١٧٠ - الأصمعي من رواد علم النحو في البصرة، وقد توفي عام ٢١٦هـ. ويعتبر من علماء الأدب المشهورين الذين كانوا يعيشون في بلاط هارون الرشيد، وقد اشتهر ذلك العصر بكثرة المناظرات، فانتشرت مجالس المناظرة في الدور والقصور والمساجد بين العلماء وفي حضرة الخلفاء، في الفقه والنحو والصرف واللغة والمسائل الدينية. وقد شهدت بغداد على نحو خاص مناظرات في النحو والصرف واللغة. من أشهرها ما كان بين الكسائي والأصمعي أمام الرشيد. انظر: د. حسن أحمد محمود، د. أحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص ٢٦٢. د. أبو زيد شلبي: تاريخ الحضارة الإسلامية، (ص ٢٣٠).

١٧١ - إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ سورة التوبة، آية: ١١١.

١٧٢ - إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ سورة يوسف، آية: ٨٩.

١٧٣ - خالوي السرخسي: اسمه أحمد، ولد في سرخس ومات فيها، له كرامات كثيرة. لم يذكر جامي معلومات كثيرة عنه. انظر: جامي: نفحات الأنس، ص ٢٨٦.

١٧٤ - يحيى بن المعاذ الرازي: كنيته أبو زكريا ولقبه واعظ، يقال: إنه كانت له قدرة فائقة على الكلام، ومن أقواله: صدق المحبة العمل بطاعة المحبوب. ويقال إنه خرج إلى بلخ، وأقام بها مدة، ثم عاد إلى نيسابور، ومات بها سنة ثمان وخمسين ومائتين. انظر جامي: نفحات الأنس ص ٥٥، ٥٦.

١٧٥ - أبو علي الرودباري: اسمه أحمد بن محمد بن القاسم بن المنصور من أبناء الرؤساء والوزراء، يصل نسبه إلى كسرى. استمع ذات مرة إلى حديث للجنيد في المسجد الجامع، فترك ما يملك، وأقبل إلى الطريق، كان عالماً فقيهاً وأديباً وإماماً، كما كان سيد قومه لدرجة قيل معها عنه: ما رأيت أجمع لعمر الشريعة والحقيقة من أبي علي الرودباري.

وقد أدرك صحبة الجنيد ونوري وغيرهما، كما أقام في مصر، وصار شيخ شيوخها، توفي عام ٣٢١. انظر: جامي، نفحات الأنس، ٢٠١، ٢٠٢.

١٧٦ - إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْكُلِّ ﴾ سورة الفجر، آيات: ٦، ٧، ٨.

١٧٧ - ذكر في الروايات أنه عندما صعد عيسى -عليه السلام- إلى السماء، لم يكن يحمل معه من الدنيا سوى إبرة، فلم يفسح له الطريق إلى الجنة، حتى ألقى بهذه الإبرة. تعليقات روحاني ص ٣٤٧، ٣٤٨.

١٧٨ - إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ سورة المعارج، آية: ١٩.  
١٧٩ - الجُعَلُ: نوع من الخنافس التي تعيش على رائحة الروث. فرهنگ عمید، ص ٣٧٥.

١٨٠ - إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴾، سورة الملك، آية: ٣.

١٨١ - نسبة إلى آزر، والد إبراهيم -عليه السلام-.

١٨٢ - يقال: إن النمرود أحضر صندوقًا، وربط ثلاثة نسور به، ودخل فيه، وطار إلى السماء ليحارب الله، وكل سهم كان يلقي به إلى السماء، كان جبريل يعيده في صدره. تعليقات روحاني ص ٣٤٨.

١٨٣ - زبيدة: ابنة عم هارون الرشيد وزوجته منذ عام ١٦٥ هـ، كان لها نفوذ كبير على الرشيد، حيث وصفت بالجمال والحشمة، وكانت فصيحة لبيبة عاقلة مدبرة، كذلك اعتبرت أقوى النساء العباسيات اللاتي كن يتدخلن في السياسة. وكانت تمثل العنصر العربي مقابل النفوذ الفارسي آنذاك، وقد تزعمت الفريق المناهض للبرامكة. انظر: د. عبد المنعم ماجد: العصر العباسي الأول، ج ١، ص ٢٠٤ وما يليها.

١٨٤ - أردشير من ملوك الساسانيين، وتوجد روايتان حول قصة قتله لزوجته الأولى: أن أردشير قد عاهد الله ألا يدع شخصًا من أسرة الإشكانيين على قيد الحياة، وعندما عرف أن زوجته من أسرة الإشكانيين أمر بقتلها، والقصة الأخرى هي ما أوردها العطار. ويرى الأستاذ روحاني أن القصة الأخرى أنسب لتبرئة أردشير. تعليقات روحاني ص ٣٤٨.

١٨٥ - شاهبور: معناها ابن الملك.

١٨٦ - ذكر في الروايات أن الكفار أذاقوا جرجيس كل ألوان العذاب، ألقوا به في

النار، وقطعوا جسده، بأسياخ الحديد، ومرروا فوق جسده عربة بها سيوف حديدية، وقتلوه ثلاث مرات، وفي كل مرة كان يعود إلى الحياة، وفي نهاية الأمر هلك أعداؤه بنار أرسلها الله من السماء. تعليقات روحاني ص ٤٨.

١٨٧ - ذات العرق: مكان في شمال شرق مكة، كان يتلاقى عنده الطريقان القادمان من الكوفة والبصرة عبر بادية العرب. انظر تعليقات محمد استعلامي على كزیده تذكرة الأولياء، ص ٥٢٠.

١٨٨ - شجر الطرفا يصنع منه نوعاً من السهام القاتلة. برهان قاطع، ص ١٠٠٤.

١٨٩ - تحدث الصوفية عن النار التي تضطرم في صدور العباد. ويقول أبو سعيد: خلق الله تعالى نارين: إحداهما نار حية، والأخرى نار ميتة. و النار الحية هي نار الحاجة التي وضعت في صدور العباد، لتحرق نفوسهم. وهي نار نورانية عندما تحرق النفس، تتحول نار الحاجة هذه إلى نار الشوق، وهي لا تخمد أبداً لا في الدنيا ولا في الآخرة. وعلامتها التجافي عن دار الغرور إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزول الموت.. أما النار الميتة فهي نار الجحيم ونار الظلمة والوحشة. وكل من لا يحترق بالنار الحية يحترق بتلك النار الميتة سواء في الدنيا أو في الآخرة. أسرار التوحيد: ترجمة د. إسعاد عبد الهادي، ص ٣٣٤.

١٩٠ - هي رابعة بنت كعب القزداري البلخي، شاعرة من شعراء القرن الرابع الهجري، عاشت في زمن السامانيين والمعلومات عن حياتها قليلة، وقد عاصرت الرودي.

وينقل العطار في قصته عن أبي سعيد ابن أبي الخير: أن أشعار رابعة لم تكن تعبيراً عن عشق مادي، وإنما كانت موجهة إلى الله. وهو ما نقله جامي أيضاً عند حديثه عن رابعة. وجدير بالذكر أن رضا قليخان هدايت قد نظم قصة رابعة تحت اسم بكتاش نامه أو كلستان ارم وقد اعتمد في قصته على قصة العطار في الهي نامه ولم يأت بجديد عنها. انظر: نفحات الأنس لجامي ص ٦٢٩. مجمع الفصحاء: بخش سوم از مجلد دوم، ص ١٣٤٠، ١٣٦٢ وما بعدها.

١٩١ - رباب، سيزارنك، قول، آهنگ، گلزار، زخمه، دوراهي، مخالف، راست، برده، زيرويم، سار، برده عشاق، سرود، رود. كلها أسماء ونغمات موسيقية شهيرة. تعليقات روحاني، ص ٣٤٩، ٣٥٠.

١٩٢ - هو أبو عبد الله جعفر بن محمد الرودي (متوفى عام ٣٢٩ هـ / ١٩٤٠ م).

ولد في قرية رودك بالقرب من سمرقند. ويقال إنه حفظ القرآن في الثامنة من عمره، وكان له صوت جميل، كما إنه كان يعزف علي الربيط، وكان يتمتع بحظوة في بلاط الأمير نصر الساماني. وقد جمع ثروة كبيرة. والروديكي أول شاعر عظيم في إيران، ويُسمى أستاذ الشعراء. من آثاره المهمة: منظومة كليله ودمنة ولكنها فقدت. انظر زهراي خانلري: فرهنگ ادبيات فارسي درى ص ۲۳۸، ۲۳۹.

۱۹۳ - عاش أفلاطون في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن الرابع ق. م، وولد في أثينا، ونشأ في بحبوحة من النعيم، وتلمذ لسقراط ولازمه في السنوات الثمان الأخيرة من حياته. وقد سافر إلى مصر، وتحدث عنها في كتابيه القوانين والجمهورية، وأقام فيها زمناً طويلاً، ومات في الثمانين من عمره. ويبدو من قصة العطار مدى إعجابه به، لأن أفلاطون نظر إلى عالم الحسن على أنه خيالات زائفة، وأوهام باطلة، وركز الحقيقة فيما اسماه بـ «عالم المثل»، وحصر الوجود الحقيقي في عالم العقل أو المجردات، واعترف بوجود إله لهذا الكون مدبر له ومهيمن عليه، وهو إله واحد، وروح عاقل منظم متصف بصفات الجمال والخير والعدل والكمال، لا يخضع لقواعد الزمان. وقال كذلك: إنه لا بد أن يلقي الأشرار جزاءهم في ساعة آتية. وإنه بقدر ما يتخلص الإنسان من علائق عالم الحس، تنكشف له حقائق الموجودات وعالم الحقيقة حيث الدوام والخلود. انظر د. محمد بيصار: الفلسفة اليونانية مقدمات ومذاهب، ص ۷۶: ۱۰۵.

۱۹۴ - ولد أرسطو عام ۳۸۵ ق. م في إحدى المدن الأيونية القديمة، من أسرة اشتهرت بالاشتغال بالطب، وكان والده طبيباً لجد الإسكندر. التحق أرسطو بأكاديمية أفلاطون، وحاز إعجاب أستاذه؛ فسماه (العقل). وقضى بالأكاديمية عشرين عاماً ثم هجرها. بعد ذلك عهد إليه بتثقيف الإسكندر البالغ من العمر آنذاك ثلاثة عشر عاماً. وبعد بضع سنوات أسس مدرسة في أثينا. ومات في الثالثة والستين.

وقد خالف أرسطو أستاذه أفلاطون في ترفعه بفلسفته عن عالم الحس. ويرى أنه لا وجود من عدم، فالموجودات قديمة بموادها، حادثة بصورها، والصراع يكون بين الهوى والصورة. كما قال بأن الله ليس متقدماً على العالم في الزمان، مما أثار كثيراً من الجدل. ويتفق مع أفلاطون في أن العالم يعقل مبدأه الأول (الله) ويعشقه، ويسعى إليه، وإلى الوصول إلى حياة شبيهة بحياته، ولكن ما في العالم من مادة يحول بينه وذلك، فيكتفي بالتحرك نحوه حركة متصلة دائرية. انظر: د. محمد بيصار، الفلسفة اليونانية مقدمات ومذاهب، ص ۱۱۵، ۱۳۰.

١٩٥ - إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ وَقَطَعْتَ أَيْدِيَهُنَّ﴾. سورة يوسف، آية: ٣١.

١٩٦ - هو أبو الفتوح مجد الدين إمام أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي الأخ الأصغر للإمام محمد الغزالي ليست هناك معلومات دقيقة عن حياته سوى أنه مال إلى الزهد والانزواء في شبابه وصاحب الصوفية، حتى اختار الشيخ أبا بكر نساج أستاذًا له، ودخل حلقة، وقام بالتدريس لفترة في نظامية بغداد مثل أخيه، وكان يحضر مجالس وعظه عدد غفير، وكان ينظم الشعر بالفارسية والعربية، وله آثار متعددة بالفارسية والعربية أشهر رسالة سوانح، والمواظ، وكتاب لباب الأحياء، ورسائله إلى عين القضاة. اختلف في تاريخ وفاته من ٤٠٥: ٥٢٧ هـ، وقد دفن في مدينة قزوين. انظر مقدمة د. جواد نوربخش على رسالة سوانح، ورسالة اي در موعظة، ص ٣ وما يليها.

١٩٧ - أورد العطار هذه القصة في تذكرة الأولياء، وأضاف عليها ذهاب شخص آخر إلى منزل الشيخ، وقول أبي يزيد: ليس في المنزل سوى الله. انظر كزیده تذكرة الأولياء به كوشش د. محمد استعلامي ص ١٢٨.

١٩٨ - إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿١٣٠﴾ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ سورة الأعراف، آية: ١٢٠، ١٢١.

١٩٩ - هو الشيخ أبو الحسن الخرقاني، واسمه علي بن جعفر، وطريقته في التصوف مستمدة من روحانية الشيخ أبي يزيد البسطامي. ولد الخرقاني بعده بمدة. ومن أقواله ما بقي في لغز الله شيء، ولا في صدري لغيره قرار، توفي عام ٤٢٥ هـ. انظر جامي: نفحات الأنس ص ٢٩٨، ٢٩٩.

٢٠٠ - شهرته معروف بن فيروز الكرخي، ولد في الكرخ ببغداد وعاش ومات هناك. وكان يقول منذ صغره: إن الله واحد، حتى هرب وأسلم على يد علي بن موسى الرضا. وقد بلغ من زهده أنه أراد أن يتصدق بثوبه الوحيد كي يخرج من الدنيا عاريًا كما أتى إليها. توفي عام ٢٠٠ هـ. ق. انظر كزیده تذكرة الأولياء د. محمد استعلامي ص ٢١٥، ٢١٦.

٢٠١ - هو أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر، اختلف في مكان مولده بين خراسان وسمرقند وبخارى. ويعتبر من أوائل مشايخ خراسان. ويقال: إن سبب سلوكه الطريق أنه كان في بداية أمره قاطعًا للطريق، ووقع في حب جارية، وبينما هو يرتقي الجدران إليها، سمع القرآن يُتلى، فرجع وتاب. ثم ذهب إلى مكة، ومكث بها حتى مات

عام ١٨٧ هـ. وكان الفضيل دائم الحزن. انظر د. عبد الرحمن بدوي: تاريخ التصوف الإسلامي، ص ٢٦٤: ٢٦٨.

٢٠١ - (مرضت فلم تعدني) جزء من حديث رواه البخاري في ١٣ باب فضل عيادة المريض من ٤٥ كتاب البر والصلة.

٢٠٣ - الأربعينية: كانت لمراسم الأربعينية أهمية كبيرة بين صوفية إيران. والسالك الحديث العهد أمامه درجات معينة يجب أن يجتازها، وهي تبدأ من الدرجة الأقل إلى الدرجة الأعلى، وقد اختلفت هذه الدرجات من فرقة إلى أخرى. ويذكر الأستاذ نفيسي أنه في الفرقة المولوية يجب على السالك الحديث العهد أن يقضي أربعين يوماً في خدمة الحيوانات، ثم أربعين يوماً في خدمة الفقراء، ثم أربعين يوماً في إحضار الماء... إلخ حتى يترقى في هذه المراحل، وبعد ذلك يُقبل مريداً. انظر: سعيد نفيسي: سر چشمه توصف درايران ص ١٠١.

٢٠٤ - إشارة إلى تربص وحشي بحمزة بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ، وقتله إياه في غزوة أحد عام ٣ هـ. وبعد أن قتله مزق بطنه بحربته. انظر د. عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، ص ١٩٢.

٢٠٥ - الفقاع شراب يتخذ من الشعير، سُمي به لما يعلوه من زبد.

٢٠٦ - اسمه محمد بن سليمان الصعلوكي الفقير، كان إمام وقته في علوم الشريعة، صاحب الشبلي. توفي في نيسابور عام ٣٦٩ هـ. انظر: جامي: نفحات الأنس، ص ٣١٢.

٢٠٧ - هذه القصة تشبه القصة التي أوردها جامي حول سلوك العطار الطريق الصوفي، ثم سردها دولتشاه مع تغير طفيف، كما أوردها آذريكدلي مع بعض التغير أيضاً ثم تناقلها كتاب التذاكر بعد ذلك. انظر: جامي: نفحات الأنس ص ٥٩٩. دولتشاه سمرقندي: تذكرة الشعراء، ص ٢٠٨. لطفی آذريكدلي: آتشكده، ص ٦٩٨.

٢٠٨ - أبو يعقوب أقطع: كان من كبار مشايخ البصرة، وقد كاتب الجنيد وراسله، وكان يعيش في مكة، وعندما حانت منيته قالوا له أن ينطق بالشهادة، فرفض، وقال: توفي مسلماً وألحقني بالصالحين. قال هذا وأسلم الروح. وهو من صوفية القرن الثالث الهجري. انظر: جامي: نفحات الأنس ص ١٣٢.

٢٠٩ - بشر الحافي: بشر بن الحارث بن عبد الرحمن الحافي، كنيته أبو نصر، ويقال: إن أصله من بعض قرى مرو، أقام في بغداد حتى وقت وفاته عام ٢٢٧ هـ.

وقد أورد العطار هذه القصة نفسها (في تذكرة الأولياء) واعتبرها السبب في سلوك بشر الطريق الصوفي، ويوجد بعض الاختلاف بين رواية العطار في (الهي نامه) وما أورده في تذكرة الأولياء. فبينما نرى الهاتف يجيء إلي بشر مباشرة في الهي نامه، نجد الهاتف يأتي إلى أحد رجال الطريق في تذكرة الأولياء، في منامه ثلاث مرات، ويقوم هذا الرجل بإبلاغ بشر رسالة الله إليه. (إنك طيب اسمنا فطيناك، وبجلت اسمنا فبجلناك، وطهرت اسمنا فطهرناك، فبعزتي لأطيبن اسمك في الدنيا والآخرة). فبكى بشر، وتاب، وأناب، وخرج عاري الرأس والقدم. ومنذ ذلك الحين لم ينتعل شيئاً في قدميه. فعرف ببشر الحافي، واشتهر منذ ذلك الحين بالزهد التام. ويقال إن أحمد بن حنبل كان يتردد عليه، ويتلمس منه معرفة الله. كما يقال: إن الدواب لم تكن تلقي بروثها في الطريق؛ حفاظاً على قدمي بشر. انظر: جامي: نفحات الأنس: ص ٤٨. غزیده تذكرة الأولياء ٩٥: ١٠١.



